

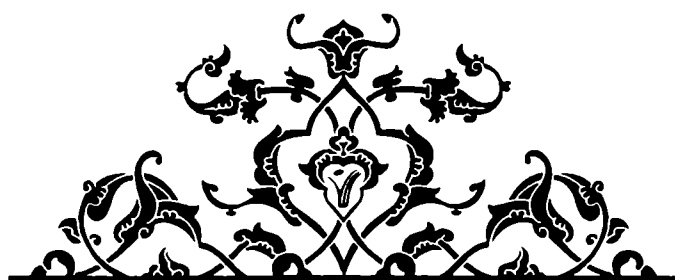
الحجج

بين الظهور والبرهان



الجزء الأول - الجزء الثاني

المحقق آية الله الشيخ محمد السند



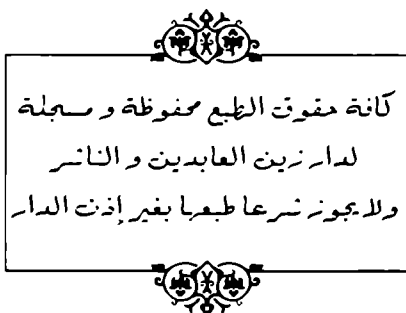
الجمعة

بين الظهور والبعاد





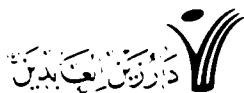
پدید آورنده :	السند. محمد. ۱۳۴۰ -
عنوان :	الرجعة بين الظهور و المعاد.
تکرار نام پدید آور :	محمد السند، تحقیق و تنسيق احمد بن حسين العبيدان الاحساني.
مشخصات نشر :	تهران : نشر صادق ۱۴۳۵ هـ = ۲۰۱۴ م = ۱۳۹۳.
مشخصات ظاهری :	۵۴۴ ص.
بهاء ۳۵۰۰۰ ریال	ISBN ۹۷۸-۹۶۴-۵۶۰۴-۰۳-۲
وضعیت فهرست نویسی :	فیا.
یادداشت :	عربی.
یادداشت:	کتابنامه به صورت زیرنویس.
موضوع :	رجعت.
موضوع :	رجعت - احادیث.
موضوع :	آخر الزمان.
شناسه افزوده:	عبيدان الاحساني، احمد بن حسين. - محقق.
رده کنگره :	۳۰۱۳۹۲ ر ۹ س ۲۲۲/۴ Bp
رده دیویی :	۲۹۷/۹۳
شماره مدرک :	۲۹۹۹۸۲۲



کافه مقفول الطبع محفوظه و مسجله
لدار زین العابدین و الناصر
ولای يجوز شرعا طبعها بغير اذن الدار

عنوان الناشر :
ایران - طهران - شارع ناصر خسرو
زقاق حاج نایب - سوق المجیدی
تلفون: ۲۳ ۹۳۴۶۴۴

شابک : 978-964-5604-03-3



ایران. قم. پاساژ قدس. محل رقم ۳۶
تلفون ۳۷۷۳۲۶۳۱ نقال ۰۹۱۲۴۵۱۲۵۶۳
مركز الرسائل القصيرة ۳۰۰۰۸۱۷۲۷۲۷۲۷۲
www.zein.ir

الرجعة

بين الظهور و المعاد

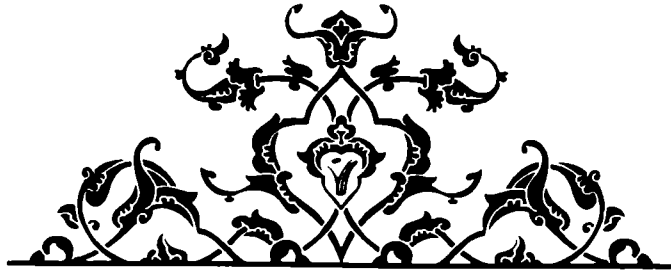
مجلد

لحقول الله الشيخ محمد السند

محقق و تنسيق احمد بن حسين العبيدان الاحساني

۱
۲

الناشر:	صادق
الكمية:	۵۰۰ نسخه
الطبعة:	الاولی
تاریخ الطبع:	۱۳۹۳ هـ ۵۲۰۱۴
عدد الصفحات:	۵۴۴ صفحه
المشرف على الطبع:	السید محمد السیدزین العابدین
تعمیه الغلاف:	السید مسلم السیدزین العابدین



الجمعة بين الظهور والمعاد

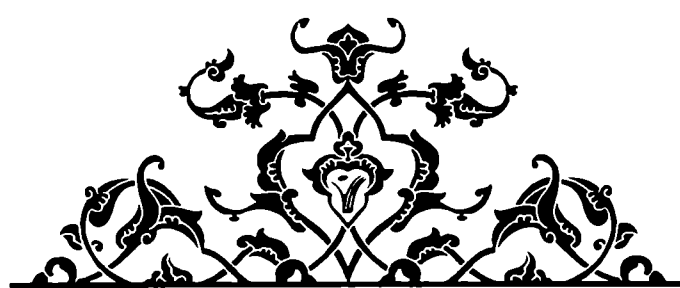
مُحَمَّدٌ
لِلْحَقِّوَانِيَّةِ الرَّسُولِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ السَّنْدِ

مُحَقِّقٌ وَتَلْسِيقٌ
أَحْمَدُ بْنُ حُسَيْنٍ الْعَبِيدَانِ الْأَحْسَائِي

الجزء الأول

دارُ رُزْنِ الْعَبَّادِيْنَ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المُقَرَّرَةُ

نُؤَوِّه فيها على نقاط:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

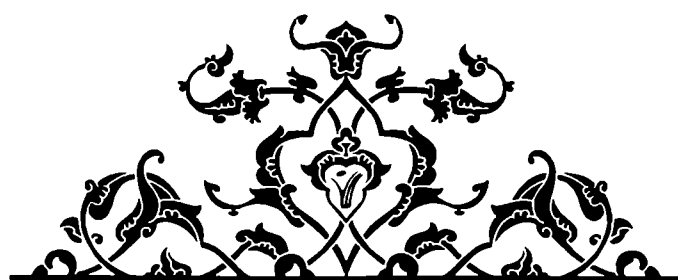
الأولى: أنَّ ما تم عرضه في الكتاب من أبواب وفصول ومقالات ومسائل وبحوث الرجعة لم يتمَّ إيفاء البحث فيها ولا توفية المطالب بتمامها نظراً إلى سعة بحوثها وتشعبها وقلة الجهود المبذولة فيها وتراخي آفاق ميادين المسائل وهذا مما يجعل إنجاز العمل بتمامه مستحيلاً في الظرف الراهن، رغم أنَّ البحث في الرجعة تواصل عندنا قرابة ستة أعوام لكننا نجد أنفسنا لا زلنا في ضفاف ساحل بحار ومحيطات باب الرجعة ولا نصف الحال بذلك خيلاً وشاعرية بلْ إِنَّ حَقِيقَةَ الرجعة باب في المعرفة من الغيوب الداهية الدهياء وتتوقف على جهود أجيال من أهل التحقيق والبحث والتبحر. ولا يقوم به جيل واحد فضلاً عن شخص فارد.

وبين هذا الحال والشأن في مباحث الرجعة نجد التعطش والإلحاح الشديد لدى أهل الفضل والتحقيق على التعرف والوقوف على إضاءات وومضات ونتف وإثارات تحرك السيرة العلمية في درب وطريق معرفة الرجعة. فبين ذا وذا رأينا أننا لو أخذنا على عاتقنا الجانب الأوَّل لطال بنا الزمان والمقام وكان ما حررناه ونقحناه من فتات ونكات علمية عرضة للضياع والبعثرة والشتات.

فكان الأوفق مع كل هذا الحال إخراجها بهذا الثوب من دون أن يجعل ذلك حسماً نهائياً ومنتهى المطاف بلْ هو انطلاقة لأوَّل الغيث ليخضرم وينضج المسير العلمي

في باب معرفة الرجعة الى المزيد من الغور والتوغل لاسيما وان الحقائق المفاجئة في بحوث الرجعة تعيد النظر والتقييم لكثير من المباحث في منظومة العقائد الى مستويات اعمق مما هي عليه. ونسأل الله ان يديم علينا مواصلة البحث طيلة ما قدر لنا من أجل في الحياة الاولى من الدنيا.

الثانية: إنّ من أهمية وغايات الخطيرة لمعرفة الرجعة أمور عديدة سيأتي ذكرها في الكتاب إلا أنه يحسن في التقديم أن نذكر على نحو الايجاز واحدة منها تستهوي العقول وأرواح النفوس وهي ان المعرفة بها يهون على الانسان خشية الموت ويبعد عنه كراهته بل سيأنس به لما سيطلع عليه من المستقبل الذي ينتظره بعد ذلك ولا يفوت عنه ما يحرص عليه ومن ثم ينبثق له قوة الامل الصادق فينزاح عنه الياس والإياس وتعاضم همته وبالتالي تكبر نفسه.

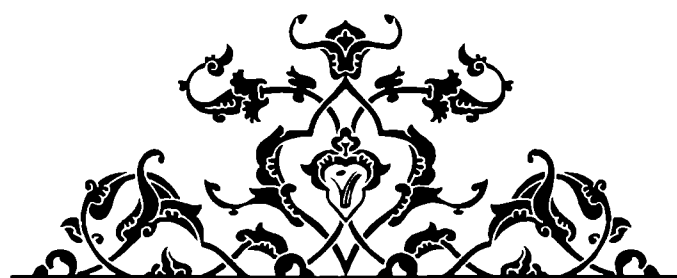


البَابُ الْأَوَّلُ

حَقِيقَةُ الرُّجْعَةِ

وَبُعْدُهَا الْمَعْرِفِي





الفصل الأول

أصول المنهج في بحوث المعارف

وبحث الرجعة



قد يُتساءل عن المنهج المتبع في بحث الرجعة لدينا، حيث إنّ غاية ما يطفح من كلمات علماء الإمامية كون اصل الرجعة ضرورة إيمانية لا تفاصيلها، فالحوض في تفاصيلها قد يُعترض عليه بأنّه لا يمكن بناؤه على أساس رصين، لاسيما وأنّ المعروف في الأذهان أنّ تعداد الروايات الواردة في الرجعة إنّما تبلغ من الروايات مائتان أو أكثر، ومن ثمّ لم يخض غالب علماء الإمامية في تفاصيلها. هذا وللجواب عن ذلك، وينبغي في البدء الإشارة إلى أمور:

الأمر الأول: سبب قلة الجهود في الرجعة:

ما هو سبب عدم خوض كثير من أجيال علماء الإمامية في تنقيح صور تفاصيل أحداث ومراحل الرجعة كظاهرة تكوينية مستقبلية سيشهدها البشر؟ أي ما هو السبب في انحسار الجهود طيلة هذه القرون وعدم توسّعهم في بحوث الرجعة؟

تلخيص الجواب:

ويمكن تلخيصه في جملة من الأسباب:

(١) اشتغال معظم الأصحاب بالدفاع والحوار الجدلي مع بقية الفرق والأديان مما استنزف كثيراً من الجهود، وليس ذلك فحسب، بل إنّ هذا الاشتغال حبس دائرة ودرجة مستوى البحث العلمي إلى مستوى متواضع يعيشه فكر الطرف الآخر من الأديان والمذاهب.

(٢) صعوبة البحث في الرجعة وغموض جملة من المباحث والأبواب مع قلة الجهود المبذولة في هذا الباب، مما يجعل طرق البحث فيه وعرة.

(٣) عدم جمع روايات الرجعة في ضمن موسوعة كتاب وعدم تبويبها لاسيما من المتقدمين، وهذا مما يستلزم صعوبة تكوين وتصوير نظرة جامعة حول الرجعة لدى الباحث.

(٤) صعوبة فهم الرجعة على كثير من الفرق والأديان، حتى أنّ كثيراً منهم خلط بين الرجعة والتناسخ، نظير الخلط الذي حصل لدى الفرق الأخرى في مبحث الإمامة، حيث التبس الأمر لديهم بينها وبين النبوة، واستعصى عليهم تمييزه وتفكيكه عن بحث (النبوة)، فكذا حصل الخلط بين مبحث الرجعة وبين مباحث أخرى كمبحث المعاد فإنّه يصعب تفكيكه وتمييزه عن المعاد الأكبر الذي هو عقيدة حقّة، وكذلك صعوبة تمييزه على كثيرين عن التناسخ ونحوه صعوبة تميز الرجعة عن العقائد الباطلة، هذا مع انضمام بعض الأسباب الأخرى سبب إحجام كثير من الأعلام عن الخوض في الرجعة وتفاصيلها لاسيما وأنّ كثيراً من أهل الخلاف قد شدّد الإنكار والتشنيع على عقيدة الرجعة.

(٥) أنّ عقيدة الرجعة مع كونها من المسائل والأبواب الاعتقادية المهمة إلّا أنّها ذات طابع سياسي خطير؛ لأنّها ترمز إلى دولة آل مُحَمَّد (صلوات الله عليهم أجمعين) وهذا مما يقلق الدولة العباسية والدول والأنظمة السياسية التي نشأت بعدها، فكان الخوض في الرجعة - ولا زال - نظير الخوض في الظهور والمشروع المهدوي ذو طابع سياسي تتحسس منه السلطات والحكومات؛ لأنّه مشروع إقامة دولة.

الأمر الثاني: المنهج الرجالي في الرجعة؛

في بيان المنهج الرجالي الذي نعتمده في الروايات في بحث باب الرجعة بل في

عموم أبواب المعارف - وقد استوفينا البحث فيه في كتاب الإمامة الإلهية^(١)، وكذا في كتاب بحوث في مباني علم الرجال^(٢)، وكذا في كتاب أصول استنباط العقائد^(٣)، ولكننا نشير هنا إلى مجمل مقتضب لا يغني عن الرجوع إلى تلك المصادر، إلا أننا نقتصر على المتيسر في هذا المقام - وذلك في عدة نقاط:

الأولى: إنّ هناك فرقاً بين المسائل العقيدية التي هي من أصول الاعتقادات أو أساسياته أو هي أصل لباب أو فصل اعتقادي، وبين تفاصيل العقائد. فإنّ رأي ومسلّك جماعة عديدة من أعلام الإمامية ومحققهم على الاكتفاء بالظن المعتمد في التفاصيل دون القسم الأوّل. وبسط ذلك ذكرناه في المصادر التي تقدمت الإشارة إليها.

الثانية: إنّ اعتبار الروايات الظنية في بحوث العقائد والمعرفة لا يتوقف ولا ينحصر على خصوص الصدور التعبدي واعتبار طريق الرواية، بل الشأن الأعظم في الروايات هو البيان العلمي والدلائل المشار إليها في مضمون الرواية حيث تتفق مع أصول وقواعد وثوابت الكتاب والسنة القطعية.

فيكون التنبيه لذلك هو الفائدة العظمى التي تفوق الاعتبار الظني والصدور، بل همّ الباحث المحقق هو اكتشاف المنظومة المعرفية من مجموع مضامين الروايات، ولا يقتصر ذلك على جهة تراكم الصدور وبلوغه إلى درجة الاستفاضة والتواتر فحسب بل من جهة أخرى أعظم منها أيضاً وهي وضوح واتّصاح حلقات المنظومة والنظام المعرفي لكل فصل وباب اعتقادي، فضلاً عن اكتشاف الارتباط بين الأبواب والفصول الاعتقادية في المنظومة الكبرى والنظام الأكبر واكتشاف هذا الترابط البنيوي والكيان البنياني، فإنّ البحث في ذلك ثبوتي، بينما التركيز على جهة الصدور واعتبار الطريق إثباتي محض، وكم فرق بين الثبوت والإثبات وبين اكتشاف نظام الثبوت ومنظومته

(١) الإمامة الإلهية، ج ١ في مقدمات الممهدة وفي الفصل الأوّل.

(٢) في مجلداته الثلاثة وملخصه في الأوّل.

(٣) المجلد الأوّل والثاني والثالث.

وبين متناثرات دلالات الإثبات، فإنَّ النمط الأوَّل أو المنهاج الأوَّل أقرب ما يكون من البرهان اللَّمي واكتشاف الملازمات العامة والخاصة. بينما المنهج الثاني استدلال إنِّي ظني إجمالي.

الثالثة: أنَّ الروايات الضعيفة - على اختلاف درجات ضعفها - لا يمكن إهمالها، فإنَّها بالتكاثر والتعاقد ترتقي عن الضعف إلى درجة الاستفاضة بل التواتر، فكيف يهمل ما هو مادة للتواتر والاستفاضة.

وبعبارة أخرى: إنَّ هناك نظرة ومنهجاً مجموعياً لمعطيات ومواد الأدلة إلى جانب النظرة والمنهج الأحادي لآحاد الأدلة، ولا يغني الثاني عن الأوَّل، كما لا يتفرد الأوَّل عن الثاني وإنَّ كان الشائع خطأً في البحث العلمي في عصرنا الحاضر العكوف والاختصار على المنهج الثاني.

الرابعة: إنَّ الاستفاضة والتواتر المعنوي لا يقتصران على تكرار المعنى الظاهر بلُ يشمل تكرار المعنى المستخرج نظرياً ولو بوسائط، فيكون من المعنى الخفي المتكرر في الأدلة، وهذا لا يقتنص تكرره في الأدلة إلَّا صاحب التحقيق المقتدر على استنباط المعاني والحقائق من الأدلة، ذو الباع الطويل والتضلع الوفير. ولا يخفى أنَّ دائرة هذا التواتر ومساحته كبيرة جداً، ولكن لا ينالها عموم الباحثين من ذوي الفضيلة، بلُ مختصة بالمحققين المدققين، وهم الذين يدركون هذا التواتر في مجموع الأدلة الظنية سواء كانت آحادها معتبرة أو غير معتبرة، وأنَّ هذه الأدلة الظنية تنطوي على مواد قطعية كثيرة، وكذا الحال في الاستفاضة النظرية، أي إن الباحث يقف عليها بإمعان النظر والتدبُّر والتدقيق.

والصعوبة في الوصول إلى المعنى النظري والالتفات والتنبيه إلى تكرره في الأدلة تفوقُ الصعوبة المبذولة للفحص عن التواتر المعنوي المعتاد في قبال سهولة التواتر اللفظي، ومن هنا يتبين أنَّ بحث المضمون مقدم على اعتبار الصدور على هذا التقدير. وأنَّ الاعتبار اليقيني أو الاطمئنان بالطرق متوقفٌ على بحث مضمون الروايات، وهذا التوقف لا يقتصر على التواتر النظري أو الاعتيادي والاستفاضة النظرية أو الاعتيادية بلُ

يشمل درجة الوثوق، فإنّ الوثوق منه ما يعتمد على قرائن اعتيادية، ومنه ما يعتمد على قرائن نظرية لا تُستخرج إلّا بحذاقة النظر لاسيما الذي يُعتمد في المضمون. ومنه يظهر أن مبنى الوثوق في الصدور في الرواية هو الآخر يعتمد على دراسة المضمون في الجملة دراسة اجتهدية تحقيقية، ولا يخفى أنّ هذا الاستخراج النظري للمعاني من المضمون هو وفق قواعد وموازين ليس ابتداراً من القريحة واستحسان من الذوق، بل قد بينّا في الجزء الثاني والثالث من كتاب (بحوث في علم الرجال) أنّ كثيراً من آراء علماء الرجال - إن لم يكن الأغلب - تتكون لهم رؤية حول المفردة الرجالية من الرواة بتوسط دراسة مضامين الروايات التي يرويها الراوي، وهذا توقف واضح لاعتبار الطريق على المضمون لا العكس، وتوقف ذلك بُين وقرر صناعياً في مباحث علم الأصول.

الخامسة: إنّ الترادف كعنصر مؤثر في الاستظهار والاستنباط من الأدلة، وكمقدمة ذات دخالة في مواد الاستدلال البرهاني ينقسم إلى ثلاثة أقسام: ترادف لغوي، وترادف عقلي، وترادف وجودي عيني.

الترادف اللغوي:

أما الترادف اللغوي - والذي عادةً تكون مفرداته لغوية - فاكشاف الترادفات اللفظية لم ينجز بشكل وافر وكامل في اللغة لحد الآن؛ لتوقفه على الترادف المعنوي، والترادف المعنوي يتوقف على تحليل علمي للمعاني الكثيرة، وعلى تنقيب ونقض وإبرام وتأمل وتدبر في المواد الواصلة، وعلى ذلك فالترادف اللغوي متوقف على الترادف العقلي الآتي؛ إذ الترادف العقلي موطنه المعنى والمعاني ومن ثم قد يُسمى بالترادف المعنوي.

كما أنّ لفصول الرجعة ومسلسل أحداثها أسماء لم تكتشف فيما كُتب عن الرجعة ولم ينقح البحث عنها في ذلك، مع أنها مقررة وموجودة في الروايات، نظير فصول مسلسل (دابة الأرض)، مع أنها من أخطر حلقات مسلسل الرجعة، وقد وُصف

هذا الحدث في روايات الفريقين المستفيضة والمتواترة أنها طامة وهولٌ عظيم، وانه إذا قيس حدث ظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - إلى حدث ظهور دابة الأرض فهو كالقطرة في البحيرة، هذا بالقياس إلى المفاجئات الكونية الحاصلة عند ذلك الحدث، وقد أطلق عليها (الطامة الكبرى) أيضاً أي نسبياً بالقياس إلى ما تقدمها من أحداث، إلى غير ذلك من أحداث وتفاصيل كثيرة لم يقع الخوض والبحث والتنقيب فيها ملياً، ولا زال الكثير الكثير من المباحث كمواد خام غير منقبة عنها.

وأما العامة فلم يلتفتوا إلى جملة من فصول الرجعة، مع أنهم رَوَوْها بطرق مستفيضة ومتواترة إلا أنها لم تتضمن لفظة الرجعة. وسنتعرض إلى جملة من العناوين التي رَوَوْها من فصول وأبواب الرجعة ولم يلتفتوا إلى كونها منها.

ومن أمثلة الترادف اللفظي المغفول عنه في الرجعة: ما أشير إليه في عدة آيات من علامات الرجعة وإرهاصاتِها وهو مجيء آيات الرب، وهذا العنوان القرآني للرجعة عنوان أصيل في كتب الحديث لدى الفريقين لكنه مغفول عن كونه من فصول الرجعة المهمة، وهذا نمط من أنماط الترادف اللفظي المغفول عنه في الرجعة.

الترادف العقلي:

وأما الترادف العقلي فهو اشتراك شيئين وذاتين وماهيتين وهويتين في جزء من معنيهما كالجنس القريب المشترك أو الجنس البعيد أو الجنس المتوسط أو فصل الفصل أو الفصل الفوقي، واللازم هو وجود وتقرر جزء مشترك، فإذا تقرر وجود ذلك الجزء المشترك فلا محالة تكون آثار ذلك الجزء وأحكامه التكوينية مشتركة بينهما، فيكون ما دلّ على آثار وأحكام الشيء الأول دالاً على ترتيبها على الثاني أيضاً إذا كان ترتب تلك الآثار من حيثية ذلك الجزء المشترك، فلا محالة يكون ذلك الدليل دالاً على تلك الآثار والأحكام في الشيء الثاني، ومن الواضح أنّ هذا المنهج توسع في استنطاق الأدلة وتحليل مفادها ومعانيها بطريق أعمق وأغور، فلا يقتصر الاستدلال على الألفاظ المشتركة ولا على سطح المعاني أي لا يقتصر على المعنى المتحد في سطح

الإدراك الأولي، بل يعتمد على المعنى المتحد المطوي بخفاء في طيات معاني متعددة، وهذا يؤدي إلى اكتشاف الأجزاء المشتركة بين المعاني كنظام موحد بينها، واكتشاف لبنان النظام في المعاني. فهو بحث وتنقيح وتحرر ثبوتي للواقعيات، وليس مجرد استكشاف دلالي وإثباتي.

وأحد ثمرات هذا المنهج: ما مر من اكتشاف المعنى المتواتر النظري، والمستفيض والموثوق النظريين المكتشفة بقوة الاجتهاد والتحقيق، بل كما تبين هنا أن الفائدة في الترادف العقلي أعظم من اكتشاف مجرد التواتر، بل ترجع الفائدة إلى اكتشاف نظام التوافق والموافقة مع قواعد الكتاب والسنة كبنان منظومي.

الترادف الوجودي؛

أما الترادف الوجودي فهو يغير كلاً من الترادف اللفظي والعقلي؛ لأنه لا يعتمد على وحدة تمام المعنى أو المعنى الظاهر كما في الترادف اللفظي، كما لا يعتمد على الجزء المشترك من المعنى الخفي كما في الترادف العقلي، بل لا يعتمد على الوحدة في المعنى أصلاً، وإنما يعتمد على وجود الرابطة الوجودية بين شيئين وإن لم تكن بينهما رابطة وارتباط في المعنى أصلاً.

واكتشاف هذا الترادف أصعب بكثير من اكتشاف الترادف العقلي رغم صعوبة الترادف العقلي كما مر، لاسيما مع اختلاف درجات الترادف العقلي في الخفاء؛ وذلك لأن الترادف الوجودي يتخطى عالم المعنى إلى تقصي العينية الواقعية وملاحظة الآثار والتأثيرات في الوجود، وملاحظة أن التقارن بسبب الملازمة والتسبب في التأثير أم لا، وبعبارة أخرى أن منظومة الوجود وأنظمتها أوسع ترابطاً بين الأشياء المختلفة من ترابط الأشياء في جانب معانيها اللغوية وذاتياتها، فإن الترابط بين الأشياء في جانب المعنى من ناحية ذواتها - أجناساً أو أنواعاً أو أصنافاً - أضيق دائرة من ترابطها في جانب الوجود العيني.

السادسة: ليعلم القارئ الكريم والباحث اللبيب أن مسير البحث عن الرجعة طويل

ولم يبلغ كماله فضلاً عن نهايته؛ إذ لا يزال البحث في الرجعة أقرب إلى الإثارات والتساؤلات وتجميع المواد التحليلية المتناثرة بقدر الوسع أكثر من كونه بناء منظومي لقوالب وأطر منضدة، فلا يزال البحث في مسير التدقيق والتحقيق والتنقيب عن مفاصل هيكلية الرجعة ومدى تأثيرها في تعميق قراءة جملة منظومة العقائد؛ لأن الرجعة ليست مرحلة زمانية ومعاد أصغر وبعث صغير فحسب بل هي نمط قراءة ولغة في تفسير مجمل أصول العقائد، ويتطلب ذلك منهجية في تتبع الإثارات وتحليل المواد لبناء فهرسي كاشف عن نظم ومنظومة بنية الرجعة ولو بنحو محتمل، تتمثل للباحث كالصورة المرئية يتواصل فيها تكامل البحث وإن لم يصل إلى درجة الجزم ولو لم يستنفذ البحث في كل الأبعاد، لكن يتم التثبت والتنقيح لخطوات عديدة، وإن كان ذلك لا يسد الطريق أمام المزيد من البحث والتحقيق من قبل آخرين بل من قبل أجيال عديدة فضلاً عن أفراد جيل واحد، بل الطريق بعيد المدى.

السابعة: إن هناك محاور ومفاصل معرفية كثيرة وعديدة في منظومة المعارف يجدها الباحث المستقرئ في الآيات والروايات والأدعية والزيارات، فضلاً عن التفاصيل الكثيرة، وكثير منها غير موجود في أبواب علم الكلام ولا الفلسفة ولا العرفان، وليس ذلك بمستغرب؛ للفرق الفارق بين قصور البشر وبين لا تناهي الوحي، وهذا القصور والنقص المعرفي صار منشأً لتساؤلات وشبهات وإشكاليات، ولغياب محاور في أصول الدين، وأبواب المعرفة مفقودة في هذه العلوم بينما هي متوفرة في بيانات الوحي.

مناهج الأعلام في بحث كتب الرجعة

١-٢) منهج الصدوق والحر العاملي في كتابه (الإيقاظ من الهجعة في إثبات الرجعة).

إنَّ الحر العاملي اعتمد على لغة وقراءة عقلية ونظرة تعقلية في تحليل مضمون ومضامين الآيات والروايات الواردة في الرجعة، وهذه النظرة والمنهجية تعتمد على تحليل منظومة أنواع الموت، وبياناته أنواع الرجوع.

وفي الحقيقة انطلق الشيخ الحر من التركيز على مباحث وأقسام درجات الموت وفي مقابلها البحث من تلك الدرجات من الموت، وهذا المنهج والهيكل هو الطابع الهندسي والصناعي في كل كتابه وكافة أبوابه وفصوله، والظاهر أنَّه اتخذ هذا المنهج من الصدوق عليه السلام من كتاب (الاعتقادات) حيث ذكر الصدوق أنواعاً وألواناً من الرجعة، معتمداً على تقسيم الموت إلى أنواع ودرجات تتداخل فيها حقيقة النوم غير الطبيعي مع الموت.

وفي الحقيقة أنَّ الصدوق عليه السلام نفَّح بُعْداً عقلياً في الرجعة معتمداً على إشارات في روايات الرجعة إلى سعة وكثرة أنواع انفصال الروح من الجسد وعودها إليه، وجعل هذا البعد العقلي محورياً مهماً في تفسير وتحليل حقيقة الرجعة وهو وإنَّ لم يبسط فيه الكلام بل التفت إليه إجمالاً وبنحو ارتكازي، إلا أنَّ الحر العاملي عليه السلام فتق هذه الالتفاتة وبلورها بشكل مبسوط إلى حدِّ ما، بل وخاض في بحوث الموت والحياة بلغة عقلية وذوق شهودي في مضامين الآيات والروايات لم يسبقه في هذا المضمار غيره من الأعلام، حتَّى أنَّ ما سطره الحكيم ملا صدرا في أسفاره في بحث كتاب (المبدأ

والمعاد) لم يتطرق إلى هذه الكثرة من التصورات والاحتمالات والآفاق العقلية من أقسام ومراتب وأنواع الموت والحياة التي تطرق إليها الحر العاملي رحمته الله، فما أنجزه الحر يُعدُّ بكرةً في هذا المضمار، وهو ذو تأثير بالغ في فهم مباحث الرجعة، هذا مضافاً إلى ما تميَّز به من إحاطته بعدد من روايات انتخابها مما ورد في الرجعة، وسيأتي بيان تعداد ومصادر تلك الروايات في الباب الثاني وهي أضعاف ما انتخبه الحر في كتابه، كما أنَّ الحر امتاز بإحاطة وافرة في تتبع الأقوال والمصادر، وبترتيب منطقي في المقدمات الشارحة لحقيقة الرجعة والبرهان عليها، وكان ذلك منهاجاً عقلياً عميقاً أدركه فكره الثاقب من البنيان العلمي المذكور في الآيات والروايات الخاصة بالرجعة.

والمنظومة العقلية والفكرية والتكوينية للرجعة المبينة لحقيقتها في الآفاق التي رصدها في بيانات روايات الرجعة تجاوزت مستوى الأفق المطروح لدى الحكيم الملائ صدره رحمته الله حول أصول حقيقة الموت والبعث والنشر إلى آفاق أوسع، واكتشاف أنواع وحالات للنفس والروح لا تجد رائجتها في مبحث الموت والمعاد في كتاب (الأسفار) وذلك بفضل المعطيات وأفق المعلومات الموجود في روايات الرجعة.

وبالمقارنة بين تأليف الحر العاملي وجملة كتب من عاصره أو تقدم أو تأخر عليه يلاحظ أنَّه اعتمد على تبويب ومنهجية في البحث ترتبط بأعمدة تنتظم في الصناعة العقلية البالغة حذاقة في التحليل لمضامين أحاديث الرجعة، ونظمها ضمن مسلسل، وقد اكتشف هذا المسلسل المنظومي لها بفهم قراءة عقلية، بينما لا يُشاهد ذلك فيما كتبه المجلسي حول الرجعة في (بحار الأنوار). نعم انجز المجلسي رحمته الله في رجعة البحار إثارات وبيانات ذات فوائد عميقة هامة.

(٣) وأمّا ما ألفه الشيخ أحمد الأحسائي رحمته الله في كتابه (الرجعة) فسرد متناثر لم يعتمد فيه على منهجية راسمة للبحث رغم أنَّه متأخر عن الحر، نعم قام الشيخ الإحسائي بالتركيز على العلاقة بين الظهور والرجعة، وقد أقتفى في ذلك مسلك جملة من المتقدمين من الأعلام حيث أنَّهم مزجوا بين روايات الظهور وروايات الرجعة؛ وذلك لشدة الصلة والارتباط بينهما؛ حيث إنَّ الظهور فاتحة للرجعة، كما أنَّ رجعة أئمة أهل

البيت عليه السلام وهي بعث إلى دار الدنيا مرة أخرى قد أطلق عليه في الروايات المستفيضة «ظهور»، أي أن ذلك الرجوع هو ظهور لهم في دار الدنيا بعد غيبتهم بالموت في دار البرزخ، ومن ثم فإن الكتب الحديثية المؤلفة في ظهور المهدي (عجل الله تعالى فرجه) أحد منابع روايات الرجعة، وقد وقع الخلط لدى كثير من الباحثين بين العديد من فصول الرجعة وبين فصول وأحداث الظهور.

وعكس ذلك لدى علماء العامة حيث مزجوا بين روايات الرجعة وروايات القيامة والساعة، فرووا جُلَّ فصول الرجعة في أشراط الساعة وعلامات القيامة؛ وذلك بسبب أن الرجعة تقع قبل القيامة، وهي من المعالم الكبرى لها، وذات ارتباط وصلة وطيدة بالقيامة، ومن ثم قال علماء الامامية: إن الرجعة معاد أصغر، في قبال القيامة الكبرى والمعاد الأكبر، فمن ثم صارت الكتب الحديثية للجمهور حول القيامة وأشراط الساعة والملاحم والفتن في آخر الزمان أحد منابع المهمة والمصادر المليئة بروايات الرجعة، وقد وقع الخلط لدى كثير من الباحثين لديهم بين العديد من فصول الرجعة وأحداث الظهور والساعة والقيامة والمعاد.

٤) وممن كتب في الرجعة: الشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار القطيفي تلميذ الأحسائي، قال في كتابه: (القول بالرجعة كما نقول وهي شرط في تحقق المعاد الجسماني ومقدمة من مقدماته بل لا يتحقق بدونها؛ لأنه يُفاض على الأبدان زمنها قسط من ولايتهم عليه السلام أو من إنكارهم حتى تكمل وتُصاغ صيغة لا تحتل الفساد بالنفخ الثاني بعد النفخ الأول؛ لأنها تحتاج إلى صوغه وكسر غير هذا الصوغ والكسر لتصلح إلى البقاء السرمدي) انتهى كلامه.

أقول: وما ذكره في تصويرها والتي هي معاد مطابق لنظرية المعاد الجسماني عند الحكيم الزنوزي^(١)، ولعلَّ أستاذه الشيخ أحمد الأحسائي رحمته قد سبقه إلى ذلك، وقد تبنّى هذه النظرية المرحوم الأصفهاني الكمباني رحمته في رسالته في المعاد، وفي هذه

(١) من طبقات مدرسة الحكمة المتعالي

النظرية يسير البدن في أطوار تكامل كي يصل إلى محل الروح وتكاملها، عكس نظرية الملا صدرا في (المعاد) حيث يُصوّر الحركة الجوهرية بقاءً في الروح لا في البدن، ثم تُنشئ الروح بدنًا معاديًا، وعلى النظرية الأولى تكون الرجعة شرطاً ضرورياً في حصول المعاد الجسماني الأكبر ومقدمة ضرورية له، وروى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾^(١) قال: «يكسرون في الكرة كما يكسر الذهب حتى يرجع كل شيء إلى شبهه، يعني إلى حقيقته»، وفي رواية أبي إسحاق الليثي عن أبي محمد بن علي الباقر عليه السلام في حديث طويل عن طينة المؤمن وطينة الكافر قال فيه عليه السلام في تفسير جعل أعمال النواصب هباءً منثوراً في قوله عز وجل ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾^(٢) ... «خلق الله عز وجل الأشياء كلها لا من شيء فكان مما خلق الله عز وجل أرض طيبة ثم فجر منها ماءً عذباً زلالاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت عليه السلام فقبلتها... وأخذ من صفوة ذلك الطين طيناً فجعله طين الأئمة عليه السلام، ثم أخذ ثقل ذلك الطين فخلق منه شيعة، ولو ترك طينتكم - يا إبراهيم - على حاله كما ترك طينتنا، لكنتم ونحن شيئاً واحداً... خلق الله عز وجل بعد ذلك أرضاً سبخة خبيثة نتنة ثم فجر ماءً أجاباً آسناً مالحاً فعرض عليها ولايتنا أهل البيت عليه السلام ولم تقبلها... ثم أخذ من ذلك الطين فخلق منه الطغاة وأئمتهم، ثم مزجه بثقل طينتكم، ولو ترك طينتهم على حاله ولم يمزج بطينتكم لم يشهدوا الشهادتين ولا صلّوا ولا صاموا ولا زكوا ولا حجوا ولا أدّوا أمانة ولا أشبهواكم في الصور، وليس شيء أكبر على المؤمن من أن يرى صورة عدوه مثل صورته... ثم خلط بينهما فوقع من سنخ المؤمن وطينته على سنخ الكافر وطينته، ووقع من سنخ الكافر وطينته على سنخ المؤمن وطينته... فإذا عرضت هذه الأعمال كلها على الله عز وجل قال: أنا عدل لا أجور ومنصف لا أظلم وحكم لا أحيف ولا أميل ولا أشطط، وألحق الأعمال السيئة

(١) سورة الذاريات: الآية ١٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢٣.

التي أجترحها المؤمن بسنخ الناصب وطينته، وألحق الأعمال الحسنة التي اكتسبها الناصب بسنخ المؤمن وطينته ردوها كلها إلى أصلها، فإني أنا الله لا إله إلا أنا عالم السر وأخفى، وأنا المطلع على قلوب عبادي، لا أحيف ولا أظلم ولا ألزم أحداً إلا ما عرفته منه قبل أن أخلقه ... اقرأ يا إبراهيم أقرأ هذه الآية ... قوله تعالى ﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَظَالِمُونَ﴾^(١) هو في الظاهر ما تفهمونه، وهو والله في الباطن هذا بعينه ... كذلك يعود كل شيء إلى سنخه وجوهره وأصله، فإذا كان يوم القيامة نزع الله عزَّ وجلَّ سنخ الناصب وطينته مع أثقاله وأوزاره من المؤمن فيلحقها كلها بالناصر، وينزع سنخ المؤمن وطينته مع حسناته وأبواب برِّه واجتهاده من الناصب فيلحقها كلها بالمؤمن، ... ههنا ظلماً أو عدواناً ... هذا والله القضاء الفاصل والحكم القاطع والعدل البين ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾، هذا - يا إبراهيم - ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ هذا من حكم الملكوت ... حكم الله وحكم أنبياءه، وقصة الخضر وموسى عليه السلام حين استصحبه فقال ﴿إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ ... وإنَّ ما أخبرتك لموجود في القرآن كله ... يوجد في أكثر من ثلاثين موضعاً في القرآن ... قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾^(٢) ... قال: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ ... قال ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ يبدل الله سيئات شيعتنا حسنات، ويبدل الله حسنات أعدائنا سيئات، وجلال الله! إنَّ هذا لمن عدله وإنصافه لا رادَّ لقضائه ولا معقب لحكمه وهو السميع العليم. ألم أبين لك أمر المزاج والطينتين من القرآن؟ قلت: بلى يا بن رسول الله. قال: اقرأ يا إبراهيم ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ

(١) سورة يوسف: الآية ٧٩.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ١٢.

أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ» يعني من الأرض الطيبة والأرض المنتنة ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ يقول لا يفتخر أحدكم لكثرة صلاته وصيامه وزكاته ونسكه؛ لأن الله عَزَّ وَجَلَّ أعلم بمن اتقى منكم، فإن ذلك من قِبَل اللّٰمِ وهو المزاج. أزيدك يا إبراهيم؟ قلت: بلى يا ابن رسول الله. قال ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ يعني أئمة الجور دون أئمة الحق ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ خذها إليك يا أبا إسحاق، فوالله إنه من غُرر أحاديثنا وباطن سرائرنا ومكنون خزائننا، وانصرف ولا تطلع على سرّنا أحداً إلا مؤمناً مستبصراً فإنك إن أذعت سرنا بليت في نفسك ومالك وأهلك وولدك^(١)

ولا يخفى التطابق الشديد بين الروایتين حيث إن في الرواية الأولى التصريح بـرجوع كل شيء إلى شبهه أي أصله فيفرز بين الطينتين، كما هو الحال في تصفية المعادن بالنار، وكذلك هو مفاد رواية الليثي، ولعلّ إطلاق لفظ القيامة في رواية الليثي كان على الرجعة، كما هو أحد إطلاقات لفظ القيامة، فكما يطلق على القيامة الكبرى يطلق على الرجعة، وحينئذ يكون تمحيص الطينة أحد ملاحم الرجعة كما قال المجلسي في البحار في بيان الحديث الأول: (لعله إشارة إلى ما مرّ في الأخبار من المزج بين الطينتين، أو المراد افتتانهم حتى تظهر حقائقهم)^(٢)، وإن الرواية الثانية دالة على أن الحساب أو أحد درجاته يحصل في الرجعة.

وروى الصدوق في العلل رواية أخرى بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قريبة لمضمون رواية الليثي عن أبي جعفر عليه السلام وفيها قول أبي بصير: قلت: جعلت فداك، فتعود طينتنا ونورنا كما بدأ؟ فقال: أي والله ... كذلك والله شيعتنا من نور الله خلقوا وإليه يعودون، والله إنكم لملحقون بنا يوم القيامة ... الحديث^(٣).

وروى الصدوق في العلل بسنده عن إسحاق القمي مثله، وفيه: ولكن الله تبارك

(١) علل الشرايع للصدوق / آخر حديث في الكتاب.

(٢) البحار مجلد ٥٣/ ص ٤٤.

(٣) علل الشرايع/ الباب ٨٥/ ص ٩٤ علة النسيان والذكر.

وتعالى جمع الطينتين طينتكم وطينتهم فخلطهما وعركهما عرك الأديم ومزجهما بالمائين فما رأيت من أخيك من شر... فليس من جوهريته ولا من إيمانه، إنما بمسحة الناصب اجترح هذه السيئات التي ذكرت، وما رأيت من الناصب من حسن... فليس من جوهريته إنما تلك الأفاعيل من مسحة الإيمان اكتسبها وهو اكتساب مسحة الإيمان.

قلت: جعلت فداك، فإذا كان يوم القيامة فمه؟ قال لي... يا إسحاق أيجمع الله الخير والشر في موضع واحد؟ إذا كان يوم القيامة نزع الله مسحة الإيمان منهم فردها إلى شيعتنا، ونزع مسحة الناصب بجميع ما اكتسبوا من السيئات فردها على أعدائنا، وعاد كل شيء إلى عنصره الأول الذي منه ابتداء... نعم يا إسحاق كل شيء يعود إلى جوهره الذي بدأ... الحديث»^(١).

والحاصل أن إطلاق لفظ القيامة في رواية الطينة لا يبعد كونه بلحاظ بعث الرجعة والقيام من القبور، وبالتالي فأحد غايات الرجعة تصفية طينة الأبدان الأصلية، ولعله إلى ذلك يشير ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام في مختصر بصائر الدرجات - في حديث الرجعة -: «لَكُفْرَةٌ مِنَ الْكُفْرِ بَعْدَ الرَّجْعَةِ أَشَدَّ مِنْ كُفْرَاتٍ قَبْلَهَا»؛ وذلك لأن أهل العناد تُصْفَى الطينة الخبيثة لهم، ولا يعني ذلك الجبر في حال من الأحوال وإنما تهيئة البيئة المناسبة لكل من الإرادة الحسنة لأهل الخير وتهيئة البيئة السيئة لإرادة السوء، نظير ما يمارسه العقلاء من وضع طلاب المدارس - الذين يتوسم فيهم الجد والمثابرة والاجتهاد - في المدارس النموذجية الخاصة من أول السنة الدراسية، وكذلك وضع الخاملين والعاطلين والبطالين في المدارس الاعتيادية دون المستوى؛ وذلك تفادياً من تضييع الإمكانات هدراً؛ وكل ذلك بمقتضى العدل والانصاف والحكمة البالغة.

وقفة أخرى مع منهج الصدوق والحر العاملي:

إنَّ الصدوق رسم للرجعة رسماً عقلياً متخذاً من الرسم القرآني حيث جعل نومة

(١) علل الشرايع/الباب/٢٤٠/ح ١.

أصحاب الكهف ويقظتهم منه برهاناً على عود وبعث الأموات إلى المعاد كما أشار إلى ذلك القرآن في جملة من الآيات كما في قوله تعالى ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(١) فأطلق على اللبث في القبر أنه نوم في المضجع. وكذا قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(٢) فتشير الآية إلى حقيقة مشتركة بين الموت والنام. وكذلك الحديث النبوي المعروف «كما تنامون تموتون، وكما تستيقضون تبعثون» وغيرها من بيانات القرآن والسنة المطهرة للمعصومين عليهم السلام، من أن هناك ترادفاً عقلياً بين النوم والموت وهو انفصال الروح عن البدن وهو على درجات متفاوتة، بل إن النوم على درجات كبيرة كما أن الموت أيضاً على درجات كثيرة، وأن هناك اشتراكاً وترادفاً عقلياً بين اليقظة من النوم والبعث من الموت في جزءٍ من ماهيتهما وهو عود الروح إلى البدن.

(٥) وممن أُلّف في الرجعة الشيخ حسين بن علي بن زعل في رسالة له حيث قام بالتركيز على بحوث البرزخ ومراحله المختلفة وتداخله مع الرجعة وأنواع ارتباط أهل البرزخ مع مستقبل الرجعة، وما روي أن بعض أهل البرزخ في جنة الخلد في السماء وأن البعض الآخر في جنات الدنيا.

مناهج الأعلام في بحث الرجعة إثباتاً وتفسيراً:

وذلك باستعراض جملة من النماذج:

(١) بحوث البرزخ من مراحله المختلفة وتداخله مع الرجعة وارتباط أهله مع مستقبل الرجعة، وروي أن أهل البرزخ في جنة الخلد في السماء، وروي أنهم في جنات الدنيا.

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٢) قام بالتركيز على هذه الجهة الشيخ حسين بن علي بن زعل في رسالته في الرجعة كما مرّ.

(٣) ركّز الشيخ الأحسائي على العلاقة بين ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - والرجعة.

(٤) ركّز الحر العاملي على ألوان وأنواع الموت والرجوع وأنماط الحياة والرجعة.
(٥) ما ذهب إليه العلامة الطباطبائي رحمته الله في تفسيره (الميزان) من وجود وحدة وسنخية بين القيامة والرجعة وظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ومن ثم وردت الروايات عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير كثير من الآيات تارة بالقيامة وأخرى بالرجعة وتفسّر آية واحدة بيوم القيامة تارة وبالرجعة أو بالظهور ثالثاً.

ويتحصل من كلامه تعالى في محكم كتابه أنّ من أوصاف يوم القيامة ونعوته أنّه يوم لا يحجب فيه سبب من الأسباب ولا شاغل من الشواغل عنه سبحانه فيفنى فيه جميع الأوهام ويظهر فيه آياته كمال الظهور، وهذا يوم لا يبطل وجوده، وتحققه تحقق هذه النشأة الجسمانية ووجودها، فلا شيء يدلّ على ذلك من كتاب وسنة بل الأمر على خلاف ذلك

ولا مزاحمة بين النشأتين - أعني نشأة الدنيا ونشأة البعث - حتّى يدفع بعضها بعضاً كما أنّ النشأة البرزخية وهي ثابتة الآن للأموات منّا لا تدفع الدنيا ولا الدنيا تدفعها، قال تعالى: ﴿تَاللّٰهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُمْ وَٰلِيَهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١).

فهذه حقيقة يوم القيامة، ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ﴾، ولذلك ربما يُسمى يوم الموت بالقيامة، لارتفاع حجب الأسباب عن توهم الميت، فعن علي عليه السلام «من مات قامت قيامته».

والروايات المثبتة للرجعة وإن كانت مختلفة الأحاد إلاّ أنها على كثرتها متحدة

(١) سورة النحل: الآية ٦٣.

في معنى واحد وهو أنّ سير النظام الدنيوي متوجّه إلى يوم تظهر فيه آيات الله كل الظهور، فلا يعصى فيه سبحانه وتعالى بل يُعبد عبادةً خالصةً لا يشوبها هوى نفس، ولا يعتريه إغواء الشيطان، ويعود فيه بعض الأموات من أولياء الله تعالى وأعدائه إلى الدنيا، ويفصل الحق من الباطل، وهذا يفيد أنّ يوم الرجعة من مراتب يوم القيامة، وإنّ كان دونه في الظهور؛ لإمكان الشر والقدرة فيه في الجملة دون القيامة، ولذلك ربما ألحق به يوم ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - أيضاً؛ لظهور الحق فيه أيضاً تمام الظهور وإنّ كان أيضاً دون الرجعة، وقد ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام «أيام الله ثلاثة: يوم الظهور ويوم الكرة ويوم القيامة» وهذا المعنى - أعني الاتحاد بحسب الحقيقة والاختلاف بحسب المراتب - هو الموجب لما ورد من تفسيرهم عليهم السلام بعض الآيات بالقيامة تارة وبالرجعة أخرى وبالظهور ثالثة، وقد عرفت مما تقدم من الكلام أنّ هذا اليوم ممكن في نفسه بل واقع، ولا دليل مع المنكر يدلّ على نفيه» انتهى كلامه.

ملاحظات على منهج الطباطبائي والأحسائي في الرجعة؛

أقول:

١ - يمكن إثارة بعض الملاحظات على ما قرّره فقيه من بنیان لتصوير الرجعة - من أنه يوم ونشأة لا يبطل وجوده وتحققه تحقق هذه النشأة الجسمانية ووجودها، ولا مزاحمة بين النشأتين ونشأة البعث، كما لا تُدافع النشأة البرزخية مع الدنيا، وأن سير النظام الدنيوي متوجه إلى ظهور الآيات - كيف يجمع بينه وبين قوله في معنى الرجعة: ويعود فيه بعض الأموات من أولياء الله تعالى وأعدائه إلى الدنيا، ويفصل الحق من الباطل؟ وجه التدافع أنه من جانب يجعل نشأة الرجعة نشأة مغايرة لنشأة الدنيا كتغاير نشأة القيامة مع نشأة الدنيا، وأن هذا التعدد لا يستلزم إبطال أحدهما للآخر كما هو الحال في تعدد نشأة البرزخ مع الدنيا من دون التدافع بينهما، فإذا كان - والحال هذه - تعدد في النشآت، فكيف تكون الرجعة عود إلى نشئ الدنيا؟ بخلاف ما لو تبنى أن الرجعة عود إلى الله كما أن القيامة عود إلى الله ومعاد وعود إليه تعالى وليس عوداً إلى

الدنيا، أمّا أن يجعل الرجعة معاداً أصغر وعوداً إلى الدنيا فكيف تكون مع ذلك نشأتين متعددتين مختلفتين في الأحكام التكوينية؟

٢- أنه ﷺ جعل ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - أيضاً نشأة تختلف عن نشأة الدنيا، نظير اختلاف نشأة القيامة مع نشأة الدنيا وإن كان الفارق بين نشأة الدنيا والقيامة أكثر من الفارق بين نشأة الدنيا والظهور، وهذا التفسير لكل من الرجعة والظهور تطابق مع ما يذهب إليه الشيخ أحمد الأحسائي وتلميذه آل عبد الجبار في تفسير الرجعة والظهور.

ويؤخذ على هذا المسلك أنه كيف يجعل الرجعة والظهور مع ذلك سير للنظام الدنيوي وتوجه لذلك النظام إلى منزلة ونشأة تظهر فيها آيات الله ومع ذلك نشأة الدنيا باقية على درجتها وحالتها وتباينها مع نشأة الظهور والرجعة والقيامة؟ ومع هذا كله فإن الشواهد التي اعتمدها من مفاد الآيات القرآنية والروائية والعقلية تامة حقة في نفسها إلا أن الكلام في تفسيرها بمعنى يتوافق ويتلائم مع كون الرجعة عود إلى الدنيا وفصل الحق من الباطل فيها.



الفصل الثاني

حقيقة الرجعة



تفاسير الرجعة

قد ذكرت للرجعة عدة تفاسير بعض منها خاطئة وأخرى صائبة، ويمكن اصطلاحاً تعاريف أخرى لها من إشارات وبيانات الروايات، وإليك جملة منها:

الأول: الرجعة ذات صلة بالمعراج؛ باعتبار أن السماوات تمثل درجات في التلطف بنحو متفاوت كبير لأنماط من الحياة دون الجنة والنار الأخروية في السابعة والسادسة أو دون سدرة المنتهى، والرجعة معراج عام بشري لتطور أحكام الحياة الدنيوية، بخلاف المعراج الذي هو خاص بسيد الأنبياء، وهذا التفسير للرجعة يستلزم تفسيراً آخر للبرزخ وهو أنه درجات بين أسافل الدنيا وأعالي الموجودات من السطح الأخروي.

الثاني: ما تخيله العامة: أن الرجعة تناسخ وإنكار للآخرة كما ذهب إلى ذلك بعض الفرق الباطنية والغلاة والحلاجية، وتوهمه عدة من أهل الخلاف، والحال أن التناسخ إنما هو رجوع الروح ببدن جديد دنيوي، بينما الرجعة هي رجوع في البدن الأصلي للإنسان كما هو الحال في المعاد الجسماني، وسيأتي تفصيل الفوارق بينهما.

الثالث: ما توهمه العامة أيضاً: أن الرجعة بمعنى عدم الموت والبقاء حياً، وذكره عند تعرضهم في كتب التاريخ والرجال لعبد الله بن سبأ، وفسروا على طبق هذا التوهم أن القول بالرجعة تأليه لعلي عليه السلام، وذكر ذلك النوبختي^(١)، نظير توهم النصارى

من حياة نبي الله عيسى عليه السلام ورجوعه، وقال: السبئية فرقة قالت: إن علياً لم يُقتل ولم يمت ولا يُقتل ولا يموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وهي أول فرقة قالت في الإسلام بالوقوف بعد النبي صلى الله عليه وآله من هذه الأمة^(١).

وهذا خلط بين الرجعة وبين ما توهمه العامة من تفسير لها، ونسبوا توهمهم إلى عبدالله بن سبأ، كما هو مطّرد لدى العامة من تفاسير لظواهر معرفية ذات جذر قرآني يستعصي فهمها وترجمتها لديهم، نظير تخيلهم أن كل اتصال بالغيّب نبوة ومن ثم نسبوا إلى الإمامية القول بالنبوة في أهل البيت، ونظير أن كل فعل خارق للعادة هو فعل إلهي وألوهية، والخطورة تكمن في اعتماد الباحثين أو بعض الإمامية على هذه التوهمات والتفاسير الخاطئة لدى العامة ومجاراتهم فيما ينسبونه إلى الأشخاص من مقالات.

الرابع: إنّ القول بالرجعة تبري من الشيخين والخلفاء الثلاثة؛ لأنّ معناه رجوع الحقّ لأهله.

ويشير إليه ما رواه في منتخب بصائر الدرجات بالإسناد عن حماد، عن الفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «لا تقولوا الجبت والطاغوت، ولا تقولوا الرجعة، فإن قالوا لكم: قد كنتم تقولون ذلك، فقولوا: أمّا اليوم فلا نقول، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد كان يتألف الناس بالمائة ألف درهم ليكفّوا عنه، فلا تتألفوهم بالكلام»^(٢).

حيث إن البراءة كانت قويّة وهي من أهم معالم الدين، وإنّ الرجعة من شعب الولاية والبراءة، أمّا كونها من شعب الولاية فلأنّها مقام لأدوار الأئمة عليهم السلام، وأمّا كونها من شعب البراءة فلأنّه يتم فيها الانتقام من أعداء أهل البيت عليهم السلام.

وروى الشيخ المفيد رحمته الله في كتاب الفصول عن الحارث بن عبدالله الربيعي أنّه قال:

(١) فرق الشيعة: ٢٢.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ح ٢٥/٧٩ ص ١٣٧.

... فقال سوار [قاضي أبي منصور الدوانيقي العباسي]: يا أمير المؤمنين إنه يقول بالرجعة، ويتناول الشيخين بالسبّ والوقية فيهما، فقال السيّد [الحميري]: أمّا قوله إنّي أقول بالرجعة، فإنّي أقول بذلك على ما قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١)، وقد قال في موضع آخر: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢)، فعلمنا أنّ هاهنا حشرين أحدهما عامّ والآخر خاصّ، وقال سبحانه: ﴿رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾^(٤)، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(٥)، فهذا كتاب الله. وقد قال رسول الله ﷺ: «يحشر المتكبرون في صورة الذرّ يوم القيامة»، وقال ﷺ: «لم يجر في بني إسرائيل شيء إلا ويكون في أمّتي مثله، حتّى الخسف والمسح والقذف»، وقال حذيفة: «والله ما أبعد أن يمسح الله عزّ وجلّ كثيراً من هذه الأمة قردة وخنزير». فالرجعة التي أذهب إليها ما نطق به القرآن، وجاءت به السنّة، وإنّي لأعتقد أنّ الله عزّ وجلّ يردّ هذا - يعني سواراً - إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرّة، فإنّه والله متجبر متكبر كافر»^(٦).

كما أنّه ينطبع عند العامة حالياً وعند الذهنية العصرية البشرية أن العقيدة لدى الشيعة بالإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وبالرجعة عنوان لمشروع سياسي عالمي يطيح بالأنظمة الراهنة في البلدان لإقامة الدولة المنشودة لإرساء العدل، فكان هذا المشروع مخيفاً لبني أمية وبني العباس، فهي نوع رمز لإدانة أئمة المخالفين

(١) سورة النمل: الآية ٨٣

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٧.

(٣) سورة غافر: الآية ١١.

(٤) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(٦) أنظر: بحار الأنوار ١٣٢ . ١٣٠ : ٥٣.

وحكام الجور وسلاطينهم، إذ الرجعة تعني المقاصّة والمداينة، حيث يُدين الله ويدلّل لأئمة الحق من أئمة الباطل بعد إنباء القرآن بملحمة عظيمة وهي كون العاقبة للمتقين في عمر الأرض.

ومن ثم كان ذكر الرجعة عند الأئمة عليهم السلام على خلاف التقية، نظراً للتحسس البالغ عند السلطات منها.

وحيث إن الرجعة عنوان لمشروع سياسي لإقامة دولة أهل البيت، كان الحديث عن الرجعة مقلقاً لبني أمية وبني العباس.

الخامس: إنّ الرجعة تعني ظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ورجوع الملك إليهم بيد ولدهم الثاني عشر عليه السلام، كما روى ذلك الحضيبي في (الهداية الكبرى)^(١) أن هذا التفسير للرجعة قول لشذاذ من مقصرة الشيعة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «أحسنّت يا مفضل، فمن أين قلت برجعتنا ومقصرة شيعتنا [يقولون] إنّ معنى الرجعة أن يردّ الله إلينا ملك الدنيا فيجعله للمهدي!! ويحهم متى سلّبتنا الملك حتّى يُرد إلينا؟».

تأثير الرجعة في منظومة المعارف

الرجعة والدولة الإلهية للإمامة :

هناك تفسر سطحي سائد للرجعة وهو أنّ في الرجعة يتم إقامة بنيان دولة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد ﷺ وبالتالي يرجع الملك الإلهي إليهم، وهذا التفسير للرجعة مبني على تصورات خاطئة أخرى، وهي كون أئمة أهل البيت ﷺ معزولون عن الإمساك بزمام أمور الأرض وإدارة المجتمعات؛ وذلك بسبب ظلم الجائرين وإقصائهم عن سُدة الحكم، وأنّ نشاطهم في هذا الموقع مُجمّدٌ إلى أنّ يؤون آون الظهور والرجعة. هكذا بُني التصوّر عند كثيرين.

وإلى فساد هذا التوهّم تشير رواية المفضل الطويلة التي استخرجها المجلسي رحمه الله (ورواها الحصيني في الهداية الكبرى) «فمن أين قلت برجعتنا ومقصرة شيعتنا تقول إن معنى الرجعة أنّ يرد الله إلينا ملك الدنيا وأن يجعله للمهدي!! ويحكم متى سُلّبنا الملك حتّى يُردّ علينا؟ قال المفضل: لا والله وما سُلّبتموه ولا تسلبونه؛ لأنّه ملك النبوة والرسالة والوصية والإمامة»^(١).

إذ اللازم الاعتقاد والمعرفة بوجود الدولة الإلهية التي يقودها خليفة الله في الأرض، وهي منذ بدء قيامها خفيّة واستمرت في الخفاء، وإنّما تظهر عند ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - والرجعة، ومن ثم سُمي الظهور ظهوراً؛ لأنّه بروز هذه الدولة من الخفاء إلى العلن، وكذلك الرجعة سميت بالظهور، أي ظهور كل معصوم ﷺ من مغيبه وقبره.

(١) البحار/ ج ٥٣/ ص ٢٦؛ الهداية الكبرى للحسين/ ص ٤١٠.

الرجعة والدولة الإلهية للإمامة :

فقد أطلق الظهور على رجوع كل معصوم من مغيبه وهو رمسه وقبره، والوجه في إطلاق الظهور على رجوعهم عليه السلام رغم رحيلهم من الحياة الدنيا إلى البرزخ إلا أنهم لم ينقطعوا عن تدبير وإدارة أمور العباد عبر آليات وأدوات خفية، نظير التصرف عبر خدامهم وأعوانهم من الملائكة، كما تشير سبع سور من القرآن الكريم إلى انقياد وتبعية وطاعة جميع نظام الملائكة لخليفة الله في الأرض كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا﴾^(١)، وغيرها من السور^(٢)، وقد روى الكليني في الكافي بسنده عن أبي خالد الكابلي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ جَعَلَ الدِّينَ دَوْلَتَيْنِ؛ دَوْلَةَ آدَمَ - وَهِيَ دَوْلَةُ اللَّهِ - وَدَوْلَةَ إِبْلِيسَ. فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعْبَدَ عَلَانِيَةً كَانَتْ دَوْلَةُ آدَمَ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُعْبَدَ فِي السِّرِّ كَانَتْ دَوْلَةُ إِبْلِيسَ، وَالْمَذِيعُ لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ سِتْرَهُ مَا رَقَّ مِنَ الدِّينِ»^(٣). ورواه بطريق آخر في روضة الكافي^(٤).

ومفاد هذا الحديث أنَّ هاتين الدولتين قائمتان على طوال التاريخ منذ نشأة آدم عليه السلام وعداوة إبليس له إلى يومنا هذا، غاية الأمر أنَّ الغلبة الظاهرية تارة يجعلها الله للدولة الإلهية الحقَّة وأخرى يجعلها لدولة إبليس، وأنَّ الدولة العظمى للشر التي تُسير بقية دُول الشر ومعسكره هي دولة إبليس في الحقيقة، وأنَّ دُول الشرِّ الظاهرية يتحكَّم فيها في الخفاء ويسيطر عليها دولة إبليس، فدولة الحق لا زالت قائمة إلا أنَّ لها خفاء وظهور لا أنَّ لها زوال ثم تتولد وتظهر للوجود.

ومن ثم كان قيام الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ظهوراً لدولة

(١) سورة البقرة: الآية ٣٤.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١١؛ سورة الإسراء: الآية ٦١؛ سورة الكهف: الآية ٥٠؛ سورة طه: الآية ١١٦؛ سورة

الحجر: الآية ٣، ص: ٧٣.

(٣) الكافي: ج ٢: ٣٧٢، باب الإذاعة، الحديث ١١ في الروضة.

(٤) ج ٨: ١٥٩، الحديث ١٥٣.

الحق، وكذلك أطلق على الرجعة أنها ظهور كما مرّت الإشارة إليها، بل إنّ لإطلاق الظهور على الرجعة وجه مناسبة آخر معاضد للذي سبق وهو أنّهم عليه السلام رغم كونهم في البرزخ إلّا أنّهم حسب روايات مستفيضة في الرجعة لهم نزول غير مرئي إلى الدنيا يقومون بتصرفات كنزول الملائكة لنصرة المؤمنين، كما في بدر وأُحد وغيرها من المشاهد، وقد عبّر في مستفيضة الروايات عن ذلك بالنزول وهو غير الرجعة، وقد فصلنا الفارق بين حقيقة الرجعة والنزول، وعلى ضوء ذلك فتدبيرهم وإداراتهم للأمور ضمن منظومة مُحَمَّد وآل مُحَمَّد عليه السلام ومراتبهم ومقاماتهم التي رتبهم الله فيها، فيكون رجوع كل منهم إلى دار الدنيا وخروجه من القبر الشريف في بعث الرجعة لإقامة دولة الرجعة حسب نوبة كل منهم ظهور له بعد غيبته في البرزخ والقبر وظهور لإدارته وتدبيره وولايته بعد أن كانت خفية حين كينونته في البرزخ، وقد وَرَدَ إطلاق الغيبة على موتهم ورحيلهم إلى البرزخ، وإطلاق الظهور على بعثهم في الرجعة في روايات وزيارات عديدة، نظير ما وَرَدَ في زيارة أمير المؤمنين التي رواها ابن المشهدي في (المزار الكبير)^(١) فقد وَرَدَ ضمن الزيارة: «موقن بآياتك، مؤمن برجعتك، منتظر لأجرك، مترقب لدولتك، آخذ بقولك، عامل بأمرك مستجيراً بك»، فتبيّن أنّ دولة الحق ما زالت وكانت منذ آدم عليه السلام إلى يومنا هذا في الغيبة الكبرى للإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وأنّ الظهور والرجعة ظهور لها.

كما أنّ دولة إبليس دولة الباطل والشرور كانت وما زالت قائمة، وهي في حين كونها دولة خفية غير مرئية إلّا أنّ دول الباطل الظاهرة هي أجنحة لها وبروز لها، غاية الأمر أنّ في الظهور والرجعة ينكسر ظهور دولة إبليس ولكنها لا تزول، بل هي باقية في الصراع إلى قريب أواخر الرجعة، رغم أنّ إبليس يُقتل عدّة مرات ولكنه يرجع عدّة مرات إلى أن تكون آخر قتلته على يد رسول الله صلّى الله عليه وآله فيكون تقويضاً لدولة الباطل فيُعبد الله حقّ عبادته في أرجاء الأرض.

(١) المزار الكبير / باب ١٣ / زيارة ١٥.

الحساب في الرجعة:

تأثير الرجعة على منظومة المعارف:

ومما يدلُّ على وقوع الحساب في أواخر الرجعة قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(١).

فقد ورد في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام التي رواها المشهدي في (المزار الكبير)^(٢) يخاطبه الزائر بهذه الكلمات « ... موقن بآياتك مؤمن برجعتك، منتظرٌ لأمرك، مترقب لدولتك، آخذ بقولك، عامل بأمرك، مستجيرٌ بك، مفوضٌ أمري إليك، متوكلٌ فيه عليك، زائر لك، لائذٌ ببابك الذي فيه غبت ومنه تظهر، حتى تمكن الذي ارتضى، وتبدل بعد الخوف أمنا، وتعبد المولى حقاً ولا تشرك به شيئاً، ويصير الدين كله لله، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، والحمد لله رب العالمين ... » إلى آخر الزيارة.

ففيها إشارة واضحة إلى أنَّ فصل القضاء في الحساب هو في الرجعة، وأنَّ الأرض التي تشرق هي أرض الدين، كما وردَ في ذيل الآيات، وأنَّ الأرض التي تشرق بنور ربها هي أرض الدنيا، فهناك روايات عديدة معتبرة تشير إلى أنَّ الأرض هي أرض الدنيا عند الظهور والرجعة.

كما أنَّ الآية اللاحقة لهذه الآية هي الأخرى دالة على أنَّ إشراق الأرض قبل البعث إلى الجنة أو إلى النار^(٣). ووردت روايات في تفسير القمي وإرشاد المفيد مفادها ذلك.

السادس: إنَّ الرجعة نوع مصغر من المعاد الجسماني ومعجزة من المعجزات

(١) سورة الزمر: الآية ٦٩.

(٢) المزار للمشهدي، ب ١٣ / رقم الزيارة ١٥ ص ٣٠٨.

(٣) لاحظ في ذلك تفسير نور الثقلين؛ وتفسير البرهان / تحت ذيل الآية ٦٩.

كأحياء عيسى للموتى، ذكره المظفر في (عقائد الإمامية)^(١) قال: «أما أن الرجعة مستحيلة فقد قلنا: إنها من نوع البعث والمعاد الجسماني غير أنها بعث موقوت في الدنيا». وقد ذهب إلى هذا التفسير جملة من علماء الإمامية سيأتي ذكر كلماتهم لاحقاً.

السابع: حقيقة البرزخ والرجعة والترابط بينهما بأن يقال بأن الرجعة تكثف للوجود البرزخي ليتصرف في الشؤون الأرضية. وقد يدعى استظهاره من عدة من الأدلة الواردة وأن الرجعة هي من عالم البرزخ، حيث إن الطينة الأصلية الباقية في القبر - التي بها يرجع الموتى وهي غير مرئية - تكاد تكون مماثلة للمادة والجسم البرزخي، ويظهر احتمالها في كلمات الشيخ أحمد الأحسائي، أو حكايته عن بعض.

قال الشيخ أحمد الأحسائي بعدما ذكر أن ما ورد من الحساب في الرجعة إنما هو الحساب في البرزخ على الأعمال: «لأن الرجعة من نوع البرزخ، ألا ترى أن المؤمن إذا مات التحقت روحه بجنة الدنيا، وإن كان كافراً أو مشركاً أو منافقاً التحقت روحه بنار الدنيا، وجنة الدنيا هي الجنتان المدهامتان، وهي تخرج في الرجعة، كما يأتي عند مسجد الكوفة» انتهى.

والصحيح - كما سيأتي بيانه - أن البرزخ حالة متوسطة بين مقاطع من الدنيا أو قل يتوسط البرزخ مرات ودفعات بين الحياة الأولى في الدنيا وحياة الآخرة من الدنيا وهي الرجعة لا أن الحياة البرزخية هي الرجعة، فالبرزخ كالحالة المنامية بين يقظتين وأما حياة الرجعة في الدنيا فهي بعث من القبر وهي الواسطة بين الحياة الأولى من الدنيا وعالم القيامة.

وقال: «ولذلك تظهر في الرجعة الجنتان المدهامتان وتظهر أحكام الباطن الملكوتي وأسرار مقامات أهل البيت عليه السلام عياناً ويزول الشرك ظاهراً وباطناً ويحاسب الحسين عليه السلام أكثر الخلق في أواخر الرجعة».

وقد روى بُريدة الأسلمي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كيف أنت إذا استياست

أمتي من المهدي، فيأتيها مثل قرن الشمس، يستبشر به أهل السماء وأهل الأرض؟ فقلت: يا رسول الله بعد الموت؟ فقال: والله إنَّ بعد الموت هدى وإيماناً ونوراً، قلت: يا رسول الله، أيَّ العمرين أطول؟ قال: الآخر بالضعف^(١)، بدعوى تقريب أنَّ الوجود البرزخي يتكاثف فتكون لديه قدرة على التصرف في الحياة الأرضية.

وقد يُستظهر ذلك من التفرقة بين الوجودات البرزخية كالذي ورد من التفرقة بين الموت العادي وبين الموت بالقتل كما نبهت عليها الآيات والروايات ففي قوله تعالى: ﴿وَلَنْ مِّتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾^(٣). وما رواه في مختصر بصائر الدرجات من صحيح زرارة، قال: «كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام فاحتلت مسألة لطيفة لأبلغ بها حاجتي منها، فقلت: أخبرني عمَّن قُتل مات؟ قال: لا، الموت موت، والقتل قتل، فقلت له: ما أحد يقتل إلا مات، قال: فقال: يا زرارة، قول الله أصدق من قولك قد فرَّق بين القتل والموت في القرآن، فقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾، وقال: ﴿وَلَنْ مِّتُمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لِإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾، فليس كما قلت يا زرارة، فالموت موت والقتل قتل. وقد قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾^(٤)، قال: فقلت: إنَّ الله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، أفرأيت من قتل لم يذوق الموت؟ فقال: ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه، إنَّ من قتل لا بدَّ أن يرجع إلى الدنيا حتَّى يذوق الموت^(٥)، فهل التفرقة تقتصر على السبب؟ أم في ما يحصل منهما من وجود برزخي؟ أم في كيفية مفارقة الروح للبدن؟

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتْلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ

(١) مختصر البصائر: ١٠٦ و ١٠٧ / ح ٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٤) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٥) العياشي: ١١٢: ١٣٩/٢؛ مختصر بصائر الدرجات: ح ٧/٦١ ص ١٢٢.

وَرَأَفَعَكَ إِلَيَّ»، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، فهو موصوف أنه متوفى أو مرّ به هذا الوصف أثناء الرفع وإن أعيدت له روحه في السماء بعد رفعه فليس بميت فعلاً وما قتل أصلاً.

الثامن: أنّ الرجعة هي النزول من السماء والنزول من البرزخ. وروى الراوندي في (الخرائج) عن كتاب سهل الآدمي بسند مُحسّن عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال الحسين بن علي عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بني إنّك ستساق إلى العراق، وهي أرض قد التقى بها النّبّيون، وأوصياء النّبّيين، وهي أرض تدعى: (عمورا)، وإنّك تستشهد بها ويستشهد جماعة معك من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد، وتلا: ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾، تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً فأبشروا، فوالله لئن قتلونا فإنّا نرد على نبيّنا صلى الله عليه وآله، ثمّ أمكث ما شاء الله، فأكون أوّل من تنشقّ عنه الأرض، فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا، وحياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ لينزلنّ إليّ جبرئيل وميكائيل وإسرافيل، وجنود من الملائكة، ولينزلنّ محمّد وعلي وأنا وأخي وجميع منّ منّ الله عليه في حمولات من حمولات الربّ، خيل بُلقّ من نور، لم يركبها مخلوق، ثمّ ليهزّنّ محمّد صلى الله عليه وآله لواءه وليدفعنّه إلى قائمنا مع سيفه، ثمّ إنّنا نمكث بعد ذلك ما شاء الله، ثمّ إنّ الله يخرج من مسجد الكوفة عيناً من دهن وعيناً من لبن وعيناً من ماء، ثمّ إنّ أمير المؤمنين عليه السلام يدفع إليّ سيف رسول الله صلى الله عليه وآله فيبعثني إلى الشرق والغرب، ولا آتي على عدوّ الله إلّا أهرقت دمه، ولا أدع صنماً إلّا أحرقتّه، حتّى أقع إلى الهند فأفتحها، وإنّ دانيال ويونس يخرجان إلى أمير المؤمنين عليه السلام يقولان: صدق الله ورسوله، ويبعث معهما إلى البصرة سبعين رجلاً فيقتلون مقاتلتهم، ويبعث بعثاً إلى الروم فيفتح الله لهم، ثمّ لأقتلنّ كلّ دابة حرّم الله لحمها حتّى لا يكون على وجه الأرض إلّا الطيّب، وأعرض على اليهود والنصارى وسائر الملل ولأخيرنّهم بين الإسلام والسيف، فمن أسلم مننت عليه، ومن كره الإسلام أهرق الله دمه، ولا يبقى رجل من شيعتنا إلّا أنزل الله إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب، ويعرفه أزواجه ومنازله في الجنّة، ولا يبقى على وجه الأرض

أعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلا كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت. ولتنزلن البركة من السماء إلى الأرض حتى أن الشجرة لتقصف بما يريد الله فيها من الثمر، وليأكلن ثمرة الشتاء في الصيف، وثمره الصيف في الشتاء وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾. ثم إن الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء من الأرض وما كان فيها، حتى أن الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون^(١).

فهل الرجعة هي انشقاق الأرض والخروج منها كما في صدر الرواية؟ أو نزول من السماء بجسم نوراني كما هو مفاد أواسط هذا المتن؟ أم هنا كفرق بين بدايات الرجعات ونهاياتها كما هو مقتضى تصوير بداية ونهاية الرواية مع الفصل بـ (ثم)؟

ويدعمه ما ورد في روايات مستفيضة في ذيل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾، حيث أول بنزول النبي ﷺ مع حمولة من الملائكة لنصرة أمير المؤمنين عليه السلام في حربه مع إبليس، فينزل ليقتل إبليس.

وفي بعض الروايات أن عند ظهوره - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ينزل النبي وعلي وجبرئيل في غار حراء فيملي رسول الله ﷺ على علي عليه السلام كتاباً فيأخذه جبرئيل ويسلمه إلى الحجة عند الكعبة لينفذ ما فيه من أوامر.

لكن الظاهر - كما سيأتي تحقيقه مفصلاً - أن النزول من السماء ليس رجعة ولا كرامة ولكنه نزول غير مرئي إلى الأرض كنزول الملائكة في بدر وغيرها من حروب رسول الله ﷺ، ولذلك لا يرى أحد النبي ﷺ حينما ينزل لقتل إبليس كما أشير إلى ذلك في سورة الفجر، إلا إبليس فيقول: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾.

والقرينة الأخرى: قول الحسين عليه السلام في الرواية السابقة: «ثم إننا نمكث بعد ذلك ما شاء الله وهو مكث البرزخ» كقوله في صدر الرواية أنه بعدما يستشهد: «أمكث ما شاء، ثم أكون أول من تنشق الأرض عنه».

(١) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٨٤٩؛ نوادر المعجزات: ح ٦٣.

وأما قوله عليه السلام في وسط الرواية: «ولينزلن محمد وعلي وأنا وأخي» فهو من باب الالتفات والانتقال من بحث الرجعة إلى بحث النزول والذي حقيقته متداخلة زماناً مع الظهور والرجعة - كما سيأتي في الباب الثالث - بل هو زماناً أعم مطلقاً وقد عقد المجلسي في البحار في كتاب الإمامة باباً تحت عنوان (أنهم عليهم السلام يظهرون بعد موتهم وتظهر منهم الغرائب)^(١) وهذا الظهور ليس رجعة وإنما حقيقته نزول وتنزل.

وقد توهم جملة من الأعلام الباحثين في الرجعة أن النزول الذي تتعرض إليه كثير من الروايات رجعة فاختلط لديهم كثير من مباحث الرجعة بمباحث النزول وقد تمّ العنوان بعبارة (وتأتيهم أرواح الأنبياء وتظهر لهم الأموات من أوليائهم وأعدائهم). ومراده من هذا التهمة أن الأئمة الأحياء عليهم السلام تأتيهم أرواح الأنبياء ممن قد ماتوا أي تنزل إليهم أرواح الأنبياء كما أن ظهور الأموات للأحياء منهم قد يكون بنحو تنزل الأموات لهم وقد يكون بنحو كشف الغطاء عن أبصارهم، كما أن الروايات التي أوردها دالة على أن التنزل والنزول لا يختص بأهل الخير من الأموات بل يعم الأشرار من أعداءهم لكن لا بمعنى أن الأشرار مطلقي العنان وإنما ذلك ضمن تدبير إلهي وفق حكمة معينة.

وكذلك عقد في بصائر الدرجات باباً بعنوان «أن الأئمة عليهم السلام يزورون الموتى وأن الموتى يزورونهم»^(٢). وهذا العنوان هو الذي اقتبس منه المجلسي عنوانه السابق.

ومما رواه المجلسي في ذلك الذي هو ظهور من نمط النزول: ما رواه في بصائر الدرجات بسند صحيح أعلائي عن إبراهيم بن أبي البلاد قال: قلت لأبي الحسن الرضا عليه السلام: حدثني عبد الكريم بن حسان عن عبيدة بن عبد الله بن بشير الخثعمي عن أبيك أنه قال: كنت ردف أبي وهو يريد العريض فلقيه شيخ أبيض الرأس واللحية يمشي قال: فنزل إليه فقبل بين عينيه فقال إبراهيم: ولا أعلمه إلا أنه قبل يده ثم جعل

(١) بصائر الدرجات ص ٢٩٤. ب ٥ من ج ٦ ح ٣. البحار ج ٢٧ ص ٣٠٢.

(٢) بصائر الدرجات ج ٦ ب ٥.

يقول له: جعلت فداك والشيخ يوصيه فكان في آخر ما قال له: انظر الأربع ركعات فلا تدعها. قال: وقام أبي حتى توارى الشيخ ثم ركب فقلت: يا أبة من هذا الذي صنعت به ما لم أرك صنعته بأحد؟ قال: هذا أبي يابني^(١) والصحيحة تشير إلى ظهور الباقر عليه السلام ونزوله وتنزله للإمام الصادق عليه السلام.

وروى في بصائر الدرجات موثق سماعة، قال: «دخلت على أبي عبد الله عليه السلام وأنا أحدث نفسي فرآني فقال: مالك تحدث نفسك؟ تشتهي أن ترى أبا جعفر عليه السلام؟ قلت: نعم، قال: قم فادخل البيت، فدخلت فإذا هو أبو جعفر عليه السلام. وقال: أتى قوم من الشيعة الحسن بن علي عليه السلام بعد قتل أمير المؤمنين عليه السلام فسألوه قال: تعرفون أمير المؤمنين عليه السلام إذا رأيتموه؟ قالوا: نعم، قال: فارفعوا الستر فرفعوه فإذا هم بأمير المؤمنين عليه السلام لا ينكرونه. وقال أمير المؤمنين عليه السلام «يموت من مات منا وليس بميت ويبقى من بقي منا حجة عليكم»^(٢).

وقوله عليه السلام: «يموت من مات منا وليس بميت» إشارة إلى أن من مات منهم وانتقل إلى البرزخ لا ينقطع تصرفه وتديره لشؤون الدنيا، ومن أحد آليات هذا التصرف نزوله وتنزله إلى الأرض، هذا مضافاً إلى ولاية الطاعة لكل منهم على منظومة الملائكة. ولا يخفى في الرواية تنزل الباقر عليه السلام في عهد الصادق عليه السلام وتنزل أمير المؤمنين عليه السلام في عهد الحسن عليه السلام.

وروى في بصائر الدرجات موثقة أخرى لسماعة قال: كنت عند أبي الحسن عليه السلام فأطلت الجلوس عنده فقال: أتحب أن ترى أبا عبد الله؟ فقال: وددت والله. فقال: قم وادخل ذلك البيت فدخلت البيت فإذا أبو عبد الله قاعد^(٣).

وروى في بصائر الدرجات صحيح الوشاء عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال لي

(١) بصائر الدرجات ج ٦ الباب ٥ الحديث ٣.

(٢) بصائر الدرجات ص ٢٩٥. ب ٥ من ج ٦ ح ٤.

(٣) بصائر الدرجات ج ٦.

في خراسان: رأيت رسول الله ﷺ هاهنا والتزمته^(١).

وروى روايات عديدة بطرق كثيرة مستفيضة جداً أن أمير المؤمنين عليه السلام حاجج أبا بكر وأراه رسول الله ﷺ في مسجد قبا وزجر رسول الله ﷺ أبا بكر عن غضب الخلافة وذكر روايات أخرى عن تنزل الأنبياء والأوصياء السابقين لرسول الله ﷺ في حياته ولأمير المؤمنين عليه السلام أيضاً.

الرجعة يقظة من نوم الموت:

التاسع^(٢): يستدعي الإشارة إلى حقيقة الموت ومراتبه المنامية:

وللنوم والموت مراتب ذات صلة وطيدة بتفسير الرجعة ، فلا بد من ذكر النقاط الآتية:

١. أن الموت نوم أعمق من النوم العادي.

٢- قوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾^(٣)، فسرها الصدوق بالموت^(٤).

٣- قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، فسرها الصدوق في الاعتقاد في الرجعة بأن الرقود هو الموت. وورد بذلك روايات كما ساتي.

٤- قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ﴾، تبين الآية الكريمة اشتراك الموت والنوم في حقيقة واحدة وهو التوفي وهو قبض الروح وخروجها من التعلق بالبدن درجة لا بدرجة الانقطاع التام.

(١) بصائر الدرجات / ج ٦ ب ٥ ح ١.

(٢) التفسير التاسع للرجعة.

(٣) سورة الكهف: الآية ١١.

(٤) اعتقادات الصدوق الاعتقاد في الرجعة.

٥. قوله تعالى ﴿لَبَّرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾^(١) فسَمَى القبر مضجعاً.

٦. قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾^(٢).

وفي حديث: «... ما شبّه أمر أحد من أنبياء الله وحججه للناس إلا أمر عيسى بن مريم عليه السلام وحده لأنه رفع من الأرض حياً وقبض روحه بين السماء والأرض ثم رفع إلى السماء وردّ عليه روحه وذلك قول الله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ﴾^(٣) «...»^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً﴾ * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً^(٥) ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾^(٦).

٧. قال رسول الله ﷺ: «كما تنامون تموتون، وكما تستيقظون تبعثون»^(٧).

٨. قوله تعالى: ﴿فَضْرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا﴾ * ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾ ... ، ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْغَبًا﴾ * وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرُّضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي وَمَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الخصال للصدوق، ص ٥٢٩.

(٥) سورة النساء: الآية ١٥٨.

(٦) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٧) سورة الكهف: الآية ١١-٢١.

بِالْوَصِيدِ لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُغْبًا * وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ... ﴿١﴾ وَكَذَلِكَ أَعِثَّرْنَا عَلَيْهِمْ لِيََعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ﴿٢﴾. فجعل الله تعالى بعث أصحاب الكهف من رقودهم مئات السنين بالكهف - وهو نحو من الرجعة - برهاناً على البعث في المعاد الأكبر ومن ثم قال عدة من علماء الإمامية بأن الرجعة معاد أصغر وبرهان على المعاد الأكبر.

٩- الفرق بين البعث والإحياء للموتى من قبل الأنبياء والأوصياء كمعجزه: أن البعث في الرجعة هو أن يبقى الذي بُعث من قبره عمراً لحياة أخرى يستكمل فيها الامتحان والتكليف بينما صرف الإحياء من القبر ومن الموت كمعجزة للأنبياء والأوصياء ليس بالضرورة أن يبقى المُحيى طويلاً بل هي إطلالة قصيرة غالباً، مثل قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُيِّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (٢).

وقوله ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ بيان لكون الرجوع والرجعه خروج من القبر وليس تولداً من الأرحام والأصلاب.

وقوله تعالى: ﴿وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

و ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي﴾ (٣)، و ﴿وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (٤) والخروج من القبر نمطاً ونحو من البعث للموتى.

(١) الكافي، ١٢٨/٨، الحديث ٥٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾، المقابلة بين من يستمع وبين الموتى ثم يبعثهم في الرجعة كحياة أخرى لهم ليسمعوا دعوة الله وبعد ذلك يرجعون إلى القيامة الكبرى.

١٠- مراتب الموت عديدة فإنَّ المنام بمراتبه مراتب من الموت كما أنَّ صعود عيسى ورفعته إلى السماء مرتبة أخرى، ونوم أصحاب الكهف مرتبة ثالثة منه. وقد روي أنَّه لما جاء أمير المؤمنين عليه السلام ليغسل سلمان وجده قد مات، فرفع الشملة عن وجهه فتبسّم وتحرك وهمَّ أن يقعد، فقال له علي عليه السلام: «عُدْ إلى موتك، فعاد»^(١). يدلُّ على مرتبة من الرجوع ثم العود.

وروى الكشي بسنده عن ربعي بن عبدالله قال: حدثني غاسل الفضيل بن يسار قال: إني أغسل الفضيل بن يسار وإن يده لتسبقني إلى عورته فخبّرت بذلك أبا عبد الله عليه السلام فقال لي: رحم الله الفضيل بن يسار وهو منا أهل البيت»^(٢).

وعن ابن عباس في حديث أهل الكهف: إنهم لما أواوا إلى الكهف أوحى الله إلى ملك الموت أن يقبض أرواحهم، ووكل بكلّ رجل منهم ملكين يقلّبانه ذات اليمين وذات الشمال، فمكثوا ثلاثمائة سنة وتسع سنين، فلما أراد الله أن يحييهم أمر إسرائيل الملك أن ينفخ فيهم الروح، فنفخ فقاموا من رقدتهم، فقال بعضهم لبعض: قد غفلنا في هذه الليلة^(٣)....

١١- قد مرّ قول أبي جعفر عليه السلام لزرارة^(٤) «من قتل لم يمت، الموت موت والقتل قتل» أي إن هناك موتاً بالمعنى العام الشامل للموت الطبيعي وللنوم والقتل والموت بالمعنى الأخص وهو زهوق الروح حتف أنفه كما أن هناك نوم بالمعنى العام والأعم الشامل للموت بالمعنى الأخص وهو حتف الأنف، وهذا المعنى شامل للموت

(١) البحار ٢٢: ص ٣٨٤، باب كيفية إسلام سلمان، حديث: ٢١.

(٢) إختيار معرفة الرجال: حديث: ٣٨١.

(٣) الإيقاظ من الهجة: ص ٢١٩، حديث ٣٩، عن قصص الأنبياء للراوندي ص: ٢٥٩.

(٤) مختصر بصائر الدرجات ح ٧/٦١ ص ١٢١، باب الكرات.

الاعتیادي الطبيعي بلا سبب قاتل وهو الموت بالمعنى الخاص المقابل للقتل والقتل مندرج تحت الموت بالمعنى العام ومقابل للموت بالمعنى الخاص.

فعن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة واستخفيت ذلك، قلت: لأسألن مسألة لطيفة أبلغ فيها حاجتي، فقلت: أخبرني عمّن قُتل أُمات؟ قال: «لا، الموت موت، والقتل قتل»، قلت: ما أحد يقتل إلّا وقد مات، فقال: «قول الله أصدق من قولك، فرّق بينهما في القرآن، فقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾^(١)»، وقال: ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٢)، وليس كما قلت يا زرارة، الموت موت والقتل قتل»، قلت: فإن الله يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٣)، قال: «من قتل لم يذوق الموت»، ثم قال: «لابدّ من أن يرجع حتّى يذوق الموت»^(٤).

فمن قتل لم يمت موتاً بالمعنى الأخص مع أنّ كلّ نفس ذائقة الموت، فالنفس المقتولة لابدّ من رجوعها إلى البدن وإلى الدنيا - وهي الرجعة - كي تموت بالنحو الاعتیادي فتذوق الموت الخاص، فهناك عُلاقة من نمط خاص باقية بين الروح والبدن في حالة القتل بخلاف حالة الموت، وفي بعض الروايات أن النفس التي ذقت الموت لابدّ من رجوعها إلى الدنيا فيجري عليها القتل فلكل نفس موة وقتلة.

فعن أبي خديجة الجمّال قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّي سألت الله في إسماعيل أن يبقيه بعدي فأبى، ولكنّه قد أعطاني فيه منزلة أخرى، أنّه أوّل منشور في عشرة من أصحابه، ومنهم عبد الله بن شريك العامري وهو صاحب لوائه»^(٥). وفي هذه

(١) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٥٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٨٥، تفسير العياشي، ج ١، ص: ٢٠٢، ج ٢، ص: ١١٢، حديث ١٣٩، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٠٩، حديث ٧.

(٤) ونقله في البحار أيضاً، ج ٦٥/٥٣ عن الاختصاص.

(٥) اختيار معرفة الرجال: حديث ٣٩١، ورواه عنه في الإيقاظ من الهجعة، مختصر بصائر الدرجات: الحديث ٣٩/٩٠، باب الكرات.

الرواية إطلاق لفظ النشر والنشور على رجوع الميت إلى الدنيا.

وعن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ليس من المؤمنين أحد إلا وله قتلة وموتة، إنه من قُتل نُشر حتى يموت، ومن مات نُشر حتى يُقتل، وما من هذه الأمة برّ ولا فاجر إلا سينشر، فأما المؤمنون فينشرون إلى قرّة أعينهم، وأما الفجار فينشرون إلى خزي الله إياهم، إن الله يقول: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾^(١).

وعن عبد الرحمن القصير، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾، هل تدري من يعني؟ فقلت: يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون، قال: «لا، ولكن من قُتل رُدَّ حتى يموت، ومن مات رُدَّ حتى يُقتل، وتلك القدرة فلا تنكرها»^(٢).

الفرق بين البعث والنشر:

وعن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَنُفِثَنَّ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتَّمِّمٌ﴾، فقال: يا جابر أتدري ما سبيل الله؟ قلت: لا والله إلا إذا سمعت منك، فقال: «القتل في سبيل: علي وذريته عليهم السلام، فمن قتل في ولايته قتل في سبيل الله ومن مات في ولايته مات في سبيل الله وليس من أحد يؤمن بهذه الآية إلا وله قَتْلَةٌ وَمِيتَةٌ، إنه من قتل ينشر حتى يموت، ومن مات ينشر حتى يقتل»^(٣).

والنشر مرحلة أوغل في الإحياء من مجرد البعث، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾^(٤)، فالنشر بعد أصل البعث.

(١) السجدة: ٢١، مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات، الحديث ١/٥٥.

(٢) تفسير العياشي ج ٢، ص ١١٣، الحديث ١٤٤، مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات، حديث ٢١/٧٥.

(٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٠٢، ح ١٦٢، معاني الأخبار للصدوق، ص ١٦٧، الحديث: ١، تفسير فرات

الكوفي، الحديث ٢١/٩٨.

(٤) سورة الجمعة: الآية ١٠.

الساورة بين الدنيا والآخرة لا البرزخ:

١٢- عن محمد بن عبد الله بن الحسين، قال: قال أبي لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في الكرة؟ قال: «أقول فيها ما قال الله عز وجل، وذلك أن تفسيرها جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وآله قبل هذا في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ إِذَا كُرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾ إذا رجعوا إلى الدنيا ولم يقضوا ذحولهم». قال له أبي: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ فإذا هم بالساهرة؟ قال: «إذا انتقم منهم وماتت الأبدان، بقيت الأرواح ساورة لا تنام ولا تموت»^(١)، فالساورة حالة للأرواح لا تكون فيها حية ولا ميتة ولا نائمة، وهي مرحلة متوسطة (برزخية) بين نهاية الرجعة وبداية القيامة وسيأتي تفصيلها في الباب الثالث.

١٣- إن الرجعة خطأ وفرصة أخيرة لاستكمال الامتحان وهذه الفرصة لا تُمنح للأمم التي نالها العذاب الإلهي، ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾، فإنهم حرموا الفرصة، وعُجل لهم القضاء الآخروي في الدنيا.

١٤- وقد روي عنهم عليهم السلام مستفيضاً أنه «ما منّا إلا مسموم أو مقتول»، ولا يبعد عمومها، بل ورد «ما من نبي أو وصي إلا مسموم أو مقتول» لهم عليهم السلام حتى في الرجعة كما هو الظاهر من روايات الرجعة.

كما أن عموم الموت والقتل حيث إنه ليس انفصلاً تاماً بل ضعف ارتباط العلاقة بينهما بل إن درجات الانفصال متفاوتة شدة وضعفاً فلعل هناك نوعاً ثالثاً وراء الموت والقتل لهذه العلاقة بين الروح والبدن كما احتمله الحكيم الزنوزي من تشقق الجسم ورقية وعروجه وذهابه حيث مكانة الروح، ولعله ظاهر بعض الروايات. فالموت والقتل ليس الكمال النهائي كما يتخيّله الفلاسفة والمتكلمون، بل إعداد لما هو نوع ثالث اعظم.

وروي في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام،

(١) مختصر بصائر الدرجات، باب الكرات، الحديث: ٤٢/٩٦.

قال: «ليس أحد من المؤمنين إلّا وله قتلة وميته، إنّه من قتل نشر حتّى يموت، ومن مات نشر حتّى يقتل...» إلى أن قال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، قال: «يعني مُحَمَّدًا ﷺ وقيامه في الرجعة». وقوله: ﴿إِنَّهَا لِأَحَدِي الْكُبَرِ ﴿٢﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾، يعني مُحَمَّدًا ﷺ في الرجعة. وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾، قال: «في الرجعة». وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ قال: «في الرجعة». وفي قوله: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾، قال: «هو أمير المؤمنين ﷺ في الرجعة». قال: وقال أبو عبد الله ﷺ في قوله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾، قال: «في الرجعة»^(١).

والحكمة من جمع عروض الموت والقتل للإنسان معاً أنّ طبيعة الموت والقتل ليست بمعنى انقطاع تام بين الروح والبدن كما توهم ذلك الفلاسفة والمتكلمون، فالارتباط الباقي تمر طبيعته بحالات من القوة والضعف، فيموت مorte ثانية حتّى يضعف الارتباط، وقد يكون هنالك نوع ثالث لا هو قتل ولا هو موت، كما أنّ درجات النوم نمط من الموت، فضلاً عن النوع الثالث.

ونظرية الحكيم الزنوزي: من رقي البدن إلى حيث الروح، أي يصبح أكثر شفافية، ويذهب الجسم حيث تذهب الروح، ولعلّ هذا ظاهر بعض الروايات الواردة في الرجعة، فالموت والقتل ليسا نهاية المطاف كما قصر على ذلك البحث الفلسفي والكلامي، بل هما الإعداد لنوع ثالث أعظم.

اختلاف القتل عن الموت والموت عن النوم:

إن طريقة ونمط ودرجة انفصال الروح في القتل تختلف عن انفصالها في الموت كما أنّ في مراتب النوم درجات مختلفة من انفصال الروح فيه وكذلك في الإغماء، وهذه كلّها درجات وبيان فلسفي عقلي في الرجعة، والعمدة في تحرّي كون انفصال

(١) مختصر بصائر الدرجات ح ١/٥٥ ص ١١٥. ١١٦.

الروح في الموت والقتل انفصال تام أم ليس بتام؟ وأن الانفصال ذو درجات كثيرة، والانفصال فعل فله ارتداد فعل نظراً للتجاذب في العلاقة الرابطة الاتصالية بين الروح والبدن كما هو الحال في انفصال الروح عن البدن في النوم فإن فيه أنواعاً خفيفة ومتوسطة وشديدة، مع أن هناك جامعاً بين مراتب النوم والموت وهو توفي النفس، أي خروجها من البدن كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾^(١).

ويقرر هذا المبحث من درجات واختلاف مراتب تعلق الروح بالبدن بالمشاهدات التجريبية لمراتب النوم واليقظة وهي بمثابة برهان على الرجعة وقد بسط الكلام فيه الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ من الهجعة).

وإن الروح حيث لم تنفصل تماماً عن الجسد فإن فيها إقبالاً وإدباراً أو لك أن تقرر أن عدم الانفصال التام يقابل اشتداد الاتصال.

وهناك حالات طبيعية أخرى تمرّ على البدن كالنوم المتصل مدة زمانية طويلة جداً وكذلك اليقظة المتصلة الدائمة غير الطبيعية.

والعلاقة التي بين الروح والبدن ليس كما صورتها ملاً صدرا في بداية حدوث النفس عملية حركة جوهرية تدريجية وأنها في النهاية انفصال دفعي بل الصحيح أن الانفصال والوصال يوميّ تقوم به الروح بالنوم واليقظة كما يشير إليه البيان النبوي «كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون»، لا أنه انفصال واتصال ثم انفصال تام.

وفي النهاية ليس هناك انفصال دفعي بل انفصال ووصال متناوب مرات وكرات، وهذا متقرر في المعصوم فكيف بغير المعصوم؟ والحديث النبوي السابق يشير إلى أن الانفصال ليس تاماً، بل انفصال غير تام يعقبه وصال.

والموتى موجودون بأرواحهم وأجساد مثالية برزخية ولهم وصال بالبدن الأرضي الطيني وهناك مشاهدات كثيرة متواترة تعزز هذا الإتصال.

روى الكليني عن العدة، عن سهل، عن عثمان بن عيسى عن عدة من أصحابنا قال: لما قبض أبو جعفر عليه السلام أمر أبو عبدالله عليه السلام بالسراج في البيت الذي كان يسكنه، حتى قبض أبو عبدالله عليه السلام ثم أمر أبو الحسن عليه السلام بمثل ذلك في بيت أبي عبدالله عليه السلام حتى خرج به إلى العراق، ثم لا أدري ما كان^(١).

والحديث يبين مدى تعلق الروح بالمكان الذي كانت تأنسه فكيف بالبدن الطيني.

أنواع الموت:

وروى الشيخ في الغيبة موثق جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله ليملكنَّ منَّا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعاً»، قلت: متى يكون ذلك؟ قال: «بعد القائم»، قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: «تسعة عشرة سنة، ثم يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين عليه السلام ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح»^(٢). ومحلّ الشاهد: قوله عليه السلام «وليملكن منَّا أهل البيت رجل بعد موته» فهذه رجعة بعد الموت. وعبر عليه السلام عن الرجوع إلى الدنيا من البرزخ بالخروج من القبر، فالموت ليس انفصلاً تاماً بل انفصال بدرجة ما ورجوع. وهناك نمط من درجات النوم والموت كحالة أصحاب الكهف فكأنه لا هو موت ولا هو نوم.

وفي البحث اللاحق سيتبين أن هناك درجات من الرجوع في مقابل درجات من انكفاء الروح عن حياة الحسّ وانفصالها عن البدن كما هو الحال في أنواع النوم، وأنّ تفاسير الرجوع بعدد مراتب الموت، والمراتب المناميّة.

(١) الكافي ٢٥١/٣، كتاب الجنائز، باب النوادر ح ٥.

(٢) الغيبة للشيخ الطوسي ص ٤٧٨ ح ٥٠٥ والاختصاص ٣٥٧.

مراتب الرجوع والرجعة في مقابل مراتب الوفاة والتوفي والنوم:

قال بعض المكاشفين إننا قد نذهب في حالة المكاشفة إلى البرزخ أو الآخرة ونرجع إلى الدنيا. انتهى.

والصحيح أن الإنسان في حين أنه متواجد ببدنه الغليظ في الدنيا فإن له بدنًا برزخياً أيضاً يتولد وينشأ في البرزخ ساعة نفخ روحه في بطن أمه، وكذلك يتولد له وينشأ بدن أخروي كلما يترعرع في دار الدنيا فالإنسان في حين كونه متواجداً ببدنه الغليظ في الدنيا فهو متواجد بيدن آخر في البرزخ وبدن ثالث في الآخرة وإن لم يشعر وغاية ما في الأمر أنه ينكشف له تارة ويحجب عنه أخرى ما هو مرتبط به من بقية الأجسام فلدى الإنسان في الوجود الراهن عين أخروية وأعضاء جسمانية ببدنه الأخروي وعين برزخية ببدنه البرزخي و بإمكانه في الآن الراهن أن يسمع صراخ أهل النار و صوت أهل الجنة إذا لم يلهى بإدراكات الحس. قال تعالى: ﴿فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(١).

حقيقة الرجعة وأقسام الموت والعلاقة بين الروح والجسد:

وروى في بصائر الدرجات مصحح المعلى بن خنيس في حديث قال: قال أبو عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾^(٢) «نبيكم راجع إليكم». وقوله (راجع إليكم) تعبير يفيد في نبرته أنه ليس بالأمر البعيد عنكم كونه في البرزخ.

وروى بسنده عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إِنَّ لِعَلِيٍّ عليه السلام إِلَى الْأَرْضِ كَرَّةً مَعَ الْحُسَيْنِ عليه السلام، يُقْبَلُ بِرَايَتِهِ حَتَّى يَنْتَقِمَ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ وَمَعَاوِيَةَ وَآلِ مَعَاوِيَةَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ

(١) سورة ق: الآية ٢٢.

(٢) مختصر بصائر الدرجات ٤٤/٩٨.

إليهم بأنصاره يومئذٍ من الكوفة ثلاثين ألفاً، ومن سائر الناس سبعين ألفاً، فيقاتلهم بصفين مثل المرة الأولى، حتى يقتلهم فلا يبقى منهم مخبر... ثم كرة أخرى مع رسول الله ﷺ حتى يكون خليفته في الأرض، يعطي الله نبيه ملك جميع أهل الدنيا حتى ينجز له موعوده في كتابه، كما قال: «لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»^(١).
والتعبير بـ «إلى الأرض» يدلّ على أن البرزخ نوع من العلو عن الأرض والرجعة نوع من العودة والهبوط إلى الأرض.

نزل ورجوع عيسى عليه السلام كل عام:

وروى ابن بابويه عن معمر بن راشد، عن أبي عبد الله عليه السلام، عن رسول الله ﷺ في حديث أنه قال: «ومن ذريتي المهدي، إذا خرج نزل عيسى بن مريم فقدّمه وصلى خلفه»^(٢).

وذهب الحر العاملي وغيره في بحث الرجعة إلى أن عروج عيسى عليه السلام نوع من الموت، كما هو ظاهر الآية: «إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ»^(٣)، ففي مثال النبي عيسى موت ورجوع. فتوفي عيسى عليه السلام موت ونزوله رجوع وإن كان الصحيح أنه قد ورد في رواياتنا أن توفي الله عيسى عليه السلام كان أثنا ما صعد الله به إلى السماء ثم بعد الصعود أرجع الله إليه روحه، بل روي في (الأصول الستة عشر) موثق أبي حمزة الثمالي - على الأصح - عن أبي جعفر عليه السلام في حديث عن سلمان قال عليه السلام: «إنّ سلمان كان إدراكه العلم الأول أنه كان على الشريعة من دين عيسى عليه السلام فخدم بعض رهبانهم ... إلى أن قال عليه السلام وقد ذكر تنقله بين الرهبان: وإنّ سلمان مضى إلى رجل كان بأرض الروم قال عليه السلام فمضى إليه وإذا شيخ كبير عالم فلم يلبث إلا يسيراً حتى حضرته الوفاة فقال سلمان له مثل ما قال لأصحابه الرهبان السابقين أنّ يدلّه على رجل أفضل منه يخدمه .

(١) مختصر بصائر الدرجات / باب الكرات ح ٤٥/٩٩.

(٢) أمالي الصدوق المجلس ٣٩ ح ٥ ص ٢٨٧.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

فقال: ليس لك إلى ذاك حاجة في هذه السنة المقبلة يظهر بأرض يشرب وهو راكب البعير الذي بشر به المسيح عيسى بن مريم فانطلق حتى تكون معه فلما فرغ من دفنه مضى على وجهه وقد أخذ صفته وأنه يقبل الهدية ولا يقبل الصدقة وبين كتفيه خاتم النبوة. قال: فينا هو يسير إذ هجم على خلق كثير مجتمعين في صحراء حولها غياض وقد أخرجوا زُمناهم ومرضاهم قال: فسَلِّم عليهم وقال: ما قصتكم؟ ولأي شيء اجتماعكم؟ فقالوا: نحن نجتمع في كل سنة في مثل الوقت لأنَّه يخرج علينا من هذه الغيضة عبد صالح فنسأله أن يدعو الله فيشفي زُمنانا ويبرئ مرضانا فربما أقمنا اليوم واليومين وأكثر ما يخرج إلينا في اليوم الثالث قال فأقام معهم فلما كان من غد اليوم إذا هم برجل قد خرج بثوبين أبيضين فقاموا إليه يسألونه حوائجهم فلما انفرقوا تبعه سلمان فقال له: ما تريد؟ قال: أنا رجل كنت أخدم العلماء من أبناء حواري عيسى عليه السلام فقالوا لي: إنه يظهر نبي يشرب في هذه السنة المقبلة فخرجت في طلبه فأردت أن أسالك أصدقوني؟ قال: نعم صدقوك منزله اليوم مكة وستلقاه وإذا لقيته فاقرأه السلام عني كثيرا قال: فلما أسلم سلمان ولقى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فحدثه حديثه فقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذاك أخي عيسى^(١). ومفاد هذا الموثق: نزول ورجوع عيسى عليه السلام كل عام إلى الأرض ثم ارتفاعه مرة أخرى أو غيبته في الأرض.

وأشار الحرّ العاملي إلى أن الموت أنواع. وهذه الأقسام التي ذكرها لم يقع الالفات إليها والتنبيه على جملة منها في البحوث الفلسفية.

وانفصال الروح عن البدن في القتل أقل انفصلاً بالقياس إلى درجة انفصالها في الموت، فروح المقتول تبقى متعلقة بالبدن بشكل أقوى من روح الميت ببدنه وعموماً فإن الموت ذو درجات فليس حقيقة الموت انفصلاً تاماً للروح عن البدن الأصلي وهو الطينة الأصلية التي خلق منها بدن الإنسان بل تبقى خيوط تعلق للروح به ونحو مَغْطَةِ وانجذاب معه قد تشتد وترجع إليه أو تحف به وتحوم حوله فهي بين انفصال ووصال

(١) الأصول الستة عشر ص ٩٨ من كتاب عبد الملك بن حكيم الخثعمي من رواية التلعكبري عن ابن عقدة.

من دون مفارقة تامة، ومن ثم تعددت أسماء وأنواع الموت من اخترامي وطبيعي ومبرم ومؤجل ومحتوم.

ثم إنَّ البدن الذي تفارقه الروح بالموت هو الطينة الأصلية وهي غير مرئية مما قد يسمى في الاصطلاح الحديث بالبدن الأثيري وتقويم الروح للبدن حالة عيانية وليست سنخ بيان لمعنى مفهوم.

ثم إن دراسة ومعرفة المعاد لا تتم بدون دراسة ومعرفة الرجعة.

العاشر: أنَّ الرجعة في البرزخ هي نشأة برزخية في عالم البرزخ وقد يظهر ذلك من قول الشيخ أحمد الأحسائي في كتاب (الرجعة) بعدما ذكر أنَّ المُجازاة في الرجعة إنما هي على الأعمال البرزخية وما ورد من أنَّ الحساب في الرجعة إنما هو الحساب على الأعمال البرزخية - قال: لأنَّ الرجعة من نوع البرزخ ألا ترى أنَّ المؤمن إذا مات التحقت روحه بجنة الدنيا وإن كان كافراً أو مشركاً أو منافقاً التحقت روحه بنار الدنيا!! وجنة الدنيا هي الجنّتان المدهامتان وهي تخرج في الرجعة كما يأتي عند مسجد الكوفة. انتهى.

وقد رواه ابن قولويه في الموثق عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «كأنني والله بالملائكة قد ازدحموا على قبر الحسين عليه السلام ويُنزل الله على زوار الحسين عليه السلام غدوة وعشياً من طعام الجنة وخدامهم الملائكة لا يسأل الله عبد حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياها»، قال: قلت: هذه الكرامة قال لي: «يا مفضل أزيدك؟ قلت: نعم سيدي، قال: «كأنني بسرير من نور قد وضع وقد ضربت عليه قبة من ياقوتة حمراء مكللة بالجواهر، وكأنني بالحسين عليه السلام جالس على ذلك السرير وحوله تسعون ألف قبة خضراء، وكأنني بالمؤمنين يزورونه ويسلمون عليه فيقول الله عزَّ وجلَّ لهم: أوليائي سلوني فطالما أوديتم وذللتهم واضطهدتم فهذا يوم لا تسألوني حاجة من حوائج الدنيا والآخرة إلا قضيتها لكم فيكون أكلهم وشربهم في الجنة فهذه والله الكرامة التي لا

انقضاء لها ولا يدرك منهاها»^(١).

وظاهر هذه الرواية أن هذه الجنان جنان برزخية وهي دنيوية إذ تكرر في هذه الرواية السؤال عن حوائج الدنيا والآخرة.

وقد استشهد بهذه الرواية الشيخ أحمد الأحسائي في كتاب (الرجعة) على كون الرجعة برزخية، وكون الجنان البرزخية هي جنان دنيوية.

أقول: ما ذهب إليه الشيخ الأحسائي - وربما يظهر من تلميذه الشيخ آل عبد الجبار - من تفسير الرجعة بالنشأة البرزخية اقتفيا في ذلك ما عليه الفيض الكاشاني في كتابه (عين اليقين) أو وافقاه في احتمال كونه الرجعة عبارة عن ظهور أو تمثيل الأشخاص من عالم البرزخ في الحس الظاهر وسيأتي أن ذلك خلط بين الرجعة والنزول فإن أهل البرزخ ينزلون للدنيا ولكن ذلك يغير رجعتهم من القبور. وسيأتي أيضاً ذكر عبارته لاحقاً وبالتالي هناك حالة تشابك بين حقيقة الرجعة والبرزخ من جهة، وذلك من تطور أطوار الدنيا - وهي أحكام تكوينية للرجعة - والرجعة، في حين كونها من الحياة الدنيا - حسب بيانات آيات وروايات الرجعة - تنقسم الحياة الدنيا إلى الحياة الدنيا الأولى والحياة الآخرة من الدنيا وهي حياة الرجعة و كليهما غير عالم الآخرة الأبدية. فالرجعة تطور وتَشَفَّفُ في عالم الدنيا بما يتقارب مع النشأة البرزخية وقد ورد في بعض الروايات أن أهل الرجعة يَرَوْنَ أهل البرزخ ويتحدثون معهم كما هو الشأن في قدرة الأبدال والأولياء في الحياة الأولى من الدنيا.

وإن الرجعة مقارنة في أحكامها التكوينية لعالم البرزخ، حيث إن الطينة الأصلية الباقية في القبر - التي بها يرجع الموتى - غير مرئية، تكاد تكون مماثلة للمادة والجسم البرزخي، ويظهر احتمال هذا التفسير في كلمات الشيخ أحمد الأحسائي، أو حكايته عن بعض.

(١) كامل الزيارات باب ٥٠ ح ٣.

الفرق بين الرجعة والتناسخ

إبطال قواعد الرجعة لأصول التناسخ؛

التناسخ إنما هو رجوع الروح ببدن جديد دنيوي من نطفة أصلاب وتولد أرحام وأبوين آخرين وهوية أخرى فتتبدل شخصيته إلى شخصية أخرى.

بينما الرجعة هي رجوع الروح في البدن الأصلي السابق للإنسان وخروجه من القبر وبنفس الهوية والشخصية كما هو الحال في المعاد الجسماني.

وقد دفع الشيخ محمد بن عبد علي بن محمد آل عبد الجبار شبهة التناسخ بوجود عدة فوارق بين الرجعة والتناسخ بأن النفس لا تفقد كمالات البرزخ كما هو مقتضى الشبهة أيضاً والتي يُعترض بها على حقيقة المعاد الجسماني: لو كان الجسم فيه بمادة الدنيا والتي قد ذكرها وتبناها الملاّ صدرا وقد أجاب عنها العلامة الطباطبائي رحمته الله كما سيأتي، بينما اعتمد الشيخ آل عبد الجبار على أن عود كل شخص إلى مادته الصالحة له والصور من عمله المتجدد والأحكام تلحق الصور بحسب طهارتها ونجاستها وغيرهما لا المادة من حيث هي وخلق كل صور من عمله هو مقتضى العدل. والصور المتواردة من عملهم وعلمهم وقابليتهم الإمكانية على المادة الأصلية لأجسامهم التي يرجعون إليها وإن كانت الروح في البرزخ في فترة الموت قبل الرجعة قائمة بمثالها البرزخي.

روى الصدوق بسنده عن الحسن بن جهم - في حديث طويل - أنّ المأمون قال لأبي الحسن الرضا عليه السلام: يا أبا الحسن فما تقول في الرجعة؟ فقال الامام عليه السلام: «إنّها لحقّ،

قد كانت في الأمم السالفة وقد نطق بها القرآن، وقد قال رسول الله ﷺ: يكون في هذه الأمة كل ما كان في الأمم السالفة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. وقد قال ﷺ: إذا خرج المهدي من ولدي نزل عيسى بن مريم فصلّى خلفه. وقال ﷺ: إنّ الإسلام بدأ غربياً وسيعود غربياً فطوبى للغرباء، قيل: يا رسول الله ثم يكون ماذا؟ قال: ثم يرجع الحق إلى أهله»، فقال المأمون: فما تقول في القائلين بالتناسخ؟ فقال: «من قال بالتناسخ فهو كافر مكذّب بالجنة...». قال المأمون: ما تقول في المسوخ؟ قال الرضا عليه السلام: «أولئك قوم غضب الله عليهم فمسخهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم يتناسلوا ... الحديث»^(١). ويستفاد من هذه الرواية:

١. ان القول بتناسخ الروح هو أن تنتقل الروح من بدن إلى بدن.
٢. تفكيكه عليه السلام بين الرجعة والتناسخ وأن هناك فرقاً بين حقيقة الرجعة والتناسخ فالبعض يتصور أنّ الرجعة تناسخ - كالمأمون العباسي الذي توهم ذلك -.
٣. أنّ الرجعة من حقائق الدين لكن جهلها المسلمون وغفلوا عنها، ونزول النبي عيسى عليه السلام شاهد على الرجعة، ويطلق عليه: الرجوع بعد انقطاع عن الحياة الظاهرة وانحسار، كما هو الحال في يقظة أصحاب الكهف بعد نومهم مئآت السنين حيث جعله الله تعالى آية للبعث وللمعاد الأكبر.
٤. استشهاد بوصف الإسلام بالغربة، وفي قوله (طوبى للغرباء) دلالة على أنّ الرجعة عقيدة أصلية في الدين إلّا أنّها جهلت.
٥. أنّ الرجعة كان يطعن العامة بها على أهل البيت عليه السلام وأتباعهم. ويظنون أن القول بالرجعة من الغلو بالأئمة عليهم السلام وهذا ما يعطيه سياق كلام المأمون العباسي.
٦. دفع توهم المأمون العباسي أنّ الرجعة مسخ ومسوخ، فأجابه عليه السلام: «إنّ الرجعة

(١) عيون اخبار الرضا الباب ٤٦/ ح ١ ص ٢١٣.

غير المسخ»، وهذا فارق علمي آخر في حقيقة الرجعة واختلافها عن المسخ وإن كان المسخ حقيقة واقعة في دار الدنيا وفي حشر عالم القيامة بل في بعض الروايات أن المسخ يقع في الرجعة ورغم كل ذلك فحقيقة الرجعة غير النسخ.

٧. أن عيسى عليه السلام حيّ ويظهر ويصلي خلف الإمام عليه السلام.

٨. أن الانحسار عن الحياة الظاهرة والرجوع إليها يسمّى رجعة.

وهناك نكات عقلية معرفية التفت إليها الحرّ العاملي ولم يلتفت إليها الشاه آبادي والطباطبائي في بحث الرجعة وسيأتي بيان جملة منها.

الفرق بين الرجعة والظهور:

قد يقال: إنّ ظهور صاحب نوع من الرجعة وفي بعض الروايات المرسلة التي أوردها الشيخ آل عبد الجبار في كتاب (الرجعة)، قد يستظهر منها أن ظهور صاحب - عجل الله تعالى فرجه الشريف - نوع ونمط من الرجعة - وسيأتي تنقيح ذلك - إذ ينسب إلى أستاذه الشيخ الأحسائي تفسير الغيبة بأنها حالة برزخية، وعلى هذا التصور يكون الظهور رجعة.

ولكن هذا التفسير للغيبة غير تام إذ كثير من حالات النشأة الدنيوية غير مرئية كما هو الحال في البدن الأصلي للإنسان والطينة الأصلية له، وقد روي أن هذا البدن الأصلي والطينة الأصلية تكون كالطينة المستديرة تسيخ في أرض القبر وتظل باقية إلى يوم البعث سواء بعث الرجعة أو غيره وقد اعترف بذلك الشيخ الأحسائي في جملة من كلماته فلا ملازمة بين كون الجسم غير مرئي وكونه برزخياً.

وقد طالعنا الأبحاث العلمية الحديثة أن هناك من الأجسام المادية الدنيوية هي غير مرئية بل بعضها لا يدرك بالآلات المسلّحة والأجهزة الإشعاعية المتطورة. نعم، قد أطلق الظهور في كثير من روايات الزيارات على رجوع الأئمة عليهم السلام وخروجهم من قبورهم الشريفة إلى حياة الدنيا مرة أخرى وهي حياة الرجعة وآخرة الدنيا.

والعامة أولوا الرجعة بأنها تناسخ وإنكار للمعاد الجسماني والحال أن التناسخ هو

انتقال الروح من بدن إلى تكون بدن آخر بنطفه ورحم جديد وأب وأم آخرين بهوية وشخصية أخرى بينما الرجعة رجوع بنفس البدن الأصلي وبنفس الهوية والشخصية وخروج من القبر لا من الأرحام والأصلاّب.

ثم إن هناك نقطة أخرى في الحديث الشريف، وهي دفع توهم المأمون العباسي في أن الرجعة مسخ ومسوخ، فالرجعة غير المسخ فبين عليه السلام بأن الرجعة مغايرة للمسوخ وإن لم تكن حقيقة المسخ ممتنعة بل واقعة في جملة من المواطن والنشآت كما أن الرجعة تغاير التناسخ وأن الرجعة بعث من القبور لا تولد من أرحام النساء - كما في التناسخ - ويبين هذا التغاير جملة من الشواهد التالية:

الشاهد الأول: تظافر الآيات الواردة في البعث من القبور، فقد فسر ظاهرها في الروايات المتواترة أنّ البعث في الرجعة، أي في القيامة الوسطى لا القيامة الكبرى، كما ظن ذلك جلّ المفسرين والمتكلمين والفلاسفة والعرفاء، وقد نبّه على ذلك بيان أهل البيت عليهم السلام لظهور ألفاظ تلك الآيات.

الشاهد الثاني: ما ورد من نماذج متعددة للرجعة في سورة البقرة وهي آية وبرهان للرجعة بمقتضى قاعدة كل ما حدث في الأمم السابقة يحدث في هذه الأمة، حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، كإحياء عزيز عليه السلام بعد موته وكذلك أصحاب القرية الذين خرجوا ألوفاً حذر الموت فأماهم الله تعالى، وأيضاً أصحاب موسى عليه السلام السبعون الذين أُماتهم الله تعالى ثم أحياهم، وأيضاً صاحب البقرة الذي قال عنه القرآن: ﴿أَصْرَبُوهَ بِبَعْضِهَا﴾^(١). وكأجزاء الطيور المقطعة على كل جبل حيث دعاهن إبراهيم فحييت.

وكذلك ما ورد في السور العديدة من إحياء النبي عيسى عليه السلام للموتى بنفس بدنهم وبهويتهم وشخصيتهم وكذلك في أصحاب الكهف بعدما أنامهم الله مئات السنين كالموت ثم بعثهم بنفس أبدانهم وهويتهم وشخصيتهم.

الشاهد الثالث: ما ورد مستفيضاً في الروايات: «العجب كل العجب ما بين جمادى ورجب» أنّهم عشرات من الأموات يرجعون، بأن يبعثوا من القبور في الكوفة

(١) سورة البقرة: الآية ٧٣.

قبيل ظهور الإمام - عجل الله تعالى فرجه الشريف - في محرم، كما نص على ذلك في الروايات.

والحاصل بالتتبع أن آيات وروايات الرجعة تطفح بالتواتر اللفظي على التنصيص بكون الرجعة بعث من القبور، لا نفخ للأرواح في الأرحام.

الفرق بين الرجعة والإياب والكرة:

الظاهر من استعمال لفظ الرجعة في الآيات والروايات أنها أعم من الكرة، والكرة أخص من الرجعة فالكرة هي الرجوع الذي يتضمن حروباً ومواجهات واقتتالا بمناسبة الأصل اللغوي لمادة الكرّ بخلاف الأصل اللغوي للرجوع.

و يُشير إلى الفرق المزبور ما رواه أصحابنا في المزار كالشهيّد والمفيد وابن طاووس وغيرهم في زيارة القائم عليه السلام في السرداب: «ووفقني يا رب للقيام بطاعته والمثوى في خدمته، فإن توفيتني قبل ذلك فاجعني ممن يكرّ في رجعته ويملك في دولته ويمكن في أيامه» حيث إنّ التعبير بالكرة إشارة إلى الرجوع المتضمن للجهاد بين يديه - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.

ولاحظ ما رواه في مختصر بصائر الدرجات في كرة أمير المؤمنين عليه السلام عن جابر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن لعلّي عليه السلام في الأرض كرة مع الحسين ابنه - صلوات الله عليهما - يُقبل برايته حتى ينتقم له من بني أمية»^(١).

وكذا الحديث الذي رواه بعده بسنده عن خالد بن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام: قال فيما قاله: «اتقوا دعوة سعد. قلت: فقال [رسول الله صلى الله عليه وآله] اتقوا دعوة سعد؟ قال: نعم، قلت: وكيف ذاك؟ قال: يكرّ فيقاتل علياً»^(٢).

وما رواه أيضاً عن كتاب الواحدة بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: وإن الله أخذ ميثاقى مع ميثاق محمد صلى الله عليه وآله بالنصرة

(١) مختصر بصائر الدرجات باب الكرات ح ٤٥/٩٩ ص ١٥٠.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات ح ٤٦/١٠٠ ص ١٥١.

بعضنا لبعض، فقد نصرت محمداً ﷺ وجاهدت بين يديه وقتلت عدوه، ووفيت لله بما أخذ عليّ من الميثاق والعهد والنصرة لمحمد ﷺ ولم ينصرني أحد من أنبياء الله ورسله، وذلك لما قبضهم الله إليه، وسوف ينصرونني ويكون لي ما بين مشرقها إلى مغربها وليبعثنهم الله أحياء من آدم إلى محمد ﷺ كل نبي مرسل يضربون بين يديّ بالسيف هام الأموات والاحياء والثقلين جميعاً.... وان لي الكرة بعد الكرة والرجعة بعد الرجعة وأنا صاحب الرجعات والكرات»^(١).

والإياب أيضاً أخص مطلقاً من الرجعة، وخصوصيتها التي تمتاز بها عن الكرة أنه يشير إلى ملكهم ودولتهم وبسط سلطانهم عليهم ﷺ كما جاء في دعاء اليوم الثالث من شعبان وهو يوم ولادة الحسين عليه السلام: «... وسيد الأسرة الممدود بالنصرة يوم الكرة، المعوض من قتله أن الأئمة من نسله والشفاء في ترتبه والفوز معه في أوبته...»^(٢).

قاعدة في تكليف أهل الرجعة ودرجات الاختيار فيها:

ويثار في البدء سؤالان:

السؤال الأول: لو كان أهل الرجعة مكلفين لجاز أن يتوب كل واحد من أعداء الدين ممن استحق اللعنة الإلهية والعذاب الأليم وذلك لاطلاعه على جملة من أحوال الآخرة مما يوجب ارتداعهم عن غيهم.

وهذا التساؤل - في الحقيقة - يندرج في كل من قاعدة تكليف أهل الرجعة وفي تحقق درجات من الاختيار لأهل الرجعة.

السؤال الثاني: أن الأدلة دالة على انقطاع التكليف بالموت أو بالمعاينة لكن الأدلة دالة أيضاً على انقطاع التوبة دون التكليف وأن التكليف باقي حتى بعد المعاينة إذ لا يجوز للمكلف - مثلاً - أن يكفر بالله تعالى ولا بالمعتقدات الحقّة بعد المعاينة فضلاً

(١) مختصر بصائر الدرجات: ح ٢/١٠٢.

(٢) مصباح المتعبد: أعمال شهر شعبان ح ٨٨٦.

عن حال الرجعة فكيف يجمع بينهما؟

والجواب عن هذين التساؤلين وغيرهما مما يرتبط بالاختيار والتكليف يتم عبر الالتفات إلى عدة أمور:

الأول: أن بعثهم من البرزخ إلى الدنيا مرة أخرى هو بمثابة بعث الإنسان من النوم فلا يتذكر تفصيل ما جرى له من قبل إلا بمثابة خواطر ضعيفة كما ورد عنه ﷺ: «لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون»^(١) إذ المنام يوجب انتقال الروح إلى البرزخ النازل وفي الموت إلى البرزخ الصاعد ألا ترى إلى أهل الآخرة عندما يبعثون فيسألون ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾^(٢) و ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ۖ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ۖ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾^(٣) فلا يتذكرون من أمور البرزخ شيئاً، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾^(٤)، وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(٥).

الثاني: أن الملكات الرديئة المترسخة تعاوقهم وتمانعهم عن التوبة نظير من أدمن على المخدرات دهرًا من عمره فيثقل عليه الامتناع عنها فهذه الملكات المترسخة المتجوهرة في ذواتهم تلحّ عليهم بالبقاء على ما كانوا عليه نظير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ مع أنّ عذاب الآخرة الكبرى أشد من عذاب البرزخ ومع ذلك أنبأ تعالى عن حالهم أنهم يعودون لما نُهُوا عنه لو ردّوا ورجعوا من الآخرة الأبدية إلى دار الدنيا.

(١) الاعتقادات للصدوق: باب ١٩ الإعتقاد في البعث بعد الموت: ص ١٥٧. مناقب آل أبي طالب: ج ١ ص ٤٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ١٩.

(٣) سورة طه: الآيات ١٠٢ - ١٠٤.

(٤) سورة الروم: الآية ٥٦.

(٥) سورة الروم: الآية ٥٤.

ثالثاً: أن ما أدعي من إشارة الأدلة إلى انقطاع التكليف بالموت أو بالمعينة مدفوع بأن ما تشير إليه الأدلة إنما هو انقطاع قبول التوبة، وهذا لا يستلزم انقطاع التكليف والقدرة والاختيار بل هو نظير ما ورد من أن من ارتكب بعض الكبائر المعينة يُسلب قبول التوبة ويسلب قبول الأعمال الصالحة من دون أن يستلزم ذلك سقوط التكليف ولا زوال القدرة والاختيار نظير ما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا﴾^(١).

الفرق بين الدين والشرعة:

رابعاً: الصحيح أن الدين لا انقطاع ولا ارتفاع له فهو مستمر وممتد في الآخرة والقيامة الكبرى وفي دار الخلود في الجنان أو الجحيم وإن انقطعت الشريعة بدار الامتحان وذلك لأن معنى الدين هو المعارف الاعتقادية الحقة من التوحيد والإقرار بآيات الله تعالى من الأنبياء والأوصياء وبقية المعارف الدينية الاعتقادية، وكذا بقية أركان الدين في الفروع مما ترتبط بآداب العبودية تجاه الساحة الإلهية لا تختص بنشأة دون أخرى، وهذه الأركان من معنى الدين لا تختص بالثقلين من الإنس والجن بل هي ناموس للرابطة بين الخالق العزيز وكل مخلوق من الملائكة والأرواح وغيرها من أصناف المخلوقات وهذا ما يُشير إليه قوله تعالى: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٣).

وأما الشريعة فهي تفاصيل الفروع.

وعلى ضوء ذلك فإن القدرة والاختيار لا تنقطع عن المخلوق، غاية الأمر أن لكل مخلوق - بحسب مرتبته الوجودية ودرجته - قدرته واختياره وكماله المقرر له، فما

(١) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٨٣.

(٣) سورة فصلت: الآية ١١.

اشتهر على ألسنة المتكلمين والفلاسفة (من انقطاع التكليف واختصاص التكامل بنشأة دار الدنيا) إن كان المراد بلحاظ تكليف الشريعة والشرايع فهو صحيح، وعليه يحمل ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام: «فإن اليوم عمل ولا حساب وإن غداً حساب ولا عمل»^(١). وأما إن كان بلحاظ انقطاع التكليف والمسئولية والطاعة ومولوية الباري تعالى بلحاظ دائرة الدين فغير تام.

هذا مع أن الرجعة من دار الدنيا وهي الحياة الآخرة من الدنيا فالشريعة أيضاً فيها مستمرة، نعم للاختيار والقدرة درجات تختلف بحسب إمكانية الفرص ودرجات القابلية كما مرَّ بعض الإشارة لذلك وسيأتي مزيد بسط لذلك.

وقد ورد أن الملائكة عند اعتراضهم على خلافة آدم عليه السلام أظلم الفضاء عليهم وضجوا بالتوبة، مما يدلُّ على أنهم مخاطبون بأصل الدين، مضافاً إلى أمرهم بالسجود لخليفة الله في الأرض، الذي هو كناية عن طاعتهم وانقيادهم له، ومدابنتهم بولايته بعد ولاية الله.

وقال السيد المرتضى في رسائله: «إنَّ التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة فكذلك مع الرجعة لأنه ليس في جميع ذلك مُلجئ إلى فعل الواجب والامتناع من فعل القبيح»^(٢).

خامساً: إن الرجعة ليست من عوالم الآخرة الكبرى بل هي امتدادٌ لنشأة الدنيا وأحكامها غاية الأمر تنقسم الدنيا إلى الدنيا الأولى والدنيا الآخرة، وأما البرزخ فليس كما اشتهر عند المتكلمين والفلاسفة من كونه من أبواب النشأة الأبدية، بل - كما سيأتي مفصلاً من بيانات روايات الرجعة - هو حالة برزخية بين الدنيا الأولى والدنيا الآخرة أي أنها فترة تتخلل بينهما نظير تخلل الحالة المنامية بين يقظتين. وما ورد من أن الموت أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فمحمول على آخر يوم من

(١) الكافي ج ٨ ص ٥٨ ح ٢١. نهج البلاغة خ ٤٢.

(٢) رسائل السيد المرتضى ج ١ ص ١٢٦.

الدنيا الأولى، وأول يوم من آخرة الدنيا. فإطلاق (الآخرة) على معنيين بل معان متعددة، كما هو الحال في عنوان (البعث) فإنه يطلق على بعث الرجعة، وبعث القيامة، وبعث ما بعد القيامة إلى الآخرة الأبدية من البعث إلى الجنة والنار الأبديتين.

الجبر والاختيار في الرجعة:

هناك معطيات وأمور كثيرة تطالعنا بها بيانات الروايات بوقفات تحليلية لملاحظة صفة الاختيار في أبعاد عديدة في عالم الرجعة وأن التكليف مستمر والشرعية باقية في الرجعة ولو بظهور بعض ما كان باطناً وخافياً من أحكامها.

فالرجعة استمرار للتكليف لا انقطاع له ولا إعادة للتكليف من البدء مرة أخرى. قال الشيخ محمد آل عبد الجبار: «الرجعة والبرزخ وزمن الرجعة يخالف ما سبق من الدنيا الأولى فالرجعة برزخ بين الأولى من الدنيا والآخرة الأبدية ولذلك تظهر فيه الجنتان وتظهر أحكام الباطن وأسرار أهل البيت عليه السلام عياناً وينفى الشرك ظاهراً أو باطناً ويكون الحساب في الرجعة وعلى يد الحسين عليه السلام في زمن الرجعة لأكثر الخلق وهو يقضي بوجود التكليف في مراتب الوجود وطبقات السماوات قبل مرتبة الجنة والنار وأن الموت مراتب والحياة مراتب وأن كل حياة بعد موت هي حياة أقوى من سابقتها وكذا الموت اللاحق أشد وأطم من السابق». انتهى.

شواهد بيانية في الروايات على استمرار التكليف في الرجعة:

الشاهد الأول: درجات الاختيار والرجعة:

إنّ ذهاب فرص الاختيار وقلتها على درجات:

أن قابلية الإنسان في الاختيار في بداية طفولته ومراهقته منفتحة على خيارات كثيرة وآفاق واسعة ولكنه شيئاً فشيئاً عندما يكبر ويحدد مسيره واتجاهه تتعين وجهته وتتقلص جملة من خياراته وتفوته جملة من الآفاق وذلك بسبب نشؤ المملكات والصفات التي تشكل طابعاً خاصاً لذاته فيجبل على تلك المملكات وتقل منافذ الطرق

فتقل سعة حراكه حتى إذا بلغ الأربعين اشتد رسوخ الملكات فيه وفي أرضية نفسه وكلما شاخ شبَّ فيه ما تطبّع عليه من الخلق فيكون تغير شاكلة أفعاله عما هو عليه من الصعوبة بمكان كالمتنع.

ولنمثل لذلك مثلاً: كمن رام الذهاب إلى مقصد - كمكة المكرمة أو المدينة المنورة أو أحد المراقد المقدسة - ثم التبس عليه الطريق فمال عنه يسيراً، فإنه كلما تمادى في السير ازداد بُعداً حتى يصل إلى منازل ومواطن قد توغل فيها عمقاً حيث إنه لا يزيده السير إلا بعداً فيكون الرجوع من الصعوبة بمكان بمثابة الممتنع وإن لم يكن ممتنعاً حقيقة إلا أن الرجوع يحتاج إلى مكابدات لا تطاق من ثقلها وعنائها فالقدرة عليه بثقل السماوات والأرض تجرّعاً ومرارة وعناءً.

وبهذا يتضح معنى غلق أبواب الاختيار وذهاب الفرص وتبدد القدرة كما يتضح أيضاً معنى كون باب الرجوع والتوبة وإمكانيتهما ينغلق على درجات لا على درجة واحد فيتعدد باب غلق التوبة وهو على درجات كما ورد في الآيات والروايات.

تعدد مراتب الاختيار بمراتب سد باب التوبة:

١. بلوغ الأربعين حيث ورد وروي أنه إذا بلغ الرجل أربعين سنة ولم يُتْبَ مسح إبليس وجهه وقال: بأبي وجه لا يفلح^(١).
٢. عند الموت درجة.
٣. ظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.
٤. الرجعة وكلّ مرحلة من مراحلها.
٥. خروج دابة الأرض وقد ورد مستفيضاً أن باب التوبة يغلق عنده.
٦. أربعين يوماً قبل قيام القيامة الكبرى.
٧. مجيء الساعة وقيام القيامة الكبرى.

وتعدد غلق الباب للتوبة يشير إلى فقد خيارات الاختيار وتضاؤل القدرة والقوة أكثر فأكثر فيضيّق شيئاً فشيئاً طريق الرجوع والاصلاح والتوبة كأنه ينسد .
﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾^(١) ، والخسارة تعني ذهاب هذه القدرات في النفس ، ومن ثم قيل: ردّ المعتاد عن عادته كالمعجز .
ويؤيد ذلك ما ورد من أن من بلغ الأربعين ينغلق عليه باب من أبواب التوبة ودرجة من درجاتها .

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(٢) ، و ﴿يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ كلما تتجلى الآيات في الرجعة ينغلق باب التوبة شيئاً فشيئاً . فالمؤمن ربما تحصل له عناية خاصة من بكائه على الحسين عليه السلام فتُغفر ذنوبه ولكن هل يستطيع إبليس أن يبكي على الحسين عليه السلام وهو في فترة امتحان؟ إنّ ذلك كالممتنع على قلبه .
ومثل عمر بن سعد عندما بكى على الحسين عليه السلام لكنه بعد ذلك رجع وأمر برض صدر الحسين عليه السلام . فحالة الشقاوة متمكّنة منه والحالة الأولى من البكاء عابرة منطلقة من الفطرة التي ديس عليها ، وأما عدوانيته وطغيانه على الحسين عليه السلام فملكات متمكّنة من جوهر ذاته .

الشاهد الثاني: روى الطبري في دلائل الإمامة عن سيف بن عميرة، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام : «المؤمن ليخير في قبره، إذا قام القائم، فيقال له: قد قام صاحبك، فإن أحببت أن تلحق به فالحق، وإن أحببت أن تُقيم في كرامة الله فأقم»^(٣) .
وكذلك رواه الطوسي في الغيبة باختلاف يسير^(٤) .

وظاهر الحديث أن أصل الرجوع في الرجعة هو باختيار من المؤمن لا بإلجاء .

(١) سورة الزمر: الآية ١٥ .

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨ .

(٣) دلائل الامامة . ص ٤٨٩ . ح . ٧٥/٤٧١ .

(٤) الغيبة للطوسي . ص ٤٥٨ . ح ٤٧٠ .

نظير ما ورد: «فيموت المؤمن» أيضاً أنه لا يقع عليه بالرجاء بل باختيار منه نسبياً حيث يريه الله تعالى نعيمه وأولياءه محمداً وعترته الطاهرين (صلوات الله عليهم) فيختار الموت. لكن هذا محمول على أوائل الرجعة وأما الرجعات الأخرى في أواسط الرجعة وأواخرها فالظاهر أنها حتمية.

الشاهد الثالث: إذا تمادى شخص في طريق الخطأ وذهب متوغلاً بعيداً فيه تجد أن رجوعه وتوبته بمكان من الصعوبة، ومثال ذلك: المدمن على المخدرات فإنه ليس بمحال أن يقلع لكن يصعب عليه ذلك وقد تصل الصعوبة إلى درجة شديدة جداً يحسبها كالممتنع، ويقول: ترموني من سبع سماوات أهون عليّ من أن أقلع عما أنا عليه، فكلما ازداد التماذي في الغي والباطل اشتدت صعوبة الرجوع عليه وكذلك السالك في جانب الخير يتمادى في طريق الخير والنور ويصعب عليه أن يرجع عنه إلى القهقري فكلما شاخ وأسن وطال عهده بطريق الخير كلما اشتد وغوله ورسوخه في درجات الهدى إلى أن يصل إلى الدرجات العليا فيصبح مُحاسِباً على ترك الأولى كمن يُحاسب على الفواحش الظاهرة وهذا معنى (حسنات الأبرار سيئات المقربين) وكلما ارتقت درجته اشتدت الأولويات في حقه وشأنه وازدادت مسؤولياته ومسائلته عن دقائق الأمور وخفايا الخطور بل وعن بواطن الأسرار.

فهناك تفاوت بين الأولويات والأولى الذي يحاسب عليه الأنبياء بتركه وبين الأولى الذي يوآخذ به سيد الأنبياء والأئمة عليهم السلام فالمسؤولية تتفاوت بدرجات كبيرة بحسب المراتب والفضيلة والقرب **﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض﴾** ^(١).

مثلاً: إن المخالفات من ترك الأولى التي عرضت على الأنبياء بمستواها الظاهر دون الأولويات التي كانت على عهدة النبي والأئمة عليهم السلام فهم فوق ذلك بكثير إذ يستشعرون التقصير (بالفتور عن ذكر الله) ويعدونه معصية في قبال ما عدّه غيرهم مباحاً غير معصية، فيتقون من الفتور عن ذكر الله كما يتوقى سائر الناس عن الكفر، **﴿رَجَالٌ لَا**

تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ^(١) فالمحاسبة عندهم على كل نفس وكل خاطر وكل هجسة من هواجس النفس وعلى كل حديث توسوس به النفس. فيوسف عليه السلام - مثلاً - يتوقى من الخطور الذي يتعاطاه الملايين من الناس ﴿وَالْأَلَّا تَصْرَفُ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ^(٢)﴾.

(١) سورة النور: الآية ٣٧.

(٢) سورة يوسف: الآية ٣٣.

تكليف أهل الرجعة ودرجة اختياريهم

تساؤل: قد يُستدل على نفي الرجعة بما ورد في بعض أحاديث التلقين - عند وضع الميت في القبر - أنه ينبغي أن يقال له: هذا أول يوم من أيام الآخرة، وآخر يوم من أيام الدنيا.

والجواب عنه - كما تقدم -: أن لفظ الآخرة كما يُطلق على عالم القيامة وما بعده من النشأة الأبدية ، كذلك يطلق لفظ الآخرة على الفترة الثانية من الحياة الدنيا .

وقد أجاب الحرّ العاملي عنه بإضافة جملة من التعديل عليه منّا:

أولاً: إنّ الرجعة بحسب بداياتها غير عامّة لكلّ أحد، وإنّما ينبغي تلقين الميت بذلك، لعدم العلم بأنّه من أهل بدايات الرجعة بنحو محقق مقطوع.

وثانياً: إنّ الرجعة وإن كانت واسطة بين الدنيا الأولى والآخرة الأبدية إلاّ أنّه يجوز أن تطلق الآخرة على كل واحد منهما، وبعبارة أخرى إنّّ للحياة الدنيا حياة أولى وحياة آخرة من الدنيا، وقد عرفت إطلاق أهل اللغة اسم الدنيا عليها، وقد وردت الأحاديث التي تفيد إطلاق كلّ واحد من لفظ الدنيا ولفظ الآخرة على الرجعة باعتبارين، ووردت أحاديث صريحة في إطلاق اسم الآخرة عليها أيضاً.

وثالثاً: إنّ الحياة الأولى من الدنيا بالنسبة إلى الثانية يجوز أن يطلق عليها اسم الدنيا بحسب وضع اللغة، بأن تكون وضعت للأولى خاصّة، إمّا من الدنو أو من الدناءة، ويكون إطلاقها على الحياة الثانية محتاجاً إلى القرينة، لأنّه إنّما يصدق عليها ذلك المعنى بالنسبة إلى القيامة الكبرى لا مطلقاً ، وقد ورد أيضاً إطلاق الدنيا الأولى والآخرة من الدنيا عليهما .

ورابعاً: إنّ أهل الرجعة يحتمل كونهم غير مكلفين بالشريعة وإن كانوا مكلفين بالدين، والمراد بالدنيا في حديث التلقين دار التكليف بالشريعة كما يفهم منه بالقرينة، وقد تقدم النظر في هذا الجواب ومنعه.

وخامساً: إنّ الحديث المشار إليه غير متواتر، فلا يقاوم أحاديث الرجعة وأدلتها لو كان صريحاً في المعارضة، كيف واحتمالاته كثيرة.

التكليف ومدار الحجية في الرجعة:

إن مدار الحجية في الرجعة هو مدار الحجية في الحياة الأولى من الدنيا كما هو الحال في زمن غيبة الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ، وكما هو الحال في زمن ظهوره، وقد روى الكليني بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لُتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ ^(١) ... ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ ^(٢) : «خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهب لكل بيضة وجهان المؤدون إلى الناس أن هذا الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه وأنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام جاء الحُجَّة الموت، فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي عليهما السلام ولا يلي الوصي إلا الوصي» ^(٣) .

ومفاد الرواية أن مقام الإمامة لاسيما في الرجعة رغم أنه منصب عظيم ، وخطر إلا أن الالتباس بشخصية أخرى تتقمص منصب الإمامة بأن يكون دجالاً أو شيطاناً أمر ممكن، فيظهر منه التلاعب في منطق الكلام، وهو الاحتمال الأول أي الدجل، أو التلاعب في إظهار أمور خارقة للعادة بحسب الصورة لا الحقيقة وهو الاحتمال الثاني وهو الشيطنة، بل كلا الأمرين في كلا الاحتمالين يجتمعان، فلا بد من توكيد الدلالات

(١) سورة الإسراء: الآية ٤.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٦.

(٣) روضة الكافي : ح ٢٥٠ ص ٢٠٦.

والآيات عليه عليه السلام كي تتم الحجية، لخطورة هذا المقام الذي هو سبب واصل بين الأرض وسماء الغيب، فلا تتم الدلالة إلا بدلالة إمام قبله. كما ورد أن الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، أي أن منطق الحجية مهيمن منهاجاً على طريق الإتصال بالسماء، وليس ادّعاءات ومزاعم فارغة، ثم لا يُكتفى بأصل الحجية حتى تستقر المعرفة في قلوب المؤمنين، ولا تكون معرفة مستودعة بل مستقرة، توكيداً شديداً كما هو الديدن في سيرة الشيعة مع الأئمة عليهم السلام أنها كانت على دوام امتحان معرفتهم بشخص الإمام، وعدم الاكتفاء بالامتحانات السابقة.

درجة الاختيار في أفعال يوم القيامة؛

إنّ أهل الآخرة يقومون بأفعال كثيرة سواءً في مشهد القيامة الكبرى أو في الجنة أو في النار أو ما بين هذين المقامين، والفعل إنّما يصدر عن الفاعل عن قدرة وعلم واختيار، وهذا يقرّر أنّ تلك النشآت وإن لم يكن فيها تكليف شريعة، إلّا أنّ الدين قائمٌ مقامٌ في كل النشآت وهو من أحكامها تكويناً وطريقة ومنهاجاً.

ومن نماذج تلك الأفعال:

١. المشي إلى موقف الحساب.
٢. الجواب عن كلّ ما يُسألون عنه.
٣. التكذيب في بعض مواقف يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَائُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٤﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَنْتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٥﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٦﴾﴾^(١).
٤. المرور على الحوض في أواخر الرجعة قبل القيامة.
٥. حركة أهل الجنة والنار إلى منازلهم.
٦. الشفاعة.
٧. غضّ الأبصار.

٨- الجثو على الركب: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(١).

٩- الأكل والشرب والجماع.

١٠- زيارة بعضهم بعضاً: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٢).

١١- التحميد والتسبيح: ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وهذا يفيد أن هناك مسير تكامل وصدور أفعال عن علم وقدرة.

إغلاق باب التوبة:

روى الصدوق بسنده عن عبد الله بن سليمان العامري عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما زالت الأرض إلا والله تعالى فيها حجة، يعرف الحلال من الحرام، ويدعو إلى سبيل الله، ولا تنقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل القيامة، وإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة ف ﴿لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾، أولئك شرار خلق الله وهم الذين تقوم عليهم القيامة»^(٤).

والظاهر من الحديث أن ارتفاع التوبة على درجات، فالموت درجة من غلق باب التوبة، وظهور الإمام عليه السلام درجة أخرى من غلق باب التوبة. وأربعين يوماً قبل القيامة درجة ثالثة تغلق أبواب التوبة أي يشتد الغلق ومعنى اشتداده هو ازدياد درجات فقد الاختيار.

(١) سورة الجاثية: الآية ٢٨.

(٢) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٣) سورة يونس: الآية ١٠.

(٤) كمال الدين وتعام النعمة الباب ٢٢/ح ٢٤ ص ٢٢٩.

غلق باب التوبة وانقطاعها تدريجي:

من الأحكام التكوينية العامة في الرجعة: ما تشير إليه الآية الكريمة من انقطاع التوبة في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُتَنَظِرُونَ﴾^(١) وقد وردت روايات عن أهل البيت عليهم السلام تفسرها بالرجعة، بل إن روايات العامة^(٢) الواردة في ذيل الآية فسرت قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ بخروج الدابة وطلوع الشمس من مغربها والدخان، وهي من معالم الرجعة، وقد رواها العامة وهم لا يشعرون بأنها من روايات الرجعة، وقد استفاضت الروايات في نزول مفاد هذه الآية في الرجعة وليس كما قيل: إنها عامة في معنى كلي وانطباقه على الرجعة من باب الجري، لاسيما أن روايات أهل البيت عليهم السلام قد عالجت جملة من ألفاظ هذه الآية الكريمة بحسب ما لها من ظهور أولي وبيان تعيين مفادها في الرجعة وخروج القائم عليه السلام.

وفي صحيح علي بن رثاب، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ﴾، قال: «الآيات هم الأئمة والآية المنتظر هو القائم عليه السلام» فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف وإن آمنت بمن تقدمه من آبائه عليهم السلام»^(٣).

وفي كمال الدين عن أبي بصير، قال: قال الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في قول الله عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٢) الدر المنثور للسيوطي في ذيل الآية رواها عن مصادر عديدة.

(٣) الإمامة والتبصرة لعللي بن بابويه: باب إمامة القائم ح ٢٦ ص ١٠٢، باب في آيات خروجه ح ١٣٠ ص ١٢٨.

كمال الدين للصدوق ب ٣٣ ح ٨ ص ٣٣٦. ورواه في البحار ج ٥١ ص ٥١ ب ٥ ح ٢٥ عن ثواب الأعمال

ولم يوجد في المطبوع منه.

كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا» : «يعني خروج القائم المنتظر منّا»، ثم قال ﷺ : «يا أبا بصير طوبى لشيعتنا قائمنا المنتظرين لظهوره في غيبته، والمطيعين له في ظهوره، أولئك أولياء الله الذين ﴿لا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾»^(١).

وروى العياشي عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله ﷺ، في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا﴾، قال: «طلوع الشمس من المغرب، وخروج الدابة، والدجال، والرجل يكون مصرّاً ولم يعمل على الإيْمان، ثم تجيء الآيات فلا ينفعه إيمان»^(٢).

والرواية قيدت بخصوص المصرّ دون المستضعف، بل دون المخالف غير المصرّ فالرواية دالة على أنّ المجال مفتوح.

لكنه روى رواية عن مسعدة بن صدقة، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبيه، عن جده ﷺ، قال: «قال أمير المؤمنين ﷺ: إنّ الناس يوشكون أن ينقطع بهم العمل، ويسدّ عليهم باب التوبة، ف﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾»^(٣).

وفي رواية أخرى في كمال الدين: أنّ ذلك - أي عدم النفع - إنّما هو إذا خرجت الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى فتطبع على وجه المؤمن بالإيْمان وعلى وجه الكافر بالكفر، وأنّ ذلك بعد طلوع الشمس من مغربها فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع و ﴿لا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾، ثم قال ﷺ: «لا تسألوني عمّا يكون بعد هذا فإنّه عهد إليّ حبيبي رسول

(١) كمال الدين ب ٣٣ ح ٥٤ ص ٣٥٧.

(٢) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٨٤ ح ١٢٨.

(٣) تفسير العياشي: ج ١ ص ٣٨٤ ح ١٢٧.

الله ﷻ أن لا أخبر به غير عترتي»^(١).

وتوجيه سدّ باب التوبة على وجوه، مضافاً إلى ما تقدم:

١. أن يكون ذلك لأجل قرب يوم القيامة الكبرى كما تشير إليه رواية أخرى في كمال الدين للصدوق رواها عن عبد الله بن سليمان العامري، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «ما زالت الأرض إلا والله (تعالى ذكره) فيها حجة يعرف الحلال والحرام ويدعو إلى سبيل الله عزّ وجلّ ولا ينقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة، فإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة ولن ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة، أولئك شرار من خلق الله، وهم الذين تقوم عليهم القيامة»^(٢).

٢. أن يكون معنى عدم النفع بمعنى أن يسلب التوفيق والقدرة على الإيمان أو على العمل الصالح وذلك لما قرّر في البحوث العقلية لما جاء في بيانات الوحي من أنّ أعمال الإنسان في الدار الأولى من الدنيا تؤثر إيجاباً أو سلباً في مسار الإنسان في الدار الآخرة من الدنيا وهي الرجعة، نظير تأثير اختيارات الإنسان في عالم الذرّ والميثاق على اختياراته في دار الدنيا، فحاصل هذا التأويل ليس ارتفاع الامتحان والاختيار، بل هو تقلص فرص الاختيار وسلب أو ضعف القدرة على تغيير المسار لتسلط الملكات النفسانية على إرادة الإنسان.

وفي الكافي عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «لا ينفع إيمانها لأنّها سلبت»^(٣).

(١) كمال الدين : ب ٤٧ ح ١ ص ٥٢٧.

(٢) كمال الدين : ب ٢٢ ح ٢٤ ص ٢٢٩.

(٣) الكافي ج ١ ص ٤٢٨ باب فيه نكت ونتف من التنزيل في الولاية ح ٨١.

الفرق في الاختيار بين نشأة الملكوت ونشأة الدنيا :

٣- أن يراد تعجيل العذاب الذي يصطلم الجاحدين والفاسقين على يدي الحجة - عجل الله تعالى فرجه الشريف - عند الظهور أو على أيدي الأئمة عليهم السلام عند الرجعة، أي عند وقوع ذلك العذاب عليهم من قتل ونحوه لا قبل ذلك، أي إنهم لا يمهلوا، لا أن الاختيار من أفعالهم لا يقع .

كما ورد في تفسير أن النبي صلى الله عليه وآله بُعث رحمةً والحجة القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - يُبعث نقمة، أن المراد من بعثته رحمة أن العباد في مهلة في زمنه صلى الله عليه وآله، وكذا في العهد السابق للأئمة عليهم السلام، بينما في عهد ظهور صاحب الأمر، لا يمهل أعداءه ولا يمهل العصاة، بل يعاجل العقوبة على ما ارتكبه وهذا الفارق بين الحياة الأولى من الدنيا والرجعة بعد كون ظهور صاحب الأمر فاتحة للرجعة، شبيه بالفرق بين نشأة الحياة الدنيا التي هي دار امتحان ونشأة الملكوت فإنَّ في نشأة الملكوت لا يسلب الاختيار ولكن لا يمهل من يرتكب المخالفة فيعاجل له بالعقوبة كما في القصة المعروفة لفطرس المَلَك، وكما في ظلمة الفضاء على الملائكة حينما اعترضوا على استخلاف آدم عليه السلام وكما في إخراج ابليس من الملكوت حينما عصى ربه ولم يسجد لآدم عليه السلام قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ^(١) ففي الملكوت ودار القرب الإلهي لا يسلب الاختيار ولكنه يرتفع الإمهال، فمعنى كون دار الدنيا دار امتحان ودار الآخرة دار الجزاء ليس الفارق بينهما بسلب الاختيار في دار الجزاء ووجوده في دار الامتحان، بل الفارق أن في دار الامتحان إمهال وإعطاء فرصة للتصحيح والتغيير والتوبة بخلاف دار الجزاء فإنها يعاجل فيها العقوبة. نعم، بين الدارين فارق آخر وهو اختلاف درجات الاختيار، فإن فرص الاختيار في الأولى أكثر بخلافها في الآخرة وإن كان العلم في دار الآخرة يزداد عما هو عليه في الدار الأولى ولعله أحد أسباب الإمهال في دار الامتحان دون دار الجزاء.

(١) سورة الأعراف: الآية ١٣.

بين الاختيار والحساب والجزاء؛

ثم إن بين دار الحياة الأولى من الدنيا ودار الجزاء الآخرة الأبدية درجات متوسطات من الدور، كزمن ظهور صاحب العصر، ونشأة الرجعة وهي الحياة الآخرة من الدنيا، وأواسط الرجعة وهو زمن خروج دابة الأرض، وأواخر الرجعة حيث يبدأ في إقامة الحساب، وأربعين يوماً قبل القيامة حيث تنقطع وترتفع الحجة، ثم نشأة عالم القيامة، ثم من بعد ذلك نشأة الآخرة الأبدية من الجنة والنار، فيتبين من ذلك طبقات الاختيار وطبقات المهلة والامتحان عن مقامات ومراتب الحساب والجزاء، وأن مراتب الحساب متقدمة على الجزاء ومتوسطة بين الامتحان والجزاء، كما أنه سيتبين أن للحساب مراتب أيضاً تشتد شيئاً فشيئاً، وكذلك الحال في مراتب الجزاء واشتداده شيئاً فشيئاً.

وعلى هذا التفسير يبقى الاختيار في عصر الظهور والرجعة ولكن الجاحد لا يبقى مخيراً على جحوده، بل إن لم يؤمن فيعجل عليه العقاب وكذلك الفاسق لا يمهل. ويعضد هذا التفسير ما رواه الصدوق في عيون الأخبار عن الرضا عليه السلام بإسناده عن إبراهيم بن محمد الهمداني، قال: قلت لأبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: لأي علة أغرق الله عز وجل فرعون وقد آمن به وأقر بتوحيده؟ قال: «لأنه آمن عند رؤية البأس والإيمان عند رؤية البأس غير مقبول، وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف، قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا﴾^(١)، وقال عز وجل: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٢)، وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾،

(١) سورة غافر: الآية ٨٤

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

فَقِيلَ لَهُ: ﴿أَلَا الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ ❶ فَالْيَوْمَ تُنْجِيكَ بِدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ❷ ﴿...﴾ ❸.

٤- أن يكون هذا الإيمان غير مقبول ولا يثابون عليه وإن وقع منهم، وذلك لتجلي الآيات القاهرة في العيان، فلا يكون من قبيل الإيمان بالغيب كما تشير إليه صحيحة ابن دراج، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل: ﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ ❹، قال: «يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم لا ينفع أحداً تقرباً بالإيمان ما لم يكن قبل ذلك مؤمناً وبهذا الفتح موقناً، فذلك الذي ينفعه إيمانه، ويعظم عند الله قدره وشأنه، وتزخر له يوم البعث جنانه، وتحجب عنه نيرانه، وهذا أجر الموالين لأمر المؤمنين وذريته الطيبين (صلوات الله عليهم أجمعين)» ❺.

ويعضد هذا المفاد ما رواه الكليني من قصة النصراني الذي فجرَ بامرأة مسلمة، فأراد المتوكل أن يقيم عليه الحد فأسلم، فأفتى علماء العامة بعدم وجوب إقامة الحد عليه، فسأل عن ذلك أبا الحسن الثالث عليه السلام فأمر أن يضرب حتى يموت، فسأله عليه السلام فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ ❶ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ ❷، فأمر به المتوكل فضرب حتى مات» ❸.

ويقرب هذا الوجه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ ❹.

٥- وهو جامع لما تقدم من الوجوه الأربعة ومطابق لما عقدناه من مقالة مستقلة

(١) سورة يونس: الآية ٩٢، ٩١.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج ١ ص ٨٣ ح ٧.

(٣) سورة السجدة: الآية ٢٩.

(٤) تأويل الآيات ج ٢ ص ٤٥٤ ح ٩.

(٥) الكافي ج ٧ ص ٢٣٨ باب ما يجب على أهل الذمة من الحدود ح ٢.

(٦) سورة الحديد: الآية ١٠.

حول أنّ الأدوار في الرجعة والموقعيّة فيها هي وليدة أعمال الإنسان قبل الرجعة وقبل ظهور الحجّة وأنّ المعاني السابقة الأربعة غير متدافعة، بل متراتبّة يضيق فيها الخيار والاختيار حتى يطبع على القلب والجهة بخاتم دابة الأرض.

وقد جاء عين هذا الحكم في آيات أخرى للرجعة، كقوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١). وكذا قوله تعالى في آيات لاحقة من سورة السجدة: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾^(٢).

فقد روى علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾^(٣)، قال: «الأرض الخراب وهو مثل ضربه الله في الرجعة والقائم بالخلا فلما أخبرهم رسول الله ﷺ بخبر الرجعة قالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، وهذه معطوفة على قوله: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾، فقالوا: ﴿مَتَى هَذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾، فقال الله لهم: ﴿يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ * فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ﴾ يا محمد ﴿وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَظَرُونَ﴾^(٤).

وهذا إطلاق لعنوان الفتح على الرجعة وهو أعظم من عنوان النصر، لأن النصر حسم عسكري وسياسي بينما الفتح حسم حضاري في البصائر والإيمان والهوية.

٦- إنّ التكليف يرتفع عند خروج دابة الأرض. قاله الشيخ أمين الدين الطبرسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾^(٥) أي وجب العذاب والوعيد عليهم، وقيل: معناه: إذا صاروا بحيث لا يفلح أحد منهم ولا أحد بسببهم، وقيل: إذا غضب الله

(١) سورة السجدة: الآية ٢١.

(٢) سورة السجدة: الآية ٢٨-٣٠.

(٣) سورة السجدة: الآية ٢٧.

(٤) تفسير القمي: ج ٢ ص ١٧١.

(٥) سورة النمل: الآية ٨٢.

عليهم وقيل: إذا نزل العذاب بهم عند اقتراب الساعة ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً الْأَرْضِ﴾ تخرج بين الصفا والمروة، فتخبر المؤمن بأنه مؤمن، والكافر بأنه كافر، وعند ذلك يرتفع التكليف، ولا تقبل التوبة وهو علم من أعلام الساعة، وقيل: لا يبقى مؤمن إلا مسحته، ولا يبقى منافق إلا خطمته، تخرج ليلة جمع، والناس يسرون إلى منى^(١). انتهى كلامه. وقد مر أن التكليف بالشرعية غير منقطع في الرجعة فضلاً عن الوظائف والمسئولية بحسب الدين، بل إن الوظائف بحسب الدين لا ترتفع أصلاً في كل النشآت.

٧- علم اليقين في الرجعة مختص بالشيعة، وغيرهم إذا آمن في الرجعة لا يصل إلى ذلك المقام. فقد ورد عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل له، قال: «... ولا يبقى رجل من شيعتنا إلا أنزل الله إليه ملكاً يمسح عن وجهه التراب ويعرفه أزواجه ومنازله في الجنة ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلا كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت، ولتنزلن البركة من السماء إلى الأرض حتى أن الشجرة لتنقصف بما يزيد الله فيها من الثمرة، ولتأكلن ثمرة الشتاء في الصيف، وثمره الصيف في الشتاء وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٢)، ثم إن الله ليهب لشيعتنا كرامة لا يخفى عليهم شيء من الأرض وما كان فيها، حتى أن الرجل منهم يريد أن يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعلمون»^(٣)، وهذه الرواية المتضمنة للآية، وما مر من الآيات والروايات السابقة دالة على استمرار التكامل في الرجعة إلى درجات عالية وتكامل هوية قوم بالعلم والقدرة، وهما عمودا الاختيار.

وقوله عليه السلام (يخبرهم بعلم ما يعلمون) أي الذي يعلمونه بالحس أمامهم يعلمه المؤمن بقلبه فيكون جميع المؤمنين أبدالاً في الأرض، وإذا تقرر ازدياد القدرة والعلم تحققت أرضية التكليف.

(١) تفسير مجمع البيان ذيل الآية ٨٢ من النمل.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ص ١٧١ باب الكرات ح ٧/١٠٧.

الرجعة وتصوير كيفية الاختيار والامتحان؛

رغم ظهور كثير من الروايات في ارتفاع التوبة والإمهال، لكنها محمولة على صعوبة التغير في الاختيار لا انتفائه، كما في بقاء الاختيار لأشقى الأشقياء ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين عليه السلام قبل الاقتصاص منه في فترة تلك الأيام بعدما ارتكب ما ارتكب، وكما هو الحال في شأن شمر وعمر بن سعد وعبيد الله بن زياد ويزيد بن معاوية (عليهم لعائن الله) بعد قتل سيد الشهداء عليه السلام، وكما هو الحال في من غرق في المعاصي حتى استحوذ عليه الشيطان، كما يشير إليه سيد الشهداء عليه السلام في خطبته يوم عاشوراء «لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم»^(١).

واستدل المفيد رحمته الله بقوله: «رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ»^(٢) على الرجعة مع بيان بقاء التكليف.

ففي المسائل السروية أنه سئل الشيخ رحمته الله عما يروى عن مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في الرجعة، وما معنى قوله: «ليس منا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا»^(٣)، أهى حشر في الدنيا مخصوص للمؤمن أو لغيرهم من الظلمة الجبارين قبل يوم القيامة؟

فكتب الشيخ رحمته الله بعد الجواب عن المتعة: وأما قوله عليه السلام: «من لم يقل برجعتنا فليس منا» فإنما أراد بذلك ما يختصه من القول به في أن الله تعالى يحشر قوماً من أمة محمد صلوات الله عليه وآله بعد موتهم قبل يوم القيامة، وهذا مذهب يختص به آل محمد عليهم السلام، والقرآن شاهد به، قال الله عز وجل في ذكر الحشر الأكبر يوم القيامة: «وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ

(١) مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب: ج ٢ ص ٢٤٩.

(٢) سورة غافر: الآية ١١.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام: «ليس منا من لم يؤمن بكرتنا ويستحل متعتنا» من لا يحضره الفقيه ج ٣ ص ٤٥٨ ح

مِنْهُمْ أَحَدًا»^(١) وقال سبحانه في حشر الرجعة قبل يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ»^(٢)، فأخبر أنّ الحشر حشران: عام وخاص. وقال سبحانه مخبراً عمّن يحشر من الظالمين أنّه يقول يوم الحشر الأكبر: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ»^(٣)، وللعمامة في هذه الآية تأويل مردود، وهو أن قالوا: إنّ المعني بقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أنّه خلقهم أمواتاً، ثم أماتهم بعد الحياة، وهذا باطل لا يستمرّ على لسان العرب، لأنّ الفعل لا يدخل إلّا على من كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله أمواتاً لا يقال: أماته، وإنّما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة، كذلك لا يقال: أحى الله ميتاً إلّا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميتاً، وهذا بين لمن تأمله.

وقد زعم بعضهم أنّ المراد بقوله: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمساءلة فتكون الأولى قبل الإقبار، والثانية بعده، وهذا أيضاً باطل من وجه آخر، وهو أنّ الحياة للمساءلة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حاله، وندم القوم على ما فاتهم في حياتهم المرّتين يدلّ على أنّه لم يرد حياة المسألة لكنّه أراد حياة الرجعة التي تكون لتكليفهم، الندم على تفريطهم، فلا يفعلون ذلك فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك^(٤). انتهى.

اشتداد التكليف في الرجعة:

أقول: لا يخفى دلالة الآية التي استدل بها على الرجعة حيث أشارت الروايات الواردة عنهم عليهم السلام إلى دلالتها أيضاً، أن التكليف والاختيار في الرجعة على نسق التكليف في الحياة الأولى من الدنيا، وأنهم ضيعوا الفرصة في الحياة الثانية من الدنيا

(١) سورة الكهف: الآية ٤٧.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٣.

(٣) سورة غافر: الآية ١١.

(٤) المسائل السروية: ٣٢-٣٥.

كما ضيعوها في ما قبلها، على حذو تضييعهم للفرصة في الحياة الأولى من الدنيا وأنهم أذنبوا في كلا الحياتين، ومقتضاه أن الحياة الثانية من الدنيا - وهي الرجعة - دار تكليف وامتحان وفرصة للتوبة والإصلاح وإن صعبت التوبة وثقلت بالنسبة إلى الحياة الأولى، وأن في الرجعة تكتسب الذنوب كما تكتسب الحسنات.

وقد روي عن أبي جعفر عليه السلام: «إن أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول: إن المدثر هو كائن عند الرجعة، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أحياة قبل القيامة ثم موت؟ فقال له عند ذلك: نعم والله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من الكفريات قبلها»^(١). وكون الكفرة في الرجعة أشد من الكفريات التي قبلها مؤداه أنها دار امتحان واختيار لاسيما أن الرواية في قوله تعالى: ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٢)، وهي كرة الرسول صلوات الله عليه وإنذاره فقد روى في مختصر البصائر بسنده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٣): «يعني بذلك محمداً صلوات الله عليه وقيامه في الرجعة، ينذر فيها»^(٤)، ومقتضى تقرر الإنذار في الرجعة ثبوت التكليف فيها، بل مفاد الرواية أن عمدة نذارة الرسول صلوات الله عليه الواردة في الآية إنما هي في الرجعة. فالنذارة الكبرى والتكليف الأشد إنما هما في الرجعة، وكأن ما تقدم من النذارة وبعثة الرسول صلوات الله عليه إنما هي تمهيد وإعداد للنذارة والدعوة الأصلية في الرجعة، فالتكليف يشتد في الرجعة، نظير ما ورد أن البالغ كلما كبر سنّه اشتدت محاسبته فعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إن العبد لفي فُسحة من أمره ما بينه وبين أربعين سنة، فإذا بلغ أربعين سنة أوحى الله عز وجل إلى ملكيه قد عمّرت عبدي هذا عمرأ، فغلظا وشدّدا وتحفظا واكتبا عليه قليل عمله وكثيره وصغيره وكبيره»^(٥).

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات: ح ٣٥/٨٩ ص ١٤٣.

(٢) سورة المدثر: الآية ٢.

(٣) سورة المدثر: الآية ٢.١.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات: ح ٣٤/٨٨ ص ١٤٤.

(٥) وسائل الشيعة: باب ٩٧ أبواب جهاد النفس ح ١.

والخلاصة: أن التكليف في الرجعة أشد منه في الحياة الأولى من الدنيا، وذلك لاكتساب الإنسان علماً بأحوال لم يكن مطلعاً عليها من قبل، كمروره بالموت والبرزخ ثم إحيائه مرة أخرى وخروجه من القبر، فمن ثم تشدد محاسبته على الأفعال، نظير قوله تعالى لحواري عيسى: ﴿قَالَ اللَّهُ إِنَّي مُنْزِلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ﴾^(١).

ومما يدل على التكليف في الرجعة قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٢). فإن مقتضى هذه الآية الاستخلاف في الرجعة كما بين في جملة من الروايات أنه مقتضى ظاهر الآية، ومقتضى هذا المفاد أن الاستخلاف في الرجعة امتداد للحياة الدنيا، بما لها من أحكام وأحوال والتي منها التكليف والاختيار.

والحاصل: أن مع الوجول والإيغال في الشر يصعب على الشخص الشرير اختيار الخير، وإن لم يكن مستحيلاً أو ممتنعاً، فإبليس كلما تمادى به الزمن منذ عصيانه وامتناعه عن السجود لآدم إلى يومنا هذا اشتد استكباره ولجأه وعناقه وإن لم يمتنع عليه اختيار الخير، ولكنه تزداد شدة الصعوبة أكثر فأكثر فيصير كأنه ممتنع وإن لم يكن كذلك حقيقة. وكذلك الحال في صورة الوجول والإيغال في الخير فإنه يصعب على الأبرار اختيار الشر كما في قصة يونس عليه السلام فإن إلقاءه في الحوت حث له على الاستقامة على القرب، ومن ذلك يفسر اشتراط التوبة بلوازم وشروط روحية ومنازل بقدر الإيغال في ميادين وبيئات ومستنقعات الشر والردى بقدر (فيذوق من مرارة التوبة بقدر حلاوة المعصية).

وفي كلام آخر للشيخ المفيد رحمته الله عن بعض الآيات التي استدل بها على عدم ارتفاع الاختيار لكن الإصلاح ذو صعوبة هائلة، قال:

(١) سورة المائدة: الآية ١١٥.

(٢) سورة النور: الآية ٥٥.

سأل بعض المعتزلة شيخاً من أصحابنا الإمامية - وأنا حاضر في مجلس فيهم جماعة كثيرة من أهل النظر والمتفقهة - فقال له: إذا كان من قولك أن الله عز وجل يردُّ الأموات إلى دار الدنيا قبل الآخرة عند القائم، ليشفي المؤمنين - كما زعمتم - من الكافرين، وينتقم لهم منهم كما فعل بني إسرائيل فيما ذكرتموه، حيث تتعلقون بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾^(١)، فخبّرني ما الذي يؤمنك أن يتوب يزيد وشمر وعبد الرحمن بن ملجم، ويرجعوا عن كفرهم وضلالهم ويصيروا في تلك الحال إلى طاعة الإمام، فيجب عليك ولايتهم، والقطع بالثواب لهم، وهذا نقض مذاهب الشيعة.

فقال الشيخ المسؤول: القول بالرجعة إنما قلته من طريق التوقيف، وليس للنظر فيه مجال، وأنا لا أجيب عن هذا السؤال لأنه لا نصّ عندي فيه، وليس يجوز لي أن أتكلّف من غير جهة النصّ الجواب، فشنع السائل وجماعة المعتزلة عليه بالعجز والانقطاع.

فقال الشيخ أيده الله: فأقول أنا: إنّ عن هذا السؤال جوابين:

أحدهما: أنّ العقل لا يمنع من وقوع الإيمان ممّن ذكره السائل، لأنه يكون إذ ذاك قادراً عليه و متمكناً منه، ولكن السمع الوارد عن أئمة الهدى عليهم السلام بالقطع عليهم بالخلود في النار، والتدين بلعنهم والبراءة منهم إلى آخر الزمان منع من الشك في حالهم، وأوجب القطع على سوء اختيارهم فجروا في هذا الباب مجرى فرعون وهامان وقارون، ومجرى من قطع الله عز وجل على خلوده في النار، ودلّ القطع على أنّهم لا يختارون أبداً الإيمان ممّن قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾^(٢)، يريد إلا أن يُلجأهم الله، والذين قال الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ

(١) سورة الإسراء: الآية ٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١١.

الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٢﴾، ثم قال عَزَّ وَجَلَّ قَائِلًا فِي تَفْصِيلِهِمْ وَهُوَ يُوْجِهُ الْقَوْلَ إِلَى إِبْلِيسَ: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعَنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾^(٣)، فقطع بالنار عليه وأمن من انتقله إلى ما يوجب له الثواب، وإذا كان الأمر على ما وصفناه، بطل ما توهمتموه على هذا الجواب^(٤). انتهى

أقول: ويدعم كلام الشيخ المفيد ما أشار إليه من قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ قطع من الله تعالى على إبليس بسوء عاقبه وذلك لسوء اختياره مع عدم ارتفاع القدرة عنه إلى يوم القيامة، فالقطع بسوء العاقبة لأصحاب الشر والعمل السيئ لا ينافي بقاء الاختيار، كما أن بقاء الاختيار لا ينافي العلم بسوء العاقبة بإخبار من الله تعالى ورسوله وأوصيائه عليهم السلام، لعلم الله بالغيب وعاقبة الأمور، وكذلك بقاء الاختيار لا ينافي لزوم البراءة من أصحاب الشر والسوء بعد إخبار الله تعالى بسوء عاقبتهم كما في قصة براءة إبراهيم من عمه آزر: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٥)، وكذلك الحال في جملة من المعاصي والموبقات التي أنبأنا القرآن الكريم بأنها موبقة لمرتكبها في النار وإن بقي الاختيار كقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا﴾^(٦)، فكيف بمن قتل ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله؟ بل كيف بمن قتل سبط رسول الله وبمن قتل بضعته عليهما السلام وبمن

(١) سورة الأنفال: الآيات ٢٢ - ٢٣.

(٢) سورة ص: الآية ٨٥.

(٣) سورة ص ٨٧.

(٤) سورة المسد: الآيات ١ - ٣.

(٥) الفصول المختارة: ١٥٣ - ١٥٥.

(٦) سورة البراءة: الآية ١١٤.

(٧) سورة النساء: الآية ٩٣.

قتل وصيه وابن عمه وأخيه ومن هو بمثابة نفسه بنص آية المباهلة؟ فهل يُرجى له حسن العاقبة وإن بقي اختياره؟ وهل يسوغ ترك البراءة منه وترك التبري لا سيما أن من أحب عمل قوم أشرك معهم؟

وقال المفيد في تنمة كلامه:

والجواب الآخر: أن الله سبحانه إذا ردّ الكافرين في الرجعة لينتقم منهم لم يقبل لهم توبة، وجروا في ذلك مجرى فرعون لما أدركه الغرق: ﴿قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾، قال الله سبحانه له: ﴿ءَالَا أَنْ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾^(١)، فردّ الله عليه إيمانه ولم ينفعه في تلك الحال ندمه وإقلاعه. وكأهل الآخرة الذين لا يقبل الله لهم توبة ولا ينفعهم ندم لأنهم كالمُلْجئين إذ ذاك إلى الفعل، ولأنّ الحكمة تمنع من قبول التوبة أبداً، ويوجب اختصاص بعض الأوقات بقبولها دون بعض.

وهذا هو الجواب الصحيح على مذهب أهل الإمامة، وقد جاءت به آثار متظافرة عن آل محمد ﷺ فروي عنهم في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنْتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(٢)، فقالوا: إنّ هذه الآية هو القائم عليه السلام فإذا ظهر لم يقبل توبة المخالف، وهذا يُسقط ما اعتمده السائل^(٣). انتهى

حقيقة عدم قبول التوبة:

كثُر وُرود هذا التعبير في لسان الآيات والروايات ومن ثم أستعمل أيضاً كثيراً في بحوث المتكلمين والفقهاء والمفسرين والمحدثين وهذا العنوان في بادئ النظر يفيد تنويع التوبة وتقسيمها إلى مقبولة وغير مقبولة ومقتضى ذلك أن التوبة غير المقبولة

(١) سورة يونس: الآيتان ٩٠ - ٩١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٣) الفصول المختارة: ١٥٥.

عبارة عن تقرر ووجود حقيقة التوبة وماهيتها غاية الأمر أنها غير واجدة للشرائط فلا تُقبل. لكن واقع الأمر ليس كذلك فإن عدم قبول التوبة من باب السالبة بانتفاء الموضوع لا القضية السالبة بانتفاء المحمول وبعبارة أخرى أن عدم قبول التوبة لعدم تحقق وعدم وقوع حقيقة التوبة لا أنَّ التوبة حقيقتها متحققة وحكمها عدم القبول لعدم الشرائط فلا بدَّ من بيان عدم تحقق وعدم وقوع حقيقة التوبة وذلك لان التوبة هي الأوبة والرجوع عما هو مقيم عليه من شرور وسيئات، وهذا المقام لا يحصل الإقلاع والانقطاع عنه بمجرد خطور ندم عابر بعد تكوّن ملكات نفسانية شريرة سيئة فإنها تدعوه بالراح لا ارتكاب الشر والسيئات والمعاصي والكبائر والطامات فلو قال بلسانه بالندم والتوبة والاستغفار كان كاذباً ولما كان صادقاً؛ لأنه لم يحصل منه الإقلاع عن السيئات والشرور حقيقة بل هو مقيم فيها آلف لها وآنس بها ومعانق لها وذو وداد بها لا مستوحش عنها ولا هارب منها فأين هو من حقيقة التوبة والرجوع وهو لم يتطهر بعدُ من أدران وأوساخ الأعمال السابقة بل مكبلاً بآثارها وتداعياتها، ﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين﴾ بل بدى لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا وانهم لكاذبون^(١)، فمنه يُعرف أن عدم قبول التوبة بمعنى عدم قبول ذاته لحقيقة التوبة فلا تقبل من طبيعة ذاته وقوع التوبة ولا تقبل من هوية ذاته التي انطبعت بالملكات الرديئة إمكانية وقابلية تحقق التوبة بالفعل .

وفي الحديث النبوي: «الخير عادة والشر لجاجة»^(٢)، ويشير ﷺ إلى تراكم الملكات النفسانية للخير وتراكم الملكات النفسانية للشر وهو تصوير للملكات المُلحّة غير المُلجّنة.

ثم إن التوبة كما تكون بالاختيار قد تكون بالعذاب والتوبة حينئذ تطهير قسري بدل الاختيار.

(١) سورة الانعام: الآيتان ٢٧-٢٨.

(٢) سنن ابن ماجه: ج ١ ص ٨٠ حديث ٢٢١.

وإن الشفاعة والتوبة والاختيار والشرائط النفسانية المعنوية للتوبة مرتبطة بحقيقة مراتب الاختيار بعد استحكام الملكات سواء الخيرة أو الرديئة وعلى ذلك يتضح أن انقطاع التوبة على درجات بمقتضى البيان العقلي من تراكم واشتداد الهيئات والصفات والملكات الجوهرية.

ونضيف جملة من المعطيات الأخرى في هذا المضمار:

١- ما ورد في مصادر عديدة أن الحجة لا تنقطع من الأرض إلا أربعين يوماً قبل القيامة وإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة وكل مرحلة من مراحل: ﴿الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ﴾^(١)، فالرجعة درجة يغلق الباب فيها أكثر فأكثر وتضييق فرص الاختيار شيئاً فشيئاً أي ذهبت قدراتهم النفسانية كما قيل: «ردّ المعتاد عن عاداته كالمعجز» كما هو الحال فيمن بلغ الأربعين ينغلق عليه باب من أبواب التوبة ودرجات من درجاتها.

وكما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾^(٢) كلما تتجلى آية من الآيات في الرجعة انغلق باب من أبواب التوبة والأوبة وإمكانية الرجوع والإقلاع عن الشر.

وعدم قبول التوبة ليس بمعنى سلب الاختيار أو عدم القبول مع وقوع التوبة بل معناه سالبة بانتفاء الموضوع أي لا تقع التوبة بواقعها وحقيقتها منهم لأن للتوبة شروطاً تكوينية مقومة لحقيقتها وإلا كانت صورية لسانية فالتوبة في نهاية الرجعة قولية وحالة عابرة لا تتوفر عند العاصي حقيقة وواقع التوبة.

وقد تقدم في رواية (كمال الدين) للصدوق، في الوجه الأول من وجوه سد باب التوبة «أنه لا ينقطع الحجة من الأرض إلا أربعين يوماً قبل يوم القيامة فإذا رفعت الحجة أغلق باب التوبة ولم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أن ترفع الحجة وأولئك

(١) سورة الزمر: الآية ١٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

شرار من خلق الله هم الذين يقوم عليهم القيامة» ورواها الكليني، وروى الشيخ وابن بابويه غيرها قريب من مضمونها بطرق كثيرة.

تعدد مواطن انقطاع ورفع التوبة:

وقد مر تعداد مواطن غلق التوبة أنها سبعة مواطن بحسب التبع في بيانات الكتاب والسنة ولعلها أكثر مع أن كل موطن هو ذو مراتب أيضاً كما مر، وعلى كل تقدير فالتعدد لمواطن ومراحل تضيق التوبة مما يدل على المعنى الذي قررناه كراراً وهو أن معناه اشتداد صعوبتها وشدة شرائطها بدرجة كأنها ممتنعة الوقوع لا عدم الإمكان ولا عدم الاختيار، بل يثقل إنجاز شرائطها وإلا لما تعدد غلق باب التوبة. ويمكن تفسير غلقها بمعنى آخر مقارب وهو امتناع وقوع التوبة والرجوع والتطهير بلا عقوبات ولا جراحات ولا أهوال أي أن التوبة التي تغلق ولا تقبل وتنتفي قابلية وقوعها هي نوع وقسم خاص من التوبة وهي التوبة المسقطة للعقوبة والعذاب دون بقية أقسام التوبة والتي هي بداية الإرغام والإلجاء على مسيرة العودة والإقلاع عن التوغل في الشر والعزوف عن التماذي في الجحود والإيقاف لاشتداد الملكات الشريرة من دون أن يعني ذلك قبول للتوبة من القسم الأول ومن دون أن يعني ذلك طهارة من الذنوب ولا نجاة من أصل العذاب وقد خلط ابن عربي في فصوصه بين هذين القسمين في حال فرعون^(١).

ومما يدل على ما قررناه من معنى غلق التوبة وتضاؤل فرص الاختيار عدة شواهد واردة:

١- خروج كثير من النار ونجاتهم منها بعد المكث فيها أحقاباً أو مُدداً مديدة بعد تطهيرهم وهو نحو توبة وأوبة لكن بالعقوبة كما يشير الإمام السجاد عليه السلام في دعائه إلى

(١) فصوص الحكم: ج ١ ص ٢١٢.

هذا القسم: «إلهي لا تؤدبني بعقوبتك»^(١).

٢- ما ورد من أن شاباً قبل دخوله النار يلتفت فيُسأل: مما التفاتك؟ فيجيب: إلهي قد حَسُنَ ظني بك فينجيه الله منها مع علمه تعالى بأنه إنما قال ذلك بلسانه.

٣- في روايات العامة متواترة أو مستفيضة: «ثلاث إذا خرجن لا ينفعُ نفسٌ إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طُلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض»، وهي مروية في أكثر مصادرهم^(٢).

فهناك تلازم بين رفع الحُجة وغلُق التوبة.

ومعنى بقاء الحجة يلزم إفاضة الكمال على النفوس ورفع الحجة يعني انسداد باب إفاضة الكمال.

وقد مرّت روايات انقطاع الحجة من الأرض قبل أربعين يوماً من القيامة.

فيظهر أنّ انقطاع التوبة بنحو تام شديد في آخر مرحلة من الرجعة التي فيها الحساب الأكبر لا في المراحل الأولى من الرجعة.

وعلى ضوء ما تقدم فانقطاع التوبة وإغلاقها على معانٍ ففي ظهوره - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بمعنى عدم إمهاله العصاة والمعاندين سنياً وقروناً كما أمهل وفعل أجداده وآبائه، وكذلك الحال في رجعة الأئمة بمعنى قلة فرصة الأوبة بأضيق مدة إلى أن تصل النوبة إلى الحساب الأكبر فتقطع تماماً وإن لم يرتفع الاختيار، وإنما يشتدّ ويصعب لمرارة وثقل الأوبة والاختيار، والقرينة على أن غلق التوبة على مراتب بالمعنى العقلي - والذي مرّ أنّه وصف حال الناس قبل أربعين يوماً من قيام الساعة الكبرى - أنّهم يكونون فيها هَرَجاً أي يفعلون كل سوء وكل القبائح بانفلاتٍ بلا رادع ولا مانع أصلاً، وهي أفعال تصدر منهم باختيار ولكن مع الغلبة الشديدة لملكات الشر عليهم بل إن القرآن يحدثنا عن أهل جهنم وهم فيها يشربون ويأكلون ويتخاصمون

(١) دعاء أبي حمزة الثمالي.

(٢) مسند أحمد: ج ٢ ص ٤٤٥، صحيح مسلم: ج ١ ص ٩٥، سنن الترمذي: ج ١ ص ٣٣٠ وغيرها.

ويفعلون عدة من الأفعال استعرضتها عدة سور من القرآن وينادون خازن النيران «يامالك» كما ينادون ويستغيثون بأهل الجنة وينطقون باختيارهم لكنهم مكبلون بجزاء وجراير أعمالهم السابقة لا يستطيعون الخلاص منها وإن تضاءلت فرص الاختيار لديهم فبقاء الاختيار شأن والقدرة على التخلص من الملكات الرديئة شأن آخر.

وروى الصدوق بطريقين من مشايخه القميين في كتاب (ثواب الأعمال) و (الأمالي) بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عن أبيه عن جده عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنه إذا كان يوم القيامة وسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، مكث عبد في النار سبعين خريفاً، والخريف سبعون سنة، ثم إنه يسأل عزَّ وجلَّ، ويناديه، فيقول: (يارب أسالك بحق محمد وأهل بيته لمَّا رحمتني)، قال: فيوحى الله جل جلاله إلى جبرائيل عليه السلام: أن اهبط إلى عبيدي فأخرجه، فيقول جبرئيل: يارب وكيف لي بالهبوط في النار؟ فيقول الله تبارك وتعالى: إنِّي قد أمرتها أن تكون عليك برداً وسلاماً، قال: فيقول: يارب فما علمي بموضعه؟ فيقول: إنه في جبٍّ من سجين. فيهبط جبرئيل إلى النار فيجده معقولاً على وجهه، فيخرجه فيقف بين يدي الله عزَّ وجلَّ. فيقول الله عزَّ وجلَّ: يا عبيدي كم لبثت تناشدني في النار؟ فيقول: يارب ما أحصيه، فيقول الله عزَّ وجلَّ: أما وعزتي وجلالي لولا من سألتني بحقهم عندي لأطلت هوانك في النار، ولكنه حتمٌ على نفسي أن لا يسألني عبد بحق محمد وأهل بيته إلا غفرت له ما كان بيني وبينه، وقد غفرت لك اليوم، ثم يؤمر إلى الجنة^(١).

السعي والاختيار في جهنم:

ونظير مفاد هذه كثير مستفيض متواتر دال على أنه لولا إلحاح ثلة ممن يعذب في النار بالدعاء وإصرارهم على الخضوع والتذلل مدة مديدة لما كُتبت لهم النجاة من

(١) ثواب الأعمال: ١٨٥، أمالي الصدوق: ٥٣٥ المجلس ٩٦ ح ٤، والخصال: ٦٤١، ب ٧٠ ح ٩. أمالي المفيد: ٢١٨، المجلس

٢٥ ح ٦، وذكر لها عدة طرق.

النار بعد مكثهم فيها آمداً مديداً.

ونظيره قوله ﷺ في دعاء كميل: «فبعزتك ياسيدي ومولاي أقسم صادقاً لئن تركتني ناطقاً لأضجنَّ إليك بين أهلها ضجيج الآملين، ولأصخرن إليك صراخ المستصرخين ولأبكينَّ عليك بكاء الفاقدين ولأنادينك أين كنت يا ولي المؤمنين ...»، مما يشير قوله ﷺ إلى المضمون المتقدم وأن السعي والاختيار حتى في جهنم لا ينقطع إلا أنه لا يُثمر في النجاة إلا بعد أحقابٍ من العذاب وكل حقب ثمانين عاماً، وليس من سني الأرض فكأنه يقرب من الخلود في العذاب وهو ما يشير إليه ﷺ: «فكيف احتمالي لبلاء الآخرة وجليل وقوع المكاره فيها وهو بلاءٌ تطول مدته ويدوم مقامه ولا يخفف عن أهله لأنه لا يكون إلا عن غضبك وانتقامك وسخطك وهذا ما لا تقوم له السماوات والأرض».

المزيد من تفاسير للرجعة خاطئة أو صحيحة:

تفسيرها بالبرزخ:

التفسير الأول: قال الفيض الكاشاني في كتابه (عين اليقين) عند كلامه عن النشأة المثالية: إن في الوجود عالماً مقدارياً غير العالم الحسي، لا تنهاى عجائبه، ولا تُحصى مدنه، من جملة تلك المدن: جابلقا، وجابرسا، وهما مدينتان عظيمتان، وكل ما فيها حي ناطق، وهي باقية لا تفنى، ولا تتبدل، وفيها مدائن لا تحصى، بعضها يسمى مدائن النور...

ثم ذكر روايات كثيرة عن أهل البيت ﷺ عن تلك المدائن، ثم قال من بعده: وأمثال هذه الروايات كثيرة جداً، وكلها إشارة إلى موجودات النشأة المثالية، فيما أحسب، ويشبه أن يكون ثنية المدينتين الشرقي والغربي المسمّاتين بجابرسا وجابلقا، إشارة إلى ما تقدّم من هذه النشأة على النشأة الدنيوية، وما يتأخر منها عليها.

ثم قال في ذيل قول الإمام الصادق ﷺ: «إن من وراء أرضكم هذه أرضاً بيضاء

ضوؤها منها»^(١)، وقول الإمام الباقر عليه السلام: «إن الله خلق جبلاً محيطاً بالدنيا من زبرجد أخضر وإن خضرة السماء من خضرة ذلك الجبل...»^(٢): وإنما وصف الأرض بالبيضاء حيث سمّاها أرضاً؛ فلأن نورها ذاتي، كما وصفها بقوله: «ضوؤها منها»، بخلاف هذه الأرض، ووصف الجبل بالخضرة حيث سمّاها جبلاً؛ لأن الخضرة برزخ بين البياض والسواد، كما أنها برزخ بين الأرواح النورية والأجساد الظلمانية.

والكلمات في وصف هذه النشأة أكثر من أن تُحصى، ولعل الرجعة التي تكون في زمن القائم عليه السلام - كما ورد من أهل البيت عليهم السلام في أخبار كثيرة - إنما تكون لأشخاص من هذا العالم في الحس الظاهر والعلم عند الله»^(٣). انتهى.

أقول: الظاهر أنّ ما احتمله عليه السلام خلطٌ بين الرجعة والنزول أي رجعة أهل البرزخ من القبور ونزول أهل البرزخ إلى الدنيا بتكثف سواء مع ترائيهم في الحس لأهل الدنيا أو بدون الترائي لهم، فإن الرجعة بعث من القبور من البدن المستقر طينته في القبر وهي شفاة غير مرئية في الحس الغريزي لكنها هي الطينة والبدن الأصلي الدنيوي.

وأما البدن الغليظ من اللحم والعظام فهو بمثابة القلب والغلاف الذي يغطي ذلك البدن أي أنّ البدن الأصلي اللطيف يلج في البدن الغليظ ويتصرف فيه، ويتضح ذلك بعد الالتفات إلى تفاوت الأجسام والمواد الدنيوية في الشفافية والغلظة درجات متفاوتة كبيرة جداً، حتى توهم جملة من العرفاء والصوفية في مكاشفاتهم أنها نشأة مثالية.

هذا بينما النزول هو تكثف للبدن المثالي وتمثل في نشأة الحس و كليهما غير حقيقة الظهور للإمام الغائب - عجل الله تعالى فرجه الشريف - فإن ظهوره بروز من الخفاء والسرية.

كما أنّ كلاً من الثلاثة غير التولد من الأرحام في بدء نشأة الدنيا، وكما أنّ الأربعة تغاير المسخ الذي هو تشكل جوهرى لبدن الإنسان الدنيوي بسبب شدة

(١) بصائر الدرجات: ص ٥١٠.

(٢) بصائر الدرجات: ص ٥١٢.

(٣) عين اليقين: ج ١، ص ٢٧٠ إلى ص ٢٧٧.

الملكات الجوهرية الظلمانية وتأثيرها في تغيير بدن الإنسان الدنيوي أو بدنه البرزخي أو بدنه الدنيوي في الرجعة أو بدنه في القيامة فالمسوخ له عدة مواطن كما دلت عليه الآيات والروايات، وكل من الخمسة يغير التناسخ الذي هو عود إلى الدنيا ببدن جديد من الأرحام والخمسة الأولى حق واقع، بينما السادس الأخير ممتنع باطل .

تفسير الرجعة بالتناسخ:

التفسير الثاني: إن بعض من تمادى في الانحراف من السبأية كانوا قد بدأوا القول بالغلو حتى قالوا: إن الأئمة آلهة وملائكة وأنبياء ورسول و تكلموا عن عالم الأظلة وهو حق و خلطوا بينه وبين التناسخ الباطل في الأرواح كما خلطوا بين الدور والكور التناسخي الباطل في هذه الدار الدنيا وبين كرات الرجعة التي هي حق وأبطلوا بهذا الخلط القيامة والبعث والحساب والجنة والنار وزعموا أن لا دار إلا الدنيا وأن القيامة إنما هي خروج الروح من بدن دنيوي ودخولها في بدن دنيوي آخر «إن خيراً فخير وإن شراً فشر»، مسرورون في هذه الأبدان أو معذبون فيها، ومن كان جزاؤه النعيم فالأبدان الدنيوية الحسنة الجميلة الكريمة هي الجنات، ومن كان جزائه العذاب فالأبدان الدنيوية الشقية القبيحة السيئة المشوهة هي النيران، فيُنقلون إما إلى الأجسام الإنسية المُنعمّة في حياتهم أو ينقلون إلى الأجسام الرديئة المشوهة من كلاب وقرودة وخنازير وحيات وعقارب وخنافس وجُعّلان وغير ذلك من الدواب والأنعام على قدر أعمالهم، محوّلون من بدن إلى بدن، معذبون فيها وهي جهنمهم ونارهم وذلك على قدر ما يكون منهم من عظيم الذنوب وكبائرهما في إنكارهم لأئمتهم ومعصيتهم لهم، وإنما تسقط الأبدان وتخرّب، إذ هي مساكنهم فتتلاشى الأبدان وتفنى وترجع الروح في قالب آخر منعم أو معذب.

وهذا معنى وتفسير الرجعة عندهم وعند كثير من الفرق الباطنية المنحرفة الذين خلطوا بين عالم الأظلة الحق والتناسخ الباطل، وأيضاً خلطوا بين التناسخ الباطل وعالم الرجعة الحق و خلطوا أيضاً بين أبدان النشآت السابقة على الدنيا وأبدان الدنيا، وكذلك

خلطوا بين أبدان الدنيا الأولى وأبدان البرزخ كما خلطوا بين أبدان الرجعة - وهي آخرة الدنيا - وأبدان الدنيا الأولى فإن أبدان الدنيا الأولى هي من الأصلاب والأرحام وأبدان الرجعة آخرة الدنيا هي أبدان من طينة القبور، وكذلك خلطوا بين أبدان الدنيا الأولى وأبدان القيامة وأبدان الآخرة الأبدية وذلك لعدم معرفتهم وإيمانهم باختلاف النشآت والعوالم .

وإنما الأبدان عندهم قوالب ومساكن بمنزلة الثياب التي يلبسها الناس فتبلى وتتمزق وتطرح ويُلْبَس غيرها وبمنزلة البيوت يعمرها الناس فإذا تركوها وعمرها غيرها خربت والثواب والعقاب على الأرواح دون الأبدان وتأولوا في ذلك قول الله: ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(١) وقوله: ﴿مَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلَكُمْ﴾^(٢). وقوله: ﴿وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾^(٣) فتأولوه بأن جميع الطير والدواب والسباع كانوا أمماً أناساً خلت فيهم نذر من الله واتخذ عليهم بهم الحجة، من كان منهم صالحاً مقراً بما يدعو من مذهبهم جعل الله روحه بعد وفاته وخراب قلبه وهدم مسكنه في بدن صالح، فأكرمه ونعمه ومن كان منهم كافراً عاصياً نُقلت روحه إلى بدن خبيث مشوّه يعذب فيه في الدنيا وأهانته وجعله في أقبح صورة ورزقه أنتن رزق وأقذره.

وتأولوا في ذلك قول الله: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ^(٤) فكذب الله هؤلاء وردّ عليهم قولهم لمعصيتهم إياه، فقال: ﴿كَلَّا بَلْ لَّا تُكْرُمُونَ الْيَتِيمَ﴾^(٥) وهو النبي ﷺ ﴿وَلَا

(١) سورة الانفطار: الآية ٨

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٣) سورة فاطر: الآية ٢٤.

(٤) سورة الفجر: الآية ١٥.

(٥) سورة الفجر: الآية ١٧.

تَحَاضُّونَ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ^(١)، وهو الإمام الوصي ﴿وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا﴾^(٢) أي لا تخرجون حق الإمام مما رزقكم وأجرى لكم.

الرجعة إحياء الإمام عليه السلام للموتى بإذن الله:

التفسير الثالث: وقد ذهب إلى كون الرجعة معجزة يجريها الله عز وجل على يد أئمة أهل البيت عليهم السلام جملة عديدة من علماء الإمامية، منهم: الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ من الهجعة) كبرهان على إمامتهم كما جعل إحياء الموتى آية معجزة على نبوة عيسى عليه السلام وبعض الأنبياء السابقين وسيأتي التعرض لكلمات علماء الإمامية حول الرجعة في فصل مستقل إن شاء الله.

قال الحر العاملي في معرض الاستدلال على صحة الرجعة في الباب الثاني من كتابه:

«العاشر: إن الإمام يجب أن يكون مستجاب الدعوة فإذا دعى الله بإحياء الموتى وقع ذلك بإذن الله تعالى.

والمقدمة الأولى ثابتة بالنصوص الكثيرة في محلها والثانية بديهية فهذا دليل على الإمكان واضح قريب إذ لا دليل على استحالة دعاء الإمام بذلك وعدم قيام دليل الاستحالة كاف.

الحادي عشر: إن الله ما أعطى أحداً من الأنبياء فضيلة ولا علماً إلا وقد أعطى نبينا صلوات الله عليه وآله مثله بل أعظم منه ومعلوم بأن كثيراً من الأنبياء السابقين أحياهم الله له الموتى ولا ريب أن الإمام عليه السلام يرث علم الرسول صلوات الله عليه وآله وفضله، والمقدمات كلها ثابتة بالأحاديث الآتية وغيرها بل وقد وقع إحياء الله تعالى الموتى لغير المعصومين عليهم السلام من أهل العلم والعبادة - كما يأتي إن شاء الله تعالى - فيثبت مثله هنا بطريق الأولوية.

الثاني عشر: إن الإمام عليه السلام عالم بالاسم الأعظم الذي إذا دعى الله به لإحياء الموتى

(١) سورة الفجر: الآية ١٨.

(٢) الآية الفجر: الآية ١٩.

لأحيائهم.

والتقريب ما تقدم فهذا مما يدل على الإمكان بل الوقوع وهذه الأدلة وإن كان فيها بعض التداخل وأن بعضها يدل على الإمكان وبعضها على الوقوع ويمكن الزيادة فيها^(١) أنتهى كلامه.

وهذا التعريف لحقيقة الرجعة عند من ذهب إليه من أصحابنا هو السبب في ذهاب العامة إلى أن القول بالرجعة أفضع وأنكر أنواع الرفض وأشد من القول بالنص على الإمامة وأن القول بالرجعة سبأية.

وممن ذهب إلى التفسير الثالث: الحكيم ملا صدرا، قال في تفسير سورة يس ذيل الآية / ٣١: قد صح عندنا بالروايات المتظافرة عن أئمتنا وساداتنا من أهل بيت النبوة والعلم حقية مذهب الرجعة ووقوعها عند ظهور قائم آل محمد - عجل الله تعالى فرجه الشريف - والعقل أيضاً لا يمنعه لوقوع مثله كثيراً من إحياء الموتى بإذن الله بيد أنبيائه كموسى وعيسى وشمعون وغيرهما (على نبينا وآله وعليهم السلام).

استمرار الفتنة والامتحان في الرجعة والعوالم الأخرى، وموقعية الأدوار

في الرجعة وليدة الأعمال في الحياة الدنيا الأولى

هناك جملة من الدلالات في الآيات والروايات دالة على أن موقعية ودور كل إنسان في الرجعة متأثر ومسبب عن نتائج أعماله في الحياة الأولى من الدنيا وهو يعكس الترابط في درجات الاختيار بين الحياة الأولى من الدنيا وحياة الرجعة التي هي الحياة الآخرة من الدنيا، كما هو الحال في سنين عمر الإنسان في هذه الحياة الأولى، حيث إن أفعاله في العقد الأول من عمره لها نسبة تأثير على وضعيته واختياراته في العقد الثاني ثم هذا العقد له نسبة تأثير في العقد الثالث وهكذا متعاقباً متلاحقاً وإن لم يكن التأثير بنحو الحسم البات النافي للاختيار في اللاحق.

(١) الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملي/ ذيل الباب الثاني.

ومن أمثلة تلك الروايات الدالة على استمرار الامتحان:

١- أن ممن يستثنى من الرجعة والامتحان فيها كل من عذب بعذاب الدنيا كما فيما روى القمي في تفسيره: صحيح حماد عن أبي عبد الله في قوله: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١) فقال الصادق عليه السلام: «كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة»^(٢). فيدل على أن من اصطلمه العذاب الإلهي يفقد قابلية التكامل وأن ما أتى به في دار الدنيا الأولى ناسف للقابلية الذاتية له.

٢- دلالة سورة الدخان على بقاء مرتبة من الامتحان والاختيار إلى أواخر الرجعة وقد بين دلالة ظاهر آيات السورة ما رواه القمي في قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ﴾^(٣) أي اصبر، ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، قال: ذلك إذا خرجوا في الرجعة من القبر، ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ كلهم الظلمة فيقولون: هذا عذابٌ أليمٌ ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ فقال الله تعالى رداً عليهم: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ في ذلك اليوم ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ أي رسول قد بين لهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مَجْنُونٌ﴾ قال: قالوا ذلك لما نزل الوحي على رسول الله ﷺ وأخذه الغشى، فقالوا: هو مجنون، ثم قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ يعني إلى القيامة، ولو كان قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ في القيامة لم يقل: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ؟﴾ لأنه ليس بعد الآخرة والقيامة حالة يعودون إليها، ثم قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يعني في القيامة ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾^(٤).

والرواية دالة على مرتبة من الامتحان والاحتجاج والاختيار في آخر الرجعات من الرجعة فضلاً عن بداياتها وأواسطها.

٣. روى الكشي بسنده المعتبر عن علي بن المغيرة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كأنني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء وذؤابتها بين كتفيه مصعداً في لحف

(١) سورة الانبياء: الآية ٩٥.

(٢) مختصر بصائر / ح ١١٦ / ١٦ نقلًا عن تفسير القمي في ذيل اية النمل .

(٣) سورة الدخان: الآية ١٠، ١٦.

(٤) تفسير علي بن ابراهيم القمي / ذيل سورة الدخان / ونقله عنه مختصر الدرجات / ح ٣٠ / ١٣٠.

الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف مَكْرُورُون ومَكْرُورُون»^(١).

وروى - الكشي - بسند معتبر آخر عن أبي خديجة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إني سألت الله في إسماعيل أن يُبقِيه بعدي فأبى، ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أخرى، إنه يكون أول منشور في عشرة من أصحابه ومنهم عبد الله بن شريك وهو صاحب لوائه»^(٢).

ويفيد هذان الحديثان تبعية الدور والموقعية التي يُعطاهما الشخص في الرجعة بتبع أعماله التي أتى بها في الحياة الأولى، كما يُبين ذلك في شأن خاص لإسماعيل وصاحبه عبد الله بن شريك، وقد ورد نظير ذلك في أصحاب الكهف حيث شرفوا بالرجعة بين يدي القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بسبب استقامتهم، وغير ذلك من الموارد. كما أن الحديثين يشيران إلى أنّ لعبد الله بن شريك رجعتين.

٤- روي في مختصر بصائر الدرجات في حديث طويل يسأل فيه خالد بن يحيى الإمام الصادق عليه السلام عن قول النبي ﷺ: (اتقوا دعوة سعد)، فقال عليه السلام: نعم، قلت: وكيف ذاك؟ قال: «إنّ سعداً يكر فيقاتل علياً عليه السلام»^(٣).

ويشير إلى أن عداء سعد بن أبي وقاص لعلي بن أبي طالب عليه السلام لارتباطه في إمامته في الدار الأولى للدنيا، يدفعه في الرجعة وهي الدار الآخرة من الدنيا إلى المزيد من الانحراف عن علي عليه السلام إلى حدّ محاربته ودعوته الناس إلى حربته التي هي بمثابة حرب الله تعالى ورسوله. كما يفيد الحديث توصيات النبي ﷺ وإنذاره الناس حول أحداث الرجعة نظير توصياته وإنذاره الناس حول أحداث الرجعة والظهور

٥- ما ورد في تفسير العياشي عن علي بن الحلبي عن أبي بصير عن أحدهما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٤) فقال:

(١) إختيار معرفة الرجال: ٤٨١: ٢/ ح ٣٩٠.

(٢) إختيار معرفة الرجال: ٤٨١: ٢/ ح ٣٩١.

(٣) تفسير القمي: مجلد الأول: ص ٢٩٠ ونقله عنه مختصر بصائر الدرجات / ح ٦١٠٠.

(٤) تفسير العياشي في ذيل آية النساء / ٧٢.

«الرجعة» أي أن من كان أعمى البصيرة في الحياة الأولى من الدينا فهو أشد عمياً في البصيرة في آخرة الدنيا وهي الرجعة.

٦. مارواه في مختصر بصائر الدرجات من مصحح أبي بصير قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت: إنا نتحدث أن عمر بن ذر لا يموت حتى يقاتل قائم آل محمد عليه السلام فقال: إن مثل ابن ذر مثل رجل في بني إسرائيل يقال له عبد ربه وكان يدعو أصحابه إلى ضلالة فمات فكانوا يلوذون بقبره ويتحدثون عنده إذا خرج عليهم من قبره! ينفض التراب من رأسه ويقول لهم كيت وكيت^(١).

وقال الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة عمر بن ذر: إنه (رأس في الإرجاء) أي من رؤوس المرجئة أي من الدعاة لترويجها لصالح الحكم الأموي كي لا يثور المسلمون عليهم وبأن تسلطهم على رقاب المسلمين قضاء وقدر من الله ليس لأحد أن يعترض وبأن خليفة الجور والفسوق مهما فعل فأمره يُرجأ إلى الله. وقال أيضاً في وصفه: (وكان واعظاً بليغاً) أي من الدعاة الكبار لمذهب بني أمية وهو الإرجاء^(٢).

وقريب منه ما ذكره ابن حجر عنه^(٣).

فهو إذاً من رؤوس المرجئة وأنه بعض ممن يرجع في الرجعة من أهل الضلال فيزداد في الفتنة والافتتان والإضلال.

وفي تهذيب التهذيب: (من خطباء بني أمية)^(٤).

فبعض من يرجع يكون سبباً في الإضلال أكثر مما كان في حياته ويقول عن الموت السابق للرجعة إنه منام وخيال وليس برزخاً وعذاباً ولقاء الله تعالى.

٧. إنَّ هناك تناسباً بين ما يقوم به كل إنسان من نمط شر ونوع فعل أو نمط ونوع

(١) مختصر بصائر الدرجات : حديث ١٤/٦٨، باب الكرات.

(٢) ميزان الاعتدال: ج ٣ ص ١٩٣.

(٣) تقريب التهذيب: ج ١ ص ١١٦.

(٤) تهذيب التهذيب: ج ٧ ص ٣٩٠ و ٧٣٢.

الخير مع ما يقوم به في مستقبل أيامه في الرجعة فقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «من أراد أن يقاتل شيعة الدجال فليقاتل الباكي على دم عثمان والباكي على أهل النهروان إن من لقي الله عزَّ وجلَّ مؤمناً بأن عثمان قُتل مظلوماً لقي الله عزَّ وجلَّ ساخطاً عليه ويدرك الدجال»، فقال رجل: يا أمير المؤمنين فإن مات قبل ذلك؟ قال عليه السلام: «يُبْعَث من قبره حتى يؤمن به وإن رغم أنفه»^(١). ومفاده ظاهر بيّن في أن تبعات تحيط بالإنسان العاصي في الرجعة بسبب أعماله في الحياة الأولى من الدنيا.

وقد جعل مقتل عثمان عند الأمويين والمروانيين حيلة وفتنة يضللون بها العباد مع أن عثمان نهجه نهج الأثرة والاستثثار والاستحواذ على أموال بيت المال وهو إنما صابر حرصاً على الملك وكرسي السلطة والقدرة نظير الملوك والسلاطين والحكام في زماننا الذين يستमितون للبقاء على القدرة وهو الذي سلط بني أمية على رقاب المسلمين يتخذون عباد الله خولاً ومال الله دولاً فلولا شهادة سيد الشهداء لما أطفأت فتنة عثمان ومقايضة بني أمية لمقتل عثمان بمقتل الحسين عليه السلام هو من باب الدجل الأعمى فإن سيد الشهداء عليه السلام صابر واستشهد صبراً ثابتاً على القيم والفضيلة والعزة والإباء أمام طغيان يزيد وفسقه وفجوره.

خروج الناس في الرجعة من التراب لا من الأرحام؛

من الخصائص التكوينية للرجعة أن الناس يخرجون من القبور لا من أرحام الأمهات فبذلك تفرق الرجعة - التي هي بعث أصغر وقيامة وسطى - عن مقالة التناسخ وعن عقيدة أهل التناسخ الذي يقولون بعود الإنسان إلى الأصلاب والأرحام وتولده منها حدثاً صغيراً ينمو مرة أخرى بخلاف الخروج من القبر فهو يعود كيوم مات ودفن.

(١) مختصر بصائر الدرجات : حديث ١٠/٦٤.

امتحان المستضعفين في الرجعة في مقطع أخير من آخرة الدنيا:

فقد روى في الكافي صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألته: هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأطفال؟ فقال: «قد سئل فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين، ثم قال: يا زرارة هل تدري قوله: (الله أعلم بما كانوا عاملين)؟ قلت: لا، قال: الله فيهم المشيئة إنه إذا كان يوم القيامة جمع الله عزَّ وجلَّ الأطفال والذي مات من الناس في الفترة، والشيخ الكبير الذي أدرك النبي صلى الله عليه وآله وهو لا يعقل والأصم والأبكم الذي لا يعقل والمجنون والأبله الذي لا يعقل، وكل واحد منهم يحتج على الله عزَّ وجلَّ فيبعث الله إليهم ملكاً من الملائكة فيؤجج لهم ناراً ثم يبعث الله إليهم ملكاً فيقول لهم: إن ربكم يأمركم أن تشبوا فيها فمن دخلها كان عليه برداً وسلاماً وأدخل الجنة ومن تخلف عنها دخل النار»^(١).

وسياتي أن المراد من القيامة ليس القيامة الكبرى وإنما القيامة الوسطى وبعث الرجعة الواقع في أواخرها. كما سياتي أن أواخر الرجعة متداخل مع القيامة الكبرى بنمط ونحو ما.

وقوع المسخ في الرجعة

ذكر الشيخ المفيد في (المسائل التلعكبرية) احتجاج الحميري مع سوار القاضي عند المنصور العباسي في أن بعض من يرجع يُمسخ في الرجعة وهو حديث طويل موضع الشاهد فيه: (وقد قال رسول الله ﷺ: «يُحشر المتكبرون في صورة الذر يوم القيامة»، وقال ﷺ: «لم يجر في بني إسرائيل شيء إلا ويكون في أمتي مثله حتى الخسف والمسخ والقذف»، وقال حذيفة: والله ما أبعد أن يمسخ الله عز وجل كثيراً من هذه الأمة قردة وخنزير فالرجعة التي نذهب إليها ما نطق به القرآن وجاءت به السنة وإنني لأعتقد أن الله تعالى يردّ هذا - يعني سواراً - إلى الدنيا كلباً أو قرداً أو خنزيراً أو ذرة، فإنه والله متجبر متكبر كافر قال: فضحك المنصور...^(١).

واستشهاد المفيد بكلام الحميري وما رواه مقتضاه تقرير إطلاق يوم القيامة على الرجعة وهي قيامة وسطى لا خصوص القيامة الكبرى وأن ما ورد في لسان الروايات في يوم القيامة قد يراد منه القيامة الوسطى وآخرة الدنيا لا القيامة الكبرى كما في كلام الحميري أن الرجعة حشر أصغر.

الرجعة تكامل نوعي خطير:

الرجعة ذات صلة بقواعد أحكام الطبيعة:

١. ظاهر جملة من دلالات الآيات والروايات أنّ هناك جملة من التغيرات تحصل

(١) الفصول المختارة/ الشريف المرتضى: ٩٢.

في الطبيعة العامة للحياة الأرضية فيزيائياً وحيوياً وغيرها للأبدان وكذا فسيولوجياً وأن عملية العود والرجوع من القبر تتم بتنشيط البدن فيعود تعلق الروح بالبدن.

٢- وقد روى في الخرائج والجرائح عن الحسين عليه السلام في رواية يصف فيها رجعته عليه السلام قوله: «ثم لأقتلن كل دابة حرم الله لحمها، حتى لا يكون على وجه الأرض إلا الطيب ... ولا يبقى على وجه الأرض أعمى ولا مقعد ولا مبتلى إلا كشف الله عنه بلاءه بنا أهل البيت ولتنزلن البركة من السماء إلى الأرض، حتى أن الشجرة لتقصف بما يزيد الله بها من الثمرة، ولتأكلن ثمرة الشتاء في الصيف وثمره الصيف في الشتاء، وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(١).

ولا يخفى أن في الحديث الشريف إشارة إلى الارتباط بين إزالة الحرام والمحرمات من الأكل عن وجه الأرض مع نزول وفتح بركات السماء والأرض وتولد الطيبات وأن أبواب بركات السماء والأرض غير مفتوحة في هذه الحياة الأولى من الدنيا.

وروى في كتاب الخرائج والجرائح أيضاً: «ولتنزلن البركة من السماء إلى الأرض حتى أن الشجرة لتقصف بما يزيد الله فيها من الثمرة، وليأكلن ثمرة الشتاء في الصيف وثمره الصيف في الشتاء وذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»^(٢)...^(٣) والحديث طويل في أحوال الرجعة، وهو يفيد مدى التغير في تطور الأحكام التكوينية في الرجعة.

٣- إن ظاهرة تخيير المؤمن في الخروج من القبر إلى الرجعة بخلاف بعث ونشر القيامة له دلالات على اختلاف الأطوار بين الرجعة وما يأتي من الأحوال والعوالم التي

(١) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٨٤٩.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(٣) الخرائج والجرائح: ج ١ ص ٨٥٠.

تستقبل الإنسان فقد روى الشيخ الطوسي في (الغيبة) بسنده عن المفضل بن عمر قال: ذكرنا القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال لنا أبو عبد الله عليه السلام: «إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا إنه قد ظهر صاحبك فإن تشأ أن تلحق به فالحق، وإن تشأ أن تقيم في كرامة ربك فأقم»^(١).

فإن التخيير في الإحياء والنشر والبعث نظير تخيير المؤمن في الموت كما وردت بذلك الروايات بخلاف الحال في القيامة الكبرى.

٤- في الرواية عن المفضل: قوله للإمام الصادق عليه السلام: وتظهر الملائكة والجن للناس عند الظهور؟ فقال عليه السلام: «إي والله ويخاطبونهم كما يكون الرجل مع حاشيته وأهله» قلت: يا سيدي ويسرون معه؟ قال: «إي والله يا مفضل...»^(٢).

وروى في مختصر بصائر الدرجات عن المفضل بن عمر في حديث طويل عن الظهور: «وتظهر الملائكة والجن، وتخالط الناس، ويسرون معه»^(٣).

٥- وفي حديث آخر: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن قائمنا إذا قام مد الله عزَّ وجلَّ بشيئنا في أسماعهم وأبصارهم حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو في مكانه»^(٤)، حيث دلَّ على أن إيمان المؤمنين من شيعة أهل البيت عليهم السلام يقتضي في الرجعة آثاراً للكمال تتميز عن باقي البشر من غير المؤمنين، كما هو الحال في تميز الأبدال عن غيرهم.

وروى في الخرائج عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام: «قال الحسين عليه السلام ... إلى أن يقول: ثم إن الله ليهب شيئنا كرامة لا يخفى عليهم شيء في الأرض وما كان فيها حتى أن الرجل منهم يعلم علم أهل بيته فيخبرهم بعلم ما يعملون»^(٥).

(١) غيبة الشيخ الطوسي: باب علائم ظهور الحجة ص ٤٥٨.

(٢) رواه في البحار في باب عقده في حقيقة الجن، الحديث ٢٩، عن مستخب بصائر الدرجات بإسناده عن المفضل بن عمر في خبر طويل في الرجعة وأحوال القائم، والظاهر أن الرواية واحدة ولكن في المختصر اختلاف يسير.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ج ٥ ص ٥١٦ و ٥٢٩.

(٤) الكافي ٢٤٠/٨.

(٥) الخرائج والجرنج مجلد ٢ / ٨٥٠.

وهذه الرواية تبين زيادة قدرات الشيعة المؤمنين على درجة قدرات الأبدال وكرامتهم، وكذلك في تنمة رواية الخرائج والجرائح: «ولا يبقى رجل من شيعتنا إلا وأنزل الله ملكاً يمسح عن وجهه التراب، ويعرفه أزواجه ومنزله في الجنة».

وروى الطبري في (دلائل الإمامة) بسنده عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام استنزل المؤمن الطير من الهواء فيذبحه فيشويه ويأكل لحمه ولا يكسر عظمه ثم يقول له: إحي باذن الله فيحيا ويطير، وكذلك الأطباء من الصحاري ويكون ضوء البلاد نوره، ولا يحتاجون إلى الشمس ولا قمر، ولا يكون على وجه الأرض مؤذي ولا شر ولا إثم ولا فساد أصلاً، لأن الدعوة سماوية، ليست بأرضية، ولا يكون للشيطان فيها وسوسة ولا عمل ولا حسد ولا شيء من الفساد، ولا تشوك الأرض والشجر، وتبقى زروع الأرض قائمة، كلما أخذ منها شيء نبتت من وقته وعاد كحاله، وإن الرجل ليكسو ابنه الثوب فيطول معه كلما طال ويتلون عليه أي لون أحب وشاء ولو أن الرجل الكافر دخل جحر ضب أو توارى خلف مدرة أو حجر أو شجر لانتطق الله ذلك الستر الذي يتوارى فيه، حتى يقول: يا مؤمن، خلفي كافر فإخذه ويقتله ولا يكون لإبليس هيكل يسكن فيه - والهيكل: البدن - ويصافح المؤمنون الملائكة ويوحى إليهم، ويحيون الموتى بإذن الله»^(١).

ثم إن أحد معاني الخلوص هو إنكار الذات والتنكر لها وهو تخلص من سجن الذات وأنانيته وتقديم ما يريده الباري تعالى ورسوله ﷺ والأئمة عليهم السلام أي تقديم إرادتهم على إرادة الإنسان لنفسه ويجعل منطلق حركته في أفعاله هو الهدف الإلهي، وفي الإخلاص خلاص وخلوص الذات، والرجعة برمجة لسير تكاملي يمرّ بمراتب ومراحل مترتبة ركنٌ بعد ركنٍ كي يتم الخلوص.

نزول وتنزل للروح إلى جنب الجسد في القبر قبيل الإحياء في الرجعة؛

روى الكليني بسند صحيح عن يزيد الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن فتية من أولاد ملوك بني إسرائيل كانوا متعبدين - وكانت العبادة في أولاد ملوك بني إسرائيل - وأنهم خرجوا يسرون في البلاد ليعتبروا فمروا بقبر على ظهر الطريق قد سقى عليه السافي ليس يبين منه إلا رسمه فقالوا: لو دعونا الله الساعة فينشر لنا صاحب هذا القبر فساءلناه: كيف وجد طعم الموت؟ فدعوا الله وكان دعاؤهم الذي دعوا الله به: أنت إلهنا يا ربنا ليس لنا إله غيرك والبديع الدائم غير الغافل لك في كل يوم شأن، تعلم كل شيء بغير تعليم انشر لنا هذا الميت بقدرتك قال: فخرج من ذلك القبر رجل أبيض الرأس واللحية ينفذ راسه من التراب شاخصاً بصره إلى السماء فقال لهم: ما يوقفكم على قبري؟ فقالوا: دعوناك لنسألك كيف وجدت طعم الموت فقال لهم: لقد سكنت في قبري تسعة وتسعين سنة ما ذهب عني ألم الموت وكربه ولا خرج طعم مرارة الموت من حلقي. فقالوا له: متّ يوم متّ وأنت على ما نرى أبيض الرأس واللحية؟ قال: لا ولكن لما سمعت الصيحة: أخرج اجتمعت تربة عظامي إلى روحي فنفسست فيه فخرجت شاخصاً بصري مهطعاً إلى صوت الداعي فابيض لذلك راسي ولحيتي...»^(١).

وظاهر هذه الرواية أن الصيحة توجب قوة للروح جاذبة لتربة العظام والبدن واجتماعها فالإحياء للبدن يتم من طريق الروح بقوة الصيحة وهذا كما هو مقرر الآن عصرياً في العلوم الروحية الحديثة أن الجانب غير المرئي من ذات الإنسان وهو الروح أو البدن غير المحسوس المسمى مادته بالأوكتوبلازما والمسمى قديماً في مكاشفات العرفاء والفلاسفة بالبدن البخاري وذلك لأنّ لونه كمادة بيضاء كالسحاب وهذا ما كشفته الصور الحديثة للأشعة فوق البنفسجية وتحت الحمراء أن هذا هو الذي يتكون في الإنسان أولاً في النشأة الأولى في رحم الأم وهو سبب لاجتماع الحويمن والبويضة

وتكوّن النطفة والعلقة ثم المضغة والعظام للإنسان وعلى أي حال فمفاد هذا الحديث يقرب من مفاد قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾^(١)، وقوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾^(٣)، ولعل هذه الزجرة الثانية معاكسة للإماتة.

والحاصل أن مفاد الحديث وأمثاله مما ورد في هذا الشأن يبين كيفية بعث الروح في تراب وطينة الجسد مما لم يصل إليه عقلية البحث الكلامي والفلسفي وأن البعث في الرجعة زجرٌ وصيحة وهول فتشط الروح فتفت في البدن وتجذب تراهبه.

الرجعة فتح الفتوح؛

الرجعة مشروع بناء عقيدة وتأسيس معرفة متعالية أولاً:

ثم هي مشروع سياسي وبناء دولة ثانياً:

إنّ هناك كثيراً من الشواهد والدلائل الدالة على أن الرجعة والعود إلى الحياة الدنيا لاسيما بالنسبة لأئمة أهل البيت عليهم السلام ليس لمجرد مشروع إقامة الدولة السياسية وبسط العدل السياسي والقسط في الحقوق، بل إن هناك مشروعاً أكبر وأعظم وأهم من ذلك، وهو مشروع الدعوة الجديدة إلى بناء في العقيدة أعظم، فإن هذا الدين له طبقات وطيّات، ومن ثم وصفه النبي بأنه متين، وهو دين الإسلام والوغل والولوج فيه برفق، وكما أن الإسلام درجات والإيمان أيضاً درجات، فبلوغ البشر وتكاملهم يتطلب تخطي مراحل وأطوار، وقد ورد عنهم عليهم السلام، أن هناك مرتبة ظاهر الإسلام ثم مرتبة الإيمان ثم مرتبة التقوى ثم مرتبة اليقين، وإن كانت هذه الأقسام الأربعة بلحاظ آخر هي درجات الإسلام ودرجات الإيمان وأنها مراتب في الدين، كما ورد أن الإيمان على عشر درجات، وورد أن من عند أهل البيت النبي صلى الله عليه وآله وعترته عليهم السلام، ظهرت دعوة الإسلام،

(١) سورة النازعات: الآية ١٣.

(٢) سورة النازعات: الآية ١٤.

(٣) سورة الصافات: الآية ١٩.

كما أن منهم ظهرت دعوة الإيمان، وكلا الدعوتين ذات مراتب من الدين الواحد، فالبشرية على موعد وترقب أن تظهر من أهل البيت عليه السلام دعوة جديدة هي من مراتب دين الإسلام لم تظهر من قبل، وهذه الدعوة والدعوات الجديدة لا تتناقض بحال مع ما تقدم منهم من دعوة ظاهر الإسلام ودعوة الإيمان بل تتوالم وتتلائم بأشد ما يمكن إلى غور حقائق هي جذور لما تقدم من الدعوتين، فإن هذا الدين متين وعلى درجات ولا زالت الدعوة إلى الدين الحنيف في بداياتها حسب دلالة الآيات ببيان الروايات وهناك جملة من الشواهد على ذلك:

١- أن النذارة الكبرى يقوم بها النبي صلى الله عليه وآله في الرجعة، وأن ما قد قام به من نذارة وبشارة فهي نذارة صغرى ابتدائية، وقد ورد في ذلك روايات متعددة عنهم عليهم السلام في ذيل الآية ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، فقد روى في منتخب بصائر الدرجات بسنده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في حديث عن الرجعة: «وقوله ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾، يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وآله قيامه في الرجعة ينذر فيها، وقوله ﴿إِنَّهَا لَأِخْدَى الْكُبَرِ ﴿٢﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للبشر في الرجعة، وقوله ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال يظهره الله عَزَّ وَجَلَّ في الرجعة»^(١).

وروى بنفس الإسناد عن أبي جعفر عليه السلام «أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن المدثر هو كائن عند الرجعة»^(٢).

وغيرها من الروايات التي ستأتي في الباب الرابع.

وكذلك ورد في أن عمدة الدور الذي أسنده الله تعالى إلى أمير المؤمنين عليه السلام لم يُنجز بعد، وأنه سينجزه في الرجعة، حيث ورد عنهم عليهم السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾^(٣)، أي لم يقض أمير المؤمنين عليه السلام ما أمره وسيرجع حتى يقضى ما أمره،

(١) مختصر بصائر الدرجات/باب الكرات ح ١/٥٥، وحديث ٣٤/٨٨ وحديث ٣٧/١٣٧.

(٢) نفس المصدر ٣٥/٨٩.

(٣) سورة عبس: الآية ٢٣.

وقوله: «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ» قال: يمكث بعد قتله في الرجعة فيقضي ما أمره^(١)، ورواه ابن مهيار بسند صحيح عن أبي أسامة عن أبي جعفر عليه السلام^(٢).

٢- ما ورد في الزيارة الجامعة، من قوله عليه السلام: «مؤمن بإيابكم مصدق برجعتكم منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم»، فهو إشارة إلى أصل الإياب ثم حياة الرجعة ثم انتظار (أمرهم) الذي سيقع في الرجعة، وهو إشارة إلى الدعوة إلى معرفة وعقيدة وفكر وظهور دعوة خفية باطنة لهم، كما يشير إليه لفظ الأمر، حيث إنه إشارة إلى قناة الاتصال الملكوتية بينهم وبين الغيب، فالأمر يشير إلى السفارة الخفية بينهم وبين الخالق، فهم سفراء الله في خلقه، يبلغون عن الله دعوته، كما ورد في الزيارة الجامعة نفسها، «والمظهرين لأمر الله»، وورد فيها أيضاً: «حتى أعلنتم دعوته»، ثم في المرتبة الرابعة بناء الدولة والتدبير السياسي العملي، فهناك إيمان وتصديق وانتظار وارتقاب، والإيمان بأصل الإعادة لتعلقه بفعل وقدرة الله تعالى والتصديق لتعلقه بصفة في الحجج، إذ التصديق والتكذيب إنما يتعلق بالحجج، والانتظار يرتبط بالتطلع إلى مجيء دعوة ورؤية معرفية بلحاظ ظهورها وبروزها، ومن ثم حقيقة الرجعة أنه يقع فيها مشروع معرفة قبل أن تكون مشروع دولة وسياسة، فأولاً: هي عقيدة وهي مشيئة الله تعالى وقدرته، وثانياً: هي تصديق أيضاً بأحوال حجج الله وخلفائه في أرضه وثالثاً الأخذ بمعارفهم ودعوتهم وأقوالهم وهو مشروع معرفة أيضاً ورابعاً: الارتقاء العملي كبرنامج عملي لظهور دولتهم.

٣- ما رواه الحافظ رجب البرسي في كتابه (مشارق أنوار اليقين) في (الخطبة الافتخارية) عن الأصبغ بن نباتة عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث، قال: «ومن أنكر أن لي في الأرض كرة بعد كرة ودعوة بعد دعوة وعودة بعد رجعة، حديثاً كما كنت قديماً، فقد ردّ علينا ومن ردّ علينا فقد ردّ على الله»^(٣).

(١) مختصر بصائر الدرجات / ح ٣٨/١٣٨ وأيضاً / ح ٣٩/ ١٣٩.

(٢) تأويل الآيات / ٧٦٤: ٢/ ح ٢.

(٣) مشارق أنوار اليقين / (خطبة الافتخار): ٢٦٠؛ ورواه في الإيقاظ عنه بزيادة في المتن وهي التي أثبتناها أعلاه.

وهذه الرواية صريحة في وجود دعوات عديدة منه ﷺ والمراد من التثنية الكثرة فوراء دعوة ظاهر الإسلام ودعوة الإيمان دعوات عديدة لأعماق دين الإسلام.

٤- وروى في مختصر بصائر الدرجات عن كتاب خطب مولانا أمير المؤمنين ﷺ عليه خط السيد رضي الدين بن طاووس، وذكر فيه خطبة له ﷺ تسمى (بالمخزون)، وفيها: «إنَّ لكل شيء إنى (الف مقصور) يبلغه، لا يُعَجِّلُ الله بشيء حتى يبلغ إناءه ومنتهاه، فاستبشروا ببشرى ما بشرتم به، واعترفوا بقربان ما قرب لكم، وتنجزوا من الله ما وعدكم، إن منا دعوة خالصة، يُظهر الله بها حجته البالغة، ويتم بها النعمة السابغة، ويعطي بها الكرامة الفاضلة، من استمسك بها أخذ بحكمة منها، آتاكم الله رحمته، ومن رحمته نور القلوب، ووضع عنكم أوزار الذنوب، وعجل شفاء صدوركم وصلاح أموركم وسلاماً منا لكم دائماً عليكم تسلمون به في دول الأيام وقرار الأرحام أين كنتم، وسلامه لسلامه عليكم في ظاهره وباطنه»^(١).

وفي هذه الخطبة يشير ﷺ إلى معالم الدعوة الجديدة لهم ﷺ. منها: أنه وصفها بالخالصة أي لا يشوبها تقية وخفاء بل يتمحض الحق بالجلاء.

ومنها: اشتداد الحجية فتكون بالغة.

ومنها: أن تلك الدعوة ستكون سبباً لإنزال النعمة الوافرة وأفضل درجات الكرامة.

ومنها: أنها برنامج لصيرورة الإنسان المؤمن ذو حكمة متصرف في مقامات ومنازل تكوينية من الأبدال.

ومنها: تنوير القلوب بازدياد.

وغيرها مما مر في كلامه ﷺ.

٥- ما رواه صاحب مختصر بصائر الدرجات في كتابه المحتضر عن كتاب

(القائم) للفضل بن شاذن: عن الحسن بن عبد الله، عن أبي عبد الله ﷺ أن أمير المؤمنين ﷺ قال على منبر الكوفة: «... وأنا الفاروق الأكبر والقرن من حديد وباب

(١) مختصر بصائر الدرجات: ح ١٤/٥٢٥.

الإيمان وصاحب الميسم وصاحب السنين وأنا صاحب النشر الأول والنشر الآخر وصاحب القضاء وصاحب الكرات ودولة الدول وأنا الإمام لمن بعدي والمؤدي عمن قبلي لا يتقدمني إلا أحمد فإن جميع الملائكة والرسل والروح خلفنا ... وأنا الشاهد عليهم وعلى يدي يتم موعد الله وتكمل كلمته وبني يكمل الدين وأنا النعمة التي أنعمها الله على خلقه وأنا الإسلام الذي أرتضاه لنفسه، كل ذلك من من الله تعالى»^(١).

فبين عليه أن على يديه في الرجعة تكمل كلمة الله وبه يكمل الدين في الرجعة.

٦- ما رواه في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «كأنني بالقائم على منبر الكوفة عليه قباء، فيخرج من وريان قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، فيفكه فيقرأه على الناس، فيجفلون عنه إجمال الغنم، فلم يبق إلا النقباء، فيتكلم بكلام، فلا يلحقون ملجأً حتى يرجعوا إليه، وإنني لأعرف الكلام الذي يتكلم به»^(٢).

ومثله ما رواه في إكمال الدين بسنده عن المفضل بن عمر قال: قال الصادق عليه السلام: «كأنني أنظر إلى القائم عليه السلام على منبر الكوفة وحوله أصحابه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً، عدة أهل بدر، وهم أصحاب الألوية، وهم حكام الله في أرضه على خلقه، حتى يستخرج من قبائه كتاباً مختوماً بخاتم من ذهب، عهدٌ معهود من رسول الله صلى الله عليه وآله، فيجفلون عنه إجمال الغنم البكم، فلا يبقى منهم إلا الوزير وأحد عشر نقيباً، كما بقوا مع موسى بن عمران عليه السلام، فيجولون في الأرض فلا يجدون عنه مذهباً، فيرجعون إليه، والله إنني لأعرف الكلام الذي يقوله لهم فيكفرون به»^(٣).

والروايتان ظاهرتان بوضوح في أن ما يدعوهم الحجة عليه السلام إليه من العهد المعهود من رسول الله صلى الله عليه وآله في ذلك الكتاب، لم يُسمع به قط، وهو من الصعوبة والثقل بمكان، بحيث لا يتحملة زبدة الناس وهم الثلاثمائة وثلاثة عشر، وهم أصحاب كرامات ومقامات وتطوى لهم الأرض كما في الروايات، وبعضهم يمشي على الماء، وبعضهم

(١) المحتضر للحسن بن سليمان الحلبي : ح/ ١٧٠.

(٢) الكافي / م / ٨ / ص ١٦٧ ح ١٨٥.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة: ٦٧٣.

يمشي على السحاب، كما وردت بذلك الروايات، فجملتهم من الأبدال أو الأوتاد أو السَّيَّاح، ورغم ذلك يثقل عليهم ويصعب استيعاب هذه الدعوة الجديدة، ومن شدة ثقل هذه الدعوة يجفلون ويفرون في نفس المجلس، هذا مع ما شاهدوه من قبل من معاجز المهدي عليه السلام والآيات الكثيرة التي ظهرت على يديه عليه السلام، وهذا كله شواهد على مدى غرابة وصعوبة ما يدعوهم إليه من مراحل أعماق دين الإسلام، وراء دعوة ظاهر الإسلام ودعوة الإيمان، فضلاً عن سائر عموم الناس.

بل إنَّ في مرحلة من المراحل هناك موقف يقوم به المهدي عليه السلام في المدينة المنورة يفرَّ عنه حتى النقباء الاثنا عشر، فقد روى الفضل بن شاذان بإسناده إلى إسحاق بن عمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا قدم القائم عليه السلام وثب أن يكسر الحائط الذي على القبر، فيبعث الله تعالى ريحاً شديدة وصواعق ورعوداً، حتَّى يقول الناس: إنما ذا لذا، فيتفرق أصحابه عنه حتى لا يبقى معه أحد، فيأخذ المعول بيده، فيكون أول من يضرب بالمعول ثم يرجع إليه أصحابه إذا رأوه يضرب المعول بيده، فيكون ذلك اليوم فضل بعضهم على بعض، بقدر سبقهم إليه، فيهدمون الحائط ثم يُخرجهما غضين رطبين، فيلعنهما ويتبرا منهما ويصلبهما ثم ينزلهما ويحرقهما ثم يذريهما في الريح»^(١).

٧- إظهارهم عليه السلام في الرجعة الأسرار التي لا تتحمل في الحياة الأولى من الدنيا، فقد روى الكشي في رجاله وابن بابويه في (الإمامة والتبصرة) والكليني في (الكافي) والصدوق في (إكمال الدين) والنعماني في (الغيبة) بأسانيدهم عن المفضل بن عمر الجعفي، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن تفسير جابر، فقال: «لا تحدّث به السفلة فيذيعونه، أما تقرأ في كتاب الله عزَّ وجلَّ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾^(٢)؟ إنَّ منّا إماماً مستتراً، فإذا أراد الله إظهار أمره نكت في قلبه نكتةً، فظهر فقام (وأمر) بأمر الله عزَّ وجلَّ»^(٣).

(١) بحار الانوار مجلد ٣٨٦: ٥٢٠ ح ٢٠١.

(٢) سورة المدثر: الآية ٨

(٣) اختيار معرفة الرجال، ح ٣٣٨، الإمامة والتبصرة لعلي بن بابويه ح ١٢١، الكافي مجلد ١/ ص ٣٤٣، إكمال الدين للصدوق ص ٣٤٩ ب ٣٣ ح ٤٢، الغيبة للنعماني ص ١٩٣.

وهذه الرواية الشريفة تشير إلى أن من المهام الأولى لدولتهم عليه السلام التي تبدأ بظهور صاحب، هو مهمة ووظيفة الدعوة إلى مراحل أعلى من الإيمان، وإلى درجات أعماق الدين الحنيف، مما لم تحتمله البشرية والمسلمون من قبل. نعم، قد وصل إلى تلك الأعماق وبواطن الدين بعض الخواص من حوارى أهل البيت عليه السلام.

٨ ما رواه النعماني عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يقوم القائم عليه السلام فيوتر من السنين ... فوالله لكأنني أنظر إليه بين الركن والمقام يبايع الناس بأمر جديد وكتاب جديد وسلطان جديد»^(١).

٩- وروى الصفار في بصائر الدرجات، صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «حدث عن بني إسرائيل - يا زرارة - ولا حرج»، قلت: إن في أحاديث الشيعة ما هو أعجب من أحاديثهم، فقال: «وأي شيء هو يا زرارة؟» فاختلس في قلبي فمكثت ساعة لا أذكر ما أريد، فقال عليه السلام: «لعلك تريد الرجعة؟» قلت: نعم، قال: حدث (صدق) بها فإنها حق»^(٢).

وفي نسخة بصائر الدرجات المطبوعة والبحار: (لعلك تريد التقية)، ولكن نسخة الحر العاملي في «الايقاظ» لفظ الرجعة ولفظ التقية أيضاً ما في خرائج الراوندي و (مدينة المعاجز) للسيد هاشم البحراني وبحار المجلسي إلا أن الحديث مروي بألفاظ أخرى أيضاً مؤداها كما ذكر المجلسي أنه سيقع في هذه الأمة ما وقع في بني إسرائيل. وهذا المعنى يتناسب ويتلائم مع عنوان ومعنى الرجعة لا لفظ التقية كما أن وصف (إنها حق) يناسب معنى الرجعة لا التقية إذ هي ليست ثقافة منتشرة في كل الدوائر من كل جيل وإن كان أصلها متناقل في كل جيل لكن بدائرة أضيق وإلا فالتقية عنوان مشهور لدى أمثال زرارة ويشهد لكون تعجب زرارة من عنوان الرجعة: ما في رواية أخرى تقدمت دالة على حرصه على السؤال عنها، وسيأتي الإشارة إليه مرة

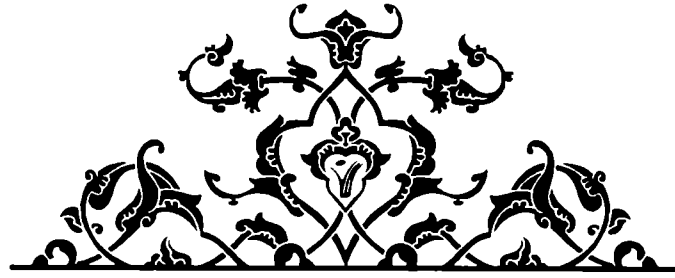
(١) الغيبة للنعماني / ب ١٤ ح ٢٢ ص ٢٧٠ وكذلك ح ٢٤.

(٢) بصائر الدرجات / ب ١٠ ح ١٩ ص ٢٦٠.

أخرى وهي تدلُّ على صعوبة هضم مطالب الرجعة حتى على كبار أصحاب الأئمة عليهم السلام، مثل زرارة، فضلاً عن كبار علماء الإمامية في الغيبة، ورغم ذلك فإن الإمام عليه السلام يأمر مثل زرارة بترويج ثقافة عقيدة الرجعة، لأنها من المعتقدات الحقة التي يجب أن يتربى عليها مجتمع المؤمنين والمسلمين.

النظام القرآني الراسم للرجعة:

هناك طوائف من الآيات ومجاميع من السور تتعرض لبيان وتفسير فصول أحداث ومراحل الرجعة مع غفلة جملة غالب المفسرين عن حقائق معانيها وحسابانهم أنها في المعاد الأكبر وتبويب تلك الآيات والسور يبنى نظاماً ومنظومة هائلة للرجعة وسيأتي البحث في تفاصيل ذلك في الباب الثاني إن شاء الله تعالى.



الفصل الثالث

غايات وفلسفات الرجعة

ونمط تفسير آخر



❖ القدرة الإلهية في الرجعة.

❖ إنجاز الوعد وإقامته وإظهاره في الرجعة.

قد ذكرت الآيات والروايات عدّة غايات وحكم للرجعة:

الغاية الأولى: معرفة الرجعة فريضة كبرى على جميع الأمة كمعرفة المعاد الأكبر.

وهذا مفاد جملة من الآيات والأحاديث، ومنها:

ما روي في كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش وقد قرأ جميعه على علي بن الحسين عليه السلام بحضور جماعة من أعيان الصحابة منهم أبو الطفيل عامر بن واثلة، فأقرّه عليه مولانا زين العابدين عليه السلام وقال: «هذه أحاديثنا صحيحة»^(١).

قال أبان: ثم لقيت أبا الطفيل بعد ذلك في منزله فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر، وعن سلمان وأبي ذر والمقداد وأبي بن كعب، وقال أبو الطفيل: فعرضت ذلك الذي سمعته منهم على علي بن أبي طالب عليه السلام بالكوفة فقال لي: هذا علم خاص لا يسع الأمة جهله وردّ علمه إلى الله تعالى، ثم صدّقني بكل ما حدثوني فيها، وقرأ عليّ بذلك قرآناً كثيراً وفسّره تفسيراً شافياً حتى صرت ما أنا بيوم القيامة بأشدّ يقيناً منّي بالرجعة، وكان مما قلت له: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض رسول الله صلى الله عليه وآله أفي الدنيا هو أم في الآخرة، فقال: بل في الدنيا قلت: فمن الذائد عنه؟ قال: أنا بيدي هذه

(١) أنظر: مختصر بصائر الدرجات: ص ٤٠.

فليردنه أوليائي وليصرفن عنه أعدائي، قلت: يا أمير المؤمنين قول الله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ ...﴾، ما الدابة؟ قال: يا أبا الطفيل اله عن هذا، فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك قال: هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء. فقلت يا أمير المؤمنين: من هو؟ قال: زر الأرض الذي إليه تسكن الأرض، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: صديق الأمة وفاروقها ورئيسها وذو قرنيها، قلت: يا أمير المؤمنين: من هو؟ قال: الذي قال الله عزَّ وجلَّ ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ و ﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾، ﴿وَالَّذِي جَاء بِالصِّدْقِ﴾، والذي ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أنا، والناس كلهم كافرون غيري وغير محمد ﷺ. قلت: يا أمير المؤمنين سمّه لي: قال: قد سمّيته لك.

يا أبا الطفيل والله لو دخلت على عامة شيعتي الذين بهم أقاتل، الذين أقروا بطاعتي وسموني أمير المؤمنين واستحلوا جهاد من خالفني فحدثتهم شهراً ببعض ما أعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرئيل على محمد ﷺ وبيعض ما سمعت من رسول الله ﷺ لتفرقوا عني حتى أبقى في عصابة حق قليلة، أنت وأشباهك من شيعتي. ففرعتُ وقلت: يا أمير المؤمنين، أنا وأشباهي نتفرق عنك أو نشب معك؟ قال: لا بل تثبتون. ثم أقبل عليّ فقال: إنّ أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه ولا يقرب به إلا ثلاث: ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان. يا أبا الطفيل إن رسول الله ﷺ قبض فارتد الناس ضلّالاً وجُهالاً (بعده كفّاراً) إلا من عصمه الله بنا أهل البيت^(١).

ومفاد هذا الحديث أنّ علم الرجعة ومعرفتها مقتصر حالياً على الخواص والحال المفروض أنه لا يعذر عموم الأمة جهل الرجعة وأن فريضة كفريضة الاعتقاد بيوم القيامة وذلك لبيانته ﷺ لأبي الطفيل أن دلائل القرآن والوحي على الرجعة على حدو دلائله على يوم القيامة.

(١) كتاب سليم بن قيس / ص ١٢٩، ١٣١.

ولو يُرَوِّج بين الناس التنبيه على دلائل الرجعة وضرورتها لقلَّ حرص الناس على لذائد الدنيا، حيث سيكون لديهم فرصة أخرى ومجال آخر في حياة آخرة الدنيا قبل يوم القيامة، وفي الروايات أنَّ الأئمة عليهم السلام يخففون الألم عن شيعتهم بانتظار دولة الحق في الرجعة، فتزيدهم الرجعة من الصبر والإيمان.

الغاية الثانية: القدرة الإلهية في الرجعة.

الإيمان والمعرفة بالقدرة الإلهية:

قد ورد مستفيضاً في روايات الرجعة المتواترة أنَّ الرجعة مظهر القدرة الإلهية، وأن منشأ إنكار الرجعة لدى المنكرين الجاحدين هو إنكارهم وعدم إيمانهم بقدرة الله، وهو مفاد قوله تعالى في الاستبعاد وهو استنكار خفيف: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِثَّةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

وروى في مختصر بصائر الدرجات في باب الكرات في موثقة حنان بن سدير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة؟ فقال: «القدرية تنكرها» ثلاثاً^(٢).

والظاهر أنَّ المراد بالقدرية ليس القائلين بالجبر في فعل العباد، بل الجبر في فعل الإله، كمقولة اليهود: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا^(٣)»، فينكرون قدرته تعالى ومشيتته بدعوى أنَّ القلم جف بما كان ويكون.

الرجعة والقدرة والمشيئة الإلهية:

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات ب / الكرات ١٣/٦٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٤.

قد بيّنتُ جملة من الروايات أن جملة من أهل الخلاف المنكرين للرجعة إنما أنكروها بسبب يضاھي المنكرين للمعاد، أي أنه راجع إلى سبب واحد عند كلا الصنفين وهو راجع إلى إنكار القدرة الإلهية، وأطلق عليهم في الروايات: القدرية، أي إنكارهم ذلك في القدرة الإلهية.

ومن تلك الروايات:

١- عن عبد الرحمن القصير، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ﴾ ^(١)، فقال: «هل تدري من يعني؟»، قلت: يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون، فقال: لا، ولكن من قتل من المؤمنين رُدَّ حتى يموت، ومن مات رُدَّ حتى يُقتل، وتلك القدرة فلا تنكرها» ^(٢).

٢- ما نقل في مصباح المتعجب: في زيارة النبي صلّى الله عليه وآله والأئمة من بعده، وفيها: «إني من القائلين بفضلكم، مقرّ برجعتكم، لا أنكر الله قدرة، ولا أزعم إلا ما شاء الله» ^(٣).

٣- وروي في كتاب (المزار) للمشهدي في أحد زيارات أمير المؤمنين التي أبّنه بها الخضر بعد استشهاده: «... فقلبي لكم مُسلم وأمرني لكم متّبع ونُصرتي لكم مُعدّة، حتى يُحيي الله بكم دينه ويردكم. فمعكم معكم لا مع غيركم إني من المؤمنين برجعتكم لا مُنكر لله قدرة، ولا مُكذب منه مشية» ^(٤).

٤- وفي مصباح الزائر لابن طاووس قال: روي عن الإمام الصادق جعفر بن مُحمّد عليه السلام أنه قال: «من أراد أن يزور قبر رسول الله صلّى الله عليه وآله والمعصومين (صلوات الله عليهم) من بعيد ... وساق الزيارة إلى قوله: «إني من القائلين بفضلكم، مقرّ برجعتكم، لا أنكر الله قدرة، ولا أزعم إلا ما شاء الله» ^(٥).

(١) سورة التوبة: الآية ١٢.

(٢) مختصر بصائر الدرجات / ب / الكرات / ح ٢١/٧٥.

(٣) مصباح المتعجب / ٢٨٩ / ح ١١/٣٩٩.

(٤) المزار للمشهدي / ب / ١٣ / ح ٦.

(٥) بحار الانوار . ج ٩٧ ص ١٨٩ / ح ١٢.

٥- ما روي في كامل الزيارات عن سعدان بن مسلم قائد أبي بصير، قال: حدثني بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام ... إلى قوله: «ونصرتي لكم معدة، حتى يحكم الله، وهو خير الحاكمين لدينه، ويبعثكم فمعكم معكم لا مع عدوكم، إني من المؤمنين برجعتكم، لا أنكر الله قدرة، ولا أكذب له مشية، ولا أزعم أن ما شاء لا يكون»^(١).

٦- ما رواه في كامل الزيارات أيضاً من معتبرة أبي حمزة الثمالي، عن الصادق عليه السلام في زيارة للحسين عليه السلام: «... ونصرتي لكم معدة، حتى يحييكم الله لدينه (حتى يحكم الله بدينه) ويبعثكم، وأشهد (الله) أنكم الحجة، وبكم تُرجى الرحمة، فمعكم معكم لا مع عدوكم، إني بإيابكم (بكم) من المؤمنين، لا أنكر الله قدرة، ولا أكذب منه بمشية ...، ثم قال: اللهم صلّ على أمير المؤمنين عبدك وأخي رسولك... (إلى أن قال:) اللهم أتمم به كلماتك، وأنجز به وعدك، وأهلك به عدوك، واكتبنا في أوليائه وأحبائه، اللهم اجعلنا له شيعة وأنصاراً وأعواناً على طاعتك وطاعة رسولك، وما وكلته به واستخلفته عليه، يا رب العالمين»^(٢).

وهذه الروايات تبين أن الرجعة مرتبطة بالمشيئة والقدرة الإلهية كما تبين أن الإنكار يسند إلى القدرة في مقابل الإقرار بها والتكذيب يُسند إلى المشيئة في مقابل التصديق بها والإيمان بالرجعة هو بالإقرار والتصديق بهما لا بالإنكار والتكذيب.

ووجه إسناد الإقرار إلى القدرة هو كون القدرة أمراً موجوداً وعيناً مقررة بينما المشيئة على وزان العلم حكاية ومرآة عما سيكون فيتعلق بها التصديق أو التكذيب نظير ما في قوله تعالى: ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۖ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۖ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٣).

(١) كامل الزيارات. ب ٧٩/ح ١٧/٦٣٣.

(٢) كامل الزيارات / ب ٧٩/ح ٢٣/٦٣٩ وبحار الأنوار / ١١٦/٩٨.

(٣) سورة يس: الآيات ٧٨ - ٨٠.

الغاية الثالثة: تحقيق وقوع غاية الخلقة من دار الدنيا.

وقد استفاد الشاه آبادي والطباطبائي والرفيعي من الآيات والروايات أن غائية دار الدنيا لابد أن تتحقق، وإنما يتم ذلك في الرجعة، وأقاموا على ذلك البرهان المشار إليه في كثير من ظواهر الآيات والروايات في الرجعة أن أكمل دولة سيشهدها البشر على الإطلاق هي دولة الرسول ﷺ في الرجعة، وأن دولة الأئمة عليهم السلام ممهدة له وإن كان أكثر من يدير دولاً في الرجعات هو أمير المؤمنين عليه السلام وأن أكبر دولة بعد دولة الرسول ﷺ هي دولة أمير المؤمنين قبل دولة الرسول ﷺ، ودولة ظهور الإمام المهدي عليه السلام بداية ذلك الإعداد. وأن الانتظار والترقب الأكبر هو لدولة الرجعة وعلى رأسها دولة الرسول ﷺ، وأن انتظار دولة المهدي عليه السلام هي بادرة ذلك وليس الغاية النهائية.

هذا على صعيد النظام الاجتماعي والمجموع البشري وكذلك الحال على الصعيد الفردي، فإن تفتق فعلية كمالات الإنسان المودعة في قابليته لم تنجز بعد في الحياة الأولى من الدنيا وإنما تتحقق في آخرة الدنيا في ظل دول العدل الإلهي، حيث تتفجر كنوز خزائن الطبيعة وتبلغ أوجها، ﴿ويرسل السماء عليكم مدراراً﴾.

وقد خرج إلى أبي القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام أن مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان فصمه مندوباً وادع فيه بهذا الدعاء... وساق الدعاء إلى قوله: «وسيد الأسرة، الممدود بالنصرة يوم الكرة، المعوض من قتله أن الأئمة من نسله، والشفاء في تربته، والفوز معه في أوبته، والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته، حتى يدركوا الأوتار، ويثأروا الثار، ويرضوا الجبار، ويكونوا خير أنصار... إلى قوله: فنحن عائدون بقبره نشهد تربته، وننتظر أوبته آمين رب العالمين»^(١).

(١) المزار للمشهدي: الباب السادس عشر، في أعمال شهر شعبان، ص ٣٩٨. إقبال الأعمال: الفصل السادس عشر: أعمال

ويظهر من الآيات والروايات أن الحياة النموذجية المثالية على وجه الأرض التي تتصف بالهداية التامة، والعمران الكامل والنعيم بحسب قابلية الأرض وارتفاع الاختلاف والجهل والتخلف ونمو العلم وتفشي العدل تنسيقاً للقلوب والنفوس فضلاً عن أن نظام الدولة العظمى إنما يتم في دولة الرجعة، فعلى ذلك ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَظاً عَلَيْهِ حَقّاً وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ^(١)، معناه أن رفع الاختلاف والجهل إنما هو غاية كمالية في دار الدنيا، فهي من ضوابط وأحكام الرجعة.

ومن تلك الآيات المباركة التي ذكر فيها رفع الاختلاف، قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾^(٣).

ولا يخفى أن المرجع إليه تعالى من مادة الرجعة والرجوع وأن فيها حكم الله الرافع للاختلاف.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ آبِغِي رَبّاً وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ

(١) سورة النحل: الآيتان ٣٨ - ٣٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٥٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٨.

تَخْتَلِفُونَ^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخْلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبُلُوكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيَبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^(٢)﴾. وقد مرّ - وسيأتي - أن عنوان القيامة كما يُطلق على القيامة الكبرى فإنه يطلق على الرجعة وهي القيامة الوسطى.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^(٣)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَبُوءًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّى جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ^(٤)﴾.

وقد ورد عنهم عليه السلام أن يوم القيامة الكبرى - أو بالأحرى البعث الأكبر للجنة الأبدية والنار الأبدية - لا حساب فيه، بل أواخر القيامة هو مجرد جزاء فريق إلى الجنة وفريق إلى النار وإنما عمدة الحساب في الرجعة، وقد عقدنا لذلك مقالاً مستقلاً.

الغاية الرابعة: معرفة الرجعة وعلو الهمة.

ومن فلسفات معرفة الرجعة وغاياتها: علو همة الإنسان عن الاكتراث بأحوال الموت وأهوال القبر والبرزخ، فضلاً عن ابتلاءات ومحن أحوال الحياة الأولى من الدنيا، وذلك لأن معرفة الرجعة تعطيه نظرة لهذه المراحل، نظرة عبور لا نظرة قرار، ونظرة ممر ومرور لا نهاية ولا مقرّ نهائية، فيعلو تطلعه وطموحه عنها، ويتجرد ويخلص للغاية الكبرى عن التهاوي والانكباب إلى الدنيا السفلى ولواحقها من الموت والقبر،

(١) سورة الانعام: الآية ١٦٤.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ١١٣.

(٤) سورة يونس: الآية ٩٣.

فالعلم بالرجعة بلوغ كامل في المعرفة والإيمان، ووقاية عن التشاغل بالأدنى، ولا يستثيره ولا يهوله ولا يحبس بصيرته هذه المراحل والعوالم النازلة.

الغاية الخامسة: الثبات بمعرفة الرجعة على الإيمان عند البعث الأول.

وإنّ من أمهات فلسفات وغايات معرفة الرجعة، هو الثبات على الإيمان عند البعث والإحياء للرجعة، وذلك لأن الذين يرجعون من غير سابقة معرفة بالرجعة والإيمان بها من القرآن ومن قول حجج الله تعالى من الأئمة المعصومين، يظنون ويتوهمون أن نشرهم مرة أخرى دوران في الدورة الطبيعية، تنبتهم وتحييهم، وإنّ ما بلّغت به رسل الله وأنذروا به من جنة ونار وحساب ليس له صحة وكان زيفاً - والعياذ بالله - فتكون الرجعة لهم فتنة جديدة، فيزدادون تكذيباً للأنبياء، ومن ثم ورد أن كفر من كفّرات الرجعة أشدّ كفراً من الكفر في الحياة الأولى من الدنيا، فيقولون: ها نحن قد رجعنا إلى الدنيا، وليس من آخرة ولا شيء من المعاد، فيزدادون تكذيباً للمعاد، فهامهم قد رجعوا إلى الدنيا ولم يروا ما أنذروا فيزدادون غيّاً وإنكاراً وكفراً.

ومن ثم ورد أن الكفرة في الرجعة أعظم من الكفّرات السابقة وقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام: «إنّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) كان يقول: إن المدثر هو كائن عند الرجعة، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أحياة قبل القيامة ثم موت؟ فقال له عند ذلك: نعم والله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من كفّرات قبلها»^(١).

وهذا بخلاف المؤمنين حيث علموا من حجج الله تعالى - وهم أئمة أهل البيت عليهم السلام - أن الرجعة بإحياء وقدرة منه تعالى، فيستبصروا ويستيقنوا بصدق مقالتهم وحق ما أخبروا به فيزدادون هداية، نظير ما ورد في الصحيحة من علامات ظهور الإمام المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - أن علم المؤمنين بوجود صيحتين: صيحة حق

(١) مختصر بصائر الدرجات باب الكرات ح ٣٥/٨٩ ص ١٤٣.

ونداء بأن الحق مع علي عليه السلام وولده قبيل ظهور القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وهي الصيحة الأولى وهي من جبرئيل، والصيحة الثانية من إبليس في آخر النهار: أن الحق مع عثمان، فلا يلتبس ذلك على المؤمنين بسبب علمهم المسبق بذلك، من تعليم وإرشاد أهل البيت عليه السلام، فيكون تعليم أهل البيت عاصماً لهم عن الفتنة والضلالة، بل يزيدهم يقيناً بالحق وهو مما يشير إليه موثق زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «ينادي مناد من السماء: إن فلاناً هو الأمير، وينادي مناد: إن علياً وشيعته هم الفائزون. قلت: فمن يقاتل المهدي بعد هذا؟ فقال: إن الشيطان ينادي: إن فلاناً وشيعته هم الفائزون - لرجل من بني أمية. قلت: فمن يعرف الصادق من الكاذب؟ قال: يعرفه الذين كانوا يروون حديثنا، ويقولون: إنه يكون قبل أن يكون، ويعلمون أنهم هم المحقون الصادقون»^(١).

وموثق هشام بن سالم، قال: «قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إن الجريري أخا إسحاق يقول لنا: إنكم تقولون: هما نداءان فأيهما الصادق من الكاذب؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: «قولوا له: إن الذي أخبرنا بذلك - وأنت تنكر أن هذا يكون - هو الصادق»^(٢).

وموثقة هشام الأخرى: قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «هما صيحتان صيحة في أول الليل، وصيحة في آخر الليلة الثانية. قال: فقلت: كيف ذلك؟ قال: فقال: واحدة من السماء، وواحدة من إبليس. فقلت: وكيف تعرف هذه من هذه؟ فقال: يعرفها من كان سمع بها قبل أن تكون»^(٣).

وصدر حديث جابر عن أبي جعفر عليه السلام المتقدم في الكفريات إشارة إلى الدور الكبير الذي سيقوم به الرسول صلى الله عليه وآله في الرجعة، وسيأتي أن النذارة الكبرى له صلى الله عليه وآله بكونه «نذيراً للبشر» إنما هي في الرجعة، مما يدل على كبر مسؤولية الدعوة فيها، للمطالبة بكل أبواب الإيمان والإيمان بالمعاد والبعث الأكبر مع غرور العصاة واغترارهم بوقوع

(١) غيبة النعماني باب ١٤ ما جاء في العلامات التي قبل قيام القائم: ح ٢٨ ص ٢٧٣.

(٢) غيبة النعماني ب ١٤ ح ٣٠ ص ٢٧٢.

(٣) غيبة النعماني: باب ١٤ ح ٣١ ص ٢٧٣.

الرجعة لهم، ومن ثم ورد أن من لم يهتد في هذه الحياة الأولى من الدنيا - وكان ضالاً عن الهدى وعاصياً عن الحق - فهو في الحياة الآخرة من الدنيا - وهي الرجعة - أشد ضللاً وعمى، كما روى ذلك في مختصر بصائر الدرجات بسند صحيح عن أبي بصير عن أحدهما عليه السلام ^(١). وهذا بخلاف من عرف الرجعة في الحياة الأولى، فلا يفتن في الآخرة.

الغاية السادسة: الاعتقاد بظهور الإمام المهدي (عج) توطئة وتمهيد للاعتقاد والمعرفة بالرجعة

كما أن الاعتقاد بالرجعة ممهد وموطىء للاعتقاد والمعرفة بيوم القيامة الذي هو يوم لا بمعنى قدر أربع وعشرين ساعة، بل هو عالم أكبر عمراً وطولاً من الحياة الأولى من الدنيا ومن الآخرة من الدنيا وهي الرجعة. ومن لا يعرف الرجعة فهو عقيم عن معرفة القيامة والآخرة الأبدية.

وعن ابن محبوب، عن الرضا عليه السلام في حديث له طويل في علامات ظهور القائم عليه السلام، قال: «والصوت الثالث يرون بدنأً بارزاً نحو عين الشمس: هذا أمير المؤمنين، قد كثر في هلاك الظالمين ... الخبر» ^(٢).

ومفاد هذا الحديث أن ظهور القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - هو فاتحة لبداية رجعة الأئمة عليهم السلام وتخصيص أمير المؤمنين عليه السلام بذكر كثرته لأنه المحور والقطب في كل مراحل الرجعة، وأن ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - عنوانه الأصلي وحقيقته الواقعية هي بلحاظ غاية الظهور وهي الرجعة .

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات ح ١١/٦٥ ص ١٢٥.

(٢) غيبة الشيخ الطوسي: ح ٤٣١ ص ٤٤٠.

الغاية السابعة: نصرة الأنبياء والرسل والأوصياء.

أن من ثمرات الرجعة إنجاز الوعد الإلهي بنصرة رسله في الحياة الدنيا ﴿والله لا يخلف الميعاد﴾، فإن وعد الله غايات كماله لفعله وهو الخلقة الإلهية، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١).

وفي حسنة جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: قول الله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، قال: «ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن في أنبياء الله كثيراً لم ينصروا في الدنيا وقتلوا وأئمة قد قتلوا ولم ينصروا؟ فذلك في الرجعة»، قلت: ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِي مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ﴾ ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾، قال: «هي الرجعة»^(٢).

وفي حسنة عبد الله بن عطاء، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «كنت مريضاً بمنى وأبي عليه السلام عندي فجاءه الغلام فقال: هاهنا رهط من العراقيين يسألون الإذن عليك، فقال أبي عليه السلام: أدخلهم الفسطاط، وقام إليهم فدخل عليهم فما لبث أن سمعت ضحك أبي عليه السلام قد ارتفع فأنكرت ووجدت في نفسي من ضحكه وأنا في تلك الحال، ثم عاد إلي فقال: يا أبا جعفر عساك وجدت في نفسك من ضحكي، فقلت: وما الذي غلبك منه الضحك، جعلت فداك؟ فقال: إن هؤلاء العراقيين سألوني عن أمر كان مضى من آبائك وسلفك، يؤمنون به ويقرّون فغلبني الضحك سروراً أن في الخلق من يؤمن به ويقرّ، فقلت: وما هو، جعلت فداك؟ قال: سألوني عن الأموات متى يبعثون فيقاتلون الأحياء على الدين»^(٣).

وفيه بيان تآزر ونصرة جماعات الحق الأموات منهم بعد عودهم في الرجعة مع الأحياء لمقاتلة أهل الباطل.

(١) سورة غافر: الآية ٥١.

(٢) مختصر بصائر الدرجات / ب الكرات ح ٦/٦٠.

(٣) مختصر بصائر الدرجات / ب الكرات ح: ١٢/٦٦.

الغاية الثامنة: استكمال الامتحان للنفوس.

وأما المنكرين لها فهم على إنكار حكمة وحقيقة الاختيار والامتحان ومن ثم هم من القدريّة منهجاً. كما أن الرجعة زيادة في الحجية وقطع العذر للعصاة وزيادة امتحان، ويقع فيها امتحان من لم يستكمل امتحانه كالمستضعفين والأطفال والمجانين.

وفي موثق حنان بن سدير، عن أبيه، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة، فقال: «القدريّة تنكرها» ثلاثاً^(١).

وعن أبي الصباح، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: جعلت فداك مسالة أكره أن أسميها لك، فقال لي هو: «عن الكرات تسألني؟» فقلت: نعم، فقال: «تلك القدرة ولا ينكرها إلا القدريّة، لا تنكر تلك القدرة لا تنكرها إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتى بقناع من الجنة عليه عذق يقال له: سنة، فتناولها رسول الله صلى الله عليه وآله سنة من كان قبلكم»^(٢).

الغاية التاسعة: تولد الأمل وقوته وشدة الطموح.

إن من الغايات الكبرى والأهداف الكبيرة للاعتقاد بمعرفة الرجعة، هو تولد الأمل وقوته وشدة الطموح نحو المستقبل لدى المؤمنين وعدم اليأس والانكسار أمام الصعاب والشدائد، ولكي لا تقسوا القلوب، بل تظل منتظرة مترقبة.

فقد روى الكليني عن الحسن بن شاذان الواسطي، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام أشكو جفاء أهل واسط وحملهم علي، وكانت عصابة من العثمانيين تؤذيني، فوقع بخطه: «إن الله تبارك وتعالى أخذ ميثاق أوليائنا على الصبر في دولة الباطل، فاصبر لحكم ربك، فلو قد قام سيد الخلق، لقالوا: ﴿يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون﴾»^(٣) «^(٤) وهذه الرواية الشريفة تبين أن هذا المقطع من آيات

(١) مختصر بصائر الدرجات / ب الكرات / ح ١٣/٦٧.

(٢) مختصر بصائر الدرجات / ب الكرات / ح ١٨/٧٢.

(٣) سورة يس: الآية ٥٢.

(٤) الكافي . ج الثامن / ٢٤٧ ص / ح ٣٤٦.

سورة يس ليس المراد منه خصوص القيامة الكبرى بل المراد أولاً الرجعة، وثانياً تبين بأن الرجعة ميعاد ومعاد أصغر وأن فيه نفخ في الصور وأن الرجعة خروج من القبور والأحداث .

الغاية العاشرة: الانتقام من الظالمين.

الانتقام من الظالمين بأعظم مما سيقوم به الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - من انتقام كما هو مفاد ما مر من الدعاء يوم ميلاد الإمام الحسين عليه السلام الوارد في مصباح المتهجد وإقبال الأعمال من تعليل الكرة والأوبة للأوصياء من عترته: «حتى يدركوا الأوتار ويثأروا الثار ويرضوا الجبار ويكونوا خير أنصار» .

ومعنى الانتقام فيما ورد من أنّ المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ينتقم، وأن الرجعة نقمة من أعداء الله تعالى، لا يُراد بذلك التشفي الشخصي بقدر ما هو البعد الديني والاجتماعي وإزالة السنن الباطلة عند الناس، نظير ما ورد أن زين العابدين عليه السلام قد رضي بانتقام المختار، فإنه بمعنى تطهير العراق من أعراف النهج والنسيج الاجتماعي الأموي، وهو معنى ما ورد في غاية الرجعة، أنه تعالى يُرجعهم عليهم السلام ليثأروا الثار، أي ليطهروا الأرض من مناهج الزيف فهي انتقام من مناهج وأعراف فاسدة، وبناء أعراف ومناهج صالحة، وهي الملة الحنيفة الخالصة.

وخرج إلى أبي القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام: «إنّ مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان فصمه وادع فيه بهذا الدعاء...، وساق الدعاء إلى قوله: وسيّد الأسرة، الممدود بالنصرة يوم الكرة، المعوّض من قتله أنّ الأئمة من نسله، والشفاء في ترتيبه، والفوز معه في أوبته، والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته، حتى يدركوا الأوتار، ويثأروا الثار، ويرضوا الجبار، ويكونوا خير أنصار... إلى قوله: فنحن عائدون بقبوره نشهد تربته، وننتظر أوبته، آمين رب العالمين»^(١).

(١) مصباح المتهجد - ص ٨٢٦ و ٨٢٧ / ح ٨٨٦ وإقبال الاعمال / ج ٣ / ص ٣٠٣

الغاية العادي عشر: استكمال الطاعة للإمام (عج).

ففي زيارة للإمام المهدي عليه السلام: «وإن أدركني الموت قبل ظهورك فإنني أتوسل بك إلى الله سبحانه أن يصلي علي محمد وآل محمد، وأن يجعل لي كرة في ظهورك، ورجعة في أيامك، لأبلغ من طاعتك مُرادِي، وأشفي من أعدائك فؤادي»^(١).

الغاية الثانية عشر: إكمال الدين وإتمام الموعد الإلهي.

وتكمل كلمته بأمير المؤمنين وبه يكمل الدين، وإنجاز الوعد الإلهي لكل إمام من أهل البيت بتعجيل ظهوره وخروجه إلى الرجعة. وأن فيها أداء الدور الأساسي الأكبر لنذارة النبي صلى الله عليه وآله والهداية الكبرى لإمامة علي عليه السلام والأئمة عليهم السلام ففي تفسير علي بن إبراهيم: «قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ»^(٢)، قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام، قال: (ما أكفره) أي ماذا فعل وأذنب حتى قتلوه؟ ثم قال: «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ❖ مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ❖ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ»، قال: يسر له طريق الخير، «ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ❖ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ»، قال: في الرجعة، «كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ»، أي لم يقض أمير المؤمنين ما قد أمره، وسيرجع حتى يقضي ما أمره»^(٣).

وروى القمي في تفسيره في الصحيح إلى جميل بن دراج، عن أبي سلمة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألت عن قول الله: «قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ» قال: «نعم، نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، «ما أكفره» يعني بقتلكم إيّاه، ثم نسب أمير المؤمنين عليه السلام فنسب خلقه وما أكرمه الله به، فقال: «مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ»، يقول: من طينة الأنبياء «خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ» للخير، «ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ» يعني سبيل الهدى، «ثُمَّ أَمَاتَهُ» ميتة الأنبياء، «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ»، [قلت: ما قوله: «ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ»؟]، قال: يمكث بعد قتله في الرجعة

(١) المزار للمشهدي: ٥٨٦.

(٢) سورة عبس: الآية ١٧.

(٣) تفسير القمي: ج ٢ ص ٤٠٥.

فيقضي ما أمره»^(١).

وما رواه الكليني أيضاً - في باب أن الأئمة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بأمر من الله - بسنده عن حريز، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: «إن لكل واحد منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به عرف أن أجله قد حضر، فأتاه النبي صلى الله عليه وآله ينعى إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله. وإنّ الحسين عليه السلام قرأ صحيفته التي أعطيها وفسّر له ما يأتي، وبقي أشياء لم تُقضى فخرج للقتال، وكانت تلك الأشياء التي بقيت، أن الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لها، فمكثت تستعدّ للقتال وتتأهبّ لذلك حتى قتل، فنزلت وقد انقطعت مدّته وقتل عليه السلام، فقالت الملائكة: يا ربنا أذنت لنا في الانحدار، وأذنت لنا في نصره وقد قبضته؟ فأوحى الله إليهم: أن الزموا قبره حتى تروه وقد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، فإنكم قد خصصتم بنصرته وبالبكاء عليه، فبكت الملائكة حزناً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج يكونون أنصاره»^(٢).

ومفاد الرواية:

أن أحد أسباب وحكم الرجعة هو إنجاز كل إمام ما تبقى عليه من أدوار ومسؤوليات أمر بها في الصحيفة المقررة من قبل الله تعالى الخاصة بكل إمام مما لم ينجزها في الحياة الأولى من الدنيا فيخرج من قبره راجعاً إلى آخره الدنيا لينجز ما تبقى كما يشير إليه قوله تعالى في سورة عبس: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمْرُهُ﴾ بتبيان الرواية السابقة فهناك من مسؤوليات وأدوار الأئمة لم تُنجز فيرجعون لينجزوها وذلك لأنهم قتلوا وحانت آجالهم من الحياة الأولى من الدنيا.

وأن كل إمام من الاثني عشر هو مهدي موعود مُنتظرٌ مرتقب ظهوره قائم يقيم دولة العدل على كل الأرض.

(١) تفسير القمي: ذيل الآية في سورة عبس: ج ٢ ص ٤٠٦.

(٢) الكافي / جلد ١ / ص ٢٨٣ / باب أن الأئمة لم يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عزّ وجلّ وأمر منه.

وأن من آداب زيارة كل إمام منهم: أن يُدعى له بتعجيل فرجه وظهوره من قبره ليسكنه الله تعالى أرضه طوعاً ويمكنه فيها طويلاً.

عن الحسن بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام: أنا الفاروق الأكبر، وصاحب الميسم، وأنا صاحب النشر الأول، والنشر الآخر، وصاحب الكرات، ودولة الدول، وعلى يدي يتم موعده الله وتكمل كلمته، وبني يكمل الدين»^(١).

الأربعة عشر معصوم لكل مقام محمود في الرجعة:

عن عروة ابن أخي شعيب العرقوفي، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «تقول إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام ويجزيك عند قبر كل إمام عليه السلام: السلام عليك من الله والسلام على محمد بن عبد الله اللهم صل على محمد عبدك ورسولك ... والسلام عليه ورحمة وبركاته»، وتقول في زيارة أمير المؤمنين عليه السلام: «اللهم صل على أمير المؤمنين عبدك وأخي رسولك ... إلى آخره»، وفي زيارة فاطمة عليها السلام: «أمتك وبنت رسولك ... إلى آخره»، وفي زيارة سائر الأئمة عليهم السلام: «أبناء رسولك على ما قلت في النبي صلى الله عليه وآله أول مرة . حتى تنتهي إلى صاحبك ثم تقول: «أشهد انكم كلمة التقوى وباب الهدى والعروة الوثقى ...» وساق الزيارة إلى قوله: «اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن نبيك، وابعثه مقاماً محموداً تنتصر به لدينك، وتقتل به عدوك، فإنك وعدته، وأنت الرب الذي لا تخلف الميعاد». وكذلك تقول عند قبور كل الأئمة عليهم السلام^(٢).

ومفاد هذه الرواية والزيارة: عموم هذا الدعاء والاعتقاد في كل إمام من أئمة أهل البيت وأنه موعود بالنصرة وأنه يُبعث مقاماً محموداً في آخره الدنيا وهي الرجعة وهو إقامة دولة العدل على يديه مضافاً إلى المقام المحمود في القيامة الكبرى وفي الآخرة الأبدية أيضاً، وهذه الرواية والزيارة لا يختص ذلك بأمر المؤمنين عليهم السلام ولا

(١) المحتضر ص ١٦١ ح ١٧٠.

(٢) كامل الزيارة / ب ١٠٤ ح ٢/٨٠٣ ص ٥٢٣/٥٢٦.

بالحسين عليه السلام بل لكل إمام من الأئمة الاثني عشر يُزارون بهذه الزيارة والدعاء والاعتقاد، بل الرواية والزيارة تنص على كل من النبي وفاطمة عليها السلام وأنّ كلاً منهما يخاطب بهذا الخطاب أي أن فاطمة يبعثها الله مقاماً محموداً في آخرة الدنيا وهي الرجعة ويتنصر بها لدينه بتوسط ما لها من ولاية وتدير ويقتل الله بها عدوه وأنها موعودة بذلك، وكيف لا يكون هذا المضمون للزيارة والمعتقد فيها شاملاً لفاطمة عليها السلام، بل قد نص في الزيارة على اسمها وقد دلت الآيات والروايات على أن طاعتها مفروضة على جميع مَنْ خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة كما رواه الطبري في دلائل الإمامة من معتبرة أبي بصير عن أبي جعفر - في حديث طويل - عن مصحف فاطمة عليها السلام قال عليها السلام: «ولقد كانت عليها السلام مفروضة الطاعة على جميع من خلق الله من الجن والإنس والطير والوحش والأنبياء والملائكة ... الحديث»^(١).

الغاية الثالثة عشر: ظهور مقامات خاصة لأمر المؤمنين عليهم السلام.

ظهور مقامات خاصة لأمر المؤمنين عليهم السلام يأتي شرحها في الباب الرابع كمقام أنه صاحب العصا والميسم ومقام دابة الأرض وأنّ له دولة الدول وغيرها وهي المعبر عنها في القرآن بمجيء الآيات. فعن أبي الصامت الحلواني، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): لقد أعطيت الست: علم المنايا والبلايا والوصايا وفصل الخطاب، وإني لصاحب الكرات، ودولة الدول، وإني لصاحب العصا والميسم، والدابة التي تُكلم الناس»^(٢).

الغاية الرابعة عشر: إنجاز الوعد وإقامته وإظهاره في الرجعة.

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ

(١) دلائل الإمامة للطبري / ص ١٠٤ - ٣٤/٣٤، خبر مصحفها (صلوات الله عليها).

(٢) الكافي: ج ١، ص ١٩٨.

حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ﴿٢﴾ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣﴾

فُتَبِّينَ هذه الآية أن الغاية من الرجعة: هي إظهار الحق وبيانه جلياً وإعلام أهل الباطل - إدانة - أنهم كانوا كاذبين، فتكون الغاية إعلاء كلمة الحق وإشهار حجيتها ودحض كلمة الباطل وإشهار غيها.

وقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «ليس من مؤمن إلا وله قَتْلَةٌ وَمَوْتَةٌ، إنه من قُتِلَ نُشِرَ حتى يموت، ومن مات نُشِرَ حتى يقتل... إلى أن قال في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(١): يعني مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقيامه في الرجعة يُنْذِرُ فيها. وقوله تعالى ﴿إِنَّهَا لِأَحَدَى الْكُبَرِ ﴿٢﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾^(٣) يعني محمداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نذير للبشر في الرجعة. وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾^(٤) قال: يظهره الله عز وجل في الرجعة. وفي قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾^(٥) قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام إذا رجع في الرجعة». قال جابر: قال أبو جعفر عليه السلام: قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في قول الله تعالى: ﴿رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٦): هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي، وخرج عثمان بن عفان وشيعته، ونقتل بني أمية في الرجعة فعندها ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٧).

وفيه دلالة على غايات الرجعة المتقدمة، ومنها: الانتقام من أعداء أمير

(١) سورة النحل: الآيات ٣٨ - ٤٠.

(٢) سورة المدثر: الآية ٢٠.

(٣) سورة المدثر: الآية ٣٥.

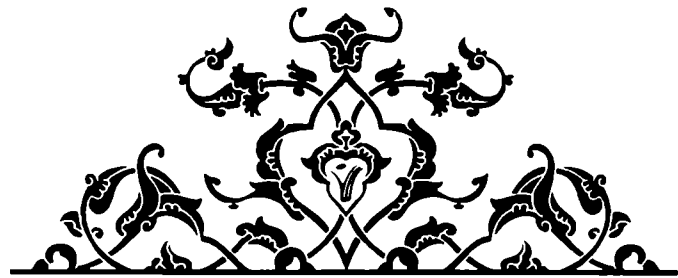
(٤) سورة الصف: الآية ٩.

(٥) سورة المؤمنون: الآية ٧٧.

(٦) سورة الحجر: الآية ٢.

(٧) مختصر بصائر الدرجات ١/٥٥ باب الكرات.

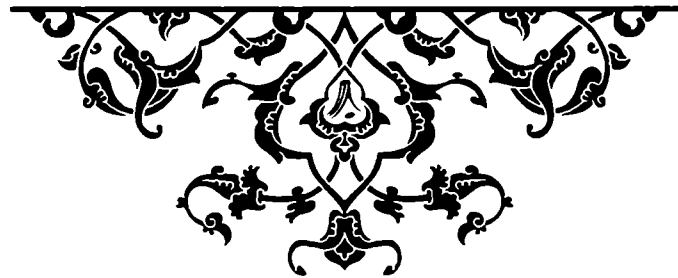
المؤمنين ﷺ أي بتطهير الأرض والمجتمعات وذلك بإزالة منهج الجور والغي والضلال المتجسد في شخص أعداءه وإفسادهم في المجتمعات والأقوام.
ومنها أيضاً: إظهار النبي ﷺ في الرجعة مستولياً على كل حكم في الأرض والدنيا.



الفصل الرابع

مراحل وأدوار الرجعة

وأقسامها



المحطة الأولى:

بداية الرجعة

قد ورد أن بداية الرجعة بظهور القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ، بل إن رجوع الناس يبدأ بين جمادى ورجب، وهو العجب كل العجب، وهو قبيل ظهور القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وإن كان رجوع أئمة أهل البيت عليهم السلام - والذي يبدأ بـ رجوع الحسين عليه السلام - يبدأ في أواخر حياة الحجة بن الحسن العسكري عليه السلام قبل استشهاده.

وقد وردت روايات مستفيضة - تقدم بعضها، ويأتي بعضها الآخر لاحقاً - في هذه المقولة المشهورة عن أمير المؤمنين: «العجب كل العجب ما بين جمادى ورجب»^(١)، وأن تفسيره هو رجوع الموتى لاسيما من الموالين لأهل البيت عليهم السلام، كما وردت أيضاً روايات في أن جماعة من أصحاب القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - هم ممن يرجع من الموتى، يقاتلون بين يديه ويكونون وزراءه، مثل ما رواه المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يُخرجُ القائمُ عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً، خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان وأبا دُجانة الأنصاري، والمقداد ومالكا الأشر، فيكونون بين

(١) معاني الأخبار (الصدوق): ٤٦، مختصر بصائر الدرجات: ص ١٩٨ .

يديه أنصاراً وحُكَّاماً»^(١).

و روى الطبري في دلائل الإمامة مسنداً عن مفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «يكرُّ مع القائم عليه السلام ثلاثة عشر امرأة!» قلت: وما يصنع بهن؟ قال: «يداوين الجرحى، ويقمن على المرضى كما كنَّ مع رسول الله صلى الله عليه وآله»، قلت: فسمهنَّ لي، قال: «القنواء بنت رشيد، وأمَّ أيمن، وحبَّابة الوالبية، وسمية أم عمار بن ياسر، وزبيدة، وأمَّ خالد الأحمسية، وأمَّ سعيد الحنفية، وصبانة الماشطة، وأمَّ خالد الجهنية»^(٢).

وروى المفضل قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «يا مفضل أنت وأربعة وأربعون رجلاً تُحشرون مع القائم، أنت على يمين القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - تأمر وتنهى والناس إذ ذاك أطوع لك منهم اليوم»^(٣).

وروى الصدوق بسنده عن الشعبي: قال ابن الكوا لعلِّي عليه السلام: يا أمير المؤمنين أرأيت قولك (العجب كل العجب بين جمادى ورجب)؟ قال عليه السلام: «ويحك يا أعور هو جمع أشتات ونشر أموات وحصد نبات ... الحديث»^(٤).

ورواه في مختصر بصائر الدرجات في خطبة (المخزون) لأمير المؤمنين عليه السلام حيث سأله رجل: ما هذا العجب يا أمير المؤمنين؟ قال: «وما لي لا أعجب وقد سبق القضاء فيكم وما تفقهون الحديث إلا صَوَّات بينهن موتات حَصْدُ نبات ونشر أموات يا عجباً كل العجب بين جمادى ورجب» قال الرجل أيضاً: يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه؟ قال: «ثكلت الآخر أمه! وأي عجب يكون أعجب من أموات يضربون هامات الأحياء؟!»^(٥) الحديث.

(١) الإرشاد للشيخ المفيد / مجلد ٢/ ٣٨٦ - تفسير العياشي / مجلد ٢ ص ٣٢ وفيه: «إذا قام قائم آل مُحَمَّد عليه السلام

استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً...»، دلائل الإمامة للطبري / ح ٤٤٤/ ٤٨ ص ٤٦٣: وفي

المصدرين الأخيرين ذكر (مؤمن آل فرعون).

(٢) دلائل الإمامة للطبري ص ٤٨٤ ح ٨٤/ ٤٨٠.

(٣) دلائل الإمامة للطبري / حديث ٥١/ ٤٤٧ ص ٤٦٤.

(٤) معاني الأخبار: ص ٤٠٦، ح ٨١

(٥) مختصر بصائر الدرجات: ص ٥٥٢، الخطبة المسماة بالمخزون، حديث ١٤/ ٥٢٥.

ومن الملفت أيضاً أن الذي يسترعي الانتباه والتدبر الملي، أن الصيحة السماوية التي هي من أكبر علامات الظهور، فأول ما ينادى فيها: «هذا أمير المؤمنين قد كَرَّ في هلاك الظالمين» أي ينادى بالرجعة وأنَّ هذا أمير المؤمنين قد رجع لينتقم من الظالمين. فقد روى النعماني بسند موثق عن عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةٌ فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(١): «فلا يبقى في الأرض يومئذ أحد إلا خضع وذلت رقبته لها، ألا إن الحق في علي عليه السلام وشيعته، فإذا كان من الغد صعد إبليس في الهواء حتى يتوارى عن أهل الأرض ثم ينادي: ألا إن الحق في عثمان بن عفان وشيعته فإنه قتل مظلوماً فاطلبوا بدمه، قال: فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت على الحق، وهو النداء الأول»^(٢).

فتبين الرواية أن أول من ينادى باسمه هو أمير المؤمنين عليه السلام قبل النداء بظهور المهدي القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - .

وروى الراوندي في (الخرائج والجرائح) عن الحميري بسنده عن الحسن بن محبوب عن الرضا عليه السلام، وكذا الطوسي في (الغيبة) بسند مصحح عن الحسن بن محبوب، وكذا النعماني في غيبته، والطبري في دلائل الإمامة والصدوق في (عيون أخبار الرضا) و (كمال الدين) بطرق مستفيضة، في حديث عن غيبة الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - «... كأني بهم شر ما يكونون وقد نودوا نداءً يُسمع من بُعد كما يُسمع من قرب، يكون رحمة للمؤمنين وعذاباً على الكافرين» فقال له الحسن بن محبوب: وأي نداء هو؟ قال: «ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء: صوتاً: ألا لعنة الله على الظالمين والصوت الثاني: أزفت الآزفة يامعشر المؤمنين، والصوت الثالث: يرون بدنأً بارزاً نحو عين الشمس يقول: هذا أمير المؤمنين قد كَرَّ في هلاك الظالمين»^(٣).

(١) سورة الشعراء: الآية ٤.

(٢) الغيبة للنعماني: ص ٣٦٨، باب ١٤، ح ١٩.

(٣) الخرائج والجرائح: ج ٣، ص ١١٦٨، ح ٦٥، الغيبة للطوسي: ص ٤٣٩، ح ٤٣١، الغيبة للنعماني: ص ١٨٠، ←

والظاهر أن هذه الصيحة برجوع أمير المؤمنين، هي التي تقع في رجب، وهي تزامن بدء وقوع الرجعة - كما مر قبيل الظهور في شهر محرم - .
وأما الصيحة باسم القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - فهي إما بعد ذلك أو في شهر رمضان، كماوردت روايات عديدة بتعدد الصيحات.

فللرجعة بدايتان، بداية لغير المعصومين عليه السلام، سواء من الأولياء أو عموم المؤمنين أو من الأشرار الأعداء، وهذه تقع بين جمادى ورجب قبيل ظهور الإمام - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بأشهر، وبداية أخرى للرجعة وهي رجوع المعصومين عليه السلام، وأول من يرجع من الأئمة الاثني عشر هو الحسين عليه السلام وذلك في أخريات حياة القائم الحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ثم يرجع بعد الحسين عليه السلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

وأكثر المعصومين رجوعاً برجعات وكرات كثيرة هو أمير المؤمنين عليه السلام حيث سنشير إلى ذلك في الروايات، فهو صاحب الرجعات والكرات والدول ودولة الدول، وغير ذلك من المقامات التي تظهر له في الرجعات، ولذا عبر في روايات الرجعة أن الرجعة من خواص أمير المؤمنين عليه السلام، والمراد بذلك هذا المعنى، وإلا فإن الروايات دالة على أن كل إمام يرجع أكثر من مرة، مضافاً لما مر من رجوع فاطمة عليها السلام، إلا أن رجعات بقية المعصومين لا تبلغ عدد رجعات أمير المؤمنين عليه السلام، وآخر من يرجع هو رسول الله صلى الله عليه وآله وتكون دولته آخر دول الرجعة وأكبرها وأعظمها ويرجع معه الأئمة الاثنا عشر، ويكون وزيره أمير المؤمنين عليه السلام، وبقية الأئمة عليهم السلام ولاية له في الأرض، كما سيأتي تفصيل ذلك.

المحطة الثانية :

اجتماع أجيال متباينة في الرجعة

ثم إن هناك تساؤل ملح يطرح نفسه في أدوار الرجعة، وهو أن الرجعة تتضمن رجوع أجيال من حُقب زمنية مختلفة لهم ثقافات متباينة، وعادات ولغات متنوعة وأساليب في المعيشة متشعبة بحسب تفرقهم في الأزمان، فكيف ينسجمون في حياة اجتماعية لمجتمع واحد؟

وهذا نظير الرجعة التي وقعت لأهل الكهف، بعد أن بعثهم الله وقص من أمرهم في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۖ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا ۖ وَكَذَلِكَ أَعَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا ۖ﴾^(١).

فهذه الآيات بضميمة ما ورد في الروايات المبينة لظاهر ألفاظها، أن عثور أهل القرون اللاحقة والتفاتهم إلى أصحاب الكهف بعدما أحياهم الله، كان بتوسط التفات الناس إلى النقود التي أراد بعض أصحاب الكهف أن يشتروا بها حيث كانت من زمن (دقيانوس)، وقد مضى عليه أكثر من ثلاثمائة سنة، فهذا التضارب في التفاهم بين أصحاب الكهف وأسلوب تعاملهم مع القرون اللاحقة، سبب اضطراباً لهم وتعجباً من

(١) سورة الكهف: الآيات ١٩ - ٢١.

جيل الأمم اللاحقة مما أدى إلى أن يلح أصحاب الكهف في الدعاء بأن يميّتهم الله تعالى، كما تشير إلى ذلك بعض الروايات.

والجواب: أنّ المؤمنين رغم تفرقهم في الأزمان والقرون يجمعهم وحدة التآخي ومودة الإيمان، فهم على قلب واحد، فالرؤى والمعالم المعنوية تجمع أهل الإيمان، لاسيما أنهم ليسوا من أهل الغرور والاغترار بالمظهر والزّي وأسلوب المعيشة، كما هو الحال في المؤمنين في الزمن الواحد المتعاصر، فإنّ بعضهم في الحضر وبعضهم في الريف وبعضهم في القرى وبعضهم في البلدان المترفّهة معيشة، وبعضهم في المناطق الفقيرة، وضمن عرقيات مختلفة وقوميات متنوعة ولغات مختلفة وعادات متلونة، لكن ذلك لا يمانع إلفتهم في مودة الإيمان وتفاهمهم بروح واحدة.

ومن ثم وردت القاعدة النبوية المتواترة عند الفريقين: أن من أحب قوماً حشر معهم، ولو اختلفت الأزمان والقرون بين عمل قوم وبين من أحب عملهم، مما يدلُّ على أن القاعدة الأصلية في الوحدة والمعيّة هي الرؤى ونهج المعتقد وطريقة السلوك، وكذلك أهل الأشرار مع بعضهم البعض.

المحطة الثالثة :

الرجعة عامة لكل الناس أو خاصة لبعض فئات الناس

قد اشتهر في كلمات الأعلام من علماء الإمامية قديماً وحديثاً أن الرجعة خاصة وليست بعامة، خاصة بمن محض الإيمان محضاً فهو الذي يرجع من فريق الخير بل عن الشيخ المفيد في (المسائل السروية) أنه قال: «والرجعة إنما هي لمحضضي الإيمان من أهل الملة ومحضضي النفاق منهم، دون من سلف من الأمم الخالية»^(١).

وسياتي أن المراد من (مُحَضِّض الإيمان) ليس أكملهم، بل أدنى مراتب تحقق الإيمان، وخاصة بمن محض الكفر من فريق الشر الذي يرجع إلى الدنيا، وأما المستضعفون سواء من ملة الإسلام أو الملل الأخرى وبقية النحل والطوائف والبله والأطفال ونحوهم من الأقسام، فإنهم لا يرجعون، كما ورد ذلك مستفيضاً في أحاديث بيت النبوة ﷺ، وتأتي الإشارة إليه نظير ما ورد مستفيضاً أيضاً عنهم ﷺ، من اختصاص المسائلة في القبر بمن مُحَضِّض الإيمان محضاً وبمن محض الكفر محضاً، وسياتي أن هناك صلة وطيدة بين حالات وأطوار البرزخ وعالم الرجعة، إلا أن هذا المفاد وإن كان مستفيضاً عن أئمة الهدى ﷺ، واقتصرت أنظار الأعلام على ذلك غالباً، إلا أن الصحيح أن ذلك في أوائل مراحل الرجعة دون أدوارها ومراحلها الوسطى فضلاً عن أواخرها؛ وذلك لورود طوائف أخرى من الروايات عنهم ﷺ، دالة على عموم الرجعة في أواسطها وفي أواخرها.

(١) البحار: ج ٥٣، ص ١٣٨.

كما أن ما يظهر من كلام الشيخ المفيد السابق - باختصاص الرجعة بالمسلمين من أهل هذه الملة مَنْ مُحَضَّ الإيمان منهم ومن محض الكفر والنفاق منهم دون الأمم الأخرى والسابقة - هو قولٌ غير تام ، بل الصحيح أنه يعم جميع الأمم من محض الإيمان منهم ومن محض الكفر. نعم، الغالب في كثير من الأمم الأخرى نمط المستضعفين هذا فضلاً عن أواخر الرجعة مما يجتمع فيه الأولين والآخرين نظير القيامة كما سيأتي بيانه في الروايات.

نعم، خصوص الأمم التي عذبت بالعذاب الإلهي العاجل، وكذا كل من يعذب بالعذاب الإلهي العاجل في دار الدنيا بالمسخ أو نحوه فإنه لا يرجع، بل ظاهر جملة من الروايات أن هذا القسم الأخير لا يُبعث في يوم وعالم القيامة، بل يبعث في البعث النهائي بعد القيامة إلى النار الأبدية، كقوم عاد وثمود وفرعون وغيرهم.

نعم، روى القمي وبسند صحيح عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قوله عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾^(١): قال الصادق عليه السلام: «كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة، فأما إلى القيامة فيرجعون، ومن محض الإيمان محضاً وغيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الكفر محضاً يرجعون»^(٢).

ولنستعرض أولاً نبذة من الروايات المستفيضة الواردة في كون الرجعة خاصة، ثم نعقبها بالطوائف الأخر الدالة على عموم الرجعة.

الطائفة الدالة على خصوص الرجعة:

أما الطائفة الأولى الخاصة:

١- فقد روى في مختصر بصائر الدرجات عن سعد بسنده الصحيح عن محمد بن

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٥.

(٢) تفسير القمي في ذيل الآية، ونقله عنه البحار ج ٥٣، ص ٦٠.

مسلم، قال: سمعت حمran بن أعين وأبا الخطاب يُحدّثان جميعاً قبل أن يُحدّث أبو الخطاب ما أحدث، أنهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام، وأن الرجعة ليست بعامة بل هي خاصة، لا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً، أو محض الشرك محضاً»^(١).

٢- ومصحح المفضل، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾: «ليس أحد من المؤمنين قُتل إلّا يرجع حتى يموت ولا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً... الحديث»^(٢).

٣- وروى الصدوق مرسلأ في الفقيه عن الصادق عليه السلام «أنه لا يسئل في القبر إلّا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، والباقون ملهو عنهم إلى يوم القيامة»^(٣). ومضمون هذا المرسل في اختصاص المُسائلة في القبر بمن محض الإيمان ومن محض بالكفر مضمون مسندٌ في طرق عديدة من المجلد الثالث من الكافي، إلّا أن الميزة في المرسل ذيله وهو أنه يُلهى عن الباقيين إلى يوم القيامة، ولعل المراد من القيامة هي الوسطى وليست القيامة الكبرى بل قيام البعث إلى الرجعة.

الطوائف الدالة على عموم الرجعة:

أما ما يدل على أن الرجعة عامة لكل الناس، ولو بلحاظ أواخرها أو ما بعد أواسطها:

الطائفة الأولى: ما ورد في الروايات في ذيل قوله تعالى: ﴿كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ (ومنشورة) كما ورد في قراءة أهل البيت عليهم السلام.

١. فقد روى في مختصر بصائر الدرجات، عن أبي جعفر عليه السلام: «ليس من مؤمن إلّا وله قَتلة وموتة، أنه من قتل نشر حتى يموت، ومن مات نشر حتى يقتل» ثم تلوت على

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات ح ٢٣/٧٧، ص ١٣٥.

(٢) تفسير القمي ذيل سورة النمل: ٨٣.

(٣) الفقيه: ج ١، ص ١٧٨، ح ٥٣٠.

أبي جعفر عليه السلام هذه الآية: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ فقال: (ومنشورة)، قلت: قولك ومنشورة ما هو؟ فقال: «هكذا أنزل بها جبرئيل على محمد صلى الله عليه وآله وكل نفس ذائقة الموت ومنشورة»، ثم قال: «ما في هذه الأمة أحد برّ ولا فاجر إلا وينشر، فأما المؤمنون فينشرون إلى قرة أعينهم، وأما الفجار فينشرون إلى خزي الله إياهم ... الحديث»^(١).

وصدر الحديث وذيله وإن اختص بالمؤمن والكافر المنافق ولم يشمل المستضعف، إلا أن وسط الرواية والاستشهاد بالآية التي هي عامة للمستضعفين أيضاً، دال على كبرى وقوع الرجعة لكل نفس، وشامل للأطفال والبُله والمستضعفين، كما يشمل المؤمنين والكافرين، فإن كل نفس كما تقتل أو تذوق الموت تنشر في الرجعة ليصيبها الطرف الآخر، وقد أكد على ذلك عليه السلام في قوله: «ما في هذه الأمة أحد».

٢- وروى في البحار عن ابن قولويه عن سعد عن أبي جعفر عليه السلام: أنه قرأ رجل على أبي جعفر عليه السلام ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾، فقال أبو جعفر عليه السلام: «ومنشورة هكذا - والله - نزل بها جبرئيل على محمد (صلوات الله عليهما)، أنه ليس من أحد من هذه الأمة إلا سينشر ... الحديث»^(٢).

ورواه العياشي^(٣) في ذيل الآية.

٣- وروى عن زرارة قال: قال أبو جعفر عليه السلام: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ لم يذوق الموت من قتل، وقال: لا بد من أن يرجع حتى يذوق الموت»^(٤).

وهذه الرواية تشير إلى القاعدة العامة في الآية من وجود سنة كونية وهي أن لكل نفس أجلين وحياتين: أجل طبيعي واخترامي والتأكيد في هذه الروايات على استيعاب واستقصاء جميع الأمة دليل العموم.

٤- وفي صحيح عن عبد الرحيم القصير عن أبي جعفر عليه السلام أنه قرأ هذه الآية ﴿إِنَّ

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات، ح ١/٥٥، ص ١١٥.

(٢) البحار: ج ٨٩، ص ٦٥.

(٣) تفسير العياشي: ح ١٦٩.

(٤) تفسير العياشي: ج ٢، ح ١٣٩، ح ١٧٠، مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات، ح ٧/٦١، ص ١٢١.

الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»^(١) : «أتدري من يعني؟»
فقلت: يقاتل المؤمنون فيقتلون ويقتلون قال: «لا، ولكن من قتل من المؤمنين رد حتى
يموت ومن مات رد حتى يقتل، وتلك القدرة فلا تنكرها»^(٢).

فتبين هذه الروايات أن كل إنسان قتل يرجع حتى يموت، وكل إنسان مات
يرجع حتى يقتل.

٥- وفي صحيح زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام في الرجعة، فاحتلت
مسألة لطيفة لأبلغ بها حاجتي منها، فقلت: أخبرني عمن قتل مات؟ قال: «لا، الموت
موت، والقتل قتل»، فقلت له: ما أحد يقتل إلا وقد مات، قال: فقال: «يا زرارة، قول الله
أصدق من قولك قد فرّق بين القتل والموت في القرآن، فقال: ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾^(٣)،
وقال: ﴿وَلَئِنْ مِتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾^(٤)، فليس كما قلت يا زرارة، فالموت
موت والقتل قتل. وقد قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعِندَهُ عَلَيْهِ حَقٌّ﴾^(٥) قال: فقلت: إن
الله عز وجل يقول: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾^(٦)، أفرأيت من قتل لم يذوق الموت؟
فقال: «ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه، إن من قتل لا بد أن يرجع إلى
الدنيا حتى يذوق الموت»^(٧).

وذيل الصحيح صريح بل نص في أن من قتل ولو كان مستضعفاً كما هو حاصل
بالضرورة وقوع القتل على المستضعفين، ممن لم يحض الإيمان ولم يحض الكفر،

(١) سورة التوبة: الآية ١١١.

(٢) مختصر بصائر الدرجات / ب الكرات ح ٢١/٧٥، تفسير القمي في ذيل الآية، وتفسير العياشي أيضا في ذيل الآية.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٤٤.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٥٨.

(٥) سورة البراءة: الآية ١١١.

(٦) سورة آل عمران: الآية ١٨٥، الانبياء / ٣٥، العنكبوت / ٥٧.

(٧) مختصر بصائر الدرجات / ب الكرات ح ٧/٦١، تفسير العياشي / مجلد ٢ ص ١١٢ ح ١٣٩.

وما أكثر القتل فيهم في الحروب، وكذلك الأطفال والبله وغيرهم، فيندرجون بالضرورة في الرجوع والرجعة، لعموم القاعدة القرآنية ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ كما أشار عليه السلام إلى ذلك، وأن حقيقة الموت بالمعنى الأخص تختلف عن حقيقة القتل وإن كان كل منهما موت بالمعنى الأعم.

٦ - مصححة الحسن بن راشد عن أبي إبراهيم عليه السلام قال: «لترجعن نفوس ذهبت وليقتص (وليقتصن) يوم يقوم أو من عذب يقتص بعذابه، ومن أغبط أغاظ بغضه، ومن قتل أقتص بقتله، ويُرد لهم أعداؤهم معهم حتى يأخذوا بثأرهم، ثم يعمرون بعدهم ثلاثين شهراً، ثم يموتون في ليلة واحدة قد أدركوا ثأرهم وشفوا أنفسهم، ويصير عدوهم إلى أشد النار عذاباً، ثم يوقفون بين يدي الجبار عز وجل فيؤخذ لهم بحقوقهم»^(١). وهذه الرواية تمثل إحدى مراحل الرجعات، بلحاظ تنوع واختلاف غاياتها. وتقريب دلالة العموم في هذه الرواية أن القاتل أو المقتول يعم بالضرورة المستضعفين ومن لم يمحض الإيمان ولم يمحض الكفر فيما كان الطرف الآخر ممحض في الإيمان أو ممحض في الكفر.

٧ - وروى في البحار من كتاب السيد حسن بن كبش عن المقتضب ورواه في البحار أيضاً عن المقتضب مسنداً عن سلمان الفارسي رضي الله عنه في حديث عن رسول الله ﷺ عن الأئمة الاثني عشر وفاطمة عليها السلام... ثم قلت: يا رسول الله ادع الله لي بإدراكهم قال ﷺ: «يا سلمان إنك مدرّكهم وأمثالك ومن تولاهم بحقيقة المعرفة»، قال سلمان: فشكرت الله كثيراً، ثم قلت: يا رسول الله مؤجل فيّ إلى أن أدركهم؟ فقال: «يا سلمان اقرأ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا»^(٢). قال سلمان: فاشتد بكائي وشوقي فقلت: يا رسول الله بعهد منك؟ فقال:

(١) مختصر بصائر الدرجات/ب الكرات ح ٤١/٩٥.

(٢) سورة الإسراء: الآيتان ٥ - ٦.

«إي والذي أرسل محمداً إنه بعهد مني وعلي وفاطمة والحسن والحسين وتسعة أئمة وكل من هو منا ومظلوم فينا إي والله يا سلمان ثم ليحضرن إبليس وجنوده وكل من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً حتى يؤخذ بالقصاص والأوتار والترات، ﴿ولا يظلم ربك أحداً﴾^(١) ونحن تأويل هذه الآية: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٢)»، قال سلمان: فقامت (من) بين يدي رسول الله وما يبالي سلمان متى لقي الموت أو لقيه^(٣).

اختصاص الرجعة بمن محض في المسئلة لا في نفس الرجوع:

تأويل كون الرجعة خاصة بما لا ينافي عمومها:

فقد روى سعد بن عبد الله الأشعري في الصحيح عن أبي بكر الحضرمي عن أبي جعفر عليه السلام قال: «لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ولا يُسأل في الرجعة إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً»، قلت له: فسائر الناس؟ فقال: «يُلهى عنهم»^(٤).

ورواه الكليني في الكافي إلا أنه اقتصر على صدره.

وصريح هذه الرواية تأويل وتفسير خصوص الرجعة بمن محض الإيمان ومحض الكفر بمعنى اختصاص المسئلة في الرجعة بمن محض الإيمان ومحض الكفر، لا بمعنى اختصاص أصل الرجوع بل الجميع يرجع لكن المسئلة في الرجعة مختصة بمن محض، كما هو الحال في القبر، فإن ولوج عالم القبر لا يختص بمن محض الإيمان ومحض الكفر، بل سائر الناس يلجون القبر، وإنما الذي يختص في القبر

(١) سورة الكهف: الآية ٤٩.

(٢) سورة القصص: الآية ٥ و٦.

(٣) المحتضر: ١٥٢، ١٥٣، البحار ج ٢٥، ص ٧٦، ح ٩.

(٤) مختصر بصائر الدرجات / باب الكرات / ح ١٧ / ٧١، الكافي / مجلد ٣ ص ٢٣٥ ح ١ و ص ٢٣٦ ح ٤.

بمن محض الإيمان ومحض الكفر هي المساءلة فقط، ففرق بين الورود في عالم القبر فهو لجميع الناس، وبين المساءلة في القبر وهي خاصة.

وكذلك الحال - بحسب نص هذه الرواية - في الرجعة، ففرق بين الرجوع والخروج إلى عالم الرجعة من القبر، فهو لجميع وسائر الناس وإنما المختص في الرجعة بمن محض الإيمان والكفر هو المساءلة. وهذه الرواية الصحيحة تنبه على أن ما ورد في الروايات المستفيضة^(١) من مساواة الاختصاص في مساءلة القبر بمن محض الإيمان ومحض الكفر مع اختصاص الرجوع كذلك، أن المراد باختصاص الرجوع ليس أصل الرجوع، بل هو المساءلة والمحاسبة، والمداينة في الرجعة، فسائر الناس يرجعون ولكن يُلهى عنهم ولا يعاب بهم حتى تستكمل معرفتهم.

وبعبارة أخرى: إن ما ورد في روايات مستفيضة من وحدة اختصاص مساءلة القبر، أنه متحد مع الاختصاص في الرجعة، فلم توحد هذه الروايات المستفيضة بين أصل الورود في القبر مع أصل الورود في الرجعة، بل وحدت بين المساءلة في القبر مع الرجعة، مما ينبه على أن الاختصاص في الرجعة هو في المساءلة لا بأصل الرجوع.

كما أن من هذه الصحيحة - مع انضمامها لتلك الروايات المستفيضة من التوحيد بين شأن عالم القبر والبرزخ مع شأن عالم الرجعة - يظهر بوضوح أن للقبر والبرزخ أحكاماً وشؤوناً ذات صلة وطيدة بعالم الرجعة، وأنه ممهد للخروج والبعث في الرجعة.

نعم، يوجد في بعض نسخ (مختصر بصائر الدرجات) سقط في ذيل الرواية.

٨ ما ورد مستفيضاً في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا^(٢)، حيث دلت الروايات الآتية على ظهور هذه الآية في الرجعة لا في يوم القيامة؛ لأن في يوم القيامة يُبعث الجميع كما في قوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٣)، فهذه الآيات في سورة النبأ بهذا التقريب من

(١) الكافي / الجلد ٣ / كتاب الجنائز / باب ٨٨ ، والبحار مجلد ٦ / أبواب الموت باب ٨ .

(٢) سورة النبأ: الآيتان ١٧-١٨ .

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٧ .

ظهورها - والتي نُبه عليها في الروايات - دالّ على عموم الرجعة لعموم الناس غاية الأمر أنه بنحو تدريجي تفويجي أما الروايات الواردة في ذيل الآية :

فقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن عقبة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال: «نعم»، ف قيل له: مَنْ أول من يخرج؟ قال: «الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم»، قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال: «لا، بل كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾»^(١) «قوماً بعد قوم»^(٢). وتقريب دلالة الرواية أنه عليه السلام قرر في الجواب رجوع الناس كلهم لكن لا دفعة، بل فوج بعد فوج.

معنى من محض الإيمان ومحض الكفر:

وقد وردت روايات صريحة في أنّ معنى محض الإيمان هو الإيمان والإقرار بالشهادة الأولى والثانية والثالثة أي بمعنى أصل تحقق الإيمان الأوّلي وبداية درجاته وإن لم يصل إلى نهايات كماله وإن ورد بهذا المعنى الثاني استعمال آخر في الآيات والروايات أيضاً.

فقد روى الكليني بسنده عن أبي بكر الحضرمي قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: أصلحك الله من المسئولون في قبورهم؟ قال: «من محض الإيمان ومن محض الكفر» قال: فقلت: فبقية هذا الخلق؟ قال: «يلهى - والله - عنهم ما يُعْبَأُ بهم»، قال: وقلت: وعما يسألون؟ قال: «عن الحجة القائمة بين أظهرهم فيقال للمؤمن: ما تقول في فلان بن فلان؟ فيقول: ذاك إمامي فيقال: نعم أنام الله عينك، ويُفتح له باب من الجنة فما زال يُتحفه من رَوْحها إلى يوم القيامة. ويقال للكافر: ما تقول في فلان بن فلان؟ قال: فيقول: قد سمعت وما أدري ما هو! فيقال: لا دريت قال: ويفتح له باب من النار فلا يزال يتحفه من حرّها إلى يوم القيامة»^(٣).

(١) سورة النبأ: الآية ١٨.

(٢) مختصر بصائر الدرجات ح ١٤٢/٤٢ ص ١٩٦.

(٣) الكافي ج ٣ كتاب الجنائز / باب المساءلة في القبر وفيمن يسئل ومن لا يسئل / ح ٢ ص ٢٣٧.

وروى أيضاً بسنده عن إبراهيم بن أبي البلاد عن بعض أصحابه عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: «يقال للمؤمن في قبره: من ربك؟ قال: فيقول: الله فيقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام فيقال: من نبيك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقال: من إمامك؟ فيقول: فلان فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هدايني الله له وثبتني عليه فيقال: نم نومة لا حلم فيها نومة العروس ثم يفتح له باب إلى الجنة فيدخل عليه من روحها وريحانها ... الحديث»^(١).

وفي ذيلها ذكر عكس ذلك في الكافر.

وروى أيضاً بسنده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث عن المؤمن إذا وضع في قبره وعن منكر ونكير. «ويسألانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: الله فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الإسلام فيقولان: ومن نبيك؟ فيقول: مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيقولان: فمن إمامك؟ فيقول: فلان فينادي مناد من السماء: صدق عبيد افرشوا له في قبره من الجنة وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنة وألبسوه من ثياب الجنة حتى يأتينا، وما عندنا خير له، ثم يقال له: نم نومة عروس نم نومة لا حلم فيها قال: وإن كان كافراً... ثم يدخل عليه ملكا القبر ... فيقولان له: من ربك؟ فيتلجلج ويقول: قد سمعت الناس يقولون، فيقولان له: لا دريت ويقولان له: ما دينك؟ فيتلجلج فيقولان له: لا دريت ويقولان له: من نبيك؟ فيقول: قد سمعت الناس يقولون فيقولان له: لا دريت ويُسأل عن إمام زمانه، قال: وينادي مناد من السماء كذب عبيد افرشوا له في قبره من النار وألبسوه من ثياب النار وافتحوا له باباً إلى النار حتى يأتينا وما عندنا شرُّ له فيضربانه بمرزبة ... الحديث»^(٢).

هذا، والحاصل: أن مقتضى اتحاد عنوان ووصف من محض الإيمان ومحض الكفر في مسألة القبر وفي من يرجع في الرجعة - أي في نصفها الأول - هو اتحاد المعنى المراد من هذا العنوان والوصف، وقد مرّ سرّ ووجه اتحاد من يُساءل في القبر

(١) الكافي الجلد ٣/ كتاب الجنائز / باب المسألة في القبر / ح ١١ ص ٢٣٨.

(٢) الكافي / مجلد ٣ ص ٢٣٩ باب المسألة في القبر ح ٣.

والذي يرجع في الرجعة وهذا الاتحاد كاشف عن أن من تكامل في طريق الخير أو تردى في طريق الشر هو الذي يساءل في القبر وهو الذي يكون له استعداد وقابلية للرجوع أو للمساءلة فيه في أوائل الرجعة دون المستضعفين والبُله ونحوهم. وهو مما يدعم استعمال (مُحَضِّ الإيمان) في أصل الإيمان لا في أعلى مراتبه الكاملة.

سر سبق من محض الإيمان أو محض الكفر على المستضعفين في الرجعة :

والظاهر أن سببه، هو وصول من محض إلى الكمال المستعد لمسير كمال الرجعة أو كمال المحاسبة والمساءلة فيها، بخلاف المستضعف، فهو لازال في حالة تطور وتدرج قبل أن يستوي لقبول كمال الرجعة أو لقبول المحاسبة والمساءلة فيها على كلا التأويلين في اختصاصها، والظاهر أن هذا هو تفسير اختصاص المساءلة في القبر بمن محض دون المستضعفين.

المحطة الرابعة:

قائمة وجدولة في من يكر من أهل الخير وأهل الشر

١- قد وردت الروايات المستفيضة بنظم وتنظيم خاص في نظام مراحل الرجعة ومن يرجع، والطابع العام في الرجعة يأخذ منحى التفويج، كما أشار إلى ذلك أئمة أهل البيت عليهم السلام في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾^(١)، وظاهر الآية - كما أشير في الروايات - يقتضي التفويج، كطابع عام في غالب الرجعة، أي إلى قريب أواخرها، كما أن هناك طابعاً عاماً أيضاً في الرجعة بينوا معالمه عليهم السلام، وهو مافي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(٢).

٢- فقد روى البرقي في الصحيح عن يعقوب بن شبيب قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «يوم ندعوا كل أناس بإمامهم»، فقال: «ندعو كل قرن من هذه الأمة بإمامهم» قلت: فيجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قرنه، وعلي عليه السلام في قرنه، والحسن عليه السلام في قرنه، والحسين عليه السلام في قرنه، وكل إمام في قرنه الذي هلك بين أظهرهم؟ فقال: «نعم»^(٣). وهذا الصحيح ناص على أن للنبي رجعتين: إحداهما هي التي أشار إليها الصحيح رجوعه صلى الله عليه وآله مع من كان في قرنه لا مع عامة الناس، والثانية بضميمة ما استفاض من رجوعه صلى الله عليه وآله آخر الرجعة ومعه جميع الأئمة الاثنى عشر وفاطمة وجميع البشر.

ثم إنَّ هناك قائمة بمن يرجع من أهل الخير وأئمة الهدى، كما أن هناك قائمة

(١) سورة النمل: الآية ٨٣

(٢) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٣) المحاسن للبرقي / ١: ١٤٤ كتاب الصفوة والنور/ب ١٢ ح ٤٤.

بأهل الشر وأئمة الضلال والكفر.

فأما أئمة الهدى فالعتره من آل محمد ﷺ.

٣. فقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن المعلى بن خنيس وزيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعناه يقول: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَكُرُّ فِي الرَّجْعَةِ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيٍّ وَيَمُكُثُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً حَتَّى يَسْقُطَ حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنَيْهِ»^(١).

٤. وروى سعد أيضاً - بسند صحيح أعلائي في الصحة - عن محمد بن مسلم، قال: سمعت حمرا بن أعين وأبا الخطاب يحدثان جميعاً - قبل أن يُحدثَ أبو الخطاب ما أحدث - أنهما سمعا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام ... الحديث»^(٢).

وغيرها من الأحاديث المستفيضة في أن أول من يرجع الحسين عليه السلام.

والمراد من الأولية هنا، أنه هو أول من يرجع من أئمة أهل البيت عليهم السلام، وستأتي جملة من الروايات أن الحسين عليه السلام يرجع والمهدي عليه السلام حي، أي أن رجوعه في أواخر عمر ولده المهدي الحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف - قبل استشهاده، فيعرف الإمام المهدي عليه السلام الناس بأن الحسين سبط النبي ﷺ وسيد الشهداء الذي يؤمنون به هو هذا قد رجع إلى الدنيا، حتى تستقر معرفة الناس به، ثم يُستشهد الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.

وأما بالنسبة لسائر عموم الناس، فإن أول من يرجع هم من يرجعون من المؤمنين الشيعة قبيل الظهور بين شهر جمادى ورجب.

وأما ثاني الأئمة عليهم السلام رجوعاً فهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ويوافق رجوعه أواخر رجعة الحسين عليه السلام، وفي الروايات المستفيضة: أن أكثر من يرجع من الأئمة عليهم السلام في الرجعة أي أنه يرجع ثم يموت ثم يرجع ثم يموت ... وهكذا هو علي

(١) مختصر بصائر الدرجات / باب الكرات ح ٤/٥٨.

(٢) مختصر بصائر الدرجات / باب الكرات ح ٢٣/٧٧.

بن أبي طالب عليه السلام، فهو صاحب الكرات والرجعات، وهو من يقيم الدول الكثيرة في الرجعة، بل يقيم أعظم الدول تدويلاً بين أئمة أهل البيت الاثني عشر عليه السلام، فهو صاحب دولة الدول، كما ستأتي الروايات في ذلك.

نعم، أعظم دولة تقام في الرجعة على الإطلاق، وهي آخر دولة في الرجعة، هي دولة الرسول ﷺ وخليفته أمير المؤمنين عليه السلام، ويكون بقية الأئمة الأحد عشر عليه السلام معه أعوان ووزراء.

٥- فقد روى سعد بن عبد الله في الصحيح عن بكير بن أعين قال: قال لي من لا شك فيه - يعني أبا جعفر عليه السلام - : «إن رسول الله ﷺ وعلياً عليه السلام سيرجعا»^(١).

٦- وروى أيضاً في المصحح عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: عن رسول الله ﷺ - في قتال علي لكفار قريش في الرجعة لمن كفر منهم بعد رسول الله ﷺ - : «إن جبرئيل قال لرسول الله ﷺ : واحدة لك واثنتان لعلي بن أبي طالب وموعدكم السلام»، قال أبان: جعلت فداك وأين السلام؟ قال: «يا أبان السلام من ظهر الكوفة»^(٢).

وسياتي في الباب الرابع: أن الكوفة مركز وعاصمة لدولة الإمام المهدي عليه السلام وعاصمة لكل دول أئمة أهل البيت عليه السلام وعاصمة لدولة الرسول ﷺ.

بل قد روي أيضاً أن كل إمام عندما يرجع يرجع معه طاغوت عصره وقاتله فتدور رحى المواجهة وينتقم لكل إمام من ذلك الطاغوت.

٧- فقد روى العياشي في تفسيره عن رفاعة بن مسلم قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «إنَّ أوَّل من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام وأصحابه ويزيد بن معاوية (لع) وأصحابه فيقتلهم حذو القذة بالقذة ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾»^(٣).

(١) مختصر بصائر الدرجات / باب الكرات ح ٢٤ / ٧٨.

(٢) مختصر بصائر الدرجات / ب الكرات ح ٩ / ٦٣.

(٣) تفسير العياشي ذيل آية الاسراء مجلد ٢ / ٢٨٢.

٨. وروى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام في حديث عن الرجعة، قال عليه السلام: «وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ يعني بذلك محمداً صلى الله عليه وآله وقيامه في الرجعة ينذر فيها وقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا لِأَخْذَى الْكُبَرِ ﴿٢﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يعني محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للبشر في الرجعة، وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال: يظهره الله عز وجل في الرجعة، وقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ هو علي بن أبي طالب عليه السلام إذا رجع في الرجعة»، قال جابر: قال أبو جعفر: «قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في قول الله عز وجل ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(١) قال: هو أنا إذا خرجت أنا وشيعتي وخرج عثمان بن عفان وشيعته ونقتل بني أمية، فعندها ﴿يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾^(٢)».

٩. وفي المختصر عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال: «نعم»، فقليل له: مَنْ أول من يخرج؟ قال: «الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم عليه السلام»، فقلت: معه الناس كلهم؟ قال: «لا بل كما ذكره الله تعالى في كتابه ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾^(٣) قوماً بعد قوم»^(٤).

وظاهر هذه الرواية ناظر إلى أغلب مراحل الرجعة من الابتداء إلى ما قبل أواخر الرجعة، وأن الطبيعة العامة للرجعة هي التفويج، أي بأفواج بعد أفواج.

١٠. وروى في مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام: «ويقبل الحسين في أصحابه الذين قتلوا معه ومعه سبعون نبياً كما بعثوا مع موسى بن عمران عليه السلام فيدفع إليه القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - الخاتم (فيلقاه الموت) فيكون الحسين عليه السلام هو

(١) سورة الحجرات: الآية ٢.

(٢) مختصر بصائر الدرجات / باب الكرات ح ١/٥٥.

(٣) سورة النبأ: الآية ١٨.

(٤) مختصر بصائر الدرجات / ح ٤٢/١٤٢.

الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواري به حفرته»^(١) وسيأتي في معنى الرواية احتمال إرادة أن السبعين من أصحابه الذين قتلوا معه يُبعثون أنبياءً معه كما بُعث الذين أختارهم موسى عليه السلام من قوم سبعين رجلاً لميقات الله فلما ماتوا أحياهم الله مرة أخرى وبعثوا في رجعتهم ورجوعهم إلى الدنيا مرة أخرى أنبياء وقد ورد في شأن السبعين من أصحاب موسى عليه السلام وأنها رجعوا وبعثوا إلى دار الدنيا مرة أخرى أنبياء روايات مستفيضة ذكر جملة منها الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ من الهجعة). وكاف التشبيه في الرواية ظاهرة في الإشارة إلى ذلك كما في جملة زيارات سيد الشهداء في الفقرات التي تخص التسليم على الشهداء إشارات عديدة بصيرورتهم ربانيين صديقين.

١١- وروى الشيخ الطوسي في الغيبة والمفيد في الاختصاص عن جابر قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «ليملكن رجل منا أهل البيت بعد موته ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً» قال: فقلت: فمتى يكون ذلك؟ قال: فقال: «بعد موت القائم... ثم يخرج المنتصر إلى الدنيا فيطلب بدمه ودماء أصحابه فيقتل ويسبي... فإذا اشتد البلاء عليه وقتل المنتصر، خرج السفاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر فيقتل كل عدو لنا، وهل تدري من المنتصر ومن السفاح يا جابر؟ المنتصر الحسين بن علي والسفاح علي بن أبي طالب»^(٢). ويُفهم من هذه الروايات - وهي نبذة يسيرة مما ورد في أوائل الرجعة - أن الرجعة متصلة بظهور المهدي الحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بل متشابكة معه ثم يرجع أول من يرجع من أئمة أهل البيت عليهم السلام الحسين عليه السلام ثم أمير المؤمنين عليه السلام وآخرهم رجوعاً في أواخر الرجعة سيد الرسل صلوات الله عليه وآله أي في رجعته الثانية وأما رجعته الأولى فهي مع من كان في قرنه أيضاً كما مرّ في صحيح يعقوب بن شبيب، وأن لكل إمام منهم عليه السلام دولة عدل يقيمها.

١٢- وروى في مختصر بصائر الدرجات في المصحح عن قيصر بن أبي شيبه

(١) مختصر بصائر الدرجات / ح ٤٣/١٤٣.

(٢) الاختصاص ص ٢٧٥ والغيبة للطوسي ص ٤٧٨ ح ٥٠٥. والعياشي ج ٢ ص ٣٢٦ ح ٢٤ ومختصر بصائر

الدرجات ح ٤٥/١٤٥.

سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول في هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ قال: «ليؤمنن برسول الله ﷺ ولينصرن أمير المؤمنين علياً عليه السلام». قال: نعم - والله - من لدن آدم وهلم جرّاً فلم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلا ردّ جميعهم إلى الدنيا حتى يقاتلون بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

وأما جدول قائمة رجعة الشر وأهل الشرور فقد عرفت أنّ كل إمام من أئمة أهل البيت عليه السلام، بل وكذلك رسول الله ﷺ في رجعته الأولى عندما يرجع فإنه يرجع معه طاغوت زمانه وأنصار كل منهم، ليدل الله الحق على الباطل كرة وجولة للحق.

رجعة إبليس والشياطين والجن:

١- كما أن هناك ما يدل على أنّ لإبليس اللعين رجعة أو رجعات فقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن إبليس قال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ فأبى الله ذلك عليه و ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ إلى يوم الوقت المعلوم»^(٢) فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين عليه السلام. فقلت: وإنها لكرات؟ قال: نعم، إنها لكرات وكرات ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره حتى يُدِيلَ الله عزَّ وجلَّ المؤمن من الكافر فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرَّ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال لها (الروحاء) قريب من كوفتكم فيقتلون قتالاً لم يُقتل مثله قط منذ خلق الله عزَّ وجلَّ

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات ح ٣٢/٨٦ وح ٩٣/٤٣١ وح ١٧/١١٧، ورواه العياشي في ج ١ ص ١٨١

ح ٧٦.

(٢) سورة الحجر: الآيات ٣٧ - ٣٩.

العالمين...»^(١).

وقوله عليه السلام «ظهر إبليس (لعنه الله) في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم الى يوم الوقت المعلوم» دالّ على رجوع جميع أهل الشر والأشرار منذ زمن آدم إلى أواخر الرجعة وفيه دلالة أيضاً على عموم الرجعة.

وفي ذيل الرواية هبوط رسول الله ﷺ فيلاحق إبليس فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه فعند ذلك يُعبد الله عَزَّ وَجَلَّ ولا يُشرك به شيئاً. وتقريب دلالة هذه الرواية أنه قد وَرَدَ أيضاً أنَّ القائم المهدي الحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف - هو الذي يقتل إبليس في مسجد سهيل (السهلة في الكوفة) كما سيأتي.

وَوَرَدَ ثالثاً أيضاً أن أمير المؤمنين عليه السلام في أحد كراته يقتل إبليس كما سيأتي. فيظهر من مجموع الروايات مع هذه الرواية، أنَّ لإبليس قتلات ورجعات، آخرها هو في آخر الرجعة، وقد مرّ رجوع عثمان وأشياعه لمقاتلة أمير المؤمنين عليه السلام كما في قوله عليه السلام: «ظهر إبليس في جميع أشياعه إلى يوم الوقت المعلوم»، ودال على رجوع كل الشياطين الأشرار من الإنس والجن من أعوان إبليس اللعين.

٢- فقد روى الصدوق بسنده المعتبر عن عبد العظيم بن عبد الله الحسيني قال: سمعت أبا الحسن علي بن محمد العسكري يقول: «معنى الرجيم أنه مرجوم باللعن مطرود من مواضع الخير لا يذكره مؤمن إلا لعنه وأن في علم الله السابق أنه إذا خرج القائم لا يبقى مؤمن في زمانه إلا رجمه بالحجارة كما كان قبل ذلك مرجوماً باللعن»^(٢). وظاهر الخبر أنه يقتل بالرجم في زمان ظهور المهدي - عجل الله فرجه الشريف -.

٣- وروى في الأنوار المضيئة للسيد علي بن السيد عبد الحميد: أن القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - يقتل إبليس يوم الوقت المعلوم يجثو إبليس على ركبته في

(١) مختصر بصائر الدرجات / ح ٣٧/٩١ باب الكرات.

(٢) معاني الأخبار ص ١٣٩ ح ١.

المسجد فيأخذ بناصيته ويضرب عنقه.

وجمعه مع ما ورد من قتل الرسول ﷺ لإبليس هو بحصول الرجعة لإبليس.

٤- وروى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن خالد بن يحيى عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث سأل فيه عن قول الرسول ﷺ: «اتقوا دعوة سعد» أي سعد بن أبي وقاص. قال عليه السلام: «نعم، قلت: وكيف ذلك؟ قال: «إن سعداً يكر فيقاتل علياً»^(١).

٥- ويظهر من بعض الروايات أن للدجال أيضاً رجعة، فقد روى الشيخ الطوسي في مجالسه (أماله) بإسناده عن حذيفة بن أسيد عن أبي ذر، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «من قاتلني في الأولى وقاتل أهل بيتي في الثانية حشره الله في الثالثة مع الدجال [فهو فيها من شيعه الدجال]»^(٢).

ويظهر أن الدجال بعد أن يُقتل يرجع رجعة إلى الدنيا مرة أخرى

٦. نعم استثنى من الرجعة كل قوم أهلكهم الله بالعذاب.

فقد روى القمي في تفسيره في الصحيح عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ فقال الصادق عليه السلام: «كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب ومُحَضُّوا الكفر محضاً لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، أما غيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب ومحضوا الإيمان محضاً أو محضوا الكفر محضاً يرجعون»^(٣).

٧- وورد في رجوع عائشة، عن عبد الرحيم القصير، قال: قال لي أبو جعفر عليه السلام:

«أما لو قد قام قائمنا لقد رُدَّتْ إليه الحميراء، حتى يجلد لها الحد، وحتى ينتقم لابنة

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات/ ١٠٠/ ٤٦، وتفسير القمي /مجلد ١ ص ٢٩٠: بصائر الدرجات للصفار: ١٤/٤٤٢.

(٢) آمالي الشيخ الطوسي: المجلس ٢/ ٥٧/ ٨٨، ورواه بطريق آخر المجلس ١٦/ ح ٢٣/ ١٠٢٦، ورواه الطبري في بشارة المصطفى بسنده عن الشيخ سؤال ٨٨ ورواه في البحار عن مصادر الجمهور عن الخرکوشي في اللوامع ٣٢: ٣٢٢.

(٣) تفسير القمي/ ٤٢: ١ ونظيره رواه في موضع آخر في تفسيره عن محمد بن مسلم ٢٧٥.

محمد فاطمة عليها السلام منها»، قلت: جعلت فداك ولم تجلد الحد؟ قال: «لفريتها على أم إبراهيم»، قلت: فكيف أخره الله عز وجل للقائم؟ قال: «إن الله بعث محمداً صلوات الله عليه رحمة ويبعث القائم عليه السلام نقمة»^(١).

(١) محاسن البرقي: ح ١٢٦ ج ٢ ص ٣٣٩، علل الشرائع/باب ٣٨٥ ح ١٠ المجلد ٢/ ص ٥٧٩ وأيضاً مختصر بصائر الدرجات نقلاً عن علل الشرائع ح ٥٣/٥٦٤.

المحطة الخامسة :

مرحلة خروج دابة الأرض وما بعده

إنَّ مرحلة خروج الدابة ملحمة كبيرة في الرجعة أشار إليها القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿١٠﴾ وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١١﴾﴾.

والاعتقاد بخروج دابة الأرض كآية إلهية تحدث في آخر الزمان عقيدة متأصلة بين جميع المسلمين مع كونها فصلاً مهماً في فصول الرجعة وسيأتي البحث فيها مفصلاً إلا أننا نشير إلى بعض ما يرتبط بهذه المرحلة وما بعدها تبياناً لجدولة مراحل الرجعة. فقد روى نعيم بن حماد في كتاب الفتن^(٢) في ذيل الآية من سورة النمل: أن ذلك - أي خروج الدابة - حين لا يأمرؤن بمعروف ولا ينهون عن منكر أي أن ظهور الدابة عند عدم تناهي الناس عن المنكر وعدم أمرهم بالمعروف وهذه الظاهرة تقع في أواسط الرجعة.

كما قد ورد عن مرحلة ما بعد الدابة إلى أواخر الرجعة في رواية الصدوق في إكمال الدين الواردة في الدجال عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث قال عليه السلام: «ولا تسألوني عما يكون بعد ذلك - [أي بعد طامة الدابة في الرجعة] - فإنه عهد إليّ حبيبي رسول

(١) سورة النمل: الآيات ٨ - ٨٣.

(٢) كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي/ص ٤٠٤/باب خروج الدابة.

الله ﷻ أن لا أخبر به غير عترتي»^(١).

وروى نعيم بن حماد بإسناده عن حذيفة في كتاب الفتن أيضاً: وتخرج الدابة والآيات بعد عيسى عليه السلام بسبعة أشهر^(٢). وهذا التحديد لم نقف عليه من طرقنا.

وروى في إرشاد القلوب: «وتطلع الشمس من مغربها وتخرج الدابة ويظهر الدجال وينتشر يأجوج ومأجوج وينزل عيسى بن مريم عليه السلام»^(٣).

والظاهر أن الترتيب إما من الراوي أو المراد به مطلق السرد من دون بيان الترتيب وذلك لأن هذه العلامات ونحوها وردت في روايات الفريقين كعلامات للساعة والساعة كما سيأتي في الباب الثالث تطلق تارة على ساعة ظهور صاحب الأمر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وثانية تطلق على رجعة الأئمة عليهم السلام وثالثة تطلق على خروج الدابة والآيات الكونية المهيولة التي هي مراحل خطيرة من الرجعة ورابعة تطلق على القيامة الكبرى كما أن لفظ وعنوان القيامة هي الأخرى تطلق على هذه المواطن أيضاً وخامسة تطلق أيضاً على موت الإنسان كما ورد: «إذا مات ابن آدم قامت قيامته».

وأما توقيت خروج يأجوج ومأجوج فيحتاج إلى مزيد من التتبع في بيانات الروايات، وسيأتي مزيد بحث عن أن من أسماء الرجعة وعناوينها (ظهور وخروج الآيات) وهذا الاسم والعنوان لها ورد في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا﴾^(٤)، وقوله تعالى ﴿سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾^(٥) وقوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ

(١) إكمال الدين للصدوق/ص ٧٧، الخرائج والجرائع/ج ٣ ص ١١٣٧.

(٢) كتاب الفتن لنعيم بن حماد المروزي/ص ٤٠٥ باب خروج الدابة.

(٣) إرشاد القلوب للدليمي ج ١/ص ٦٦ باب ١٦ أشرط الساعة وأهوالها.

(٤) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٥) سورة النمل: الآية ٩٣.

أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ»^(١)، وسيأتي في الباب الثاني أن الرجعة مروية بنحو متواتر في روايات العامة ولكن بأسماء جملة من فصولها ومراحلها كخروج الدابة وظهور الآيات وغيرها من المفاصل والمراحل الخطيرة في الرجعة.

روى نعيم بن حماد في كتاب الملاحم والفتن حول الأحداث التي تقع بعد خروج الدابة: «... ويلد المؤمن فلا يموت حتى يتم أربعين سنة بعد خروج دابة الأرض ثم يعود فيهم الموت فيمكثون بذلك (أي في البرزخ أو نحوه) ما شاء الله ثم يسرع الموت في المؤمنين فلا يبقى مؤمن فيقول الكافر: قد كنا مرعوبين من المؤمنين فلم يبقَ منهم أحد وليس يُفقد منا ميت فما لنا لا نتهارج فيتهارجون في الطريق تهارج البهائم ثم يقوم أحدهم بأمه وأخته وابنته فينكحها في وسط الطريق يقوم عنها واحد وينزل عليها آخر لا ينكر ولا يغير فأفضلهم من يقول: لو تنحيتم عن الطريق كان أحسن! فيكون بذلك لا يبقى أحد من أولاد النكاح يومئذ ويكون جميع أهل الأرض من أولاد السفاح فيمكثون بذلك ما شاء الله ثم يعقم الله أرحام النساء ثلاثين سنة فلا تلد امرأة ولا يكون في الأرض طفل يكونون كلهم أولاد الزنا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة»^(٢).

وروى السيد ابن طاووس في سرور أهل الإيمان في حديث عن بقاء أهل الروم ودولتهم إلى وقت خروج الدابة: «... وينادي مناد من ناحية المشرق... ومن الغد تتلون الشمس وتصفير فتصير سوداء مظلمة ويوم الثالث يفرق الله بين الحق والباطل وتخرج دابة الأرض وتقبل الروم إلى ساحل البحر عند كهف الفتية فيبعث الله الفتية»^(٣). ويحتمل قوياً أن العطف غير ترتيب في الرواية أو الخطأ والوهم من الراوي.

(١) سورة الأنعام: الآية ١٠٩.

(٢) كتاب الفتن / للمروزي باب خروج الدابة ص ٤٠٢.

(٣) البحار / ج ٥٢ ص ٢٧٢ ح ١٦٧.

المحطة السادسة:

رجعة الحيوان

ويُشير إلى رجعة الحيوان: قوله تعالى في قصة عزيز: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

وفي الآية دلالة واضحة على إحياء الحيوان بعد إماتته وهو حمار عزيز.

وكذا قوله تعالى في سورة التكوين: ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾^(٢)، وإن كان للآية عدة تأويلات صحيحة منصوبة، لما سيأتي من أن وقوع الحشر يتكرر عدة مرات في الرجعة زيادة قبل وقوع حشر القيامة الكبرى.

وعلى أي تقدير فالآية الأولى ناصّة على المطلوب.

وكذلك الشأن في كلب أصحاب الكهف: ﴿وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ﴾ وقد مرَّ أنَّ الحيوانات المأكولة في الرجعة يأكلها المؤمن فيحييها مرة أخرى، وكذلك الطيور التي أحياهن النبي إبراهيم عليه السلام الواردة في سورة البقرة.

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٢) سورة التكوين: الآية ٥.

المحطة السابعة:

أواخر الرجعة

فقد روى المجلسي في البحار عن بعض مؤلفات أصحابنا عن الحضيبي صاحب الهداية الكبرى بسند متصل ذكره في البحار عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله في حديث طويل عن الظهور والرجعة قال فيه...: «ثم يخرج الصديق الأكبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وينصب له القبة بالنجف ويقام أركانها ركن بالنجف وركن بهجر وركن بصنعاء وركن بأرض طيبة لكأني أنظر إلى مصابيح تشرق في السماء والأرض كأضواء من الشمس والقمر فعندها «تبلى السرائر» و«تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد». ثم يخرج السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله في أنصاره ومن آمن به وصدقه واستشهد معه ويحضر مكذّبوه والشاكون فيه والرادون عليه والقائلون فيه إنه ساحر وكاهن ومجنون وناطق عن الهوى ومن حاربه وقاتله حتى يقتص منهم بالحق ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهور رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - مع إمام إمام ووقت ووقت ويحق تأويل هذه الآية: «وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ» ^(١).

قال المفضل: يا سيدي ومن فرعون وهامان؟ قال: «أبو بكر وعمر»، قال المفضل:

(١) سورة القصص: الآيتان ٥ و ٦.

يا سيدي ورسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) يكونان معه^(١)؟ فقال: «لابد أن يطنأ الأرض إي والله حتى ما وراء الخاف^(٢) إي والله وما في الظلمات وما في قعر البحار حتى لا يبقى موضع قدم إلّا وطياه وأقاما فيه الدين الواجب لله تعالى ثم لكأني أنظر - يا مفضل - إلينا معاشر الأئمة بين يدي رسول الله ﷺ نشكو إليه ما نزل بنا من الأمة بعده وما نالنا من التكذيب والرد علينا وسبينا ولعننا وتخويفنا بالقتل وقصد طواغيتهم الولاية لأموارهم من دون الأمة بترحيلنا عن الحرمة^(٣) إلى دار ملكهم وقتلهم إيانا بالسّم والحبس فيبكي رسول الله ﷺ ويقول: يا بني ما نزل بكم إلّا ما نزل بجدكم قبلكم، ثم تبتدىء فاطمة عليها السلام وتشكو ما نالها من أبي بكر وعمر... الحديث^(٤). ولا يخفى أنّ هذه الرواية هي الأخرى يمكن استظهار رجعتان لرسول الله ﷺ: أولى مع من كان في قرنه وثانية مع جميع الناس كما مرّ في صريح صحيح يعقوب بن شبيب.

وروى الشيخ الطوسي في أماليه وسعد بن عبد الله في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن بريدة الأسلمي عن رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي إن الله أشهدك معي في سبع مواطن... إلى أن قال: الموطن السابع: نبقي حتى لا يبقى أحد وهلاك الأحزاب بأيدينا»^(٥).

(١) لعل الأصح: معاً.

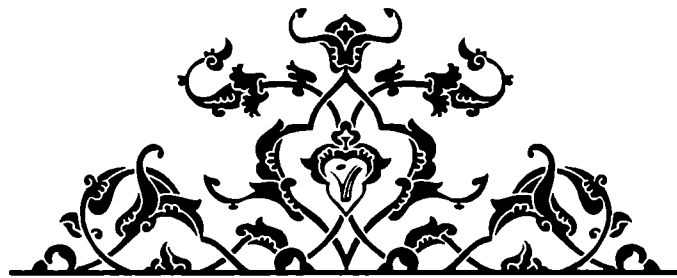
(٢) والأصح ظاهراً (القاف) والظاهر أنه اشتباه من الناسخ.

(٣) لعل الأصح في النسخ (الحرم).

(٤) الهداية الكبرى للحضيني ٤٠٧/٣٩٢ باب ١٤، الإمام المهدي، بحار الأنوار/مجلد ٥٣ ص ١٦، مختصر بصائر الدرجات ح ٥١٦/٥ وهو من الأحاديث التي أضافها الحسن بن سليمان الحلبي إلى ما اختصره من

بصائر الدرجات وقد رواه عن كتاب عن الحسين بن حمدان.

(٥) أمالي الطوسي: ص ٢١/٦٤١ وأيضاً مختصر بصائر الدرجات ح ٤٩/٢٠٩ ص ٢٥٧.



الفصل الخامس

موقعة الرجعة

في العقيدة والإيمان



قال الحر العاملي في الباب الثاني من كتاب (الإيقاظ من الهجعة): الأمر الثامن: إنّا مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة، وكلّ وقت كما أنّا مأمورون بالإقرار في كثير من الأوقات بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة، وكلّ ما كان كذلك فهو حقّ، والصغرى ثابتة بالنقل المتواتر الآتي، والكبرى بديهية فالرجعة حقّ^(١).

وفي هذا النصّ - للحر العاملي - تكمن حقيقة موقعية الرجعة في العقيدة وتعتبر هذه العبارة من الحرّ العاملي فتحّ في مسألة الرجعة بصورة خاصة والعقائد بصورة عامّة، وهذه العبارة ناظرة إلى أمور ثلاثة:

الأمر الأول: الإقرار بالرجعة.

الأمر الثاني: الاعتقاد بها.

الأمر الثالث: تجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة.

فهذا نصّ جامع ذكره الحر العاملي في هذه المسألة الخطيرة ويشير إلى عدم حصر التركيز والأهمية على الجانب التنظيري الفكري في الاعتقاد بها، بل لابدّ من التركيز على جانب التعليم العملي، وهذا لابدّ فيه من الديمومة والاستمرارية لذكرها في كل آن، فجعل مسألة الرجعة المجمع الجامع لأصول الدين إذ فيها توحيد ونبوة وإمامة ومعاد.

(١) الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة : ص ٨٨

فرکز الحر العاملي على أننا من جهة الرجعة مأمورون بذكرها ورّداً أي هناك أمر وارد منهم عليه السلام في البين بأمور ثلاثة: الإقرار باللسان وهذا أمر مهم إذ لا يكتفى في الإيمان بالاعتقاد القلبي دون اللسان فلا بد من إظهار ذلك لساناً. ثم الاعتقاد أي عقد القلب عليها وهو ليس جانباً فكرياً فقط بل تعايشاً عملياً علمياً معها، ثم تجديد الإقرار بها كل يوم وفي كل ورد. و (تجديد) فعل مضارع يدل على الاستمرار وهذا يحصل عبر الأدعية والزيارات ويوم الجمعة. وهذه الموارد ليست على سبيل الحصر بل من باب أوضح المصاديق.

ثم عقبها ب: كل آن عليك تجديد الاعتراف الفعلي بمسألة الرجعة في كل حين.
ثم إن هناك شاهداً روائياً لا بأس بذكره:

١- عن عبد الله بن جندب، قال: سألت أبا الحسن الماضي عليه السلام عما أقول في سجدة الشكر فقد اختلف أصحابنا فيه؟ فقال: «قل وأنت ساجد: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي وعلياً وفلاناً وفلاناً ... إلى آخرهم أئمتي بهم أتولى ومن عدوهم أبتراً، اللهم إني أنشدك دم المظلوم . ثلاثاً. اللهم إني أنشدك بإيوائك على نفسك لأوليائك لتظفرنهم بعدوك وعدوهم أن تصلي على محمد وعلى المستحفظين من آل محمد»^(١).

يراد بالإيواء على نفسه: وعد الله تعالى في قوله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٢).

وقوله: «لتظفرنهم» متعلق بالإيواء، واللام جواب للقسم الذي في معنى الإيواء.
فمفاد الحديث: استحباب ذكر الرجعة في سجدة الشكر لكل صلاة يومية

(١) الكافي: ٣، ص ٣٢٥، باب السجود والتسبيح والدعاء، الحديث السابع عشر.

(٢) سورة ن: الآية ٥٥.

والدعاء لتعجيل إنجاز الله لوعده الله برجعة وإرجاع أئمة أهل البيت عليهم السلام لإقامة دولة العدل.

٢- وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتعجد في التشهد الثاني: «بسم الله وبالله والأسماء الحسني كلها لله، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون»^(١)، والدعاء «ليظهره على الدين كله» عنواناً للرجعة حيث يتم فيها الوعد الإلهي وقد ورد بذلك روايات مستفيضة، إلى غير ذلك من الروايات الواردة في التشهد مما يدل على الأمر بالتشهد والإقرار بالرجعة كجزء ندبي في تشهد الصلاة يومياً.

٣- ما ورد في استحباب التشهد والإقرار بالرجعة في خطبتي صلاة الجمعة، كما في صحيحة محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام في خطبة يوم الجمعة في الخطبة الأولى: «الحمد لله نحمده ونستعينه ... وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ... الحديث»^(٢).

٤- ما ورد من استحباب التشهد والإقرار بالعقائد الحقّة في الوصية فقد روى الصدوق في الفقيه عن سليم بن قيس الهلالي قال: شهدت وصية علي بن أبي طالب عليه السلام حين أوصى لابنه الحسن: «... بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به علي بن أبي طالب أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وآله ... الحديث»^(٣)، ومفاد هذه الروايات في تشهد الوصية وتشهد كل صلاة والتشهد في خطبة الجمعة أن من كمال التشهد بالشهادتين والتشهد والإقرار بالرجعة فإن إظهار الدين

(١) مصباح المتعجد للشيخ الطوسي: ص ٤٩، ح ٣٨ / ٦٥، فصل في سياقة الصلوات، من لا يحضره الفقيه: ج ١، ص ٣١٩، الحديث ٩٤٤.

(٢) الكافي: ج ٣، ص ٤٢٣.

(٣) من لا يحضره الفقيه / مجلد ٤ ص ١٩٠ ح ٥٤٣٣، تهذيب الأحكام مجلد ٩ ص ١٧٧ ح ١٤ / ٧١٤.

وغلبته على كافة الأرجاء إنما يتحقق في الرجعة كما دلت عليه روايات مستفيضة ومتواترة.

٥. تعليم أمير المؤمنين عليه السلام لأهل الكوفة عقيدة الرجعة:

أ. وذلك عبر تكراره عليه السلام رجزاً محفوظاً يكرره في خطبه وأنديته الشريفة كورد ذكره يُحفظ فقد ورد في روايات عديدة أنه عليه السلام قد لقن أهل الكوفة هذا الرجز المعروف «العجب كل العجب ما بين جمادى ورجب» حتى عاد ينشدها الأطفال في سكك الكوفة وبقيت إلى زمان الإمام الباقر عليه السلام حتى أن أبان بن تغلب سأل الباقر عليه السلام عن معنى هذه الأرجوزة التي ينشدها أطفال الكوفة. وهذه الأرجوزة جعلت في روايات أهل البيت عليهم السلام عنواناً للرجعة ولرجعة المؤمنين قبيل ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف ..

فقد روى المفيد في الإرشاد ومختصر بصائر الدرجات: أن رجلاً قال: يا أمير المؤمنين عليه السلام ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه؟ قال عليه السلام: «ثكلت الآخر أمه! وأي عجب يكون أعجب من أموات يضربون هامات الأحياء» قال: أنى يكون ذلك يا أمير المؤمنين عليه السلام؟ قال: «والذي فلق الحب وبرا النسمة كأني أنظر إليهم قد تخللوا سكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم ليضربون كل عدو لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وللمؤمنين وذلك قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾... الحديث»^(١). وأشار عليه السلام في هذه الرواية إلى أن الجاحد أو المنكر للرجعة يئس من عود أصحاب القبور وهو كافر بالإيمان وأن الإيمان بـرجعة أصحاب القبور بمنزلة الإيمان بالمعاد الأكبر لأن الرجعة معاد أصغر كما قرر ذلك علماء الإمامية استفادة من بيان الآيات والروايات.

وهذا العنوان والأرجوزة أحد عناوين وأسماء الرجعة الشهيرة في لسان الروايات.

(١) مختصر بصائر الدرجات/ ح ١٤/٥٢٥ من خطبة (المخزون) لأمير المؤمنين عليه السلام، الإرشاد: مجلد ١

٦- وهناك عنوان ثانٍ كرّره أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً على المسلمين في الكوفة ونبّهم إليه وهو أنّه مثل ذي القرنين وقد روى ابن بابويه القمي في الإمامة والتبصرة صحيح أبي بصير عن أبي جعفر عليه عليه السلام قال: «إن ذي القرنين لم يكن نبياً ولكن كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله وناصح الله وناصح الله أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه فغاب عنهم زماناً ثم رجع إليهم فضربوه على قرنه الآخر وفيكم من هو على سنته». ورواه الصدوق في علل الشرائع وكمال الدين ^(١).

٧- وهناك عنوان ثالث كان يكرره أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً وهو أنّه عليه السلام له شبهه من النبي أيوب عليه السلام وأنه سيد الشيب فقد قال الكشي: وجدت في كتاب محمد بن الحسن بن بندار القمي بخطه: حدثني في الحسن بن أحمد المالكي عن جعفر بن فضيل قال: قلت لمحمد بن فرات لقيت أنت الأصبغ؟ قال: نعم لقيته مع أبي فرأيت شخصاً أبيض الرأس واللحية طوال قال له أبي: حدثنا بحديث سمعته من أمير المؤمنين عليه السلام قال: سمعت يقول على المنبر: «أنا سيد الشيب وفيّ شبهة (سنة) من أيوب وليجمعن الله لي شملي كما جمعه لأيوب ... الحديث» ^(٢). وقد ورد ذلك في روايات عديدة ^(٣).

٨. وهناك عنوان رابع وهو ما ورد مستفيضاً جداً بل متواتراً عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «أنا صاحب الكرات والرجعات ودولة الدول».

وروى الصفار في بصائر الدرجات صحيح زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: «حدّث عن بني إسرائيل - يا زرارة - ولا حرج»، قلت: إنّ في أحاديث الشيعة ما هو أعجب من أحاديثهم فقال: «وأي شيء هو يا زرارة؟ فاختلس في قلبي فمكثت ساعة لا أذكر ما أريد فقال عليه السلام: «لعلك تريد الرجعة؟» قلت: نعم قال: «حدّث (صدّق) بها فإنها حق» ^(٤).

(١) الإمامة والتبصرة: باب في الغيبة: ص ١٢١ ح ١١٦؛ علل الشرائع/ باب ٣٢ ح ١ ص ٤٠، كمال الدين وتعام النعمة: ٣٩٣.

(٢) معرفة رجال الكشي/ ج ٣٩٦.

(٣) آمالي للشيخ المفيد/ من خطبة لعلّي عليه السلام: ح ٤ ص ١٤٥، الإرشاد ج ١ ص ٢٩٠، مختصر بصائر الدرجات ص ٢٠٥.

(٤) ولفظ الرجعة في الحديث كما في كتاب الإيقاظ للحر / ١٣٤ من نسخة بصائر الصفار لديه ولكن ←

وهي تدل على صعوبة هضم مطالب الرجعة حتى على كبار أصحاب الأئمة عليهم السلام مثل زرارة فضلاً عن كبار علماء الإمامية في الغيبة ورغم ذلك فإن الإمام عليه السلام يأمر مثل زرارة بترويج ثقافة عقيدة الرجعة لأنها من المعتقدات الحقة التي يجب أن يتربى عليها مجتمع المؤمنين والمسلمين.

وروى في مختصر بصائر الدرجات صحيح آخر لزرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الأمور العظام من الرجعة وأشباهها فقال: «إنّ هذا الذي تسألون عنه لم يجرى أوانه»^(١)، وقد قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾^(٢).

٩. الإقرار في المناسبات بالاعتقادات الأساسية والضرورية:

فقد روى الطوسي في المصباح الكبير - في أعمال يوم الجمعة - عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام أنه قال: «من أراد أن يزور قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين وقبور الحجاج عليهم السلام وهو في بلده فليغتسل يوم الجمعة... إلى أن قال: وليقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك أيها النبي المرسل، والوصي المرتضى، والسيدة الكبرى، والسيدة الزهراء، والسبطان المنتجبان، والأولاد الأعلام، والأمناء المستخزنون، جئت انقطاعاً إليكم وإلى آبائكم وولدكم الخلف على بركة الحق، فقلبي لكم سلم، ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله بدينه، فمعكم معكم لا مع عدوكم، إنني من القائلين بفضلكم، مقررٌ برجعتكم، لا أنكر الله قدرة، ولا أزعم إلا ما شاء الله... الحديث»^(٣).

⇒ في نسخة بصائر الدرجات المطبوع لفظ التقية بدل الرجعة وكذلك في الخرائج والجرائح للراوندي ج ٢ ص ٧٣٣ وكذلك مدينة المعاجز للسيد البحراني عن بصائر الدرجات مجلد ٥ ص ٩٨ وكذلك في البحار مجلد ٢ ص ٢٣٧، وفي تاريخ آل زرارة لأبي غالب الزراري لفظ الغيبة بدل الرجعة نقلاً عن الكشي، ولكن في الكشي لفظ الهفتية ولعلها مصحفة من التقية، حديث ٢٦٠ المفسرة بمعنى التحير وأنها كناية عن الغيبة، وفي معجم الرجال نقلاً عن الكشي لفظ الغيبة.

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات ح ٢٦/٨٠، ص ١٣٧.

(٢) سورة يونس: الآية ٣٩.

(٣) مصباح المتهجد: ح ١١/٣٩٩، ص ٢٨٩.

والإقرار في يوم الجمعة وفي كل مناسبة إنما هو بأصول الاعتقاد والضروريات وورودها في أغلب الزيارات وأدعية الأشهر والأيام وتكررها فيها إنما هو لمزيد من تأصيل العقائد.

١٠ - مثل ما رواه الشيخ أيضاً في المصباح - في أعمال رجب - قال: زيارة رواها ابن عياش، قال: حدثني خير بن عبد الله، عن مولاة - يعني أبا القاسم الحسين بن روح - قال: زُر أيّ المشاهد كنت بحضرتها في رجب تقول: «الحمد لله الذي أشهدنا مشهد أوليائه في رجب، وأوجب علينا من حقهم ما قد وجب، وصلى الله على محمد المنتجب، وعلى أوصيائه الحجب... إلى أن قال: والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، حتى العود إلى حضرتكم، والفوز في كرتكم، والحشر في زمركم»^(١).

١١ - وما رواه رئيس المحدثين أبو جعفر ابن بابويه في الفقيه وعيون الأخبار، ورئيس الطائفة أبو جعفر الطوسي في التهذيب بأسانيدهما الصحيحة عن محمد بن إسماعيل البرمكي، عن موسى بن عبد الله النخعي، عن الإمام علي بن محمد عليه السلام في الزيارة الجامعة يقول فيها: «أشهد الله وأشهدكم أنني مؤمن بكم وبما آمنت به، كافر بعدوكم وبما كفرتم به... إلى أن قال: معترف بكم، مؤمن بإيابكم، مصدق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم... ثم قال: ونصرتي لكم معدة، حتى يحيي الله دينه بكم، ويردكم في أيامه، ويظهركم لعدله، ويمكنكم في أرضه... ثم قال: فثبتني الله أبداً ما بقيت على موالاتكم، وجعلني ممن يقتصر آثاركم، ويسلك سبيلكم، ويهتدي بهديكم، ويحشر في زمركم، ويكر في رجعتكم، ويملك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويملك في أيامكم، وتقر عينه غداً برؤيتكم»^(٢).

١٢ - وقد كثر ورود لفظ الرجعة ومرادفاتها متواتراً في روايات الزيارات والأدعية في كل الأوقات وهو شاهد على ما ذكره الحر العاملي من تأصيل الرجعة في أصول

(١) مصباح المتعبد: باب أعمال شهر رجب.

(٢) من لا يحضره الفقيه/مجلد الثاني ص ٦٠٩ ح ٣٢١٣، التهذيب/مجلد ٦ ص ٩٥ ح ١٧٧، عيون اخبار الرضا

العقائد في بيانات الكتاب والسنة.

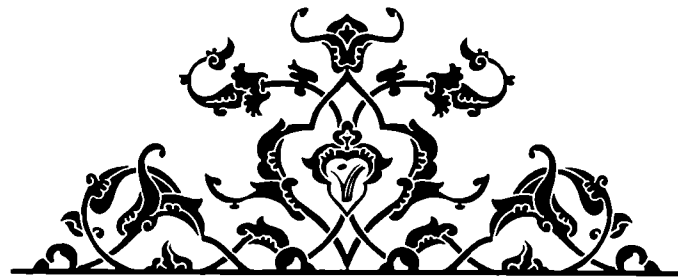
١٣- ومثل ما رواه الشيخ وابن بابويه أيضاً بالسند السابق بعد الزيارة الجامعة في زيارة الوداع قال: «إذا أردت الانصراف فقل: السلام عليكم سلام مودّع... إلى أن قال: السلام عليكم حشرنى الله في زمرتكم، وأوردني حوضكم، وجعلني في حزبكم، وأرضاكم عني، ومكّنتني في دولتكم، وأحياني في رجعتكم، وملّكني في أيامكم....»^(١). ويراد بالأيام الحقبة الزمنية لدولتهم.

١٤- ومثل ما رواه أيضاً في دعاء العهد عن الصادق عليه السلام أنه قال: «من دعا الله أربعين صباحاً بهذا العهد كان من أنصار قائمنا، فإن مات قبله أخرجه الله من قبره وأعطاه بكل كلمة ألف حسنة...» ثم ذكر الدعاء^(٢).

وغيرها من روايات الثواب على الاستمرار بقراءة دعاء العهد، الدالة على الرجعة. وهذه نبذة يسيرة من الأوراد والأدعية والزيارات اليومية والموسمية، وإلا فهناك ما يعجز عنه إحصاء المتتبع كثرة فضلاً عن الروايات المتواترة في أبواب المعارف وغيرها.

(١) الفقيه / مجلد ٢ ص ٦١٧، التهذيب / مجلد السادس ص ١٠١.

(٢) المزار للمشهدي القسم الثامن / الباب الخامس / ص ٦٦٣، مصباح الزائر لابن طاووس، ص ٢٣٥، ٢٣٤، بحار الأنوار / مجلد ٥٣ ص ٩٠ ح ١١١، المناقب (الكتاب العتيق)، ونقله في البحار عن خط الشيخ محمد بن علي الجبعي بسنده المتصل إلى الإمام الصادق عليه السلام، البحار ج ٩١، ص ٤٢.



الْفَصْلُ السَّادِسُ

الرجعة كمال وبلوغ

في معرفة أصول الدين



قد ورد في الروايات المستفيضة بيان وتأکید على أن معرفة الرجعة توجب البلوغ في معرفة قدرة الله، والبلوغ في معرفة النبوة ومعرفة الإمامة ومعرفة المعاد، وإن من تدنت معرفته دون ذلك كان من المقصرة في المعرفة، ويكون في معرفة التوحيد من القدرية.

ولنستعرض مفاد وبيان الروايات في ذلك:

الرجعة ومعرفة التوحيد والمعاد:

فقد روى في مختصر بصائر الدرجات وغيره عن أبي الصباح، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام في حديث عن الكرات، فقال: «تلك القدرة ولا ينكرها إلا القدرية، لا تنكرها تلك القدرة لا تنكرها، إن رسول الله صلى الله عليه وآله أتني بقناع من الجنة عليه عذق يقال سنة، فتناولها رسول الله صلى الله عليه وآله سنة من كان قبلكم»^(١).

وهذا الحديث المستفيض مضموناً يشير إلى أن من يجهل الرجعة ولم يدعن بها، فلا يتحقق لديه الإيمان بقدرة الله ولا بالمعاد وقد ورد مستفيضاً في روايات الرجعة أن الإيمان باليوم الآخر لا ينحصر انطباقه وهويته وحقيقته على القيامة الكبرى والمعاد الأكبر، بل يراد به أيضاً يوم الرجعة وأنه اليوم الآخر من الدنيا. وفي هذا الحديث إشارة إلى أن إنكار الرجعة إنكار لقدرة الله، وأن الرجعة سنة تكوينية لله فيمن قبلنا من الأمم، وهذا المفاد يشير إلى نفس المفاد في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ

(١) مختصر بصائر الدرجات : ح ١٨/٧٢، ص ١٣٠.

عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١).

ومورد الآية إحياء بعد الإمامة في دار الدنيا فهي حياة ثانية في الدنيا بعد موت فيها، وأن استبعاد ذلك - فضلاً عن إنكاره - استبعاد وإنكار لقدرة الله، وأن هذا الإحياء الذي حصل متكرراً في بني إسرائيل كما تستعرضه سورة البقرة وسور أخرى، هو من السنة الإلهية التي وقعت في بني إسرائيل وستقع في هذه الأمة، بل إن في الروايات المستفيضة - كما مر بعضها وتأتي أيضاً - أن الإيمان بالرجعة مرتبط بالإيمان بالمشيئة الإلهية، وأن إنكار الرجعة إنكار للمشيئة الإلهية.

والحاصل: أن من لم يعرف الرجعة يُخفق في معرفة الصفات الإلهية، وذلك لأن الرجعة من أكبر مظاهر القدرة والمشيئة الإلهية - فلا يكفي المعرفة الإجمالية بأنه قادرٌ يفعل ما يشاء - في بلوغ المعرفة من دون المعرفة بالرجعة، وأنه قادر على الإحياء في دار الدنيا.

وقد ورد مستفيضاً في روايات الرجعة أن الإيمان باليوم الآخر لا ينحصر انطباقه على القيامة الكبرى والمعاد الأكبر بل يُراد به أيضاً يوم الرجعة وأنه اليوم الآخر من الدنيا.

وقد تقدمت الإشارة في تعريفات الرجعة: أن حقيقة البرزخ ليس كما ذكرها المتكلمون والفلاسفة والعرفاء من أنه عالمٌ متوسطٌ بين الدنيا والآخرة الأبدية، بل حقيقته نشأةٌ متوسطةٌ بين الحياة الأولى من الدنيا والحياة الآخرة من الدنيا أيضاً، وكما مرّ - وسيأتي - فإنه يعد من الهوامش الوجودية التابعة لدار الدنيا وبمثابة الضواحي الجغرافية الوجودية التابعة لنشأة عالم الدنيا ففي مصحح الوليد بن صبيح عن أبي عبد

الله ﷺ أنه قال : دخلت عليه يوماً فألقى إليّ وقال: «يا وليد ردها على مطاويها» ، فقامت بين يديه فقال أبو عبد الله ﷺ : «رحم الله المعلى بن خنيس» ، فظننت أنه شبه قيامي بين يديه بقيام المعلى بن خنيس بين يديه ، ثم قال: «أفّ للدنيا ، أفّ للدنيا ، إنما الدنيا دار بلاء سلط الله فيها عدوه على وليه ، إن بعدها دارا ليست هكذا» ، فقلت: جعلت فداك وأين تلك الدار؟ فقال: «ها هنا» وأشار بيده إلى الأرض^(١)

وظاهر قوله ﷺ : «إن بعدها داراً» إشارة إلى نشأة البرزخ.

ثم إن قوله ﷺ (ها هنا) في جواب السائل: أين تلك الدار؟ دال على شدة التصاق البرزخ وقربه من دار الدنيا ولم يكتفِ ﷺ هنا بالإشارة إلى القريب بل أتى بهاء التنبيه (ها هنا) إشارة ودلالة على شدة القرب وتداخل عالم البرزخ بعالم الدنيا وتأثير كل منهما على الآخر ثم لم يكتفِ بذلك بل أشار بيده إلى الأرض تأكيداً لذلك القرب والتداخل وأن نشأة البرزخ من فروع وشوؤن النشأة الأرضية وأن بينهما موازاة ومحاذاة وأوتار وأبوابا يطل من أحدهما على الآخر.

وأما الذي يتوسط بين آخرة الدنيا - وهي الرجعة - وبين عالم القيامة فهي نشأة الساهرة وسيأتي المزيد من البحث في الباب الثالث.

كما أنها تقدمت الإشارة - وستأتي مفصلاً - أن أغلب ما ظنّ أنه من آيات المعاد الأكبر هي في الرجعة وهي المعاد الأصغر وجملة منها مشتركة بين المعادين ، وكذلك الحال في روايات المعارف الواردة في المعاد ، ومن ثم فما صورة وشرحه المتكلمون والفلاسفة والعرفاء من المعاد الجسماني هو في الحقيقة عالم الرجعة ، وأما المعاد الجسماني الأكبر فلا تشم رائحته في كلماتهم ولا تبدوا صورته جليلة فيما قرروه من المعاد لمآل ما بحثوه إلى المعاد الأصغر وهو الرجعة وهم يحسبون أنه المعاد الأكبر والقيامة وقد أشار إلى ذلك حديث أبي الطفيل عن أمير المؤمنين.... وقال أبو الطفيل: وقرأ عليّ بذلك قراءة كثيرة [أي آيات وسور عديدة] وفسره تفسيراً شافياً حتى صرتُ

(١) الكافي مجلد ٨ / ص ٣٠٤ ح ٤٦٩.

ما أنا بيوم القيامة أشدُّ يقيناً مني بالرجعة ... الحديث^(١)

الرجعة ومعرفة النبوة:

فقد وردت روايات مستفيضة في بيان أن النذارة الأصلية التي هي أحد المهام الكبرى في تعريف النبوة، إنما ستقام في الرجعة، وأن ما قام به الرسول ﷺ من قبل إنما هي النذارة الصغرى، تمهيداً وتوطئة لما سيقوم به في الرجعة، وهذا يسلط الضوء بقوة على أن المعرفة الكاملة لنبوة النبي ﷺ إنما تتحقق بمعرفة الرجعة، كما أنها تبين أن الشيء الأكبر الذي سينذر به النبي ﷺ من المعاد إنما سيتحقق في الرجعة ولم يتحقق بعد، كما يشير أيضاً إلى أن الدعوة الكبرى لأعماق الدين هي في الرجعة، فإن الدين عميق والوغل فيه برفق، كما في وصية النبي ﷺ لعلي عليه السلام.

فهذه الدعوة الكبرى إنما تتم في الرجعة، وقد تقدم سابقاً في الفصل الأول، شواهد عديدة على ذلك، تحت عنوان أن الرجعة مشروع عقيدة أولاً ومشروع سياسي ثانياً.

وقد روى في مختصر بصائر الدرجات عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿٢﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٢)، «يعني بذلك مُحَمَّدٌ ﷺ وقيامه في الرجعة ينذر فيها»، وفي قوله: ﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبَرِ ﴿٣﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾^(٣)، «يعني مُحَمَّدًا ﷺ نذيراً للبشر في الرجعة»، وفي قوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ﴾^(٤) «في الرجعة»^(٥).

ومفاد هذه الرواية أن الأمر بالإنذار عُمدة ثقله ووظيفته هي في الرجعة وأن

(١) مختصر بصائر الدرجات: ح ١١٢/١٢، ص ١٧٥.

(٢) سورة المدثر: الآيتان ١ - ٢.

(٣) سورة المدثر: الآيتان ٣٥ - ٣٦.

(٤) سورة سبأ: الآية ٢٨.

(٥) مختصر بصائر الدرجات / باب الكرات ح ٣٤/٨٨ وح ١/٥٥.

الندارة الكبرى ستقع في الرجعة وهو مما يكشف عن أن الإنباء والإنذار سيكون عن عقوبة أكبر مما قد تمّ الإنذار به سابقاً سيقع من سيد الأنبياء في الرجعة، وأن هناك جملة عظيمة من العقوبات والجزاء الخطير لم يتمّ إبلاغه تفصيلاً بعد وإن تمّ بنحو الإجمال، ثم إن هذا ما يكشف إنّما أن التكليف في الرجعة سيكون أشد من الحياة الأولى في الدنيا، وهذا مما أشرنا إليه في الفصل الأول تحت عنوان (التكليف في الرجعة). وأن التكليف يشتد درجة فيما يأتي من مراحل وأحوال أكثر مما سبق وإليه الإشارة في قول أمير المؤمنين عليه السلام وقولهم عليه السلام: «لكفرة من كفرات الرجعة أشد كفرة مما سبق»، ومرت الإشارة وستأتي لاحقاً في الباب الثالث: أن القيامة عالم أكبر وأعظم - في كل شؤون زماناً ومكاناً ومدة وشدة وعدة - من عالم الدنيا سواء أولاها أو آخرها وهي الرجعة إذ ليست القيامة يوماً بمدة أربعة وعشرين ساعة. نعم، ومن وراء عالم القيامة البعث النهائي لجنة الأبد أو لسعير الجحيم.

وروى بالإسناد السابق عن أبي جعفر عليه السلام: «أن أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: إن المدثر هو كائن عند الرجعة فقال له رجل: يا أمير المؤمنين أحياة قبل القيامة ثم موت؟ قال: فقال له عند ذلك نعم والله لكفرة من الكفر بعد الرجعة أشد من كفرات قبلها^(١). ورواه القمي في تفسيره أيضاً في ذيل الآيات.

الرجعة ومعرفة الإمامة:

وفي روايات الرجعة المستفيضة إشارات واضحة إلى أنّ حق معرفتهم بالإمامة لا تتمّ بدون معرفة الرجعة، وأنّ ما ذكره المتكلمون في تعريف الإمامة واقتصرُوا عليه هو بيان لمحور من حقيقة وهوية الإمامة وغفلة عن محاور وأركان أخرى أهم، ولا تتم هوية وتفسير الإمامة إلّا بها، وأن من تدنت معرفته دون ذلك كان من المقصرة في المعرفة، فالمهم في بيانات روايات الرجعة المستفيضة والمتواترة استخلاص ما تشير

(١) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات، ح ٣٥/٨٩، ص ١٤٣.

إليه الروايات من أن مجرد الإيمان ومعرفتهم بأنهم مفترضو الطاعة كطاعة الله تعالى ليست معرفة كاملة بل الاقتصار على ذلك معرفة إجمالية ناقصة وتقصير في معرفتهم، وكذا مجرد معرفتهم بأن الإمامة ملك إدارة الحكم السياسي في دار الدنيا فإن الجزء الأكبر من تعريف الإمامة هي ملك ولاية الأمور في الرجعة وفي الدار الآخرة، وأن عالم القيامة وعالم الجنة الأبدية وآخرة الأبد لا ينتظم كيانه وعيشه إلا بنظام إمامتهم، وهذا التعريف كما تلاحظ لم يورده المتكلمون ولا الفلاسفة.

ومما سيأتي من هذه الروايات تبين أن معرفة الإمامة بدون معرفة الرجعة هي معرفة بدائية ناقصة وقد وردت الروايات المستفيضة رواها الصفار في بصائر الدرجات والكليني والصدوق والمفيد وغيرهم بأسانيدهم عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: يا أبا حمزة لا تضعوا علياً دون ما وضعه الله ولا ترفعوا علياً فوق ما رفعه الله كفى بعلي أن يقاتل أهل الكرة وأن يزوج أهل الجنة^(١).

وفي رواية الكليني تفصيلاً لدور أمير المؤمنين عليه السلام في عالم القيامة الكبرى وهذا الحديث المستفيض يشير إلى أن معرفة علي عليه السلام والأئمة بدون ذلك - أي بدون معرفة مقامهم في الرجعة ومقامهم في الآخرة - هو قصور في معرفتهم وأن من مقامهم في القيامة أو في الآخرة أن حساب الناس يوم فصل الخطاب يُجريه الله عز وجل على أيديهم.

وقد روى الصفار في بصائر الدرجات بسند صحيح عن ضريس الكناسي عن أبي جعفر عليه السلام: «إني لأعجب من قوم يتولّوننا ويجعلوننا أئمة ويصفون بأن طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة الله تعالى، ثم يكسرون حجتهم ويخصمون أنفسهم فينقصونا حقنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حق معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أن الله تعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثم يُخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم

(١) أمالي الصدوق: المجلس ٣٨، أمالي المفيد: المجلس الأول، مختصر بصائر الدرجات: ح ٣٣/٨٧،

مواد العلم فيما يرد عليه مما فيه قوام دينهم؟!»^(١).

ورواه الراوندي في الخرائج والجرائح والكليني في الكافي باختلاف يسير^(٢).

وفي هذه الرواية إشارة واضحة إلى أن مجرد الإيمان الإجمالي بأنهم مفترضوا الطاعة كطاعة الله مع عدم الإيمان بالتفاصيل أو الإنكار بجملته أخرى من أبواب معرفتهم، هو تقصير في معرفتهم ونقصان عن حق معرفتهم، وأنّ برهان حق معرفتهم والتسليم لأمرهم هو بالإيمان والمعرفة لبقية أبواب معرفتهم، لا الاقتصار على إجمال بأنهم مفترضوا الطاعة كطاعة الله.

الرجعة وحقيقة الإمامة:

ما رواه أيضاً في مختصر بصائر الدرجات عن جماعة من أصحابنا، عن الحسن بن علي وإبراهيم بن إسحاق عن محمد بن سليمان الديلمي عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾^(٣)، فقال: «الأنبياء: رسول الله وإبراهيم وإسماعيل، والملوك: الأئمة» قلت: وأي ملك أعطيتم؟ قال: «ملك الجنة وملك الكرة»^(٤).

ومفاد هذا الحديث يشير إلى أن التعريف الأكبر للإمامة، هو بيان حقيقتها ومقامها في الرجعة والقيامة والآخرة الأبدية، فالذي كتبه المتكلمون عن الإمامة هو بلحاظ مقامها في ظاهر الحياة الدنيا، لا بلحاظ الرجعة والآخرة الأبدية.

إطلاق الكرة والرجعة على القيامة:

ثم إن في الرواية إشارة أخرى لطيفة وهي: أنّ الكرة قد تطلق على القيامة حيث

(١) بصائر الدرجات: ص ١٢٤، ح ٣، الخرائج والجرائح ج ٢: ص ٨٧٠، ح ٧٨، الكافي ج ١: ص ٢٦١، ح ٤.

(٢) الخرائج والجرائح: ج ٢ ص ٨٧ باب ١٥ ح ٨٧، الكافي: ج ١ ص ٢٦١ ح ٤.

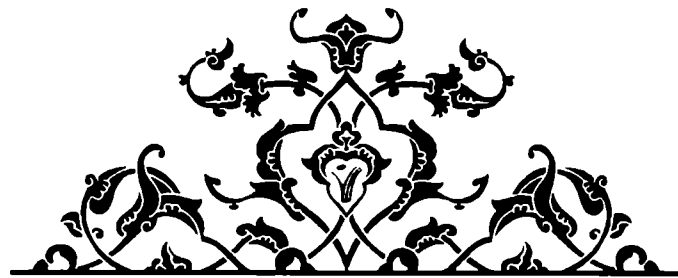
(٣) سورة المائدة: الآية ٢٠.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات، ح ٤٣/٩٧، ص ١٤٨.

جعل الحديث المقابلة بين الكرة والجنة الأبدية والحال أن الجنة الأبدية بعثٌ بعد القيامة الكبرى فمن هذه المقابلة يتضح أن الكرة والرجعة بالمعنى الأعم تطلقان على ما يشمل القيامة والرجعة بالمعنى الأخص، وأن المعاد كما يطلق على الرجعة تارةً ويطلق المعاد الأكبر على القيامة تارةً أخرى، فإنه يطلق ثالثاً على البعث إلى جنة الأبد والسعير الجحيم.

فالقُرآن عرّف الإمامة بعنوان مقوّم مهم، وهو المُلْك، وتعريف الملك على مرحلتين وهو ملك الكرة - أي الرجعة - وملك الجنة - أي الآخرة -، فالتعريف بافتراض الطاعة والنص والوصية، تعريف للمرحلة الأولى الابتدائية، وأما المرحلة المتوسطة (وهي البلوغ في المعرفة) فملك الرجعة، وأما المرحلة الثالثة (وهي الكمال في المعرفة) فملك الجنة.

وسياتي في الفصل السابع مزيد توضيح لأثر الرجعة في معرفة الإمامة.



الفصل السابع

الرجعة ومقامات الإمامة



إنّ الرجعة كما تقدم هي بمثابة معرفة متطورة للإمامة وذلك لأنّ في الرجعة تظهر مقامات وأدوار للإمامة تكشف عن حقيقة الإمامة الإلهية فمن ثم كان هذا الفصل تنمة لما تقدم في الفصل السادس من تأثير معرفة الرجعة في بلوغ المعرفة في الإمامة ونذكر جملة من الأمور تبين هذا الشأن:

الرجعة من الأدلة الكبرى للإمامة :

الأول: أن الرجعة كحقيقة معرفية قامت عليها الأدلة القطعية كتاباً وسنة - كما سيأتي بسط ذلك في الباب الثاني - هي أحد الأدلة الكبرى على إمامة أهل البيت عليهم السلام ، فكما أن المعاد أحد أدلة التوحيد فكذلك الرجعة هي أحد أدلة الإمامة. والوجه في ذلك أنّ لسان الآيات القرآنية الواردة في الرجعة دال على أنّ ملك الدولة في الرجعة على الأرض هو لأئمة الحق يُدِل الله لهم على أئمة الباطل وأن ملك الحياة الأولى من الدنيا هي لدول الباطل بل وفي هذا المجال عدّة ألسن.

الدولة الإلهية في الرجعة في الآيات القرآنية :

١ . ما ورد في القرآن الكريم أن العاقبة للمتقين كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) ، وغيرها من الآيات الدالة على أن العاقبة للمتقين وهذا اللسان يشير إلى أن الأولى هي دولة للفاسقين.

٢- قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُريَ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ^(١) وهي أيضاً بنفس التقريب دالة على أن في الحياة الأولى من الدنيا يكونون أئمة الحق وأهله مستضعفين لكنهم يرثون الأرض في العاقبة .

٣- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ * وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ مَاذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ^(٢)، وخروج الدابة إنما هو في الرجعة كما أن الحشر لبعض دون آخر إنما هو في الرجعة وإلا فإن الحشر يوم القيامة لا تبعيض فيه كما في قوله تعالى: ﴿وَحْشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُبَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٣) . كما نبه على هذه الدلالة الإمام الصادق عليه السلام في عدة روايات.

كما أن المراد من الآيات التي يُكذَّب بها - في مقابل التصديق بها - إنما هي الآيات الناطقة من حجج الله وإلا فإن الآيات الكونية إنما يُعرض عنها أو يُقبل عليها بالتدبر وليس لها دعوى تنطق بها كي تكذب أو تصدق ومن ثم بعد هذه الآيات قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾^(٤)، أي أن النفخ في الصور لحشر الجميع بعد الرجعة.

والحاصل من مفاد هذه الآيات أن الجولة في الحياة الأولى من الدنيا هي للعصاة والدولة في الرجعة لآل مُحَمَّد، وأمَّا العصاة والظلمة يدانون من قبل دابة الأرض وهو أمير المؤمنين عليه السلام كما سيأتي في الروايات المستفيضة.

٤- قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي

(١) سورة القصص: الآيتان ٥ - ٦.

(٢) سورة النمل: الآيتان ٨٢ - ٨٥.

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٧.

(٤) سورة النمل: الآية ٨٧.

الأَرْضَ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ^(١).

والوعد في الآية للمستقبل والضمير للجمع الاستغراقي ويدل على أن أصحاب الحق يعيشون على طول الخط مستضعفين وفي خوف وعدم أمن ومقهورين لأهل الطغيان والباطل حتى يفرج الله لهم بالاستخلاف والتمكين والعبادة بالطاعة الخالصة له تعالى دون طغاة دول الباطل.

٥- آيات الوعد بالنصر المستقبلي للأنبياء والرسل والأئمة حيث لم يُنصروا في حياتهم الأولى من الدنيا ورحلوا عنها مضطهدين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٣).

٦- ما ورد في السور القرآنية والأحاديث المتواترة من نزول وظهور آيات كونية في المستقبل كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٤).

وقد فسرت في روايات الفريقين المستفيضة أن هذه الآيات كدابة الأرض ونزول عيسى بن مريم وطلوع الشمس من مغربها والدجال كما سيأتي في الأبحاث اللاحقة.

ونظيره قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ

(١) سورة النور: الآية ٥٥.

(٢) سورة غافر: الآية ٥١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٣٧.

أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ^(١).
وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾^(٢).

والحاصل: أن ظهور ألفاظ الآيات المتقدمة للتدبر وبضميمة روايات الفريقين الواردة في ذيل هذه الآيات - مفاد هذه الطائفة - أن مسار البشرية في انتكاس من تفشي الظلم والجور حتى يظهر الله المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وهو تأويل ظهور الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم تابعاً له لنصرته ومن ثم خروج دابة الأرض وهو رجوع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام إلى غير ذلك من تفاصيل الآيات الدالة على أن دولة آل محمد (صلوات الله عليهم) في آخر الزمان لإنقاذ البشرية من براثن الجور والظلم والعدوان الذي بدأ من بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله ، واستمر يمتد حتى ظهور وبدء شروع دولة آل محمد (صلوات الله عليهم) في آخر الزمان بدؤها بالإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ثم يعقبه دولة الأئمة من آبائه برجعوعهم وانتهاءً بدولة النبي صلى الله عليه وآله.

٧. أن الله عَزَّ وَجَلَّ يُرِي الظَّالِمِينَ مِنَ الطَّغَاةِ وَالْجَبَابِرَةِ فِي طُولِ مَسِيرِ الْبَشَرِيَّةِ عَذَاباً فِي أَوَاخِرِ عَمْرِ الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَاباً دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) أي عذاباً قبل عذاب يوم القيامة.

ونظيره قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ * يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ * أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾^(٤).

ومفاد هذه الآيات والروايات الواردة في ذيلها - أي بمعونة تنبيه الروايات

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٢) سورة الشعراء: الآية ٤.

(٣) سورة الطور: الآية ٤٧.

(٤) سورة الدخان: الآيات ١١ - ١٣.

بمواضع الدلالة في الآيات - تبين أن مسير البشرية كان ولا يزال على سيرة حكام الجور بعد رسول الله ﷺ وغضب مقام العترة حتى ينتقم منهم في نهاية المطاف من عالم الدنيا عند بدء قيام دولة العترة.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ * هَمَّازٍ مَشَاءٍ بَنِيمٍ * مَنَاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * عُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ * أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ * إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرُطُومِ﴾^(١).

والوسم إشارة إلى الميسم الوارد في روايات الفريقين مستفيضاً أن في آخر الزمان يوسم المؤمن بالإيمان على وجهه ويوسم المنافق بالكفر على وجهه وصاحب الميسم - كما سيأتي - أمير المؤمنين عليه السلام في أواسط رجعاته وهي مرحلة من مراحل الرجعة. والحاصل: أن مضمون هذه الآيات - كما سيأتي بيانه - أن عاقبة الحياة على الأرض والحياة الدنيا ستكون بإقامة دولة العدل التي يقام فيها الجزاء العادل والعقاب والعذاب على الظالمين في جميع الأجيال السابقة للبشرية وذلك برجعته مما يدل على أن الظلم والجور هو طابع الحكام طوال الحياة البشرية السابقة، وبعد وفاة رسول الله ﷺ أيضاً وينتهي هذا الطابع عند قيام دولة آل محمد ﷺ على يد المهدي والأئمة من آبائه (صلوات الله عليهم) برجعته بعده.

ظهور مقامات للإمامة في الرجعة؛

اعلم أن هناك مقامات عديدة عظيمة لأئمة أهل البيت عليهم السلام تظهر في الرجعة. واعلم أن كل إمام هو تجلٍ لكلمة إلهية وهو نوع تكلم من الله مع خلقه والكلمة التامة فعل إلهي هو الحلقة التامة في سلسلة الكمال والتكامل كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾^(٢) فبهم تتم الهداية الصادقة إلى

(١) سورة القلم: الآيات ١٠ - ١٦.

(٢) سورة الأنعام: الآية ١١٥.

صراط الله المستقيم وبهم يقام عدل الله في الأرض والعوالم الأخرى.
ومن تلك المقامات:

المقام الأول: تحقق مقام المهدوية، وهو كما أنه ينطبق على الإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - فهو ينطبق على جميع أئمة أهل البيت عليهم السلام أيضاً وله عدة معاني فمن أحد معانيه: أن الأئمة مهديون من قبل الله لدنّيّاً يهدون بأمر الله الملكوتي الذي هو من عالم الأمر والروح الأمري وبهذا المعنى فكلهم مهديون.
ومن أحد معاني هذا المقام والعنوان: أنه ينطبق على الإمام حينما يقيم دولة الحق الظاهرة في العلن، وبهذا المعنى يراد غالباً عند إطلاقه على الإمام الثاني عشر.
وسياتي في الفصل اللاحق أنّ المهديين الاثني عشر بعد الإمام الثاني عشر هم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام بلحاظ رجعة كل الأئمة الاثني عشر إلى الدنيا وإقامتهم دولة الحق الظاهرة.

كما سيأتي أيضاً أنّ المهدي الأكبر والموعود الأعظم هو أمير المؤمنين عليه السلام فقد روى السيد ابن طاووس بطرقه عن شاذان بن جبريل، ورواه الحسن بن سليمان الحلبي في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن أبي عبد الله الجدلي قال: دخلت على علي عليه السلام يوماً فقال: «أنا دابة الأرض»^(١).

وروى رواية أخرى مثلها قريبة من مضمونها حيث قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ألا أحدثك - ثلاثاً - قبل أن يدخل علينا داخل؟» قلت: بلى، فقال: «أنا عبد الله أنا دابة الأرض صدقها وعدلها وأخو نبيها وأنا عبد الله. ألا أخبرك بأنفس المهدي وعينه؟» قال: قلت: نعم فضرب بيده إلى صدره فقال: «أنا»^(٢).

ومفاد الحديث الشريف أنّ مقام المهدوية رأس انطباقه على الإمام أمير

(١) مختصر بصائر الدرجات: حديث ١/١٠١ وحديث ١٩/٥٣٠، ص ١٦٣، ص ٥٦٤، أيضاً ح ٢٧/٥٣٨، ص ٥٦٨.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ح ٢٨/٥٣٩، ص ٥٦٩، ورواه في تأويل الآيات الظاهرة عن محمد بن عباس بسنده عن أبي عبد الله الجدلي، ص ٤٠٠.

المؤمنين عليه السلام بالقياس إلى انطباقه على الأئمة عليهم السلام وعلى الإمام الثاني عشر - عجل الله فرجه - .

المقام الثاني: ظهور عدة مقامات لأمر المؤمنين عليه السلام:

١- كدابة الأرض .

٢- وكونه صاحب الحشر والنشر في الرجعة .

٣- ودولة الدول .

٤- وصاحب العصا والميسم .

٥- وصاحب الكرات والرجعات .

٦- وكونه صاحب لواء الحمد .

٧- وصاحب الأعراف .

٨- ونمط من المقام المحمود .

٩- وصاحب الحوض .

١٠- ومقام السفاح .

ولهذه المقامات شروح مبسطة سنتعرض لها في الباب الرابع من أبواب هذه

السلسلة إلا أننا نتعرض هاهنا لتفسير نبذة منها:

أما كونه (صلوات الله عليه) دابة الأرض: فخرج الدابة نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

وخروج الدابة ملحمة عظيمة كبيرة عند المسلمين لآخر الزمان قد وردت فيها

روايات مستفيضة عند الفريقين وقد أكثر أهل سنة الجماعة في الرواية عن النبي صلى الله عليه وآله حولها وهم لا يشعرون أنها من روايات الرجعة وهي أحد الفصول المهمة العظيمة في الرجعة.

(١) سورة النمل: الآية ٨٢

وقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن عباية الأسدي أنه كان عند أمير المؤمنين عليه السلام خامس خمسة - وهو أصغرهم يومئذ - فسمع أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «حدثني أخي أنه ختم ألف نبي وإني ختمت ألف وصي وإني كُلفت ما لم يُكَلَّفوا وإني لأعلم ألف كلمة ما يعلمها غيري وغير مُحَمَّدٍ ﷺ ما منها كلمة إلا مفتاح ألف باب بعد ما تعلمون منها كلمة واحدة غير أنكم تقرأون منها آية واحدة في القرآن ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾، وما تدرونها من؟!»^(١).

وتفيد هذه الرواية أن دابة الأرض مقام ينطوي على ألف مقام مع أن أصل مقام دابة الأرض في الرجعة مفتاح من ألف مفتاح آخر فما هي هذه المقامات والمفاتيح التي تجعل البشرية بل تجعل المؤمنين بتعلمها يتكاملون في معرفة النبوة والإمامة ولم ترد منها رائحة في التعريفات التي ذكرها الفلاسفة والمتكلمون للنبوة والإمامة؟! وسيأتي في الباب الرابع: أن مقام دابة الأرض يعتبر طامة كبرى من جهة هول الأحداث والظواهر الكونية والعوالمية بالقياس إلى الموت والبرزخ وظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.

وفي خطبة له عليه السلام: «أنا صاحب الحشر والنشر»^(٢).

وفي دعاء النصف من شعبان: «وأصحاب الحشر والنشر، تراجمة وحيه، وولادة أمره ونهيه»^(٣)، وهو يغاير مقام دَيَّانَةِ يوم الدين حيث يُجري الله الحساب على أيديهم.

معالم الرجعة المروية عند العامة بعناوين خاصة:

١. دابة الأرض.

٢. الميسم والوسم.

(١) مختصر بصائر الدرجات: ح ٣٢/٥٤٣، ح ٣٣/٥٤٤، ص ٥٧١.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ح ١/١٠١، ص ١٦٢، مشارق أنوار اليقين: ص ٢٦١.

(٣) مصباح المتعبد: ٨٤٣ في دعاء (اللهم بحق ليلتنا ومولودها ...).

ففي ذيل سورة الأنعام الآية (١٥٨) روى العامة روايات مستفيضة حول الدابة وظهور الشمس من مغربها والدجال، فلاحظ ما رواه السيوطي^(١)، وغيره من كتب التفسير بالمأثور عن صحاحهم بما يبلغ الاستفاضة والتواتر، ومن ثم فإن روايات معالم الرجعة كالدابة والميسم والدجال وظهور الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام وغيرها مستفيضة، بل متواترة عندهم، وكذا لاحظ جملة ما كتبه في الفتن والملاحم.

٣. ما رووه في خروج وظهور الآيات .

٤. ما رووه عن النبي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام : «أنا من المدثر وأنا السفاح والمنصور والمهدي» ، وقد تقدم أن المدثر عنوان لمقام النبي ﷺ في الرجعة والسفاح عنوان لمقام أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة والمنصور عنوان لمقام الحسين عليه السلام في الرجعة، والمهدي عنوان لظهور الإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ولرجعة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام .

٥. ما رووه عن النبي ﷺ أنه هو الحاشر والعاقب.

٦. ما رووه عن علي عليه السلام أن ذي القرنين عبد صالح ضربه قومه على قرنه فقتلوه فأرجعه الله مرة أخرى إلى الدنيا فضربوه على قرنه مرة أخرى فقتلوه، وأن في هذه الأمة مثله.

وأما لواء الحمد فيقع في الرجعة ولا يُنافي ذلك تحققه في عالم القيامة. وأما المقام المحمود فنمط منه يتحقق في الرجعة كما دلت عليه الروايات الآتية وكذلك يتحقق في عالم القيامة و يتحقق في الجنة الأبدية فتحققه في مواطن عديدة. وأما الحوض فهو في الرجعة والتي هي آخره الدنيا في الرجعة وأما الساعة فهي تُطلق في الآيات والروايات على كل من الموت وظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وعلى عموم الرجعة وعلى خصوص بعض مراحل الرجعة لتعاضد الهول فيها - كخروج دابة الأرض - وعلى القيامة.

(١) الدر المنثور: ج ٣، ص ٥٧ إلى ٦٣.

وأما الأعراف فالظاهر تحققها في كل من الرجعة والقيامة كما سيأتي بيانه.
وأما كون أمير المؤمنين عليه السلام (صاحب الحشر والنشر) فسيأتي كلام جملة من علماء الإمامية من ذهب منهم إلى أن الرجعة إحياء للموتى يُجريه الله عز وجل على يد النبي صلى الله عليه وآله أو على يد الإمام كمعجزة وآية أعظم مما أجراه الله على يد عيسى بن مريم عليه السلام.

الحوض في الرجعة:

من كتاب سليم بن قيس الهلالي رحمته الله، الذي رواه عنه أبان بن أبي عياش وقرأه جميعه على سيدنا علي بن الحسين عليهما السلام بحضور جماعة من أعيان الصحابة منهم أبو الطفيل فأقره عليه مولانا زين العابدين عليه السلام، وقال: «هذه أحاديثنا صحيحة».
قال أبان: لقيت أبا الطفيل بعد ذلك في منزله فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر، وعن سلمان والمقداد وأبي بن كعب، وقال أبو الطفيل: تعرضت هذا الذي سمعته منهم على علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) بالكوفة، فقال: «هذا علم خاص (لا) يسع الأمة جهله، وردّ علمه إلى الله». ثم صدّقني بكل ما حدثوني، وقرأ علي بذلك قراءة كثيرة وفسّره تفسيراً شافياً، حتى صرت ما أنا بيوم القيامة أشد يقيناً مني بالرجعة. وكان مما قلت: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال: «بل في الدنيا»، قلت: فمن الذائد عنه؟ فقال: «أنا بيدي، فليردّته أوليائي وليصرفنّ عنه أعدائي»^(١).

وفي رواية أخرى: «لأوردنّه أوليائي، ولأصرفنّ عنه أعدائي». فقلت: يا أمير المؤمنين قول الله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢)، ما الدابة؟ قال: «يا أبا الطفيل ألّه عن هذا»، فقلت: يا

(١) كتاب سليم بن قيس ص ١٢٩/١٣٠.

(٢) سورة النمل: الآية ٨٢.

أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك، قال: «هي دابة تأكل الطعام، وتمشي في الأسواق، وتنكح النساء»، فقلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: «هو زرّ (رب) الأرض الذي تسكن الأرض (به)»، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: «صدّيق هذه الأمة، وفاروقها، وربّها، (ورئيسها)، وذو قرنيها (وذو قرنها)»، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: «الذي قال الله تعالى: ﴿وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ﴾^(١)، و﴿الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ﴾^(٢) و﴿الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾^(٣)، والذي (صدّق به) أنا، والناس كلّهم كافرون غيري وغيره»، قلت: يا أمير المؤمنين فسمّه لي، قال: «قد سمّيته لك يا أبا الطفيل، والله لو أدخلت عليّ عامّة شيعتي الذين بهم أقاتل، الذين أقرّوا بطاعتي، وسمّوني أمير المؤمنين، واستحلّوا جهاد من خالفني، فحدّثتهم ببعض ما أعلم من الحق في الكتاب الذي نزل به جبرئيل عليه السلام على محمد صلّى الله عليه وآله لتفرّقوا عني حتى أبقى في عصابة حقّ قليلة، أنت وأشباهك من شيعتي»، ففزعت وقلت: يا أمير المؤمنين أنا وأشباهي نتفرّق عنك أو نثبت معك؟ قال: «بل تثبتون»، ثم أقبل عليّ فقال: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يعرفه ولا يقرّ به إلّا ثلاثة: ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن نجيب امتحن الله قلبه للإيمان. يا أبا الطفيل إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله قبض فارتدّ الناس ضلّالاً وجّهالاً إلّا من عصمه الله بنا أهل البيت»^(٤).

اللقاء:

روى سلام بن المستنير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «لقد تسمّوا باسم ما سمّى الله به أحداً إلّا علي بن أبي طالب، وما جاء تأويله»، قلت: جعلت فداك متى يجيء تأويله؟ قال: «إذا جاء جمّع الله أمامه النبيين والمؤمنين حتى ينصروه وهو قول الله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ

(١) سورة هود: الآية ١٧.

(٢) سورة الرعد: الآية ٤٣.

(٣) سورة الزمر: الآية ٣٣.

(٤) كتاب سليم بن قيس: ١٣٠/١٣١، ومختصر بصائر الدرجات عنه: ح ١١٢/١٢.

مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ... إِلَى قَوْلِهِ: وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ^(١)،
فِيَوْمِئِذٍ يَدْفَعُ رَايَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللِّوَاءَ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَيَكُونُ أَمِيرَ الْخَلَائِقِ كُلِّهِمْ
أَجْمَعِينَ يَكُونُ الْخَلَائِقُ كُلُّهُمْ تَحْتَ لَوَائِهِ وَيَكُونُ هُوَ أَمِيرَهُمْ فَهَذَا تَأْوِيلُهُ^(٢).

وَرَوَى الْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ فِي (كِتَابِ الْقَائِمِ): أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ)
قَالَ عَلَى مَنْبَرِ الْكُوفَةِ: «وَاللَّهِ إِنِّي لَدَيَّانِ النَّاسَ يَوْمَ الدِّينِ، وَقَسِيمُ اللَّهِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، لَا
يَدْخُلُهُمَا دَاخِلٌ إِلَّا عَلَى أَحَدٍ قَسَمِي، أَنَا الْفَارُوقُ الْأَكْبَرُ، وَالْقَرْنُ مِنْ حَدِيدٍ، وَبَابُ
الْإِيمَانِ، وَصَاحِبُ الْمَيْسَمِ، وَصَاحِبُ السِّنِينَ، وَأَنَا صَاحِبُ النَّشْرِ الْأَوَّلِ، وَالنَّشْرِ الْآخِرِ،
وَصَاحِبُ الْقَضَاءِ، وَصَاحِبُ الْكِرَاتِ، وَدَوْلَةُ الدُّوَلِ، وَأَنَا الْإِمَامُ لِمَنْ بَعْدِي، وَالْمَوْدِي
عَمَّنْ قَبْلِي، لَا يَتَقَدَّمُنِي (أَحَدٌ) إِلَّا أَحْمَدُ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فَإِنْ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ
وَالرُّسُلِ وَالرُّوحِ خَلَفْنَا وَإِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِيُدْعَى فَيَنْطِقُ وَأُدْعَى فَانْطِقُ عَلَى حَدِّ مَنْطِقِهِ
وَلَقَدْ أُعْطِيتِ السَّبْعَ الَّتِي لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهَا أَحَدٌ قَبْلِي: بَصُرْتُ سَبِيلَ الْكِتَابِ، وَفَتَحْتُ لِي
الْأَسْبَابَ، وَعَلِمْتُ الْأَنْسَابَ، وَمَجْرَى الْحَسَابِ، وَعَلِمْتُ الْمَنَائَا وَالْبَلَايَا وَالْوَصِيَا وَفَصَلَ
الْخَطَابِ، وَنَظَرْتُ فِي الْمُلُكُوتِ فَلَمْ يَعْزُبْ عَنِّي شَيْءٌ غَابَ عَنِّي، وَلَمْ يَفْتُنِّي مَا سَبَقَنِي
وَلَمْ يَشْرِكْنِي أَحَدٌ فِيمَا أَشْهَدُنِي يَوْمَ شَهَادَةِ الْأَشْهَادِ، وَأَنَا الشَّاهِدُ عَلَيْهِمْ وَعَلَى يَدِي يَتِمُّ
مَوْعِدُ اللَّهِ وَتَكْمِلُ كَلِمَتُهُ، وَبِي يَكْمَلُ الدِّينُ، وَأَنَا النِّعْمَةُ الَّتِي أَنْعَمَهَا اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَأَنَا
الْإِسْلَامُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِنَفْسِهِ، كُلُّ ذَلِكَ مَنْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى^(٣).

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ أَخِي شُعَيْبِ الْعَقْرَقُوفِيِّ، عَمَّنْ ذَكَرَهُ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ ع، قَالَ: «إِذَا
أَتَيْتَ عِنْدَ قَبْرِ الْحُسَيْنِ ع وَيَجْزِيكَ عِنْدَ قَبْرِ كُلِّ إِمَامٍ...، وَسَاقَ إِلَى قَوْلِهِ: اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْهُ
آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيَارَةِ قَبْرِ ابْنِ نَبِيِّكَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً تَنْتَصِرُ بِهِ لَدِينِكَ، وَتَقْتُلُ بِهِ
عَدُوَّكَ، فَإِنَّكَ وَعْدَتَهُ، وَأَنْتَ الرَّبُّ الَّذِي لَا تَخْلِفُ الْمِيعَادَ»، وَكَذَلِكَ تَقُولُ عِنْدَ قُبُورِ كُلِّ

(١) سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ ٨١.

(٢) تَفْسِيرُ الْعِيَاشِيِّ: مَجْلَد ١/ ص ١٨١ ح ٧٧.

(٣) الْمُحْتَضَرُ: ص ١٦١، ح ١٧٠، وَأَيْضاً بِصَوْنِ الدَّرَجَاتِ: ج ٣، بَاب ٩، ح ١٠٣ وَح ٤، وَأَيْضاً بَاب ١٠، ح ٥، ح

٦، ص ٢١٩، الْكَافِي: ج ١، ص ١٩٦. ١٩٨، بَابُ أَنَّ الْأُئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الْأَرْضِ، ح ١٠٣ وَح ٣.

الأئمة عليهم السلام ^(١).

ومفاد هذا الحديث: في الزيارة أن كل إمام من الاثني عشر موعود بالنصر عندما يبعثه الله إلى دار الدنيا مرة أخرى في الرجعة فيمكنه الله من المقام المحمود وهو إقامة دولة العدل فينتصر الله به لدينه ويقتل به أعدائه، وليس هذا مختص بالإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - عند الظهور، بل هو (صلوات الله عليه) فاتحة لرجوع الأئمة عليهم السلام.

ما في سورة عبس ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾ ^(٢). ففي تفسير علي بن إبراهيم: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ^(٣)، قال: «هو أمير المؤمنين»، قال: ﴿ما أكفره﴾ أي ماذا فعل وأذنب حتى قتلوه، ثم قال: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ، قال: «يسر له طريق الخير»، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ، قال: (في الرجعة)، ﴿كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾ ^(٤)، أي لم يقض أمير المؤمنين ما قد أمره، وسيرجع حتى يقضي ما أمره.

ثم روى صحيح جميل بن دراج، عن أبي سلمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سألت عن قول الله: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ قال: «نعم، نزلت في أمير المؤمنين عليه السلام، ما أكفره» يعني بقتلكم إياه، ثم نسب أمير المؤمنين عليه السلام، فنسب خلقه وما أكرمه الله به، فقال: ﴿من أي شيء خلقه﴾، يقول: من طينة الأنبياء خلقه، ﴿فقدَرَهُ﴾ للخير، ﴿ثم السبيل يسره﴾ يعني سبيل الهدى، ﴿ثم أَمَاتَهُ﴾ ميتة الأنبياء، ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾، قلت: ما قوله: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾؟، قال: «يمكث بعد قتله في الرجعة فيقضي ما أمره» ^(٥).

(١) كامل الزيارات: باب ١٠٤، ح ٢/٨٠٤، ص ٥٢٣-٥٢٦.

(٢) سورة عبس: الآية ١٧.

(٣) سورة عبس: الآية ١٨.

(٤) سورة عبس: الآيات ١٧ - ٢٣.

(٥) تفسير القمي: ذيل سورة عبس، ج ٢، ص ٤٠٥-٤٠٦.

الساعة:

وروى في الهداية بسنده عن المفضل بن عمر قال: سألت سيدي الصادق عليه السلام: هل للمأمول المنتظر المهدي عليه السلام من وقت مؤقت يعلمه الناس؟ فقال: «حاشا لله أن يوقت ظهوره بوقت يعلمه شيعةنا» قلت: يا سيدي ولما ذاك؟ قال: لأنه والساعة التي قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، وهو الساعة التي قال تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾^(٢) وقال: ﴿وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾^(٣) ولم يقل عند أحد دونه وقال ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾^(٤). وقال: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾^(٥) وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾^(٦) وقال: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾^(٧)، ... الحديث^(٨).

الساعة، إنباء النبي بالرجعة:

روى أبو بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾^(٩)، قال: «أما قوله:

(١) سورة الأعراف: الآية ٨٧

(٢) سورة النازعات: الآية ٤٢.

(٣) سورة الزخرف: الآية ٥٨.

(٤) سورة محمد: الآية ١٨.

(٥) سورة القمر: الآية ١.

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٦٣.

(٧) سورة الشورى: الآية ١٨.

(٨) الهداية الكبرى للحضيني / باب ١٤ ص ٣٩٢

(٩) سورة مريم: الآية ٧٥.

﴿حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ﴾ فهو خروج القائم وهو الساعة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ اليوم ما نزل بهم من الله على يدي قائمه فذلك قوله: ﴿مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا﴾ يعني عند القائم ﴿وَأَضْعَفُ جُنْدًا﴾، قلت: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ﴾^(١)؟ قال: «معرفة أمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام»، ﴿نَزِدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ﴾، قال: نزيده منها، قال: «يستوفي نصيبه من دولتهم» ﴿وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ قال «لَيْسَ لَهُ فِي دَوْلَةِ الْحَقِّ مَعَ الْقَائِمِ نَصِيبٌ»^(٢).

وعن الباقر عليه السلام في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: «على يدي تقوم الساعة»، قال: «يعني الرجعة قبل القيامة، ينصر الله بي وبذريتي المؤمنين»^(٣).

روى أبو حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام...، إلى أن قال: وإن لي الكرة بعد الكرة، والرجعة بعد الرجعة، وأنا صاحب الرجعات والكرات، وصاحب الصولات والنقمت، والدولات العجيبات، وأنا قرن من حديد، وأنا عبد الله وأخو رسول الله ﷺ، وأنا أمين الله وخازنه، وعيبة سرّه وحجابه، ووجهه وصراطه وميزانه، وأنا الحاشر إلى الله...»^(٤).

أحد أسماء النبي ﷺ في التوراة والإنجيل: الحاشر: عن عوف بن مالك، قال: انطلق النبي ﷺ يوماً وأنا معه حتى دخلنا كنيسة اليهود بالمدينة يوم عيد لهم فكرهوا دخولنا عليهم فقال لهم رسول الله ﷺ: «يا معشر اليهود أتبنّا اثنا عشر رجلاً يشهدون أنه لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله، يحبط الله عن كل يهودي تحت أديم السماء الغضب الذي غضب عليه»، قال: فأسكتوا ما أجابه منهم أحد، ثم ردّ عليهم فلم يجبه أحد، ثم ثلث فلم يجبه أحد، فقال: «أبيتم فوالله إنّي لأنا الحاشر (وأنا العاقب، وأنا

(١) سورة الشورى: الآية ٢٠.

(٢) الكافي الجلد ١/ ص ٤٣١ ح ٩٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب / ج ٢ ص ٢٠٧.

(٤) مختصر بصائر الدرجات / ح ١٠١ / ص ١٦٢.

المقفّي) وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى آمنتكم أو كذبتكم...»^(١).

إنجاز الوعد وإقامة الدين وإظهار الحق في الرجعة:

وقد تقدم خبر عروة بن أخي شعيب العرقوفي عمن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام، الوارد في (كامل الزيارة) في زيارة الإمام الحسين عليه السلام وزيارة قبر كل إمام: الدعاء لكل منهم عليه السلام أن يبعثه الله مقاماً محموداً ينتصر به لدينه ويقتل به عدوه وأن ذلك وعداً من الله لا يخلف وعده^(٢).

صحيح بريد بن معاوية، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «والله لا تذهب الأيام والليالي حتى يحيي الله الموتى، ويميت الأحياء، ويرد الحق إلى أهله، ويقيم دينه الذي ارتضاه لنفسه...»^(٣).

إنجاز الوعد على يد الرسول ﷺ :

عن جابر بن يزيد، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ لعلي عليه السلام في الأرض كرة مع الحسين ابنه (صلوات الله عليهما)، يُقبل برايته حتى ينتقم له من بني أمية ومعاوية وآل معاوية، ومن شهد حربه. ثم يبعث الله إليهم بأنصاره يومئذ من أهل الكوفة ثلاثين ألفاً، من سائر الناس سبعين ألفاً فيلقاهم بصفين مثل المرة الأولى حتى يقتلهم فلا يبقى منهم مخبراً، ثم يبعثهم الله عزّ وجلّ فيدخلهم أشدّ عذابه مع فرعون وآل فرعون، ثم كرة أخرى مع رسول الله ﷺ حتى يكون خليفته في الأرض، ويكون الأئمة عليهم السلام عمّاله، وحتى يعبد الله علانية فتكون عبادته علانية في الأرض، كما عبد الله سرّاً في الأرض.

(١) مسند أحمد / ج ٦ ص ٢٥ ح: عوف بن مالك الأشجعي، مستدرک الحاكم النيسابوري / ج ٣ ص ٤١٥،

مجمع الزوائد للهيتمي / مجلد ٧ ص ١٠٥، صحيح بن حبان / مجلد ١٦ ص ١١٩ وأضاف (وأنا العاقب وأنا

المقفّي) ، وكذا الزيادة في المعجم للطبراني / مجلد ١٨ ص ٤٧، وكذا مسند الشاميين للطبراني / مجلد /

٢، موارد الضمآن للهيتمي: جلد ٦ ص ٦٦٤.

(٢) كامل الزيارات / باب ١٠٤ ح ٢/٨٠٤ ص ٥٢٦٥٥٢٣.

(٣) تهذيب الأحكام / باب الزيادات في الزكاة: ح ٨/٢٤٧ ج ٤ ص ٩٧، الكافي: باب ادب المصدق / ح ١ ج ٣

ثم قال: أي والله وأضعاف ذلك - ثم عقد بيده أضعافاً - يعطي الله نبيه ملك جميع أهل الدنيا منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها، حتى ينجز له موعوده في كتابه كما قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١).

وأما الحشر والنشر: فسيأتي في الباب الثالث أنه متعدد ولا ينحصر بعالم يوم القيامة الكبرى والمعاد الأكبر وأن أئمة أهل البيت عليهم السلام هم أصحاب الحشر والنشر؛ لأنهم حكام الآخرة من قبله تعالى وجميع الملائكة في الحشر مأمورون من الله بطاعتهم.

وأما كونه عليه السلام دولة الدول وصاحب الكرات والرجعات: أيضاً بمعنى صاحب الصولات الخفية للحق في كل بقعة وفي كل زمان، فقد ورد بمعان عدة: أحدها: أنه صاحب دول ودولات عديدة في الرجعة لأن له عليه السلام رجعات وكرات وفي كل رجعة وكرة دولة فهو صاحب دول، وأكثر من يرجع عدداً من أئمة أهل البيت عليه السلام هو أمير المؤمنين عليه السلام، وقد ورد أن الرجعة من مختصات علي عليه السلام في قبال اختصاص النبي صلى الله عليه وآله بالقيامة مع أن لكل من النبي صلى الله عليه وآله شأن عظيم في الرجعة ولعلي عليه السلام شأن كبير في القيامة.

وثانيها: أن أكبر دولة يقيمها أئمة أهل البيت عليهم السلام هي دولة أمير المؤمنين عليه السلام دون دولة الرسول صلى الله عليه وآله التي هي أعظم دولة على الإطلاق.

ثالثها: تفسر بمعنى ثالث وهو الدولة الإلهية الخفية القابضة على الدول في كل البقاع وكل الأزمان.

وأما كونه صاحب العصا والميسم: فهو - كما سيأتي تفصيله في الباب الثالث والرابع - مقام تكويني للإمام عليه السلام يضيف طور كمال على الماهية والذات النوعية للمؤمن وكذلك في تسافل ماهية وذات الكافر، فقد روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام

(١) مختصر بصائر الدرجات / ح ٤٥/٩٩ ص ١٥٠.

تجلوا وجه المؤمن بعصا موسى عليه السلام وتسم وجه الكافر بخاتم سليمان عليه السلام^(١).
ولا يخفى أن سليمان عليه السلام بخاتمه سخر الشياطين والعفاريت فهو مقام قاهر للمتمردين وفيه إطواع ردعي تكويني لتمرّد الكفار.
وأما عصا موسى عليه السلام فمقام يظهر منه البرهان والنور والبيان فيناسب طوعان المؤمن، وقد روى أهل سنة الجماعة والخلاف روايات مستفيضة في العصا والميسم بخاتم سليمان عليه السلام وهي من الفصول والأحداث المهمة في الرجعة لعلّي عليه السلام ولم يشعروا بحقيقة هذه الروايات.

وأما كونه عليه السلام صاحب لواء الحمد والحوض وبعض مواطن الأعراف وغيرها من المقامات الذي يظن عامة المفسرين والمتكلمين وعامة المسلمين أنها من مشاهد القيامة الكبرى فهي من مشاهد وأحداث الرجعة والحياة الآخرة من الدنيا وسيأتي تفاصيله في الباب الثالث.

وروي عن الباقر عليه السلام في شرح قول أمير المؤمنين عليه السلام: «على يدي تقوم الساعة»، قال: «يعني الرجعة قبل القيامة ينصر الله بي وبذريتي المؤمنين»^(٢).
المقام الثالث: تكامل دعوتهم: وقد مرّ البحث في ذلك مفصلاً في غايات وفلسفات الرجعة.

المقام الرابع: ظهور ملك الإمامة الإلهية: وقد مرّ تعريف الإمامة بملك الرجعة وملك الجنة والآخرة في حديث المفضل عن الصادق عليه السلام وغيره من الأحاديث.
المقام الخامس: أنّ الرجعة كاشفة عن بقاء أدوارهم في الأرض بعد الممات سواء عبر ما يسمى بالنزول - كنزول وتنزل الملائكة وقد مرت الإشارة في تعريف حقيقة الرجعة إلى الفرق بين النزول والرجعة وسيأتي شرحه مبسوطاً في الباب الثالث - أو أدوارهم عبر رجعتهم إلى الدنيا الآن.

(١) مختصر بصائر الدرجات / ح ٣٤/٥٤٥ ص ٥٧٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٠٧، عنه بحار الأنوار / مجلد ٥٣ ص ١٢٠ ح ١٥٣.

وقد روى الشيخ في المصباح والسيد ابن طاووس هذا الدعاء في ليلة النصف من شعبان وهو بمثابة زيارة للإمام الغائب (صلوات الله عليه) إذ قال فيه: «والمنزّل عليهم ما يتنزل في ليلة القدر وأصحاب الحشر والنشر تراجمة وحيه وولاة أمره ونهيه»^(١)، وهو مقام يغير مقام ديّانية يوم الدين.

المقام السادس: تبعية من يرجع من الأنبياء للأئمة عليهم السلام كتبعية موسى عليه السلام للخضر، بل أعظم من ذلك وقد ورد في روايات الفريقين نزول النبي عيسى عليه السلام إلى الأرض وصيرورته وزيراً للإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ويصلي خلفه، وأنه سيكون في ركب الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وتحت رايته وتبعاً لإمامته عدة من الأنبياء كإلياس عليه السلام بل سيأتي في الباب الرابع أن أول رجعة للحسين عليه السلام سيكون في ركه سبعين نبياً بل سيأتي أيضاً أن في إحدى رجعات أمير المؤمنين عليه السلام يكون في ركه وتحت إمرته ورايته جميع الأنبياء والمرسلين السابقين ومن ثم فأمير المؤمنين عليه السلام هو المهدي الأكبر وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الرابع.

وقد أنبأ عن ذلك القرآن الكريم في جملة من الآيات كقوله تعالى: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾^(٢).

فهذه الآية الشريفة تشريع خالده إلى يوم القيامة، وهو أنّ ولاية ولاة الفيء - الذي هو جميع ثروات الأرض - تدبیره بولاية الله ورسوله وقربى النبي صلى الله عليه وآله فلم يُسند الله هذه الحاكمية لأحد من الأنبياء السابقين عند رجوعهم إلى الدنيا فلا تكون لهم حاكمية وإمامة مع وجود قربى النبي صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة بل ذكرت الآية الكريمة أيضاً أن العدالة لن تستتب في الأرض ولن يُزال استئثار الأغنياء بالثروات إلا بحاكمية ذوي القربى في الأرض وإدارتهم لثرواتها وحينئذ يفهم معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ

(١) مصباح المتهجد: فصل في الزيارات في أعمال شهر رجب وشعبان.

(٢) سورة الحشر: الآية ٧.

مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ^(١). بضميمة ما دل على الرجعة ورجعة جميع الأنبياء والأوصياء السابقين أن نصرتهم لسيد الأنبياء هو بنصرة أوصيائه من أقربائه.

المقام السابع: إنجاز الوعد الإلهي وإقامة الدين وإظهار الحق في الرجعة:

حيث قد وَعَدَتْ كثير من الآيات بإهلاك الجبابرة والطغاة وسؤدد المستضعفين والمحرومين كقوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢)، وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٣)، وغيرها من آيات الوعد الإلهي كالتى تذكر أن العاقبة للمتقين لا البداية والأولى والوسطى.

المقام الثامن: أن الرجعة بإرادة ولي الله من الأئمة عليه السلام، وكذا الإبقاء والتقدير لمدة البقاء فيها.

المقام التاسع: الأداء والقيام بالندارة الكبرى من قبل النبي صلى الله عليه وآله والقيام بالولاية الكبرى من قبل أمير المؤمنين والأئمة من ولده عليه السلام، كما سيأتي جملة من الكلام حول ذلك في الباب الرابع وتقدم شطر منه في الفصول السابقة ويشير إليه أيضاً قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾^(٤). فإن تأويلها الأعظم في الرجعة كما ورد عنهم عليه السلام وكذا قوله تعالى: ﴿هَذَا نَذِيرٌ مِّنَ النَّذْرِ الْأُولَى﴾^(٥). في مقابل نذارته الأخيرة والآخرة في الرجعة.

المقام العاشر: أن رجوع ورجعة كل إمام يعبر عنه بظهوره عليه السلام وأن موته يعبر عنه

(١) سورة آل عمران: الآية ٨١

(٢) سورة القصص: الآية ٥.

(٣) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٤) سورة المدثر: الآية ٢٠١.

(٥) سورة النجم: الآية ٥٦.

بمغيبه وغيبته وأن كل إمام مات بين ظهرائي قوم فهم يرجعون معه كنظام المجموعات في الرجعة، وقد روى الطبري في دلائل الإمامة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «العام الذي لا يشهد صاحب هذا الأمر الموسم لا يُقبل من الناس حجهم»^(١)، وقد أشار غير واحد من أهل الفطنة والذوق من أهل الحديث أن عمل الإمام إمام العمل لبقية سائر الناس فلا يرتفع من أعمالهم شيئاً ولا تُفتح لها أبواب السماء إلا بعمله (صلوات الله عليه)، فعمله شافع للأعمال.

نظير الإشارة في قوله تعالى: ﴿مَا يَغْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(٢)، وقد بين شرط الدعاء في القرآن أنه التوجه والتوسل بالنبي صلوات الله عليه وآله إلى الحضرة الإلهية واللوذ به كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً﴾^(٣)، ﴿قُلْ مَا يَغْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَاماً﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾^(٥) وكذا الإشارة إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾^(٦) فلا يكفي مجرد التصديق بآيات الله الناطقة - وهم الحجج عليهم السلام - بل لابد من الخضوع لطاعتهم والانقياد إليهم.

ولا يكفي ذلك أيضاً بل لابد من ضميمة الإقبال عليهم وعدم الصد عنهم وصلتهم ووصل أعمالنا بأعمالهم، وفي الحقيقة هذا الحديث الشريف يمثل تفسيراً لاشتراط الولاية في الأعمال لا في مقام النية فحسب، بل اقتران العمل بعمله عليه السلام، فعمله

(١) دلائل الإمامة: ح ٤٨٥، ص ٤٨٧.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٧.

(٣) سورة النساء: الآية ٦٤.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٧٧.

(٥) سورة المنافقون: الآية ٥.

(٦) سورة الأعراف: الآية ٤٠.

أمام أعمال الناس للوفود على أبواب السماء وهكذا في بقية العبادات.

وهذا نظير ما ورد في الحج مستفيضاً أن من دون انضمامه لزيارة النبي ﷺ والإمام عليّ عليه السلام والوفود عليهم لا يقبل ذلك الحج كما هو تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَقْضُوا تَفْتَهُمْ وَلِيُوفُوا نَذْرَهُمْ﴾^(١) فقضاء التفت هو التطهير بولاية النبي ﷺ وأهل بيته عليهم السلام، والوفاء بالنذر إتمام الحج والإتيان بالنسك لأن ولاية أهل البيت عليهم السلام تنفي عن الإنسان - بل عن جميع المخلوقات - الطاغوتية والفرعونية في ذات كل نفس فتطهرها عن الشرك والتكبر.

المقام الحادي عشر: جملة من المقامات الأخرى التي سترد تفاصيلها في الباب الثالث والرابع كاستشهاد سيد الشهداء عليّ عليه السلام مرة أخرى في رجعته الأولى واستشهاد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في رجعاته الأولى والمقاصة والمطالبة في الظلمات التي وقعت طيلة تاريخ البشرية وهذا الاستشهاد لا يعني زوال دولتهم بل دولتهم مستمرة لا تقوِّض إلى يوم القيامة فليس بعد دولتهم دولة وإنما يتعاقبون عليهم في الظهور والرجوع إلى دار الدنيا ليأخذ كل واحد دوراً بعد الآخر.

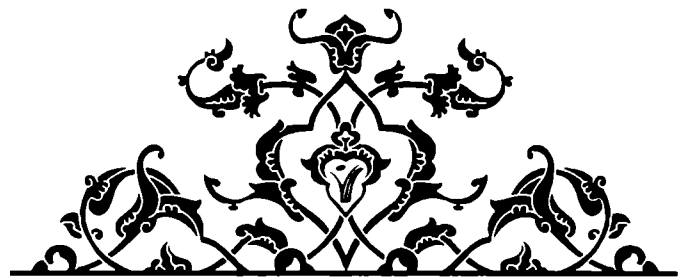
المقام الثاني عشر: الإعداد لجملة من مقاماتهم ومشاهدتهم التي تظهر يوم القيامة كمنبر الوسيلة ومقام الشفاعة وغيرها.

ملاحم الرجعة:

وفي صحيح أبي أسامة، عن أبي جعفر عليه السلام، قال: سألته عن قوله تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ قال: «نعم، نزلت في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ﴿مَا أَكْفَرُهُ﴾، يعني بقتلكم إياه ثم نسب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فنسب خلقه وما أكرمه الله به فقال: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾، يقول: من طينة الأنبياء ﴿خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ للخير، ﴿ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ﴾ يعني سبيل الهدى، ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ميتة الأنبياء ﴿ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ﴾، قلت: ما قوله ﴿ثُمَّ إِذَا

شاء أنشره؟ قال: يمكث بعد قتله فيقضي ما أمره ... الحديث»^(١).
فهذا الصحيح يبين أن الآيات مفادها أن برنامج أمير المؤمنين عليه السلام طويل أمدّه ولا يقتصر على مجرد الانتقام من الأعداء، ولذلك ستتكرّر رجعاته.

(١) تفسير القمي/في ذيل سورة عبس /ج ٢ ص ٤٠٦.



الفصل الثامن

الرجعة ونظام الإمامة



إن كل إمام من الأئمة الاثني عشر عليه السلام مهديٌ منتظرٌ موعود في عقيدة مدرسة أهل البيت ويدعى بتعجيل فرجه وظهوره.

إن مقام المهدوية - كما سيتبين - هو مقام لكل إمام من الأئمة الاثني عشر عليه السلام عندما يقيمون دولة الحق والعدل وأن موتهم ومكثهم في البرزخ بمثابة غيبة مؤقتة لهم تنتهي برجوعهم إلى الدنيا وهو ظهورهم من بعد غيبة الموت، وسيأتي في مقال لاحق في هذا الفصل أن المهديين الاثني عشر هم الأئمة الاثني عشر عليه السلام وهو مقام الرجعة لهم بإقامة الدولة المعلنه .

وقد ورد في آداب زيارة كل معصوم: الدعاء له بتعجيل فرجه وظهوره لينجز الله له ما وعده من النصر وإقامة دولة العدل على يديه، وأن كل واحد منهم عليه السلام موعود ومنتظر ظهوره، وقد حصلت غفلة لدى غالب عامة المؤمنين عن إتيان هذه الأدعية والآداب في زيارة كل معصوم وهو ما أوجب الغفلة عن تعاليم العقيدة بالرجعة والمعرفة بكل إمام بحق معرفته أي الغفلة عن المعرفة المستقبلية لكل إمام، فإن الدعاء بتعجيل الفرج ليس خاصاً بالإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بل وارد في زيارة كل إمام معصوم بل وارد في آداب زيارة الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً لأن الرسول صلى الله عليه وآله أيضاً موعود منتظر رجعه في آخر الرجعة ليقم أكبر دولة على وجه الأرض ويكون الأئمة الاثني عشر وزراء له ومن تلك الموارد:

١ - فقد روى الشيخ في (مصباح المتعبد) عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «من أراد أن يزور قبر رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة عليه السلام من بعيد فليقل ... وساق الزيارة إلى قوله: إني من القائلين بفضلكم مقر برجعتكم لا أنكر الله قدرة ولا أزعم إلا ما شاء

(١) الله .

٢- وروى ابن قولويه في (كامل الزيارات) في المعتبر عن عمرو بن أبي شعيب العرقوفي عن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إذا أتيت عند قبر الحسين عليه السلام ويجزيك عند قبر كل إمام... ، وساق أدب الزيارة والدعاء فيها إلى قوله عليه السلام: اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن نبيك، وابعثه مقاماً محموداً تنتصر به لدينك، وتقتل به عدوك، فإنك وعدته، وأنت الرب الذي لا تخلف الميعاد»، وكذلك تقول عند قبور كل الأئمة عليه السلام (٢).

وهذه الرواية والزيارة صريحة في أن من المقام المحمود لكل إمام أن ينتصر الله به لدينه في الدنيا ويقتل به أعداء الله وأن كل إمام موعود من الله بذلك وقد مرت الآيات القرآنية التي فيها هذا الوعد لكل إمام.

٣- وروى السيد ابن طاووس في (إقبال الأعمال) في أعمال شهر ذي الحجة أنه يستحب أن يدعى في يوم دحو الأرض بهذا الدعاء... وساقه إلى قوله: «وابعثنا في كثرته حتى نكون في زمانه من أعوانه» وهذا الدعاء في شأن أمير المؤمنين عليه السلام نظير الدعاء الوارد في الإمام الحجة المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.

٤- وروى السيد ابن طاووس في (مصباح الزائر) زيارة طويلة للحسين عليه السلام وفي آخرها هذا الدعاء: «اللهم فصل على سيدي ومولاي صلاة ترفع بها ذكره، وتظهر بها أمره وتعجل بها نصره واخصمه بأفضل قسم الفضائل يوم القيامة...» (٣) ومتن هذه الزيارة صريح في الدعاء بتعجيل نصر سيد الشهداء عليه السلام بظهوره مرة أخرى برجة من القبر إلى دار الدنيا وأن لفظ الدعاء بتعجيل نصره نظير الدعاء الوارد بتعجيل فرج الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.

٥- ما رواه ابن قولويه في (كامل الزيارات) من صحيح أبي حمزة الثمالي عن

(١) مصباح المتعبد / ص ٢٨٩ ح ١١/٣٩٩.

(٢) كامل الزيارات : ب/ ١٠٤ ح ٢ تحت عنوان زيارة لجميع الأئمة عليه السلام .

(٣) مصباح الزائر ص ٢٤٥.

الصادق عليه السلام في زيارة الحسين عليه السلام: «ونصرتي لكم معدة حتى يحييكم الله لدينه ويبعثكم وأشهد أنكم الحجة وبكم تُرجى الرحمة فمعكم معكم لا مع عدوكم إني بإيابكم من المؤمنين لا أنكر الله قدرة ولا أكذب منه بمشيئة... ثم قال: اللهم صل على أمير المؤمنين عبدك وأخي رسولك الذي انتجته بعلمك، وجعلته هادياً لمن شئت من خلقك، والدليل على من بعثت برسالتك، وديان الدين بعدلك، وفصل قضائك بين خلقك، والمهيمن على ذلك كله، والسلام عليه ورحمة وبركاته . اللهم أتمم به كلماتك وأنجز به وعدك وأهلك به عدوك واكتبنا في أوليائه وأحبائه. اللهم اجعلنا شيعةً وأنصاراً وأعواناً على طاعتك وطاعة رسولك وما وكلته به واستخلفته عليه»^(١).

وهذا الدعاء قد ذكر في الزيارة بضمير الجمع أيضاً بعد الصلاة على كل إمام إمام مما يفيد أن كل إمام من الأئمة الاثني عشر (صلوات الله عليهم) سينجز الله لكل واحد منهم دولة الحق وإقامة العدل التي وعد بها وقطع بها على نفسه في العديد من السور القرآنية.

٦- ما رواه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي في (المصباح الكبير) - في ذكر قنوت الوتر - قال: ويستحب أن يزداد هذا الدعاء: «الحمد لله شكراً لنعمائه...»، وذكر شكاية طويلة من أحوال الغيبة والدعاء لصاحب الزمان بتعجيل الفرج والخروج، إلى أن قال: «اللهم وشرف بما استقل به من القيام بأمرك لدى مواقف الحساب مقامه، وسرّ نبيك محمداً ﷺ برؤيته ومن تبعه على دعوته...»، ثم قال: «ورّد عنه من سهام المكائد ما يوجهه أهل الشنآن إليه وإلى شركائه في أمره، ومعاونيه على طاعة ربّه...» الدعاء^(٢).

والتعبير في الدعاء «وسرّ نبيك محمد برؤيته...» دال على أن النبي ﷺ لا زال يولي الاهتمام والرعاية والتدبير لمجريات وأحداث البشر في دار الدنيا وأنه ﷺ يتابع تفاصيل الأمور كما أن التعبير في الدعاء «إلى شركائه في أمره» في مقابل معاونيه يظهر

(١) كامل الزيارات: باب ٧٩ ح ٦٣٩/٢٣ ص ٤٠٤.

(٢) مصباح المتعبد: ح ٤٦/٢٥٠ ص ١٦١.

منه الإشارة إلى بقية الأئمة الاثني عشر وأنهم (صلوات الله عليهم) لا يزالون مساهمين في القيام بأمر الله.

٧- ما رواه الشيخ أيضاً في المصباح - في أدعية الصباح والمساء - في الدعاء الكامل المعروف بدعاء الحريق يقول في آخره: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَهْلِ بَيْتِهِ الطَّيِّبِينَ وَعَجِّلْ فَرَجَهُمْ وَفَرَجِي، وَفَرِّجْ عَنْ كُلِّ مَهْمُومٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَارْزُقْنِي نَصْرَهُمْ وَأَشْهَدْنِي أَيَّامَهُمْ واجمع بيني وبينهم في الدنيا والآخرة، واجعل منك عليهم واقية حتى لا يخلص إليهم إلا بسبيل خير وعلى من معهم وعلى شيعتهم ومحبيهم وعلى أوليائهم ...»^(١).

والتعبير في الدعاء «وارزقني نصرهم وأشهدهني أيامهم» دال على أن لكل واحد من الأئمة الاثني عشر عليه السلام دولة وأيام نصر كتب الله له كما أن لهم في الآخرة ملكاً.

٨- وما رواه ابن قولويه أيضاً في (كامل الزيارات) في زيارة للحسين بن علي عليه السلام بسنده عن سعدان بن مسلم - قائد أبي بصير - قال: حدثني بعض أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام ... وذكر الزيارة للحسين عليه السلام يقول فيها بعد ذكر النبي والأئمة عليهم السلام: «وحبب إليّ مشاهدكم حتى تُلحقني بهم، وتجعلهم لي فرطاً، وتجعلني لهم تبعاً في الدنيا والآخرة ...»، قال: ثم تقول: لبيك داعي الله، إن كان لم يجبك بدني فقد أجابك قلبي وشعري وبشري ورأيي وهواي على التسليم لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب، والدليل العالم ... فقلبي لكم مُسَلِّمٌ، وأمري لكم مُتَّبِعٌ، ونُصرتي لكم معدة حتى يحييكم الله لدينه ويبعثكم، فمعكم معكم لا مع عدوكم، إني من المؤمنين برجعتكم، لا أنكر الله قدرة، ولا أكذب له مشيئة، ولا أزعم أن ما شاء الله لا يكون...» وذكر الزيارة^(٢).

وفي الزيارة تنصيص على أن الله يبعث الأئمة من القبور رجوعاً إلى الدنيا ويُعلي أمره بهم ويحيي بهم دينه.

(١) مصباح المتعبد ح ٧٣/٣٣٥ ص ٢٢٧.

(٢) الكافي / المجلد ٤ / ص ٥٧٢ / باب زيارة قبر أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

٩ - وما رواه الكليني أيضاً في (الكافي) في الباب المذكور بالسند السابق يقول فيه أبو عبد الله عليه السلام: «إذا أردت أن تودّعه فقل: السلام عليك ورحمة الله وبركاته أستودعك الله... إلى أن قال: اللهم لا تجعله آخر العهد منا ومنه، اللهم إني أسألك أن تنفعنا بحبه، اللهم ابعثه مقاماً محموداً تنصر به دينك، وتقتل به عدوك، وتبهر به من نصب حرباً لآل محمد، فإنك وعدت ذلك وأنت لا تخلف الميعاد، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، أشهد أنكم شهداء نجباء، جاهدتم في سبيل الله وقتلتم على منهاج رسول الله صلى الله عليه وآله تسليماً كثيراً»^(١).

وفي هذه الزيارة تنصيص على بعث سيد الشهداء بخصوصه من القبر راجعاً إلى الدنيا لينتصر الله به لدينه ويُبِيد به أعداءه بإقامة دولة العدل الإلهي وهو أحد درجات المقام المحمود.

ثم إن هذا المضمون قد ورد في كثير من زيارات الحسين عليه السلام وكذلك في كثير من زيارات أمير المؤمنين عليه السلام وكذلك ورد في واحدة من زيارات كل إمام من بقية الأئمة أو أكثر من زيارة واحدة لكل منهم، وهذا مما يدل على أن من مقومات زيارتهم مع عرفان حقهم حال زيارة الزائر العارف بأنهم عليهم السلام لازالوا ولالة يلون أمر الله في الناس وانهم ينتظر عودهم إلى الدنيا ببعث الله إياهم من قبورهم وأن هذه القبور والمراقد الشريفة كما هي موطن غيبتهم فهي موطن ظهورهم وخروجهم مرة أخرى وأن الالتزام بزيارة تلك القبور والمراقد عبارة عن انتظار وترقب لعودتهم وثبات على ولائهم وطاعتهم والانقياد لهم فقد ورد في بعض زيارات أمير المؤمنين عليه السلام والتي أوردها المشهدي في مزاره الكبير قول الزائر في وسط الزيارة مخاطباً أمير المؤمنين عليه السلام: «... مؤمن برجعتك، منتظر لأمرك مترقب لدولتك آخذ بقولك، عامل بأمرك، مستجير بك، مفوض أمري إليك متوكل فيه عليك، زائر لك، لائذ ببابك الذي فيه غبت ومنه تظهر، حتى تُمكِّن دينه الذي ارتضى، وتبدل بعد الخوف أمناً، وتعبد

(١) الكافي / المجلد ٤ / ص ٥٧٥، أبواب الزيارات، باب زيارة الحسين بن علي عليه السلام / ح ١.

المولى حقاً، ولا تشرك به شيئاً، ويصير الدين كله لله، ﴿وأشرق الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بالحق وهم لا يظلمون﴾^(١) والحمد لله رب العالمين»^(٢).

وفي الرواية جملة من الفوائد:

الأولى: إن مواضع قبورهم ومراقدهم أبواب للآخرة يُتَّجَّه منها تجاه دار الآخرة فهي مشاعر أخروية في بقاع أرضية كما قال تعالى: ﴿في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾^(٣) وقد روى الفريقان في ذيل الآية: أن بيت علي وفاطمة عليهما السلام من أفاضلها^(٤).

الثانية: أن مراقدهم وقبورهم أبواب غُيِّبوا فيها ومنها سيبعثون تارة أخرى إلى دار الدنيا في الرجعة فهي مواطن انتظار لرجعتهم ومطالع ترقب لأوبتهم ومشارف آمال لكرتهم فمن ثم كانت ملاذاً ومستجاراً ومعاداً.

الثالثة: أن مفاد هذه الزيارة أن الحساب ووضع الكتاب والمجيء بالنبيين والشهداء^(٥) بالمحاسبة هي في الرجعة في أواخرها ويتم القضاء بالفصل بالحق.

الرابعة: إن كمال ازدهار عمارة الأرض سيتم بظهور وسيطرة الدين على سائر أرجاء الأرض وهو سيتحقق في الرجعة بدءاً من ظهور الصاحب وصعوداً وارتقاءً وانتهاءً في أواخر الرجعة.

ويظهر مما سبق من الروايات: أن كل الأئمة موعودون بالرجعة وأن كلاً منهم منتظر ومهدي يقيم دولة العدل الإلهي وقد ورد في زيارات الحسين عليه السلام بل في عدة من

(١) سورة الزمر: الآية ٦٩.

(٢) المزار الكبير لابن المشهدي / القسم ٣ / الزيارة ١٥ ص ٣٠٨.

(٣) سورة النور: الآية ٣٦.

(٤) شواهد التنزيل للحسكاني: ج ١ ص ٥٣٣ - ٥٣٤ حديث ٥٦٧ - ٥٦٨، الدر المنثور للسيوطي: ج ٥ ص ٥٠.

، قال: أخرجه ابن مردويه، عن أنس بن مالك وبُرَيْدة الأسلمي، عن رسول الله صلى الله عليه وآله.

(٥) سورة الزمر: الآية ٦٩.

زيارات الأئمة عليهم السلام الدعاء: «تنتصر به لدينك»، وهو إشارة إلى رجعة الحسين عليه السلام ورجعة بقية الأئمة عليهم السلام، وهذا المفاد في هذا الدعاء شبيه بمفاد: «اللهم كن لوليك الحجة...». بل هذا الدعاء الأخير في الأصل ليس مخصوصاً بالإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بل هو عام لكل الأئمة الاثني عشر عليهم السلام.

وقد ورد في إحدى زيارات الحسين عليه السلام خطاباً لأنصار الحسين عليه السلام: «إن الله منجز لكم ما وعدكم»، بل وكذا في زيارة أبي الفضل العباس عليه السلام.

١٠- ما ذكره الشيخ الطوسي في (مصباح المتعجد) في أعمال يوم الجمعة قال: ويستحب زيارة النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام في يوم الجمعة وروي عن جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: «من أراد أن يزور قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وقبر أمير المؤمنين عليه السلام وقبر فاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وقبور الحجج عليهم السلام وهو في بلده فليغتسل في يوم الجمعة...»، ثم ساق آداباً مقدمة للزيارة: «ويقدم صلاة الزيارة فإذا تشهد وسلم فليقم مستقبلاً القبلة وليقل: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته السلام عليك أيها النبي المرسل والوصي المرتضى والسيدة الكبرى والسيدة الزهراء عليها السلام، والسبطان المنتجان والأولاد والأعلام والأمناء المنتجبون ... جئت انقطاعاً إليكم وإلى آبائكم وولدكم الخلف على بركة الحق فقلبي لكم مسلم، ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله بدينه فمعكم معكم لا مع عدوكم إنني لمن القائلين بفضلكم مقر برجعتكم لا أنكر الله قدرة ولا أزعم إلا ما شاء الله سبحانه الله ذي الملك والملكوت...»^(١).

وهذه الرواية لهذه الزيارة لهم عليهم السلام من بُعد ظاهرة في كون هذا من آداب الزيارة عند كل المعصومين عليهم السلام وأن كل واحد منهم عليه السلام مُتَرَقَّبٌ مُنْتَظَرٌ لرجعته للحكم في الأرض بأن يبعثه الله في الدنيا رجعة وهذا شامل للنبي صلى الله عليه وآله وفاطمة عليها السلام كما هو للأئمة الاثني عشر.

١١ - ما رواه ابن قولويه في (كامل الزيارات) في زيارة الحسين عليه السلام بطريق معتبر

(١) مصباح المتعجد: ح ٣٣٩/١١ ص ٢٨٩.

عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام ... وذكر عليه السلام آداب الزيارة والدعاء قبلها ثم ذكر الزيارة ثم قال عليه السلام: «قل: لبيك داعي الله (سبعاً). وقل: إن لم يجبك بدني عند استغاثتك فقد أجابك قلبي وسمعي وبصري ورأيي وهواي على التسليم لخلف النبي المرسل والسبط المنتجب والدليل العالم والأمين المستخزن والمؤدي المبلغ والمظلوم المضطهد جئتكم انقطاعاً إليكم وإلى جدك وأبيك وولدك الخلف من بعدك فقلبي لكم مسلّم ورأيي لكم متبع ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله بدينه ويبعثكم وأشهد الله أنكم الحجة وبكم تُرجى الرحمة فمعكم معكم لا مع عدوكم إني بكم من المؤمنين لا أنكر الله قدرة ولا أكذب منه بمشيئة»^(١).

وقد تضمنت الزيارة بعد ذلك التسليم والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله ثم أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام ثم واحد واحد من الأئمة عليهم السلام. وورد في أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الزيارة: «اللهم أتمم به كلماتك وأنجز به وعدك وأهلك به عدوك واكتبنا في أوليائه وأحبائه، اللهم اجعلنا له شيعة وأنصاراً وأعواناً».

وفي الزيارة أيضاً بعد السلام والصلاة على كل واحد واحد من الأئمة بأسمائهم وتقول: «اللهم أتمم بهم كلماتك وأنجز بهم وعدك وأهلك بهم عدوك وعدوهم من الجن والإنس أجمعين... اللهم اجعلنا لهم شيعة وأنصاراً وأعواناً على طاعتك وطاعة رسولك».

وهذا صريح في أن كل واحد منهم موعود منتظر ينجز الله به وعده وينتقم بهم من أعدائه ويقيم به دينه ومواعيده في نصر الدين وإعلاء الحق وإذلال الباطل وإقامة شرائعه وأحكامه وآيات كتابه.

فكل ما ورد من تعاليم في المهدي المنتظر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - هو بعينه وارد في كل إمام إمام أن الله يبعثه مرة أخرى في الدنيا رجعةً.

١٢. وقد ورد في دعاء مولد الحسين عليه السلام: «اللهم إني أسألك بحق المولود في هذا اليوم الموعود بشهادته قبل استهلاله... الممدود بالنصرة يوم الكرة المعوض من قتله أن الأئمة من نسله والشفاء في تربته والفوز معه في أوبته والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته حتى يدركوا الأوتار ويثأروا الثار ويرضوا الجبار ويكونوا خير أنصار... فنحن عائذون بقبره نشهد تربته وننتظر أوبته»^(١). وقد رواه الشيخ في المصباح بطريقه عن القاسم بن علاء الهمداني وكيل الإمام العسكري عليه السلام.

ومفاد الدعاء ظاهر بوضوح في أن سيد الشهداء عليه السلام موعود بمدد النصر يوم كرتة عليه السلام وكذلك الأوصياء من عترته وأن أوبتهم وكرتهم تقع بعد قائمهم وغيبته وأنهم يدركوا الأوتار ويثأروا الثار ويرضوا الجبار بتطهير الأرض من المفسدين العتاة. وآخر الدعاء تضمن أن الحسين عليه السلام منتظر أوبته ورجوعه.

١٣- وقد روى الشيخ عن أبي حمزة الثمالي في (مصباح المتعبد) في زيارة العباس عليه السلام: «أشهد أنك قُتِلْتَ مظلوماً وأن الله منجز لكم ما وعدكم. جئتكم يا ابن أمير المؤمنين وقلبي مسلّم لكم وأنا لكم تابع ونصرتي لكم معدة حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. فمعكم معكم لا مع عدوكم إني بكم وبإيابكم من المؤمنين وبمن خالفكم وقتلكم من الكافرين»^(٢).

وفيها تصريح أن جميعهم موعودون بالنصر في رجعتهم.

١٤- ونظير هذه الزيارة ورد في زيارة مسلم بن عقيل عليه السلام التي رواها المشهدي في (المزار الكبير)^(٣) ورواها السيد ابن طاووس في (مصباح الزائر).

١٥ - وفي زيارة لأمر المؤمنين عليه السلام رواها المشهدي في (المزار الكبير) وقد تضمنت: «إني مقرّ بكم معتصم بحبلكم متوقع لدولتكم منتظر لرجعتكم»^(٤).

(١) مصباح المتعبد: أعمال شهر شعبان، وكذا إقبال الأعمال لابن طاووس في أعمال ذلك الشهر.

(٢) مصباح المتعبد: ص ٧٢٥.

(٣) المزار للمشهدي: ص ١٧٨٩، مصباح الزائر: ٥١، الزار للشهيد الأول: ٢٧٨.

(٤) المزار الكبير للمشهدي: باب زيارات أمير المؤمنين عليه السلام: الزيارة ٨/ ص ٢٥٠.

١٦. وفي زيارة أخرى رواها المشهدي وهي الزيارة الرجبية لأمر المؤمنين عليه السلام في رجب بل لكل المعصومين عليه السلام في ذلك الشهر وفيها: «حتى العود إلى حضرتكم والفوز في كرتكم والحشر في زمركم»^(١).

١٧ - وروى في الكافي صحيح عبد الله بن جندب قال: سألت أبا الحسن الماضي عليه السلام عما أقول في سجدة الشكر فقد اختلف أصحابنا فيه؟ فقال: «قل وأنت ساجد: اللهم إني أشهدك وأشهد ملائكتك وأنبياءك ورسلك وجميع خلقك أنك الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي وعلى وفلاناً وفلاناً وفلاناً إلى آخرهم أئمتي بهم أتولى ومن عدوهم أتبرأ، اللهم إني أنشدك دم المظلوم . ثلاثاً . اللهم إني أنشدك بإيوائك^(٢) على نفسك لأوليائك لتظفرنهم بعدوك وعدوهم»^(٣).

فهذا دعاء يومي يؤتى به في كل سجدة شكر لكل صلاة فريضة بل لكل صلاة نافلة أيضاً في اليوم عدة مرات وفيها الدعاء والإلحاح بتعجيل الظفر والنصر لكل واحد واحد من أئمة أهل البيت عليه السلام والانتقام لدم سيد الشهداء وذلك بظهور قائمهم - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ورجعتهم بعده في سياق واحد.

ومنه يظهر أن ما يدعو به المؤمنون من تعجيل فرج صاحب الأمر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - لابد من تميمه بالدعاء بتعجيل رجعتهم عليه السلام وأن رجوع كل إمام هو ظهور له بعد غيبته بالموت كما ورد ذلك في كثير من الزيارات سواء أريد من الظهور معنى البروز أو أريد منه معنى السيطرة والسلطة فإن كل إمام يبرز برجوعه إلى الحياة الدنيا بعد غيابه بخفاء الموت فلكل إمام ظهور بعد غيبة، كما أن له دولة في الرجعة بعد استضعاف في الحياة الأولى.

(١) المزار الكبير للمشهدي / زيارة لأمر المؤمنين عليه السلام في رجب.

(٢) بمعنى الوعد، ففي النهاية لابن الأثير: في حديث وهب «إن الله تعالى قال: إني أويت على نفسي أن أذكر من ذكرني»، قال القتيبي: هذا غلط، إلا أن يكون من المقلوب، والصحيح: وأيت، من الوأي: الوعد، يقول: جعلته وعداً على نفسي. النهاية: ج ١ ص ٨٣ في مادة (أوى).

(٣) الكافي: ج ٣ باب السجود والتسبيح ص ٥٢٣ ح ١٧.

١٨- وروى الكليني عن محمد بن عيسى بإسناده عن الصالحين عليهم السلام قال: «تكرر في ليلة ثلاث وعشرين هذا الدعاء ساجداً وقائماً وقاعداً وعلى كل حال وفي هذا الشهر كله وكيف أمكنك ومتى حضرك من دهرك تقول بعد تحميد الله تبارك وتعالى والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله: «اللهم كن لوليك فلان بن فلان في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وناصرأً ودليلاً وقائداً وعوناً وعيناً حتى تُسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً»^(١).

ورواه الشيخ الطوسي بنفس الإسناد وبنفس المتن في (مصباح المتعبد)^(٢).
ورواه السيد ابن طاووس في (فلاح السائل)^(٣) وفي (إقبال الأعمال) مسنداً بنفس الإسناد إلا أنه استبدل فلان بن فلان «لوليك القائم بأمرك الحجة محمد بن الحسن المهدي عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام»، لكنه في فلاح السائل أورد المتن: «لوليك فلان بن فلان».

وأورده الكفعمي في (البلد الأمين) بنفس اللفظ الموجود في الكافي ومصباح الشيخ لكنه في مصباحه أورده كما في إقبال ابن طاووس.
وفي البحار أورد هذا الدعاء ضمن دعاء طويل يُدعى به في يوم الجمعة في سياق الدعاء لمحمد وآل محمد عليهم السلام وفي وسط الدعاء: «اللهم احفظ محمد وآل محمد».

وبعبارة أخرى: مما يوجب الاشتباه ما رواه السيد ابن طاووس في الإقبال^(٤) من رواية محمد بن عيسى بن عبيد بإسناده عن الصالحين عليهم السلام قال: «وكرر في ليلة ثلاثة وعشرين من شهر رمضان: اللهم كن لوليك القائم بأمرك الحجة محمد بن الحسن المهدي عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً

(١) الكافي: جلد ٤/ص ١٦٢ كتاب الصيام باب الدعاء في العشر الأواخر من شهر رمضان الحديث ٤/

(٢) مصباح المتعبد /ص ٦٣٠.

(٣) فلاح السائل /ص ٤٦.

(٤) الإقبال /٨٥.

وحافظاً وقائداً وناصرأً ودليلاً ومؤيداً حتى تسكنه أرضك طوعاً .

١٩- وروى ابن قولويه مصحح أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق عليه السلام: «إذا أردت المسير إلى الحسين عليه السلام ... ثم ذكر آداب الزيارة وأورد زيارة طويلة يقول فيها: «وقد أتيتك زائراً قبر ابن بنت نبيك فاجعل تحفتي فكاك رقبتني من النار ... إلى أن قال: واجعلني من أنصاره يا أرحم الراحمين ... ثم قال فيها: أتيتك انقطاعاً إليك وإلى جدك وأبيك وولدك الخلف من بعدك، فقلبي لك مسلّم ورأيي لك متّبع ونُصرتي لك معدة حتى يحييكم الله لدينه ويبعثكم، وأشهد أنكم الحجة وبكم ترجى الرحمة، فمعكم لا مع عدوكم، إني بإيابكم من المؤمنين لا أنكر الله قدرة ولا أكذب منه مشيئة»، ثم قال الشيخ: وتصلّي على الأئمة كلهم كما صلّيت على الحسن والحسين عليهما السلام، ثم تقول: «اللهم تَمِّمْ بهم كلماتك، وأنجز بهم وعدك، وأهلك بهم عدوك وعدوهم من الجن والإنس أجمعين. اللهم اجعلنا لهم شيعة وأعواناً وأنصاراً على طاعتك وطاعة رسولك، وأحينا محياهم وأمتنا مماتهم، وأشهدنا مشاهدتهم في الدنيا والآخرة ... إلى أن قال: اللهم أدخلني في أوليائك وحبّ إليّ مشاهدتهم وشهادتهم في الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ... ، ثم قال: اللهم اجعلني ممن ينصره وينتصر به لدينك في الدنيا والآخرة ... إلى أن قال: اللهم اجعلني ممن له مع الحسين بن علي عليه السلام قدم ثابت، وأثبتني فيمن يستشهد معه» .

وهذه الزيارة فيما استعرضناه من المواضع فيها طافحة ظاهرة في كون كل إمام موعود أن ينصره الله والمؤمنون مأمورون بإعداد العدة لنصر كل إمام عند ظهوره في الرجعة فكل إمام لابدّ على المؤمنين من إعداد النصر له في الوقت الراهن فضلاً عن الزمن اللاحق وأن غاية إعداد النصر لكل إمام يمتدّ زمناً إلى أوان رجعته حيث يحييه الله لإقامة دينه بإقامة دولة العدل الإلهي وأن الدعاء بـ «اجعلنا أعواناً أنصاراً» بالإضافة إلى كل إمام إمام وفي نهاية الزيارة: «اجعلني ممن ينصره وينتصر به في الدنيا والآخرة» أي ينصر الحسين عليه السلام في الدنيا في الوقت الراهن وفي آخرة الدنيا أي الرجعة ثم بعدها «وأثبتني فيمن يستشهد معه» . وهذه العبارة تحتمل وجهين:

الأول: أنه دعاء بالشهادة مع الحسين عليه السلام في الرجعة؛ لأنه قد ورد كما سيأتي في الباب الثالث.

الثاني: أن يكتب له أجر من استشهد مع الحسين عليه السلام والمعنى الأول أظهر لصيغة فعل المضارع في صلة الموصول «في من يُستشهد معه».

٢٠ - وفي معتبرة أبي الصباح الكناني قال: نظر أبو جعفر عليه السلام إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: «ترى هذا؟ هذا من الذين قال الله عز وجل: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾» ^(١).

٢١ - وفي معتبرة عبد الله بن سنان قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ قال: «هم الأئمة» ^(٢).

رجعة الأئمة ذرية النبي صلى الله عليه وآله بعده

المعارف وفقه متون الروايات:

٢٣ - وروى السيد ابن طاووس: «اللهم كن لوليك القائم بأمرك الحجة محمد بن الحسن المهدي (عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام) في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وقائداً وناصراً ودليلاً ومؤيداً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طولاً وعرضاً وتجعله وذريته من الأئمة الوارثين ... الحديث».

وظاهر نسخة هذه الرواية التي رواها ابن طاووس توهم أن الأئمة عليهم السلام بعد الثاني عشر المهدي الحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف - هم من ذريته.

وهذا وهم من أحد الرواة أو النساخ لهذا الدعاء بشهادة:

(١) الكافي: مجلد ١ ص ٣٠٦.

(٢) الكافي: مجلد ١ ص ١٩٤.

١- أن المجلسي رحمته الله روى هذا الدعاء باللفظ الذي ذكره ابن طاووس في ضمن أدعية يوم الجمعة ولكن في سياق الدعاء لمحمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) روى في وسط ذلك الدعاء قوله عليه السلام: «اللهم احفظ محمد وآل محمد وأتباعهم وأوليائهم بالليل والنهار من أهل الجحد والإنكار واكفهم حسد كل حاسد متكبر جبار وسلطهم على كل ناكث ختار حتى يقضوا من عدوك الأوطار واجعل عدوهم مع الأذلين والأشرار وكبهم - ربي - على وجوهم في النار إنك الواحد القهار، اللهم كن لوليک في خلقك ولياً وحافظاً وقائداً وناصرأ حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه منها طولاً وتجعله وذريته فيها الأئمة الوارثين واجمع له شمله واكمل له أمره وأصلح له رعيته وثبت ركنه وأفرغ الصبر منك عليه حتى ينتقم فيتشفى ويشفي حزاة قلوب نغلة وحرارة صدور وغرة وحسرات أنفـس تـرحـة من دمـاء مسـفـوكة وأرحام مقطوعة و(طاعة) مجهولة قد أحسنت إليه البلاء ووسعت عليه الآلاء وأتممت عليه النعماء في حسن الحفظ منك له. اللهم اكفه هول عدوه وأنسهم ذكره وأرد من أراده وكد من كاده وامكر بمن مكر به واجعل دائرة السوء عليهم اللهم فضّ جمعهم وفل حدّهم ... إلى آخر الدعاء»^(١).

فإن ضمير (ذريته) يعود بوضوح إلى النبي صلى الله عليه وآله، مضافاً إلى عدم تخصيص دعاء الفرج بالحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، بل لكل إمام من الاثنى عشر عليهم السلام عند كونه الولي بالفعل.

٢- وقد وردت روايات مستفيضة بل متواترة برجعة النبي صلى الله عليه وآله في أواخر الرجعة وأن الدولة التي سيقمها هي أكبر دولة الرجعة ويكون فيها الأئمة الاثنى عشر عليهم السلام وزراء للنبي صلى الله عليه وآله وأعواناً وأن الانتقام الذي يحصل من الأعداء في دولة الرجعة أعظم من الانتقام الذي يحصل في دولة الظهور للإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - من الأعداء بأضعاف مضاعفة وأن كل إمام من الأئمة الاثنى عشر يرجع ويقيم دولته وينتقم من قاتليه وذلك حيث يرجعهم الله إلى الحياة مع رجوعه.

(١) البحار: مجلد ٨٦ ص ٣٤٠ الباب ٤ من أبواب يوم الجمعة وآدابه.

٣- ومن ذلك يتبين تنصيب هذه الرواية أن أول من يُدعى لهم بهذا الدعاء: «اللهم كن لوليك» هو النبي ﷺ فيدعى بتعجيل رجعته وإقامة دولته، ومن ثم كان التعبير بـ «كن لوليك في خلقك» لا في أرضك.

كما يُدعى بهذا الدعاء لعلي عليه السلام أيضاً والحسن والحسين عليهما السلام ولبقية أئمة أهل البيت عليهم السلام كل واحد منهم باسمه واسم أبيه.

٤- ومن ثم ورد لفظ الحديث في عدة من الروايات المتقدمة: «اللهم كن لوليك فلان بن فلان» إشارة إلى عموم هذا الحديث للمعصومين الأربعة عشر عليهم السلام لا خصوص الإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وقد نبه على ذلك غير واحد من المحدثين الكبار أي نبه على عموم الدعاء لكل المعصومين عليهم السلام، ولكن هذه التعاليم غائبة عن أذهان كثير من المؤمنين كل ذلك بسبب غياب المعرفة بالرجعة والغفلة عن هذا الباب العظيم في المعرفة الموجب لكمال المعرفة بالله وقدرته ومشيتته والمعرفة بمقامات النبي ﷺ والآتية والمقامات لأمر المؤمنين والأئمة عليهم السلام المستقبلية.

تحقيق في صناعة الدراية والحديث؛

واعلم أن جماعة من فحول الفقهاء وأكابر المحدثين المتبحرين قد أشاروا إلى أن المتن الروائي ومتن الرواية الواحدة قد تختلف صورته وألفاظه من راوٍ إلى آخر سواء الراوي المباشر أو من سلسلة الرواة في الطريق عن الراوي المباشر وذلك لأسباب عديدة:

الأول: الاقتضاب والإيجاز فقد يكون الراوي المباشر يروي المتن تارة باقتضاب وإيجاز وتارة أخرى بتفصيل وبسط وهاتان الحالتان يختلف بحسبهما متن الرواية خطاً وإتقاناً ووضوحاً وإبهاماً وذلك بحسب ما يتمتع به الراوي المباشر من ضبط علمي وإتقان في النقل والتصوير وقوة الحافظة والالتفات والتركيز وكذلك الحال يسري في سلسلة الرواة في الطريق عن الراوي المباشر.

وهذا يوجب تعدد المتون في الحديث الواحد كثيراً ويتوهم غير الخبير بالدراية

أن هذه أحاديث متعددة أو ينساق الى متن واحد ويعكف عليه ويغفل عن استقصاء المتون الاخرى المنقولة مع كونها بالغة الأهمية في الوقوف على حقيقة المضمون لأن هذه المتون المختلفة إما بمثابة ألبسة أو وجوه وزوايا لحقيقة واحدة فمن ثم كان الاغترار والاسترسال بمتن مروي واحد يوجب وقوع الفقيه أو المفسر أو المتكلم بعيداً عن حقيقة المدلول الأصلي الصحيح للرواية لاسيما إذا كان المبحث عقائدياً والبحث في مسألة اعتقادية فإنه لا يعول على إيهام نقل آحاد وخبر منفرد من دون وصوله إلى استفاضة متواترة في الدلالة لا من جهة خصوص أصل الصدور فحسب كما عرفت بل الأهم من ذلك أيضاً هو الوصول إلى ضبط المتن الحقيقي بتمام كلماته وفقراته وألفاظه وحينها تكون صورة المتن تامة كاملة هذا مضافاً إلى الأسباب الأخرى لاختلاف المتن الآتي ذكرها الموجبة للتفاوت في درجة الضبط والإتقان في المضمون الحقيقي للروايات.

الثاني: الدرجة العلمية أو المستوى العلمي للراوي فإنه لا يخفى تأثيره في درجة الضبط وله بالغ التأثير سواء الراوي المباشر أو الرواة عنه أو صاحب الكتاب الذي أودع متن وطريق الرواية.

الثالث: قوة الحافظة للراوي أو الرواة ولا يخفى تأثيرها البالغ أيضاً.

الرابع: نسخ الكتب المودعة التي تخرج الرواية أو الكتب المستخرج منها الرواية فإن الكتب الحديثية المتأخرة ككتب ابن طاووس في القرن السابع أو البحار وكتب الحر العاملي أو السيد هاشم البحراني في القرن الحادي عشر بل والصدوق والشيخ الطوسي في القرن الرابع والخامس وغيرهم ممن هم في طبقاتهم فإنهم يستخرجون الروايات من كتب متقدمة عليهم وتختلف تلك الكتب وما قبلها (مترامياً) في النسخ والضبط والإتقان إلى غير ذلك من العوامل الكثيرة التي ذكرها علماء الدراية والحديث، وهذا الاستقصاء بمثابة قرائن مصيرية مؤثرة على استحصال الظهور والمراد الحقيقي لأي رواية وهذا هو أحد الأسباب المهمة المبررة لعدم اعتماد القدماء على خبر منقول بطريق الآحاد واشترطوا احتفاف الخبر بقرائن تفيد العلم أو الاطمئنان فإن هذا السبب - كما عرفت - لا يرتبط بأصل الصدور.

المقام المحمود في دولة الرجعة :

روى ابن قولويه في (كامل الزيارات)^(١)، بسند معتبر فيه إرسال خفيف عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تقول إذا أتيت قبر الحسين بن علي عليه السلام، ويجزيك عند قبر كل إمام عليه السلام ثم ساق الزيارة إلى أن قال في آخر الزيارة أن يقول الزائر: «اللهم لا تجعله آخر العهد من زيارة قبر ابن نبيك وابعثه مقاماً محموداً تنتصر به لدينك وتقتل به عدوك فإنك وعدته ذلك وأنت الرب الذي لا تخلف الميعاد»، ثم قال عليه السلام: «وكذلك تقول عند قبور كل الأئمة عليه السلام».

ومفاد صريح هذه الزيارة التي ذكرها ابن قولويه أن المقام المحمود لهم عليه السلام من مصاديقه البارزة مقام دولتهم في الرجعة فلكل إمام مقام محمود بدولة عزيزة باهرة ظاهرة، وأن كل إمام موعود بهذا المقام ينتصر الله به لدينه، فكل إمام منتظر موعود يدعى له بالفرج وتعجيل ذلك له وأن يبعثه الله من قبره لذلك الوعد والميعاد لقيادة دولة الحق والعدل، وأن دعاء الفرج عام لكل من الأئمة الاثني عشر عليه السلام، وهو ليس من مختصات الإمام المهدي الحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بل قد نص في ذلك الدعاء على عموم كل الأئمة عليه السلام، كما يتضح من ذلك أن زيارة كل واحد منهم عليه السلام هي لتجديد العهد والبيعة مع الإمام المزور لأجل النصرة والإعداد لدولة الرجعة، كما هو صريح قوله: «ونصرتي لكم معدة حتى يحيي الله دينه بكم».

(١) كامل الزيارات: باب ١٠٤، الزيارة لجميع الأئمة: ص ٥٢٦، الحديث ٢.

مفاهيم الرجعة في زيارة عاشوراء

وذلك في مواضع:

أحدها: «أنَّ يرزقني طلب ثارك مع إمام منصورٍ من أهل بيت مُحَمَّد صلوات الله عليهم أجمعين».

الثاني: «وأنَّ يرزقني طلب ثارك مع إمام مهدي هدىً ظاهر ناطق بالحق منكم». وطلب ثارهم والانتقام لهم لا ينطلق من ردّة فعل نفساني وغيض غرائزي، بل معنى الانتقام في منطق الوحي وأهل البيت عليه السلام هو إزالة الباطل وما تولّد منه من فروع وتداعيات في البلاد والعباد حصداً بجذوره وأشجاره أي تطهير البلاد والعباد من أشخاص الرجس والأنجاس.

وفي الموضع الأوّل لم يُحصر طلب الثار بمعية الإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، ولم يُقصر عليه - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بل عُمِّم إلى كل إمام من الأئمة الاثني عشر عليه السلام، كما أنَّ الحال كذلك في الموضع الثاني مع تعميم الثار إلى طلب ثار كل ظلامَةٍ ومظلمَةٍ وحق لهم، وكذلك تعميم الإمام الذي يطلب الثار معه، والتوصيف بالمنصور أو الظاهر والناطق بالحق، إشارة إلى إقامة الدولة الظاهرة وبتوسطها يمكن إنجاز ذلك، وأما المقام المحمود فقد مرّ تصريح الروايات أنَّ من أوائل مصاديقه إقامة الدولة لهم فضلاً عن بقية مصاديقه من مقاماتهم في القيامة والآخرة.

وإنَّ من غايات الزيارة لهم عليه السلام: الحظوة بالكرّة معهم، فقد وردَ في زيارة طويلة لسيد الشهداء عليه السلام أوردها ابن قولويه، حيث وردَ في الدعاء بعد صلاة الزيارة: «وأؤمل

في قربكم النجاة وأرجو في إتيانكم الكرّة، وأطمع في النظر إليكم وإلى مكانكم غداً في جنان ربي مع آبائكم الماضين»^(١).

وكذا وَرَدَ في موضع آخر في الزيارة نفسها: «جئتُك انقطاعاً إليك وإلى جدك وأبيك وولدك الخلف من بعدك، فقلبي لك مُسَلِّمٌ، ورأيتُ لك مُتَّبِعٌ، ونصرتي لك معدة، حتّى يحكم الله دينه ويبعثكم، وأشهد الله أنكم الحُجَّةُ، وبكم تُرجى الرحمة، فمعكم مَعَكُمْ لا مع عدوّكم، إني بكم من المؤمنين، لا أنكرُ الله قدرةً ولا أكذبُ منه بمشيئة»^(٢). وكذلك «ونصرتي لكم معدة حتّى يحيى الله تعالى دينه بكم ويردكم في أيامه ويظهركم لعدله، ويمكّنكم في أرضه، وقلبي لكم مسلّم، ورأيتُ لكم تبع»، وهذا المقطع من الزيارة قد وَرَدَ مضمونه مكرراً في الزيارات العديدة، ومفاده: أخذ الاستعداد والإعداد بالتهيؤ والتمدد في القوة والقدرة إعداداً لإقامة دولتهم عند رجوعهم إلى دار الدنيا مرة أخرى فالتطلع والطموح والإعداد لا يقتصر على دولة ظهور الإمام المهدي الحجة بن الحسن العسكري - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بل يُعمدُ إقامة دولة دائمة لمحمد وآل محمد ﷺ لا تزول إلى يوم القيامة، وهو مشروع ضخم فيحتاج إلى إعداد واستعداد وتنمية للقدرات على كل الأصعدة يتناسب مع حجم وضخامة هذا المشروع.

فوظيفة الاستعداد والانتظار ليست تقتصر على ظهور الإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - فحسب بل تشمل انتظار رجعة كل إمام منهم ﷺ وأنّ من غايات الزيارة توطيد هذا المعنى والارتباط.

فالمراد من بعثهم بعثهم من القبور في الرجعة.

(١) ابن قولويه / كامل الزيارات / ص ٢٢٣.

(٢) نفس المصدر.

المهديون الاثنا عشر هم الأئمة الاثنا عشر في مقام الرجعة؛

وقد وردت الإشارة في عدة من الروايات إلى رجعة الأئمة الاثني عشر بلسان غير عنوان الرجعة وغير لفظة الكرة والأوبة وغير بقية عناوين وأسماء الرجعة. وهذه الإشارة بعنوان المهديون الاثني عشر بعد الأئمة الاثني عشر، ويُراد من عدة الاثني عشر من المهديين: هم نفس الأئمة الاثنا عشر بلحاظ رجوعهم وكرتهم بعد الموت إلى الدنيا لإقامة دولة محمد وآل محمد عليه السلام وإنما اعتمد أهل البيت عليه السلام هذا العنوان لعدة حكم ومغازي:

منها: اعتماد التعبير الكنائي عن الرجعة حيث إنّ عقيدة الرجعة تعني مشروع إقامة الدولة لدى أهل البيت عليه السلام وإبراز هذا المشروع تصريحاً بمكان من الخطورة السياسية والأمنية وليس هو عقيدة تجريدية بحتة.

ومنها: أنه إشارة إلى أن هذا المقام من المقامات التي يصل إليها أئمة أهل البيت، وهم موعودون بها من قبل الله تعالى. في حين أن هذه العقيدة والمعرفة بالرجعة بهذا الشكل قد التبس على جماعة لتقمّص أدعياء أرادوا بالمؤمنين إضلالاً عن صراط الحق وعن التمسك بالأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليه السلام إلى أنداد وشركاء يُشركون بهم في الولاية الإلهية ليزيلوا الحق عن مقرّه ويصرفوا الناس عن الأئمة الاثني عشر تلبساً عليهم باسم الاتصال بالإمام المهدي عليه السلام الإمام الثاني عشر، بل ربّما تمادى الغي عندهم إلى تهميش الإمام الثاني عشر ودفعه عن مقامه ومرتبته التي رتبّه الله فيها، وأنه ليس هو المهدي وليس هو الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً!! تمنّيهم أنفسهم وشياطينهم إلى طاعة الشيطان والأبالسة مع استخدام للسحر والشعبذة ليغوا ضعفة العقول والقلوب ومرضى النفوس، الذين لم يتفقّوها في الدين ولم يلجأوا إلى علم وركن ركين.

فقد روى الشيخ الطوسي في الغيبة، وكذا جاء في مختصر بصائر الدرجات عن جماعة، عن أبي عبد الله الحسين بن علي بن سفيان البزوفري، عن علي بن سنان الموصلي العدل، عن علي بن الحسين، عن أحمد بن محمد بن الخليل، عن جعفر بن

أحمد المصري، عن عمّه الحسن بن علي، عن أبيه، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد، عن أبيه الباقر، عن أبيه ذي الثفّنات سيد العابدين، عن أبيه الحسين الزكي الشهيد، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله في الليلة التي كانت فيها وفاته لعلي عليه السلام: يا أبا الحسن أحضر صحيفة ودواة، فأملى رسول الله صلى الله عليه وآله وصيته حتى انتهى إلى هذا الموضع، فقال: يا علي إنه سيكون بعدي اثنا عشر إماماً، ومن بعدهم اثنا عشر مهدياً، فأنت يا علي أول الاثني عشر إماماً، سَمّاك الله تعالى في سمائه: علياً المرتضى، وأمير المؤمنين، والصدّيق الأكبر، والفاروق الأعظم، والمأمون، والمهدي، فلا تصحّ هذه الأسماء لأحد غيرك. يا علي، أنت وصي علي أهل بيتي حيهم وميتهم، وعلى نسائي فمن ثبّتها لقيتني غداً، ومن طلقها فأنا بريء منها، لم ترني ولم أرها في عرصة القيامة، وأنت خليفتي على أمتي من بعدي. فإذا حضرته الوفاة فسلمها إلى ابني الحسن البرّ الوصول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابني الحسين الشهيد الزكي المقتول، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه سيد العابدين ذي الثفّنات علي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد الباقر، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه جعفر الصادق، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه موسى الكاظم، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الرضا، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه مُحمّد الثقة التقي، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه علي الناصح، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه الحسن الفاضل، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه محمد المستحفظ من آل مُحمّد صلى الله عليه وآله، فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقرّبين^(١)، له ثلاثة أسامي: اسم كاسمي، واسم أبي وهو عبد الله وأحمد، والاسم الثالث المهدي وهو أول المؤمنين^(٢).

(١) مختصر بصائر الدرجات (أول المهديين) بدل (أول المقرّبين).

(٢) الغية للطوسي: ١٥٠ و ١٥١ / ح ١١١: مختصر البصائر ١٥٩. ١٦١ / ح ١١ بتفاوت يسير.

المغالطة في فهم الرواية :

توهم: إن هذه الرواية دالة على أن الإمام الثاني عشر يسلم الوصية إلى ابن له ثلاثة أسماء، فيكون قول النبي ﷺ في هذه الفقرة: «إذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المهديين» بإرجاع الضمير في «إذا حضرته» إلى الإمام الثاني عشر، وكذلك ضمير «ابنه» إلى الإمام الثاني عشر عليه السلام، وأن هذه الثلاثة أسماء هي أسماء لابن الإمام الثاني عشر.

دفع التوهم:

١- وهذا الإرجاع للضمير إلى الإمام الثاني عشر خطأ فاحش في تركيب عبارات الجمل وسياقاتها، فإن الصحيح أن الضمير يرجع إلى الإمام الحادي عشر، الإمام الحسن العسكري عليه السلام، أي إذا حضرت الإمام العسكري عليه السلام الوفاة فليسلمها إلى ابنه الإمام الثاني عشر عليه السلام الذي له ثلاثة أسماء وهو الإمام الثاني عشر أول المهديين، والإمام الثاني عشر له ثلاثة أسماء: اسم كاسم النبي محمد ﷺ، والاسم الآخر عبد الله وأحمد، والثالث وهو اللقب المهدي، وهو الإمام الثاني عشر أول المؤمنين، وفي بعض النسخ: «اسم كاسمي واسم أبيه وهو عبد الله»، وعلى هذه النسخة يكون اسم الإمام الحسن العسكري عليه السلام عبد الله، وسنبيّن وجه كون الإمام الثاني عشر أول المهديين وأول المؤمنين.

كما أن معنى ووصف ومنصب عنوان المهدي لكل من الأئمة الاثني عشر من أهل البيت عليهم السلام كمقام خاص لمن يقيم دولة محمد وآل محمد (صلوات الله عليهم) في الإعلان الظاهر وبنحو تبقى مستمرة إلى يوم القيامة، وأيضاً هناك مقام المنتصر أو المنصور للأئمة الاثني عشر، كما أشير إلى ذلك في زيارة عاشور بالإمام المنصور والإمام المهدي عليه السلام، ولنذكر الشواهد على هذا التفسير:

الشاهد الأول:

ما ورد في عدة روايات من الفريقين: أنّ الذي له أسماء ثلاثة هو نفس الإمام

الثاني عشر عليه السلام:

١ - فقد روى الشيخ الطوسي في كتاب الغيبة عن الفضل بن شاذان، عن إسماعيل بن عياش، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله ذكر المهدي فقال: «إنه يبايع بين الركن والمقام، اسمه أحمد وعبد الله والمهدي، فهذه أسماؤه ثلاثتها»^(١).

٢ - وقد روي أيضاً أنّ له عليه السلام اسمين: اسم يُخفى واسم يُعلن، وروى الصدوق في كمال الدين بسند قوي أو حسن قال: حدثنا علي بن أحمد بن موسى رحمتهما الله، قال: حدثنا محمد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدثنا إسماعيل بن مالك، عن محمد بن سنان، عن أبي الجارود زياد بن المنذر، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر، عن جدّه عليه السلام، قال: «قال أمير المؤمنين عليه السلام وهو على المنبر: يخرج رجل من ولدي في آخر الزمان أبيض اللون، مشرب بالحمرة، مبدح البطن، عريض الفخذين، عظيم مشاش المنكبين، بظهره شامتان: شامة على لون جلده، وشامة على شبه شامة النبي صلى الله عليه وآله، له اسمان: اسم يخفى واسم يعلن، فأما الذي يخفى فأحمد، وأما الذي يعلن فمحمد، إذا هزّ رايته أضاء له ما بين المشرق والمغرب، ووضع يده على رؤوس العباد فلا يبقى مؤمن إلّا صار قلبه أشدّ من زبر الحديد...»^(٢).

الشاهد الثاني:

أنّ عنوان المهدي والمهديين له تفسير مستفيض بل متواتر في روايات أهل

(١) الغيبة للشيخ الطوسي: ص ٤٥٤ ح ٤٦٣، ورواه الراوندي أيضاً في الخرائج والجرائح: المجلد ٣/ ص ١١٤٩.

(٢) كمال الدين ص ٦٥٣: الباب ٥٧ ح ١٧ وراه الراوندي في الجرائح والخرائج: ج ٣: ص ١١٤٩ و ١١٥٠/باب

العلامات الكائنة قبل خروج المهدي ومعه/ ح ٥٨.

البيت عليه السلام هو كالأصل في معناه ويراد به الإمام من الأئمة الاثني عشر عندما يقيم الدولة الظاهرة الممكنة لدولة آل محمد عليه السلام ، ومن المستفيض في رواياتهم عليه السلام أن كل الأئمة الاثني عشر عليه السلام يرجعون كما هو مقتضى عقيدة الرجعة بل لكل إمام رجعات وأكثرهم رجوعاً وكروراً هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقيمون دولة آل محمد عليه السلام واحداً بعد آخر، وهو مقتضى قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١).

وهذا الخطاب عام لكل الأئمة الاثني عشر عليه السلام حتى أن الإمام الثاني عشر أيضاً تكون له رجعة وأن لهم من الله من بوعدين: المنّ الإلهي الأول المتقدم هو بأصل الإمامة والمنّ الإلهي الثاني المتأخر هو بجعلهم يملكون تراث الدولة في الأرض. ولا يخفى أن الآية إنما هي وعد للذين مضى عليهم حالة استضعاف وقهر في حياتهم السابقة الأولى من الدنيا وهو مقتضى دلالة ﴿استضعفوا في الأرض﴾ فعل ماض أي جرى عليهم فيما مضى من حياتهم الأولى من الدنيا في الأرض استضعاف فهؤلاء وعدهم الله بجعلهم الوارثين ومقتضى مفاد ﴿الوارثين﴾ أنهم يكونون مرة أخرى في عاقبة وآخرة الحياة في الأرض فيرثون ملك الأرض ولا يخفى أن في الآية وعدين: وعد بأصل الإمامة ووعد بجعلهم الوارثين. والوعد الثاني هو بجعلهم ملوكاً يملكون إدارة الدولة في الأرض وهو مقام وعنوان ووصف المهدوية.

فالمراد بالمهديين الاثني عشر هم الأئمة الاثني عشر أنفسهم في حال الرجعة وإقامة الدولة الظاهرة، فلهم مقام المهدوية بعد تسنّمهم أصل مقام الإمامة من دون دولة ظاهرة معلنة، والحال ذلك - أي مقام الإمامة - وصف ونعت للإمام الثاني عشر منذ الوصية والإمامة من أبيه الحسن العسكري عليه السلام إلى يوم ظهوره، وحين ظهوره وبدء إقامته للدولة الظاهرة يتحقّق له الوصف الفعلي لمقام المهدي، وإلى هذا المفاد - أي تعدد الحال في الإمام الثاني عشر وأنه تمر به مرحلتان - يشير قول النبي ﷺ في الرواية

المزبورة: « فذلك اثنا عشر إماماً، ثم يكون من بعده اثنا عشر مهدياً » أي بعد إمامة الإمام الثاني عشر وامتدادها في عصر الغيبة يتحقق بدء إقامة دولة محمد وآل مُحَمَّد ﷺ، وأوّل من يقيمها هو الإمام الثاني عشر، ومن ثمّ يكون الإمام الثاني عشر هو أول المهديين بعد أن كان له أصل مقام الإمامة طيلة فترة الغيبة فالإمام الثاني عشر متميز في الأئمة الاثني عشر باتصال مقام إمامته بمقام مهدويته.

وهذا هو سرّ تكرار قوله ﷺ في ذيل الرواية: « فإذا حضرته الوفاة فليسلمها الى ابنه محمد المستحفظ من آل مُحَمَّد ﷺ فذلك إثني عشر إماماً ثم يكون من بعدي اثني عشر مهدياً، فإذا حضرته الوفاة فليسلمها إلى ابنه أول المقربين له ثلاثة أسامي: أسم كاسمي، واسم أبي وهو عبدالله وأحمد، والاسم الثالث المهدي وهو أول المؤمنين » فكرر ﷺ قوله « فإذا حضرته الوفاة » أي الحسن العسكري ﷺ « فليسلمها إلى ابنه » أي محمد إذ في المرة الثانية أيضاً صرح ﷺ أن الابن أسمه محمد كما قال ﷺ: « اسم كاسمي » فسبب هذا التكرار بحضور وفاة الحسن العسكري ﷺ أنه يسلمها إلى ابنه محمد، وأنّ الإمام الثاني عشر له مقامان متصلان زماناً: الأول أصل الإمامة والثاني مقام المهدوية، فمن ثم كرر التعبير فيه دون بقية الأئمة الاثني عشر لانفكاك زمان إمامتهم عن زمان مقام المهدوية لهم، وهو أول المؤمنين زماناً لا رتبة والمخاطبين أيضاً في آية الوعد الإلهي في سورتي النور والقصص هم الأئمة الاثني عشر الذين وعدهم الله أن يستخلفهم في الأرض بدولة معلنة ويمكن لهم إقامة الدين حيث يدلّهم بعد الخوف أمناً كما هو نصّ قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾^(١).

ويتّضح هذا التفسير بشكل مفهوم جلي من الروايات الواردة في بيان هذا المعنى لعنوان ووصف المهدي:

(١) سورة النور: الآية ٥٥.

أول المهديين واحد من الأئمة الاثني عشر:

١ - روى في تحف العقول وصية الصادق عليه السلام لمؤمن الطاق أبي جعفر محمد بن النعمان الأحول في وصية طويلة بلزوم مراعاة التقية والكتمان وعدم الإذاعة: «فلا تعجلوا فوالله قد قرب هذا الأمر - ثلاث مرات - فأذعتموه، فأخره الله»^(١).

ومراد الله من هذا الأمر: أي قيام دولة آل محمد صلى الله عليه وآله التي تبقى إلى يوم القيامة. وروى الشيخ الطوسي في الغيبة بإسناده إلى أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام قوله: «يا ثابت إن الله تعالى كان وقت هذا الأمر في السبعين، فلما قتل الحسين عليه السلام اشتد غضب الله على أهل الأرض، فأخره إلى أربعين ومائة سنة، فحدثناكم فأذعتم الحديث وكشفتهم قناع السر، فأخره الله ولم يجعل له بعد ذلك عندنا وقتاً...»^(٢).

وروى في مختصر بصائر الدرجات بسند صحيح عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وعدوا سنة السبعين فلما قتل الحسين عليه السلام غضب الله عز وجل على أهل الأرض فأضعف عليهم العذاب، وإن أمرنا كان قد دنى فأذعتموه فأخره الله عز وجل... الحديث»^(٣).

وروى النعماني في الغيبة بسند موثق عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: ما لهذا الأمر أمد ينتهي إليه ويريح أبداننا؟ قال: «بلى، ولكنكم أذعتم فأخره الله»^(٤).

وروى النعماني أيضاً بسنده عن إسحاق بن عمار الصيرفي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قد كان لهذا الأمر وقت وكان في سنة أربعين ومائة، فحدثتم به

(١) تحف العقول: ٣١٠.

(٢) الغيبة للطوسي: ٤٢٨/فصل ٧/ح ٤١٧، والغيبة للنعماني: ٣٠٣ و ٣٠٤/ب ١٦/ح ١٠، الكافي المجلد ١: ٣٦٨/باب كراهية التوقيت /ح ١، الخرائج والجرائح للراوندي: ج ١: ١٧٨ و ١٧٩/ح ١١.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: ح ١٦/٢٩٧ ص ٣٣٦.

(٤) الغيبة للنعماني: ٢٩٩/باب ١٦/ح ١، الغيبة للطوسي: ٤٢٧ و ٤٢٨/ح ١٦ بتفاوت يسير.

وأذعتموه فأخّره الله عزَّ وجلَّ»^(١).

وروى في الموثّق عن إسحاق بن عمّار، قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا أبا إسحاق، إنّ هذا الأمر قد أحرَّ مرتّين»^(٢).

وروى الشيخ الطوسي بسنده عن عثمان النوى، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كان هذا الأمر فيّ فأخّره الله ويفعل بعد ذلك في ذريّتي ما يشاء»^(٣).

والمراد من الأمر في هذه الروايات المستفيضة التي كان قد وقّت من قبل الله تعالى: هو ظهور وقيام دولة آل محمّد عليه السلام، الدولة الموعود باستمرارها إلى يوم القيامة يتعاقب الأئمّة الاثنا عشر عليها، ويصطلح في روايات أهل البيت على الإمام الذي يتمّ على يديه بدء إنشاء إقامة هذه الدولة أنّه المهدي من آل محمّد عليه السلام، وإلى هذا تشير الرواية الأخيرة، وهذه الطائفة من الروايات أنّ مقام المهدي من آل محمّد عليه السلام قد قدّره الله عزَّ وجلَّ في السبعين أي بدء إقامة هذه الدولة المستمرة على يد سيّد الشهداء، فلمّا فرط المؤمنون والمسلمون في القيام بالمسؤولية وقُتل الحسين عليه السلام اشتدَّ غضب الله على أهل الأرض فأخّره الله من باب ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾^(٤)، لأنّه لم يكن ذلك التقدير تقدير جبر وإنّما أمر بين أمرين لسنة الله المشار إليها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(٥)، فقدّر الله أن يكون مهدي آل محمّد عليه السلام هو الإمام جعفر الصادق عليه السلام، فحصل التفريط مرّة أخرى فقدّره الله في الإمام موسى بن جعفر، فوقع التفريط ثالثة فأخّره الله إلى ما يشاء، ومن ثمّ أشارت هذه الطائفة من الروايات أنّ هذا الأمر قد وقّته الله ثلاث مرّات ولعلّ الثلاث إلى زمن الصادق عليه السلام والتقدير في زمن موسى بن جعفر عليه السلام يكون رابعاً.

(١) غيبة النعماني: ٣٠٣/باب ١٦/ح ٨

(٢) الغيبة للنعماني: ٣٠٣/باب ١٦/ح ٩

(٣) الغيبة للطوسي: ٤٢٨ و ٤٢٩/فصل ٧/ح ١٨٤

(٤) سورة الرعد: الآية ٣٩

(٥) سورة الرعد: الآية ١١

وهذا التغيير من باب ﴿يَمَحُوا الله ما يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ لا يتنافى مع علم الله الحتمي بمقادير الأمور وأقدارها وحتم إبرامها، ومن ثم لا تتنافى هذه الروايات مع الروايات الأخرى أنَّ مهدي آل محمد هو الإمام الثاني عشر.

والحاصل: أنَّ هذه الطائفة بعزَّز أنَّ المهدوية مقام لأئمة أهل البيت عليهم السلام الاثني عشر هو بلحاظ قيامهم بالدولة المعلنة التي تستمر إلى يوم القيامة.

وإلى ذلك يشير ما رواه الكليني في الكافي بإسناده عن الأصبع بن نباتة، عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... والمهدي يجعله الله من شاء منّا أهل البيت»^(١).

(١) الكافي: ١/٤٥٠/باب مولد النبي صلى الله عليه وآله ووفاته/ح ٣٤، تفسير فرات الكوفي: ١١٢/ح ١١/١١٣.

علي عليه السلام المهدي الأكبر من المهديين الاثني عشر

٢ - ما رواه في مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ألا أحدثك - ثلاثاً - قبل أن يدخل عليّ وعليك داخل؟»، قلت: بلى! فقال: «أنا عبد الله، أنا دابة الأرض صدقها وعدلها وأخو نبيها وأنا عبد الله. ألا أخبرك بأنف المهدي وعينه؟»، قال: قلت: نعم، فضرب بيده إلى صدره فقال: «أنا»^(١).

وروى أيضاً عن أبي عبد الله الجدلي، قال: دخلت على علي عليه السلام فقال: «أحدثك بسبعة أحاديث إلا أن يدخل علينا داخل»، قال: قلت: افعل جُعِلت فداك، قال: «أتعرف أنف المهدي وعينه؟»، قال: قلت: أنت يا أمير المؤمنين...^(٢).

وقد وردت روايات مستفيضة بأن أمير المؤمنين عليه السلام هو صاحب الكرات والرجعات ودولة الدول، ومن ثمّ يكون هو المهدي الأكبر من أئمة أهل البيت عليه السلام كما هو مفاد هاتين الروایتين وروايات أخرى أنّه عين المهدي وأنفه حيث تضمّن تشبيه المهدي بأعضاء جسم بعضها رئيسي مركزي وهو العين والأنف وأنّ مقام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بين الأئمة الاثني عشر في الاتّصاف بوصف المهدي هو موقع العين، وهذا يبيّن أنّ صدق عنوان المهدي على الأئمة الاثني عشر هو بتفاوت.

٣ - ما رواه في بصائر الدرجات عن عبد الله، عن إبراهيم بن محمد الثقفي، قال:

(١) مختصر بصائر الدرجات : ح ٥٣٩/٢٨ ص ٥٦٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات: ح ٥٤٠/٢٩ ص ٥٦٩.

أخبرنا إسماعيل بن يسار، حدّثني علي بن جعفر الحضرمي، عن سليم الشامي أنّه سمع علياً عليه السلام يقول: «إني وأوصيائي من ولدي مهديّون كلّنا محدّثون»، فقلت: يا أمير المؤمنين من هم؟ قال: «الحسن والحسين عليهما السلام، ثمّ ابني علي بن الحسين»، قال: وعلي يومئذٍ رضيع، «ثمّ ثمانية من بعده واحداً بعد واحد، وهم الذين أقسم الله بهم فقال: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدٌ﴾ أمّا الوالد فرسول الله ﷺ وما ولد يعني هؤلاء الأوصياء ... الحديث»^(١).

وكون الأوصياء الاثني عشر أولاد رسول الله ﷺ مع أنّ علياً ابن عم النبي ﷺ وأخيه من باب التغليب أو أن علياً عليه السلام ابن رسول ﷺ روحاً ونوراً، وأطلق في هذه الرواية المهدي على كلّ الأئمة الاثني عشر.

٤- ما رواه الصدوق في الصحيح عن أبان بن أبي عياش، عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن سليم بن قيس الهلالي، قال: «سمعت سلمان الفارسي عليه السلام يقول: كنت جالساً بين يدي رسول الله ﷺ في مرضته التي قبض فيها فدخلت فاطمة عليها السلام ... فقال ﷺ لها: وأبناء بعلك أوصيائي إلى يوم القيامة، كلّهم هادون مهديّون، وأوّل الأوصياء بعدي أخي علي، ثمّ حسن، ثمّ حسين، ثمّ تسعة من ولد الحسين في درجتي، وليس في الجنة درجة أقرب إلى الله من درجتي ... الحديث». ورواه سليم بن قيس في كتابه مع تفاوت يسير في الألفاظ»^(٢).

٥- وروى ابن أبي زينب النعماني في كتاب الغيبة عن ابن عقدة وغيره بإسنادهم عن عبدالرزاق بن همام، عن معمر بن راشد، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم بن قيس، عن علي بن أبي طالب، عن رسول الله ﷺ في حديث: «... أيّها الناس، ليبلغ مقالتي شاهدكم غائبكم، اللهمّ اشهد عليهم، ثمّ إنّ الله نظر نظرة ثالثة فاختار من أهل بيتي بعدي، وهم خيار أمّتي أحد عشر إماماً بعد أخي واحداً بعد واحد، كلّما هلك واحد قام

(١) بصائر الدرجات: ٣٩٢ جزء ٨/باب ١ ح ١٥.

(٢) كمال الدين للصدوق: باب ٢٤ ح ١٠/٢٦٢ و٢٦٣، كتاب سليم بن قيس: ١٣٢/١٣٥.

واحد، مثلهم في أهل بيتي كمثل نجوم السماء، كلّما غاب نجم طلع نجم، إنهم أئمة هداة مهديّون...»^(١). وهذا الحديث طريقه موثق ولاحظ قول رسول الله ﷺ فوصف الاثني عشر أولاً بمقام الإمامة وثانياً بمقام (المهديّون) وهو مطابق لتفسير قوله ﷺ: «إن الأئمة الاثني عشر من بعدهم اثني عشر مهدياً» بالضرورة لأنّه دور ثانٍ لهم كمجموعة وعدة يرجعون فيقومون به لاسيما وأنّ الترتيب الزماني لرجوعهم ليس بترتيب مراتبهم وتفسيره برجعة الأئمة الاثني عشر وأن المهديّين الاثني عشر مقام الرجعة للأئمة الاثني عشر وإقامتهم لدولة العدل وقد مرّ أن الوعد الإلهي في آية القصص وآية النور يقتضي أن الموعود بالاستخلاف لورثة الأرض وإقامة الدولة الإلهية هم نفس الأئمة الاثني عشر الذين استضعفوا في الأرض سابقاً.

وورد كثيراً إطلاق المهدي والمهديّين على الأئمة عليهم السلام في الروايات.

الشاهد الثالث:

ومما يشهد إرادة الأئمة الاثني عشر من المهديّين الاثني عشر من هذه الرواية - أي رواية الوصية وتسليمها من كلّ إمام إلى الإمام الذي بعده: أنّ نفس هذه الرواية التي رواها الشيخ الطوسي في الغيبة ورواها عنه في مختصر بصائر الدرجات قد اشتملت على كون اسم المهدي من أسماء علي عليه السلام التي قد سمّاه الله بها والتي لا تصحّ لأحد غيره، فالصحيح المتعين الذي لا لبس فيه ولا زيغ يعتريه ولا ريب يمتريه أنّ المراد من المهديّين الاثني عشر بعد الأئمة الاثني عشر هم نفس الأئمة عليهم السلام بلحاظ دور الرجعة لهم عليهم السلام. فهم المهديّون ولذلك ذكر في بعض نسخ الرواية أنّ الإمام الثاني عشر أوّل المؤمنين وأوّل المهديّين، وقد مرّ أنّ ذلك إشارة في الآية الواعدة بالرجعة.

تساؤل:

ولعلّك تسأل: فلماذا غاير النبي ﷺ في التعبير بين الأئمة الاثني عشر والمهديّين

(١) الغيبة للنعماني ص ٨٥ و٨٦/باب ٤/ح ١٢، كتاب سليم بن قيس: ص ٢٣٦.

الاثني عشر، وكأنَّ المجموعة الأولى أئمة اثنا عشر، وأنَّ هناك مجموعة ثانية عددها أيضاً اثنا عشر كلهم مهدّيون؟

والجواب:

إنَّ التعبير وإنَّ أوهم المغايرة للوهلة الأولى إلّا أنَّ اتِّحاد المراد مألوف في استعمال الروايات نظير ما رواه الشيخ في الغيبة من موثَّق جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله ليملكنَّ منَّا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعاً»، قلت: متى يكون ذلك؟ قال: «بعد القائم»، قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: «تسع عشرة سنة، ثمَّ يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين عليه السلام ودماء أصحابه، فيقتل ويسبي حتّى يخرج السفّاح»^(١).

فالناظر في هذه الرواية في المتبادر الأول يتوهَّم أنَّ هذا الرجل من أهل البيت الذي يملك بعد القائم أو المنتصر الذي يخرج بعد القائم والذي يطلب بثأر ودم الحسين عليه السلام ودماء أصحابه هو غير الحسين عليه السلام بمقتضى تعدّد التعبير مع أنّه قد استفاضت الروايات أنَّ المنتصر هو الحسين عليه السلام، ففي روايات رواها المفيد في الاختصاص عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث: «وهل تدري من المنتصر والسفّاح يا جابر؟ المنتصر الحسين بن علي، والسفّاح علي بن أبي طالب عليه السلام»^(٢).

٦- وروى الشيخ الصدوق في عيون أخبار الرضا عليه السلام بسنده عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: سمعته يقول: «منّا اثنا عشر مهدياً، مضى ستّة وبقي ستّة، ويصنع الله في السادس ما أحبّ»^(٣).

الشاهد الرابع:

ما ورد من روايات مستفيضة أنَّ الذي يلي الوصيّة يلي مقاليد الإمام الثاني عشر

(١) الغيبة للطوسي: ص ٤٧٨ و٤٧٩/فصل ٨/ح ٥٠٥.

(٢) الاختصاص ص ٢٥٨.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام المجلد ٢ ص ٦٩ ح ٣٧.

ويلي الخاتم هو الحسين عليه السلام، حيث يدفع إليه القائم عليه السلام كل ذلك:

١ - فقد روى في مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام: «ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قتلوا معه، ومعه سبعون نبياً كما بعثوا مع موسى بن عمران عليه السلام، فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم، فيكون الحسين عليه السلام هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواري به في حفرته»^(١).

٢ - ما رواه في الكافي بسنده إلى عبد الله بن القاسم البطل، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث: «... وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً» خروج القائم عليه السلام، «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهب لكل بيضة وجهان، (يؤذن المؤذنون) المؤذنون إلى الناس أن هذا الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه، وأنه ليس بدجال ولا شيطان، والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين أنه الحسين عليه السلام جاء الحجة الموت، فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين بن علي عليهما السلام، ولا يلي الوصي إلا الوصي»^(٢).

ورواها العياشي في تفسيره ولكن مع اختلاف يسير في الألفاظ، ففي ذيل الرواية: «المؤذي إلى الناس - أن الحسين قد خرج في أصحابه حتى لا يشك فيه المؤمنون وأنه ليس بدجال ولا شيطان - الإمام الذي بين أظهر الناس يومئذ، فإذا استقر عند المؤمن أنه الحسين لا يشكون فيه، وبلغ عن الحسين الحجة القائم بين أظهر الناس وصدقه المؤمنون بذلك، جاء الحجة الموت فيكون الذي يغسله، وكفنه، وحنطه، وإيلاجه في حفرته الحسين، ولا يلي الوصي إلا الوصي»، وزاد إبراهيم في حديثه: «ثم يملكهم الحسين حتى يقع حاجباه على عينيه»^(٣).

٣ - ما تقدم من رواية الشيخ الطوسي في الغيبة: «يملك بعد القائم رجل من أهل

(١) مختصر بصائر الدرجات: ح ١٤٣/٤٣ ص ١٩٧.

(٢) الكافي: مجلد ٨ ح ٢٥٠.

(٣) تفسير العياشي ذيل سورة الإسراء مجلد ٢ ص ٢٨١ ح ٢٠ ورواه ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده عن عبد

الله بن القاسم الحضرمي عن صالح بن سهل عن أبي عبد الله عليه السلام ص ١٣٣ الباب ١٨ ح ١.

البيت ثلاثمائة سنة ويزداد تسعاً، وهو المنتصر وهو المنصور ويطلب بدمه وبدماء أصحابه»^(١)، وقد رواها المفيد في الاختصاص ببسط في الرواية عن جابر، قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: «والله ليملكنَّ رجل منَّا أهل البيت بعد موته ثلاث مائة سنة ويزداد تسعاً»، قال: فقلت: فمتى يكون ذلك؟ قال: فقال: «بعد موت القائم»، قلت له: وكم يقوم القائم في عالمه حتَّى يموت؟ قال: فقال: «تسعة عشر سنة من يوم قيامه إلى يوم موته...» وذكر بقية الحديث^(٢).

٤. بسنده عن عقبة عن أبي عبد الله عليه السلام أنه سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال: نعم، فقليل له: من أول من يخرج؟ قال: قال: «الحسين يخرج على إثر القائم»، قلت: ومعه الناس كلهم؟ قال: لا، بل كما ذكر الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ قوماً بعد قوم^(٣).

الشاهد الخامس:

ما تواتر من عقيدة رجعة الأئمة الاثني عشر لأهل البيت إلى الدنيا، ورجوع الموتى ممَّن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ورجوع أعداء أهل البيت عليه السلام، وأنَّ أوَّل من يرجع من أئمة أهل البيت عليه السلام هو الحسين بن علي عليه السلام في زمن الحجة (عجل الله فرجه)، فيكون هو الإمام بعده، ثم يرجع بعد الحسين عليه السلام بن أبي طالب عليه السلام.

وروايات رجعة الأئمة الاثني عشر إلى الدنيا بعد موت الإمام الثاني عشر قد بلغت مئات الروايات، فما رواه الحرَّ العاملي في كتاب (الإيقاظ من الهجعة) يزيد على ستة مائة رواية فضلاً عمَّا رواه المجلسي وتلميذه صاحب العوالم والأسترآبادي وغيرهم

(١) الغيبة للطوسي ح ٥٠٥ ص ٤٧٨ و ٤٧٩ ورواه في مختصر بصائر الدرجات عن مصدر آخر ح ٤٥/١٤٥

ص ١٩٧.

(٢) الاختصاص ص ٢٥٧ و ٢٥٨.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: الحديث ٤٢/١٤٢.

كثيرون، فضلاً عما رواه العامة من روايات مرادفة للفظ الرجعة معنى وإن لم تكن مرادفاً لغويّاً.

والإحصائية الدقيقة لتلك الروايات قد تزيد على الألف بكثير فضلاً عن مجموع روايات عموم الرجعة عند الفريقين فإنّ العدد يتضاعف على ذلك أضعافاً وسيأتي تفصيل ذلك في الباب الثاني.

ومن الواضح أنّ عقيدة رجعة الأئمة الاثني عشر بعد الإمام الثاني عشر تبطل توهم أنّ المهديّين الاثني عشر (أو الاثنا عشر مهديّاً) هم غير الأئمة الاثني عشر، ويتناقض مع توهم التعدّد بين الأئمة الاثني عشر والمهديّون الاثني عشر جملة من الروايات:

١- ما رواه في مختصر بصائر الدرجات عن أحمد بن محمد بن محمد بن عيسى، عن عمر بن عبد العزيز، عن رجل، عن جميل بن درّاج، عن المعلّى بن خنيس وزيد الشحام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قالاً: سمعناه يقول: «إنّ أوّل من يكرّ في الرجعة الحسين بن علي عليه السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة حتّى يسقط حاجباه على عينيه»^(١).

٢- ما رواه في مختصر بصائر الدرجات أيضاً عن أيّوب بن نوح والحسين بن علي بن عبد الله بن المغيرة، عن العباس بن العامر القصباني، عن سعيد، عن داود بن راشد، عن حمران بن أعين، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: «إنّ أوّل من يرجع لجاركم الحسين بن علي عليه السلام، فيملك حتّى تقع حاجباه على عينيه من الكبر»^(٢).

٣- ما روي في مختصر بصائر الدرجات أيضاً من صحيح المعلّى بن خنيس قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «أول من يرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام فيملك حتّى يسقط حاجباه على عينيه من الكبر... الحديث». ثم ذكر عليه السلام رجعة النبي صلى الله عليه وآله^(٣).

٤- ما رواه في مختصر بصائر الدرجات عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا

(١) مختصر بصائر الدرجات/ح ٤/٥٨ - ص ١١٩.

(٢) مختصر بصائر الدرجات/ح ٣٩/٩٣ - ص ١٧٤.

(٣) مختصر بصائر الدرجات/ح ٤٤/٩٨ - ص ١٤٩.

جعفر عليه السلام يقول: «والله ليملكن منّا أهل البيت رجلاً بعد موته ثلاث مئة سنة ويزاد تسعاً» قلت: متى يكون ذلك؟ قال: «بعد القائم عليه السلام» قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال: «تسعة عشر سنة ثم يخرج المنتصر إلى الدنيا - وهو الحسين - فيطلب بدمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام»^(١).
والسّفاح في اللغة: المعطاء والفصيح والقادر على الكلام^(٢).

٥ - ما رواه في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال الحسين عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل ... - وذكر عليه السلام أنه يستشهد ومن معه - وقال: ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة توافق خرجة أمير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا ... الحديث»^(٣).

٦ - ما ورد مستفيضاً أنّ الحسين عليه السلام عندما يخرج إلى الدنيا في أواخر حياة الإمام الثاني عشر حيث لا يكون للإمام الثاني عشر عقباً من ولده حياً حينئذ كي لا ينزع سيد الشهداء في انتقال الوصية والإمامة إليه.

الشاهد السادس:

١ - ما رواه الشيخ الطوسي في الغيبة بسند حسن عن الحسن بن علي الخزّاز، قال: دخل علي بن أبي حمزة على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له: أنت إمام؟ قال: «نعم»، فقال له: «إنني سمعت جدك جعفر بن محمد عليه السلام يقول: «لا يكون الإمام إلّا وله عقب»؟ فقال: «أنسيت يا شيخ أم تناسيت؟ ليس هكذا قال جعفر، إنّما قال جعفر: لا يكون الإمام إلّا وله عقب إلّا الإمام الذي يخرج عليه الحسين بن علي عليه السلام فإنه لا عقب له»، فقال له: «صدقت جعلت فداك هكذا سمعت جدك يقول»^(٤).

(١) مختصر بصائر الدرجات / ٤٥/١٤٥ / ص / ١٩٧.

(٢) الصحاح للجوهري: ج ١ / ص ٣٧٥ مادة (سفع)، القاموس المحيط: ج ١ / ص ٢٢٩ مادة (السفع).

(٣) مختصر بصائر الدرجات / ح / ٤٩/١٤٩ / ص ٢٠١.

(٤) الغيبة للطوسي ح / ١٨٨ / ص ٢٢٤.

ورواه الطبري في دلائل الإمامة بطريق آخر إلا أن لفظه في وسط الحديث: «لا يكون الإمام إلا وله ولد إلا الإمام الذي يخرج عليه الحسين عليه السلام...»^(١).
وتفسير هذه الطائفة من الروايات والآتي عدّة أخرى منها من أنّ الإمام الثاني عشر لا يكون له عقب عند خروج جدّه سيّد الشهداء عليه السلام إلى الدنيا في الرجعة، والسرّ فيه والسبب هو لأجل أن يدفع الإمام الثاني عشر الوصيّة ومقاليد الإمامة والأمانة الإلهية إلى جدّه الحسين، فلا يكون هناك مانع من انتقال الوصيّه الإلهية والملكوتية ومقاليد الإمامة من الإمام الثاني عشر إلى جدّه الحسين عليه السلام عند ذلك من قبيل ولدٍ من صلبه مباشر يتقرّر له استحقاق الوراثة فيمانع من انتقال الإمامة إلى الجدّ وهو سيّد الشهداء عليه السلام.

فالرواية في هذه الطائفة ليست نافية للولد والعقب للإمام الثاني عشر مطلقاً، بل في ظرف أواخر حياته الشريفة.

٢- وروى الكشي بسنده عن محمّد بن مسعود، قال: حدّثنا جعفر بن أحمد، عن أحمد بن سليمان، عن منصور بن العباس البغدادي، قال: حدّثنا إسماعيل بن سهل، قال: حدّثني بعض أصحابنا وسألني أن أكتب اسمه، قال: كنت عند الرضا عليه السلام فدخل عليه علي بن أبي حمزة... قال له علي: إنّنا روينا عن آبائك أنّ الإمام لا يلي أمره إلاّ إمام مثله؟ فقال له أبو الحسن عليه السلام: «فأخبرني عن الحسين بن علي عليه السلام كان إماماً أو كان غير إمام؟»، قال: كان إماماً، قال: «فمن ولي أمره؟»، قال: علي بن الحسين، قال: «وأين كان علي بن الحسين؟»، قال: كان محبوساً بالكوفة في يد عبيد الله بن زياد، قال: «خرج وهم لا يعلمون حتّى ولي أمر أبيه ثمّ انصرف». فقال له أبو الحسن عليه السلام: «إنّ هذا أمكن علي بن الحسين عليه السلام أن يأتي كربلاء فيلي أمر أبيه، فهو يمكن صاحب هذا الأمر أن يأتي بغداد فيلي أمر أبيه ثمّ ينصرف وليس في حبس ولا في إيسار». قال له علي: إنّنا روينا أنّ الإمام لا يمضي حتّى يرى عقبه؟ قال: فقال أبو الحسن عليه السلام: «أمّا رويتم في هذا الحديث

(١) دلائل الإمامة للطبري ح ٩/٤٠٥ ص ٤٣٥ و٤٣٦.

غير هذا؟»، قال: لا، قال: «بلى والله، لقد رويتم فيه: إلا القائم وأنتم لا تدرون مامعناه ولم قيل». قال له علي: بلى والله إن هذا لفي الحديث، قال له أبو الحسن عليه السلام: «ويلك!! كيف اجتترأت عليّ بشيء تدع بعضه؟»، ثم قال: «يا شيخ اتق الله ولا تكن من الصادّين عن دين الله تعالى»^(١).

وفي رواية المسعودي في إثبات الوصية عن الحميري عن سهل بن زياد عن منصور بن العباس عن إسماعيل بن سهل عن بعض أصحابه قال: كنت عند الرضا عليه السلام ... وروى مثله مع اختلاف في بعض الألفاظ وفي ذيله: فقال له الرضا: «ويحك!! تجرأت عليّ أن تحتج عليّ بشيء تدمج بعضه بعضاً!» ثم قال عليه السلام: «إن الله تعالى سيريني عقبي إن شاء الله»، ثم قال لعلي بن حمزة: «يا شيخ اتق الله تعالى ولا تكن من الصادّين عن دين الله»^(٢).

الشاهد السابع:

ما ورد في عدّة روايات في المقام من التأكيد على أنّ هؤلاء (المهديّون) ليسوا بأئمة وراء الأئمة الاثني عشر، فليس عدد الأئمة يتغيّر أو يزداد عن الأئمة الاثني عشر، بل الاثنا عشر مهدياً عبارة عن إشارة إلى دولة الرجعة للأئمة الاثني عشر، فالاثنا عشر مهدياً عنوان آخر لعقيدة الرجعة يشار بها إلى دولتهم عليهم السلام في الرجعة.

١- ما رواه الصدوق عن أبي بصير، قال: قلت للصادق جعفر بن محمد عليه السلام: يا ابن رسول الله إنني سمعت من أبيك عليه السلام أنه قال: «يكون من بعد القائم اثنا عشر مهدياً»، فقال: «إنما قال: اثنا عشر مهدياً، ولم يقل: اثنا عشر إماماً، ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا»^(٣)، ورواها في مختصر بصائر الدرجات^(٤).

(١) اختيار معرفة الرجال للطوسي ح/ ٨٣ ج ٢ / ص ٧٦٣.

(٢) إثبات الوصية للمسعودي ص ٢٠١.

(٣) كمال الدين: ص ٣٥٨ ب ٣٣ ح ٥٦.

(٤) مختصر بصائر الدرجات: ح ٥٠/٥٦١ ص ٥٧٩.

فالنفي في قوله عليه السلام: «ولم يقل: اثنا عشر إماماً» منصبٌ على توهم اثنا عشر إماماً كمجموعة ثانية غير الاثنا عشر الأولى، فنفي ذلك عليه السلام لئلا يتوهم أن مجموع الأئمة أربعة وعشرون، بل هؤلاء الاثني عشر مهدياً هم نفس الأئمة الاثني عشر، غاية الأمر أن التعبير عن رجعتهم وكرتهم وأوبتهم وإقامتهم للدولة يعبر عنه بمقام الإمام المهدي، فهم مهديون اثنا عشر.

وأما قوله عليه السلام في ذيل الرواية: «ولكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى موالاتنا ومعرفة حقنا»، فتفسيره وتأويله محتمل لوجوه:

أ - ما ذكره صاحب مختصر بصائر الدرجات: أن المقصود بالمهديين: رجعة الأئمة الاثني عشر، ولكن لعدم احتمال السائل عقيدة الرجعة لئلا ينكرها فيكفر، قال: «اعلم هداك الله بهداه أن علم آل محمد ليس فيه اختلاف بل بعضه يصدق بعضاً، وقد روينا أحاديث عنهم (صلوات الله عليهم) جمّة في رجعة الأئمة الاثني عشر، فكانه عليه السلام عرف من السائل الضعف عن احتمال هذا العلم الخاص الذي خصّ الله سبحانه من شاء من خاصّته وتكرّم به على من أراد من بريّته كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ فأوله بتأويل حسن بحيث لا يصعب عليه فينكر قلبه فيكفر^(١).

ويؤيد استظهاره بأن الإمام عليه السلام لم يرد أن يبرز للسائل - وهو أبو بصير - ولا أن يفصح له عن (الرجعة) كما يظهر من جملة من روايات الرجعة أن الرجعة حيث تمثل عنواناً لإقامة دولة آل محمد صلوات الله عليهم، فكان الحديث عنها يكتنفه حذر وسريّة بالغة في دولة بني أمية وبني العباس حتى أنه قد ورد في رواية أن زرارة كان يلح في السؤال على الإمام الصادق عليه السلام عن الرجعة بنحو متخفٍ وبآخر ملتوٍ والإمام عليه السلام لا يفتح معه في مداولة الحديث عن الرجعة.

نعم، استظهاره أن الاثني عشر مهدياً عنوان لرجعة أهل البيت عليهم السلام متين في محله

(١) مختصر بصائر الدرجات: ذيل ح ٥٠/٥٦١ ص ٥٨٠.

مطابق للشواهد التي مرّت بأنّ المراد بـ«قوم من شيعتنا» هم الأئمة الأحد عشر، فإنّهم شيعة لوالدهم سيّد الأوصياء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، كما ورد في الأحاديث أنّ الحسن والحسين من شيعة علي عليه السلام^(١) فضلاً عن بقيّة الأئمة التسعة، وورد عن الإمام الصادق عليه السلام: «ولايتي لعلي بن أبي طالب عليه السلام أحبُّ إليّ من ولادتي منه، لأنّ ولايتي لعلي بن أبي طالب فرض، وولادتي منه فضل»^(٢)، وورد عنه عليه السلام أيضاً: «ولايتي لأبائي أحبُّ إليّ من نسبي، ولايتي لهم تنفعني من غير نسب، ونسبي لا ينفعني بغير ولاية»^(٣)، وورد نظير هذا المضمون عن الباقر عليه السلام والكاظم عليه السلام وتوصيف الاثني عشر جميعاً بأنهم شيعة من باب التغليب كما قد ورد في روايات أخرى وصفهم لكونهم من ولد رسول الله ﷺ أو بلحاظ أن جميع الأئمة الاثني شيعة لرسول الله ﷺ وهو سيدهم وإمامهم كما ورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنما أنا عبد من عبيد محمد».

٢- ما رواه الشيخ الطوسي في الغيبة بإسناده عن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: «يا أبا حمزة إنّ منّا بعد القائم أحد عشر (اثنا عشر) مهدياً من ولد الحسين عليه السلام»^(٤)، ورواه في مختصر بصائر الدرجات بطريق آخر^(٥).

وتوصيفهم عليهم السلام بكونهم من ولد الحسين من باب تغليب هذا الوصف الثابت للتسعة من الاثني عشر، كما ورد توصيف الأئمة الاثني عشر بكونهم من ولد رسول الله ﷺ في الأحاديث الكثيرة، مع أنّ الوصف ثابت للأحد عشر تغليباً، وكما ورد ذلك في الزيارة الجامعة: «وإليّ جدّكم بُعثَ الرُّوحُ الأمينُ»^(٦)، مع أنّ المخاطب بالزيارة الجامعة

(١) الاحتجاج مجلد ٢ ص ٢٣٧/ باب احتجاج الإمام الرضا عليه السلام، تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ٣١٣ ح ١٥٩.

(٢) الروضة في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لشاذان بن جبرئيل القمي ص ١٠٣/ ح ٩٢؛ عنه بحار الأنوار مجلد ٣٩ ص ٢٩٩/ ح ١٠٥.

(٣) مشكاة الأنوار: ص ٥٧٥/ باب ٩/ فصل ٤.

(٤) الغيبة للطوسي: ص ٤٧٨/ فصل ٨ ح ٥٠٤.

(٥) مختصر بصائر الدرجات: ح ١٤٤/ ٤٤ ص ١٩٧.

(٦) المزار الكبير لابن المشهدي ص ٥٣٢.

هم الأئمة الاثني عشر، بل في بعض روايات الزيارة^(١) المخاطب بالزيارة الجامعة حقيقة وتصريحاً هم كل المعصومين الأربعة عشر بل صرح أن أول المخاطبين هو الرسول ﷺ ثم أمير المؤمنين عليه السلام ثم فاطمة عليها السلام ثم الحسين عليه السلام ثم التسعة (صلوات الله عليهم).

تنبيه على أمور لابد منها :

التنبيه الأول:

قد ورد متواتراً في روايات أهل البيت أن الأرض لا تخلو من حجة، وأن الحجة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق، وورد عنهم عليه السلام: «لو لم يبق إلا اثنان لكان أحدهما حجة على صاحبه»^(٢)، والحجة هو الإمام خليفة الله في الأرض، وهم حصراً الأئمة الاثنا عشر، بل ورد متواتراً عند الفريقين الحديث النبوي: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٣)، وكذلك الحديث النبوي المتواتر عند الفريقين: «الخلفاء من بعدي اثنا عشر خليفة»^(٤) وهو مفاد قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا

(١) المزار الكبير / باب ١٣ الزيارة الثامنة؛ بحار الأنوار مجلد ٩٧ ص ٣٤٥ الزيارة ٤.

(٢) راجع: بصائر الدرجات ص ٥٠٧/٥٠٩ ج ١٠ / باب ١١ و ١٢، الكافي مجلد ١ : ص ١٧٨ و ١٧٩ / باب إن الأرض لا تخلو من حجة، والجزء ١ / ص ١٧٩ / ١٨٠ - باب أنه لو لم يبق في الأرض إلا رجلان لكان أحدهما الحجة.

(٣) رواه الخاص والعامة بألفاظ مختلفة، راجع: المحاسن للبرقي: مجلد ١ ص ١٥٤ - ح ٧٨، بصائر الدرجات ص ٢٧٩ / ب ١٥ / ح ٥، الكافي ج ١ ص ٣٧٧ / باب من مات وليس له إمام / ح ٣، كمال الدين ص ٤٠٩ / ب ٣٨ / ح ٩، مسند أحمد ٤ : ٩٦، مجمع الزوائد ٥ : ٢٢٥، مسند أبي داود ٢٥٩، مسند أبي يعلى ٣٦٦، ١٣ - ح ٧٣٧٥، وغيرها من المصادر الكثيرة.

(٤) رواه الخاصة والعامة بألفاظ مختلفة، راجع: أمالي الصدوق: ٣٨٦ - ح ٤٩٥ - ٤، الغيبة للنعماني : ١٠٤ - باب ٤ - ح ٣١، مسند أحمد ٥ : ٦٨، صحيح مسلم ٦ : ٣، سنن أبي داود ٢ : ٣٠٩ - ح ٤٢٧٩، وغيرها من المصادر الكثيرة.

فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ»^(١) وقد بينت جملة من الروايات دلالة ظاهر الآية على أن قوام الدين القيم منذ خلق الله السماوات والأرض بعدة الاثني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام.
وكون عدة الأئمة من أهل البيت اثني عشر من ضروريات المذهب، ومن ثمّ يستحيل بعد وفاة الإمام الثاني عشر أن تخلو الأرض من أئمة آل محمد (صلوات الله عليهم)، ومن ثمّ كانت رجعتهم عليهم السلام متصلة بآخر حياة الإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف ..

التنبية الثاني:

قد روى الصدوق في كمال الدين بسنده عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام يقول في حديث ... قال: قلت: يا ابن رسول الله متى يخرج قائمكم؟ قال: «إذا تشبّه الرجال بالنساء، والنساء بالرجال...، وخروج السفيناني من الشام، واليماني من اليمن، وخسف بالبيداء، وقتل غلام من آل محمد صلوات الله عليهم بين الركن والمقام، اسمه محمد بن الحسن النفس الزكية، وجاءت صيحة من السماء بأنّ الحقّ فيه وفي شيعته، فعند ذلك خروج قائمنا، فإذا خرج أسند ظهره إلى الكعبة، واجتمع إليه ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً»^(٢).

وصريح هذه الرواية أنّ خروج اليماني ومقر انطلاقه من أرض اليمن وخروج السفيناني من أرض الشام، أي إنّ انطلاق حركتهما وجيشيهما من اليمن والشام. وقد روى ابن حماد في الملاحم عن سعيد أبي عثمان، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث عن السفيناني واليماني وأنه بعد ظهور السفيناني يسير إليهم منصور اليماني من صنعاء بجنوده وله فورة شديدة يستقبل الجاهلية من قبل الناس فيلتقي هو والأخوص (السفيناني) وزيّاتهم صفر وثيابهم ملوّنة، فيكون بينهما قتال شديد^(٣).

(١) سورة براءة: الآية ٣٦.

(٢) كمال الدين : ٣٣٠، ٣٣١/باب ٣٢ - ح ١٦.

(٣) الملاحم والفتن لابن حماد: ٧٨.

التنبية الثالث :

لابدّ من الالتفات إلى أنّ الاثني عشر مهدياً لو فسّرت بغير المعنى الصحيح الذي مرّ فدور الاثنا عشر مهدياً إنّما يكون بعد نهاية دولة الإمام الثاني عشر أي بعد وفاته لا حين حياة الإمام الثاني عشر وفي دولته فضلاً عن أن يكون لهم دور في غيبته، وهذا ممّا يقطع الطريق على الأدعاء في الغيبة الكبرى من تقمّص هذا المنصب.

التنبية الرابع :

قرعة الخيرة في العقائد ، استقسام بالأزلام والنصب الشيطانية :
 إنّ من الاستخفاف بالعقل بمكان الاستناد في أصول العقائد إلى القرعة والخيرة! وهذه مهزلة فكرية لم نجد لها نظيراً إلا عند المهلوسين، فإنّ من ضروريات فقه الإمامية وفقه المسلمين أجمع أن القرعة آخر الأدلة والضوابط في المسائل الفرعية فضلاً عن أن يُتقحم بها في المسائل العقائدية فضلاً عن أن يُتقحم بها في أصول العقائد.
 فالاستناد إليها مصداق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾^(١)، بل هو من الاستقسام بالأزلام والنصب التي هي كهانة الشياطين لأنّ الاقتراع بالقرعة في غير موردها المقرّر شرعاً في دين الله غواية وإطاعة للجنّ والشياطين كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢) حيث إنّ الأزلام كانت قرعة يقترع المشركون بها وكانوا إذا قصدوا فعلاً مبهماً مثل السفر ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها: (أمرني ربّي)، وعلى الآخر: (نهاني ربّي)، وعلى الثالث: (غفل لا كفاية عليه)، فإن خرج الأمر مضوا على ذلك، وإن خرج النهي تجنّبوا عنه، وإن خرج الغفل أجالوها ثانياً، حتّى

(١) سورة يونس: الآية ٣٦.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٠.

أنَّ بعض الفقهاء كالسيد ابن طاووس^(١) حرَّم الاستخارة بالقرعة لعموم الآية الكريمة، واحتمله الأردبيلي في زبدة البيان^(٢).

والحاصل أنَّ القرعة في غير موردّها الشرعي معصية لله تعالى وطاعة للشيطان والتجاء إلى إبليس اللعين ونوع وضرب من الكهانة والتكهن ورجم الغيب بنفثات الشياطين، ومن ثمَّ كان عبد المطلب لا يستقسم بالأزلام، وهو مفاد قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخَنَازِيرِ... إِلَى قَوْلِهِ: وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكَ كُفْرًا مِمَّا فُتِنْتُمْ بِهِ قُلُوبُكُمْ لَا تُبْصِرُونَ إِلَّا فِي غَبَابٍ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ ذَلِكُمْ مُصَافًى﴾^(٣).

الاعتماد على الرؤى في الدين كهانة شيطانية:

ونظير هذا التوهم الفاسد: الاعتماد على الرؤيا والرؤى وكأن الرؤيا يتوهم أنها قناة وطريق للوحي والنبوة يعتمد عليها كمصدر ومرجع ومنبع لاستكشاف الغيب والدين والصراط المستقيم والحق، فعلى هذا الوهم صار لكل إنسان لاقطة روحية هي نبوة في روح كل إنسان وهذا المقال الباطل أشار إليه القرآن بقوله تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنشَرَةً﴾^(٤)، وهذا المقال الفاسد يجعل المدار على الرؤيا ولا يجعل المدار على الثقلين اللذين أمر النبي ﷺ بالتمسك بهما: الكتاب والسنة المطهرة اللذان هما من نبوة خاتم الأنبياء ﷺ، وأنه خاتم، وأنه لا نبي بعده. وهما اللذان قال في شأنهما: «ما إن تمسكتم بهما» لن تضلوا بعدي».

إثنا عشر أماماً، هم اثنا عشر مهدياً، هم اثنا عشر أميراً، هم اثنا عشر وصياً، هم اثنا عشر خليفة، هم اثنا عشر هادياً، هم اثنا عشر وارثاً.

هذا، ولا يخفى على اللبيب الفطن أنَّ الأئمة الاثنا عشر عليهم السلام كما ورد تسميتهم بالأئمة الاثني عشر وبالمهديين الاثني عشر في روايات الفريقين المتواترة، أي في

(١) فتح الأبواب لابن طاووس: ص ٢١٨.

(٢) زبدة البيان: ص ٦٢٦.

(٣) سورة المائدة: الآية ٣.

(٤) سورة المدثر: الآية ٥٢.

روايات أهل سُنَّة العامة والخلاف أيضاً المتواترة أو المستفيضة ورد فيها أنَّ علياً عليه السلام وولده هم المهديون الاثنا عشر بعد رسول الله ﷺ ، كذلك أيضاً ورد في روايات الفريقين أسماء أخرى للاثني عشر، نظير قوله عليه السلام : «بعدي اثنا عشر خليفة، واثنا عشر أمير، واثنا عشر وصي، واثنا عشر هادي، واثنا عشر وارث، وغير هذه السبعة عناوين والأوصاف.

وهذا التعدد في أوصاف الاثني عشر لا يتوهم منه مجموعات متعددة كل منها أثني عشر، بل هي تشير إلى مقامات متعددة للمعصومين الاثني عشر، علي والحسن والحسين والتسعة من ولد الحسين عليه السلام ، فانتبه والتفت إلى بيانات القرآن الكريم والنبى ﷺ في وصفهم عليه السلام .

ولابدَّ للقارئ من التدبُّر والتعمُّن والتكرار لقراءة هذه الشواهد والتنبيهات كي تتضح له جملة من الزوايا من معارف ومقامات أهل البيت عليه السلام ولا تبقى مبهمة لديه.

قاعدة:

نظام الإمامة في الرجعة

تساؤل:

قد يثار تساؤل عن كيفية رجعة الأئمة عليهم السلام في زمان الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - أو في زمان بعضهم البعض حيث يلزم إما عزله أو تقديم المفضول على الفاضل.

وبعبارة أخرى: أنّ الأدلة العقلية والنقلية الدالة على امتناع خلو الأرض من إمام طرفة عين، وامتناع تقديم المفضول على الفاضل، مع الأحاديث الصريحة في حصر الأئمة عليهم السلام في اثني عشر، وأنّ الإمامة في ولد الحسين عليه السلام إلى يوم القيامة^(١)، وقولهم عليهم السلام في وصف الإمام: «الإمام واحد دهره، لا يدانيه عالم، ولا يوجد له مثل ولا نظير»^(٢)، وما تقرّر من أنّ الإمامة رئاسة عامة، وأن المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - خاتم الأوصياء والأئمة، فلا يجوز أن تكون الرجعة في زمان الإمام المهدي الحجة بن الحسن عليه السلام ولا بعده، لأنّه يلزم إما عزله عليه السلام، وقد ثبت استمرار إمامته إلى يوم القيامة، وإما تقديم المفضول على الفاضل أوزيادة الأئمة على اثني عشر، أو عدم عموم رئاسة الإمام، وهذه من أقوى شبهات منكر الرجعة، كما ذكر ذلك الحر العاملي في كتابه.

(١) علل الشرائع للصدوق/ باب ١٥٦ (العلة التي من أجلها صارت الإمامة في ولد الحسين دون الحسن عليه السلام) ص ٢٠٥ إلى ص ٢١٠.

(٢) الكافي: جلد ١/ باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته / ص ٢٠١.

الجواب:

إنَّ نظام الإمامة وفق مراتب رتبها الباري عَزَّ وَجَلَّ، وهذه المراتب لا تتبدل سواء اجتمعوا في دار الدنيا كاجتماع أهل الكساء، وزين العابدين عليه السلام والباقر عليه السلام أو اجتمعوا في دار الآخرة أو كان بعضهم في البرزخ والبعض الآخر في دار الدنيا، فإنَّ الأمر ينزل من الله تعالى أولاً على النبي صلى الله عليه وآله ثم علي عليه السلام ثم الحسن والحسين عليهما السلام ثم بقية الأئمة عليهم السلام بحسب مراتبهم إلى أن يصل وينزل إلى الإمام الحي الناطق، كما ورد ذلك في نص روايات الكافي^(١).

وعلى ضوء ذلك فمراتب صلاحياتهم عليهم السلام هي تراتبية ضمن تسلسل رتبي، فتصدي أحدهم عليه السلام لا يخرجهم عن موقع مرتبته، التي تهيمن عليها المراتب الفوقية كما تهيمن مرتبته على من دونه من مراتب الأئمة عليهم السلام، كما أنَّ الحال كذلك مع مرتبة فوقية ولاية الله تعالى ففي حكومة الرسول صلى الله عليه وآله الحاكمة في المرتبة الأولى هي لله تعالى، كما بين ذلك القرآن الكريم في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾^(٣). فإن الخطاب بأطيعوا الله، أول من يخاطب به رسول الله صلى الله عليه وآله. كما أن الخطاب بـ ﴿أطيعوا الرسول﴾ أول من يخاطب به الأئمة عليهم السلام.

وكذلك الإشارة في قول الباقر عليه السلام في صحيحة زرارة: «لولا أنا نزداد لأنفدنا» فقال: قلت: تزدادون شيئاً لا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «أما إنه إذا كان ذلك عُرض على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم على الأئمة ثم انتهى الأمر إلينا»^(٤).

(١) الكافي: مجلد ١ / كتاب الحجة : باب لولا أن الأئمة يزدادون (علماً) في ليلة الجمعة لنفد ما عندهم:

ح ٣٤ ص ٢٥٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٥٥.

(٣) سورة النساء: الآية ٥٩.

(٤) الكافي مجلد ١ ص ٢٥٥: ح ٣.

وهناك رواية أخرى أيضاً بهذا المضمون وهو ما جاء في مصحح يونس بن عبد الرحمن عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «ليس يخرج شيء من عند الله عزَّ وجلَّ حتَّى يبدأ برسول الله صلى الله عليه وآله ثم بأمر المؤمنين عليهم السلام ثم بواحد بعد واحد لكي لا يكون آخرنا أعلم من أولنا»^(١).

فالخطاب بالأمر بإطاعة الله متوجه أولاً إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ثم من بعده الأئمة عليهم السلام ثم سائر الناس، كما أن الخطاب بـ «أطيعوا الرسول» المخاطب به أولاً الأئمة عليهم السلام كما أن المخاطب بـ «أطيعوا» (أولي الأمر منكم) هم عموم الناس، فالآية تبين نظام الطاعة والولاية، أنه بنحو المراتب المتسلسلة، وهذا النظام المتسلسل لا يتغير عما هو عليه، سواء اجتمع هؤلاء المعصومون عليهم السلام في دار الدنيا، أم كان بعضهم في البرزخ والبعض الآخر في دار الدنيا، وإن اختلف القائم بالأمر من الأربعة عشر معصوم - بحسب الأزمان والأجيال إلى يوم القيامة - المباشر لتدبير أمور الناس.

ونظير ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا»، فهما عليهما السلام إمامان في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وأمكن اجتماعهم (صلوات الله عليهم) مع أن إمامتهم بالفعل فهي دولة إلهية ذات نظام متراتب لا تنقضي إلى يوم القيامة، ففي رواية الصادق عليه السلام يخاطب المهدي عليه السلام بـ (سيدي)، فهو يخاطب الحي الحجة بن الحسن العسكري في عالم الأظلة وعالم الذر، وكذلك الإمام الرضا عليه السلام يقوم ويضع يده على رأسه إجلالاً لابنه المهدي عليه السلام فهو موجود قبل ولادته بتقدم نشأة خلق الروح على نشأة البدن.

تنبيه وتحقيق:

في معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة: «نحن الشعار والأصحاب والخزانة والأبواب لا تؤتى البيوت إلّا من أبوابها فمن أتاها من غير أبوابها سُمّيَ

سارقاً»^(١).

ومفاد هذا الحديث يحتمل وجوهاً:

أحدها: أن يكون إشارة إلى ما وَرَدَ في دعاء ليلة النصف من شعبان أنهم أصحاب الحشر والنشر.

وروي عنه عليه السلام في حديث^(٢) محكي عن البصائر: «أنا الحاشر إلى الله ... الخبر» وسيأتي في مقام شفاعته في الباب الرابع مقام آخر له مقام الحشر والناشر والعاقب وأحاديث من الفريقين دالة على ذلك أيضاً ومفاد هذه الأحاديث مطابق لأصول قواعد المعارف في الكتاب والسنة بقراءة عقلية لأنهم محالٌ مشيئة الله وأنهم (مئة وأذواد)، كما ورد في دعاء رجب عن الحجة - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، كما قال الله تعالى في شان عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي﴾^(٣) ﴿وَأَخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤).

ولا شك أن محمداً وآل محمد (صلوات الله عليهم) أفضل من عيسى عليه السلام ومن إسرائيل صاحب النفخ في الصور وإحياء جميع الخلائق، وقد صدر من الأنبياء عليهم السلام إحياء الموتى بإذن الله في دار الدنيا كراراً بحيث بلغ حدّ التواتر كتاباً وسنة وفي الكتب السماوية، ولهذا المطلب براهين وتقريبات ومؤيدات لا يسع المقام ذكرها. ثانيها: يحتمل أن يكون المراد بكونهم أصحاب الحشر والنشر في الرجعة والله العالم.

وقد ذهب إلى ذلك جملة من علماء الإمامية كما سيأتي في الباب الثاني أن الرجعة حشر ومعجزة يجريها الله تعالى على يد النبي وأهل بيته عليهم السلام وقد اعتبر السيد ابن طاووس في (سعد السعود) أن الرجعة ظاهرة ومعجزة يقوم بها النبي صلوات الله عليه وآله كما قام

(١) نهج البلاغة: خطبة ١٤٥.

(٢) مرآة الانوار: ص ٦٠.

(٣) سورة المائدة: الآية ١١٠.

(٤) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

موسى عليه السلام بإحياء الموتى وعيسى ودانيال عليهم السلام فكما أن الله أحى على أيديهم أمواتاً بنص القرآن الكريم فكذلك يُحيي الله الأموات على يد النبي وآله عليهم السلام ، ويكون ذلك من معجزاتهم.

قال في سعد السعود: والرجعة التي تعتقدها علماءنا وأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم تكون من جملة آيات النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته ولأي حال يكون منزلته عند الجمهور دون موسى وعيسى ودانيال وقد أحى الله جلّ جلاله على أيديهم أمواتاً كثيرة بغير خلاف عند العلماء بهذه الأمور^(١).

و الذي ذكره السيد الأصفهاني في (مكيال المكارم) في تفسير الرجعة هي بلورة لما بنى عليه السيد ابن طاووس.

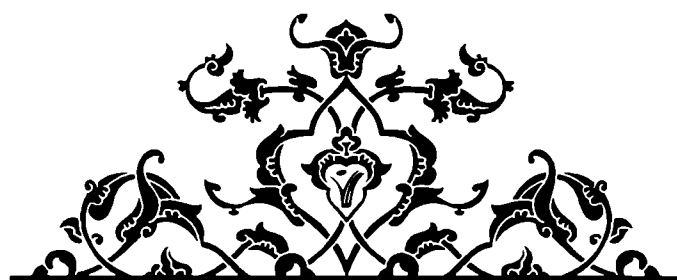
وكذلك ذهب إلى ذلك الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه عقائد الإمامية حيث قال: إن الاعتقاد بالرجعة لا يחדش بعقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوة بل يؤكد صحة العقيدتين إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث أو النشور وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا محمد وآل بيته (صلوات الله عليه وعليهم) وهي عين معجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح عليه السلام بل أبلغُ هنا لأنها بعد أن يصبح الأموات رميماً ﴿قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ^(٢)،^(٣).

وعبارته فيها تصريح بأن الرجعة من قبيل إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام.

(١) سعد السعود: ٦٦.

(٢) سورة يس: الآيتان ٧٨ - ٧٩.

(٣) عقائد الإمامية للمظفر: ١٨.



الفصل التاسع

فلسفة علائم

كل من الظهور والرجعة





إنَّ القارئ اللبيب الحاذق يتفطن إلى أنَّه قد تقدَّم الكلام في كثير من مواد بحث هذا الفصل بنحو منتشر مبثوث في الفصول السابقة إلا أننا رغم ذلك عقدنا عنوان هذا الفصل تأكيداً لأهميته منهجياً وفهرسياً لمنظومة الرجعة وتبويبها للباحثين في الرجعة وبياناً لأهميته كمحور من محاور فصولها ويمكن لنا أن نلخص جملة من الأمور في ذلك:

الأوَّل: أنَّ في معرفة تلك العلائم قطعاً للطريق على المدَّعين كذباً للمهدوية أو الارتباط الخاص بالإمام - عجل الله تعالى فرجه - أو بأحد المعصومين من آبائه عليه السلام.

الثاني: أنَّ في بيان تلك العلائم تبيين للمسؤولية الكبرى المُلَقاة على عاتق المؤمنين بإعداد أرضية تلك الأجواء فتكون العلامات بمثابة بيان للأرضية اللازم إعدادها نظير ما ورد أن الرايات في سنة الظهور كلها تدعو إلى الرضا من آل مُحَمَّد عليه السلام ، والدعوة لهم في كل البلاد الإسلامية والعربية عدا جملة من مدن الشامات وهذا يُلقَى بمسؤولية على المؤمنين بلزوم بيان معارف مدرسة أهل البيت عليه السلام في أرجاء البلدان الإسلامية.

الثالث: إنَّ دولة الرجعة الممتدة إلى يوم القيامة مشروع ضخم بمدته الزمانية كمّاً، ومهولٌ أيضاً من جهة درجات الإصلاح والإنماء كيفاً وهو مما يستلزم ويتوقف على إعدادٍ كبيرٍ وطويلٍ لاسيما مع قول الصادق عليه السلام لعمار بن أبي الأحرص في شرح منهاجهم عليه السلام في الدعوة عندما قال له: إنَّ عندنا قوماً يقولون بأمر المؤمنين عليه السلام ويفضلونه على الناس كلهم وليس يصفون منصف من فضلكم أنتولاهم؟ فقال لي: «نعم، في الجملة أليس عند الله ما لم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وآله ، ولرسول الله عند الله ما

ليس لنا، وعندنا ما ليس عندكم، وعندكم ما ليس عند غيركم؟ إن الله وضع الإسلام على سبعة أسهم ... فلا تحملوا على صاحب السهم سهمين، ولا على صاحب السهمين ثلاثة أسهم، ولا على صاحب الثلاثة أربعة أسهم، ولا على صاحب الأربعة خمسة أسهم، ولا على صاحب الخمسة ستة أسهم، ولا على صاحب الستة سبعة أسهم؛ فَتَقْلُوهُمْ وَتَنْفَرُوهُمْ، ولكن تَرْفَقُوا بِهِمْ وَسَهَّلُوا لَهُم المَدْخَلَ ... فلا تخرقوا بهم، أما علمت أن إمارة بني إمية كانت بالسيف والعسف والجور وإن إمامتنا (إمارتنا) بالرفق والتألف والوقار والتقية وحسن الخلطة والورع والاجتهاد؟ فرغبوا الناس في دينكم وفيما أنتم فيه»^(١).

وهذا المنهاج - كما ترى - في الدعوة تدريجي لا يعتمد الاندفاع والتسرع والعجلة مع كونه في قمة النشاط واليقظة وهو ما يستلزم أمداً طويلاً وجهوداً كثيرة جبارة متواصلة سواء في الآن الراهن متواصلاً مع كل مستقبل متجدد فإنّ هذا الإعداد الضخم لهذه الحركة الانسيابية التي لا تفسح للعجلة مجالاً كما لا تدع مجالاً للسكون والجمود ليس إعداداً لانتصار عابر ويزول ولا لنجاح طارئ ينتهي أمدّه ولا دولة تنقشع بعد زمن بل هو بناء لبُنية متجذرة ذات مقاسات عرشية سماوية لا تقبل الزوال ولا الانطماس بل تزداد علواً وأرتفاعاً ونوراً وأشعاعاً. لاسيما وأنّ هذه الدولة هي دولة متعاقبة متمادية متطاولة مترامية متصلة ومتواصلة ذات صرح مشيد لا تقتصر على الرجعة التي قدّرت في بعض الروايات بأربعة أضعاف من عمر الدنيا بل تمتد أيضاً إلى عالم القيامة فإنّ يوم القيامة - على ما تقرّر من بيانات الروايات والآيات - عالم وليس أربعة وعشرين ساعة وأمدّه وعمره أضعاف مضاعفة على عمر مجموع الدنيا الأولى والثانية وهي آخرة الدنيا وهي الرجعة.

وقد ورد: أن ملك القيامة من مختصات النبي ﷺ ووزيره علي أمير المؤمنين، كما أن ملك الرجعة من مختصات أمير المؤمنين، هذا فضلاً عن ملك الجنة وهو ما بعد

(١) الخصال: ٣٥/٣٥٤، رواه الصدوق بسند صحيح أعلائي عن عمار بن أبي الأحوص.

بعد الرجعة أي ما بعد عالم القيامة، وقد مرّ في الروايات - وسيأتي - قولهم: «إنّ لهم ملك الكرة وملك الجنّة» أبديّ بتأبيد الجنة فهذا الإعداد في الوقت الراهن لمسير ومصير متطاوّل مضافاً لما سيأتي في الأمر التالي.

الرابع: إنّ إيمان ومعرفة المؤمن بالرجعة وتفصيلها ومراحلها يؤدّي به تلقائياً إلى الوقوف والولوج على معرفة عالم القيامة.

كما سيتبين في الباب الثالث والرابع. والمعرفة بعالم القيامة يؤدّي به إلى معرفة الجنة والنار الأبدية ومجموع هذه المعارف يوضح له مدى خطورة وتأثير مسيرهم في الحياة الأولى من الدنيا على موقعيته في العوالم اللاحقة ومدى ارتباط الأدوار في النشأة الأولى والحياة الأولى من الدنيا فعلاّمات وإرهاصات الرجعة فضلاً عن القيامة ذات ارتباط وطيد بالمواقف في الحياة الأولى.

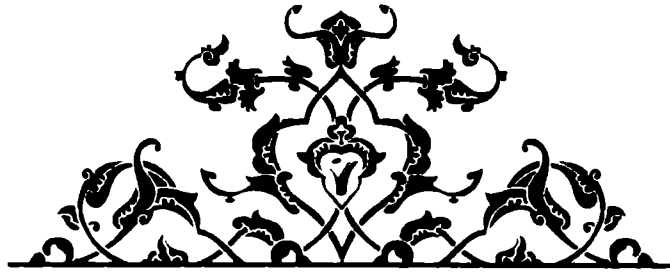
فقد ورد في التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام قول الإمام موسى بن جعفر إنّ رسول الله لما اعتذر إليه هؤلاء «الذين في قلوبهم مرض من الصحابة الذين ينصبون العداء لعلي» بما اعتذروا به، تكرّم عليهم بأن قبل ظواهرهم ووكل بواطنهم إلى ربهم، لكن جبرئيل أتاه فقال: يا محمد إنّ العلي الأعلى يقرأ عليك السلام ويقول لك: إخرج هؤلاء المردة الذين إتصل بك عنهم في علي ونكثهم ببيعته وتوطّينهم نفوسهم على مخالفتهم علماً ليظهر من العجائب ما أكرمه الله به من طاعة الأرض والجبال والسماء له وسائر ما خلق الله بما أوقفه موقفك وأقامه مقامك، ليعلم أن ولي الله علماً غني عنهم وأنه لا يكف عنهم انتقامه إلا بأمر الله الذي له فيه وفيهم التدبير الذي هو بالغه، والحكمة التي هو عالم بها وممضٍ لما يوجبها فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله جماعة من الذين إتصل به عنهم ما إتصل في أمر علي عليه السلام والمواطنة على مخالفته بالخروج فقال لعلي عليه السلام لما استقر عند سفح بعض جبال المدينة: يا علي إنّ الله تعالى أمر هؤلاء بنصرتك ومساعدتك والمواظبة على خدمتك والجد في طاعتك فإن أطاعوك فهو خيرٌ لهم يصيرون في جنة الله ملوكاً خالدين ناعمين وإنّ خالفوك فهو شرٌ لهم يصيرون في جهنم خالدين

معذبين. الحديث ^(١).

فلاحظ قوله ﷺ بأنهم إن أطاعوا علياً في الحياة الأولى من الدنيا سيؤدي ذلك بهم إلى مواقع ومناصب خطيرة في ملك الجنة، هذا فضلاً عن تأثير أعمال الحياة الأولى من الدنيا على الرجعة والقيامة.

الخامس: إن علامات الظهور والرجعة لها قراءة عسكرية وأمنية وإستراتيجية ترسم للمؤمنين منهاجاً للتخطيط والعمل، فتوجب وقايتهم عن الخطأ في المحاسبات والتقدير في حين أنها لا تعني الجبر في القدر والتقدير كما لا تعني التفويض إلى إرادة الأشرار كي لا يكون هناك إياس وجمود من المؤمنين بل يبقوا على عنفوان النشاط والأمل وقوة الثقة بالله وسعة مشيئته وأنه كل يوم في شأن.

(١) التفسير المنسوب للإمام العسكري: ذيل الآية العاشرة من سورة البقرة.



الجمع بين الظهور والمعاد

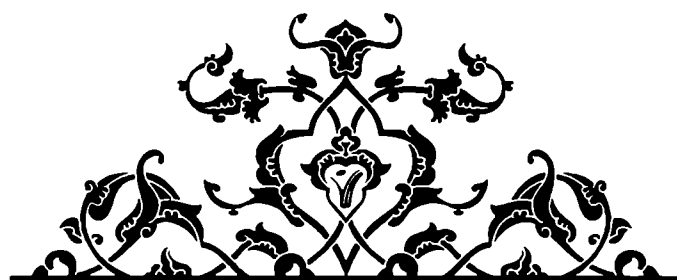
مُحَوِّثٌ
لِلْحَقِّوَانِيَّةِ لِلدَّاءِ الشَّيْخِ مُحَمَّدٍ السَّنْدِ

مُحَقِّقٌ وَتَسْنِيقُ
أَجَلَيْنِ حُسَيْنِ الْعَبِيدَانِ الْأَخْسَائِي

الجزء الثاني

دارُ زَيْنِ الْعَابِدِينَ



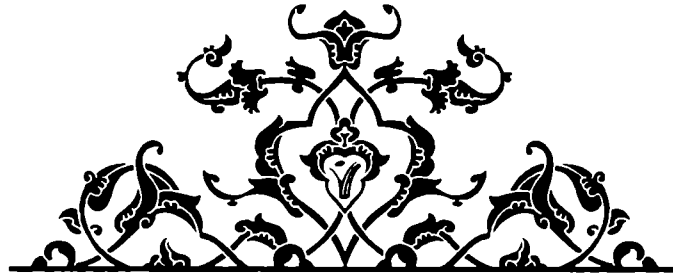


البَابُ الثَّانِي

إثبات الرجعة

وما يناسبه





الفصل الأول

**موقعية الرجعة في العقيدة والإيمان
والأقوال في أصل وضرورة الرجعة**



الفرق الشيعية والرجعة

قال الحسن بن موسى النوبختي في كتاب (فرق الشيعة) في ذكر فرق الزيدية العشرة: قالت الجارودية منهم وهم أصحاب أبي الجارود وزياد بن المنذر: إنّ علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله وأولاهم بالأمر من جميع الناس وتبرؤوا من أبي بكر وعمر وزعموا أنّ الإمامة مقصورة في ولد فاطمة عليها السلام وأنها لمن خرج منهم يدعو إلى كتاب الله وسنة نبيه، وعلينا نصرته ومعونته لقول النبي صلى الله عليه وآله: «من سمع داعينا أهل البيت فلم يجبه أكبه الله على وجهه في النار» وبعضهم يرى الرجعة ويحل المتعة^(١).

وقد حكى القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه المغني، أنّ أبا الجارود كان يرى مع ذلك الرجعة وإنّ كان في أصحابه من لا يرى ذلك^(٢).

فرقة الكيسانية والرجعة:

قال الصفدي من علماء الجمهور: الكيسانية: فرقة من الرافضة منسوبة إلى كيسان مولى علي عليه السلام أخذ العلوم من السيد محمد بن الحنفية وقرأ عليه واقتبس الأسرار منه اختلف أصحابه اختلافاً كثيراً فمنهم من قال: ليس للناس إمام سوى رجل واحد من لا

(١) فرق الشيعة للنوبختي: ص ٥٧/ وحكاه عنه المزي في تهذيب الكمال/ ج ٦/ ص ٥١٩.

(٢) المغني، ج ٢٠، ص ١٨٥.

يموت وإن غاب رجع ومنهم من عداه إلى آخر ثم توقفوا وتحيروا ومنهم من أول الأركان الشرعية وقال: هي أسماء رجال من الصلاة والصوم والحج والزكاة ومنهم من ضَعَف يقينه في القيامة ومنهم من قال بالتناسخ والحلول والرجعة بعد الموت وقبل القيامة، كما هو مذهب أهل الرجعة، ولهم في هذا هذيان كثير^(١).

أقول هذيانه في أن كل من يقول بالرجعة يقول بالتناسخ قد مرّ منا دفع هذا التوهم وأوضحنا أن حقيقة الرجعة حقيقة مباينة للتناسخ الباطل. نعم، منشأ هذا التوهم هو ذهاب جملة من الفرق الباطنية - المنسوبة إلى التشيع بالمعنى الأعم - إلى ذلك.

(١) الوافي بالوفيات للصفدي: ج ٢٤ ص ٢٨٧

كلمات أعلام الإمامية في الرجعة

نستعرض جملة من كلمات أعلام الطائفة:

١- مؤمن الطاق:

ذكر النجاشي في ترجمة مؤمن الطاق محمد بن علي النعمان الأحول، أنَّ أبا حنيفة جادله في الرجعة وكانت له مع أبي حنيفة حكايات كثيرة، فمنها أنه قال له يوماً: يا أبا جعفر تقول بالرجعة؟ فقال له: نعم فقال له: أقرضني من كيسك هذا خمسمائة دينار فإذا عُدت أنا وأنت رددتها إليك، فقال له في الحال: أريد ضميناً يضمن لي أنك تعود إنساناً فإني أخاف أن تعود قرداً فلا أتمكن من استرجاع ما أخذته مني^(١).

٢. الصدوق: الرجعة من دعائم الإيمان:

باب الرجعة من كتابه (صفات الشيعة): إِنَّ مَنْ أقرَّ بستة أشياء فهو مؤمن ... ، ومنها الإيمان بالرجعة^(١).

وظاهر كلامه أنَّ هذا مفاد رواية الفضل بن شاذان وسياق الكلام أنَّه من الضروريات والمعالم لهوية الإيمان والتشيع، وهو نص حديث الصادق والرضا عليهما السلام،

(١) رجال النجاشي: رقم ٨٨٦/ص ٣٢٦.

(١) الاعتقادات للصدوق ص/ ٦٠.

وكذا قال في كتابه الاعتقادات (اعتقادنا في الرجعة أنها حق) ^(٢).

وذكر النجاشي في ترجمته: أنَّ من كتب الصدوق كتاب الرجعة، وقد قال هو في كتاب الاعتقادات في نهاية باب الرجعة: وسأجرد في الرجعة كتاباً أبين فيه كيفيتها والدلالة على صحة كونها إن شاء الله تعالى.

٣. المفيد:

(٢) وقال الشيخ المفيد في (الفصول المختارة) مفصلاً في توجيه فصول تفاصيل بحث الرجعة وفي الرسائل العكبيرة حين سئل عن قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ ^(٢).

وأجاب بوجه فقال: وقد قالت الإمامية: إنَّ الله تعالى ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم والكررة التي وعد بها المؤمنين في العاقبة ^(٣).

المفيد: القول بالرجعة، الإمامية بأجمعها عليه، إلا شذاذ منهم تأولوا:

قال: القول في الرجعة: وأقول إنَّ الله تعالى يردّ قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعزّز منهم فريقاً ويذلّ فريقاً، ويدلّ المحقّقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين وذلك عند قيام مهدي آل محمد ﷺ.

وأقول: إنَّ الراجعين إلى الدنيا فريقان:

أحدهما: من علت درجته في الإيمان وكثرت أعماله الصالحات وخرج من الدنيا على اجتناب الكبائر الموبقات فيدير الله عزّ وجلّ دولة الحق ويعزّه بها ويعطيه من الدنيا ما كان يتمناه.

والآخر: من بلغ الغاية في الفساد وانتهى في خلاف المحقّقين إلى أقصى الغايات

(٢) سورة غافر: الآية ٥١.

(٣) الفصول المختارة/المسائل العكبيرة/ص ٤٧.

وكثر ظلمه لأولياء الله واقترافه السيئات، فينتصر الله تعالى لمن تعدى عليه قبل الممات ويشفي غيظهم منه بما يحلّه من النقمات ثم يصير الفريقان من بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقّونه من دوام الثواب والعقاب، وقد جاء القرآن بصحة ذلك وتظافرت به الأخبار والإمامية بأجمعها - إلا شذاذاً - منهم تأولوا ما ورد فيه ممّا ذكرناه على وجه يخالف ما وصفناه^(١).

وقال في موضع آخر تحت عنوان: (القول في الرجعة): واتفقت الإمامية على وجوب رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة وإن كان بينهم في معنى الرجعة اختلاف^(٢).

الرجعة مذهب يختص به آل محمد:

وقال المفيد في (الإرشاد) عند ذكر علامات ظهور القائم: وأموات ينشرون من القبور حتّى يرجعوا إلى الدنيا فيتعارفون فيها ويتزاورون.

وذكر في (المسائل السروية) أنّه سئل الشيخ عليه السلام عن مولانا جعفر بن محمد الصادق في الرجعة، وما معنى قوله: «ليس منّا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا». أهي حشر في الدنيا مخصوص للمؤمن أو لغيره من الظلمة الجبارين قبل يوم القيامة؟

فكتب الشيخ بعد الجواب عن المتعة: وأمّا قوله: «من لم يقل برجعتنا فليس منّا» فإنّما أراد بذلك ما يختصّه من القول به في أنّ الله تعالى يحيي قومًا من أمة محمد بعد موتهم قبل يوم القيامة، وهذا مذهب يختصُّ به آل محمد، والقرآن شاهد به، قال الله عزَّ وجلَّ في ذكر الحشر الأكبر يوم القيامة: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٣)، وقال سبحانه مخبراً عمَّن يحشر من الظالمين أنّه يقول يوم الحشر الأكبر: ﴿قَالُوا رَبَّنَا

(١) أوائل المقالات: ص ٤٥ - ٤٦.

(٢) أوائل المقالات: ص ٤٦.

(٣) سورة الكهف: الآية ٤٧.

أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ^(١)، وللعمامة في هذه الآية تأويل مردود، وهو أن قالوا: إنَّ المعنى بقوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ أنه خلقهم أمواتاً، ثم أماتهم بعد الحياة، وهذا باطل لا يستمر (يجري) على لسان العرب، لأنَّ الفعل لا يدخل إلَّا على من كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله أمواتاً لا يقال إنه: أماته، وإنما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة، كذلك لا يقال: أحى الله ميتاً إلَّا أن يكون قد كان قبل إحيائه ميتاً، وهذا بين لمن تأمله.

وقد زعم بعضهم أنَّ المراد بقوله ﴿رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ﴾ الموتة: التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسائلة فتكون الأولى قبل الإقبار، والثانية بعده، وهذا أيضاً باطل من وجه آخر وهو أنَّ الحياة للمسائلة ليست للتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حاله، وندم القوم على ما فاتهم في حياتهم المرَّتَيْنِ يدلُّ على أنَّه لم يرد حياة المسائلة لكنَّه أراد حياة الرجعة، التي تكون لتكليفهم الندم على تفريطهم، فلا يفعلون ذلك فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك^(٢).

٤. المرتضى: إنَّ المنكر لصحة الرجعة ملحد خارج عن أهل التوحيد:

قول السيد المرتضى في أجوبة المسائل التي وردت عليه من بلد الريّ - حيث سألوا عن حقيقة الرجعة - : أنَّ شُذَّاذاً من الإمامية يذهبون إلى أنَّ الرجعة رجوع لدولتهم في أيام القائم من دون رجوع أجسامهم. وفي قول آخر للسيد المرتضى ولا يخالف في صحة رجعة الأموات إلَّا ملحد وخارج عن أقوال أهل التوحيد^(٣).

(١) سورة غافر: الآية ١١.

(٢) المسائل السروية: ٣٢ - ٣٥.

(٣) رسائل السيد المرتضى: ج ٣ / ص ١٣٥.

وقال : فالطريق إلى إثباتها: إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك وإجماعهم قد بيناه في مواضع من كتبنا أنه حجه، بدخول قول الإمام فيه وما اشتمل على قول المعصوم من الأقوال لا بد فيه من كونه صواباً.

الجواب: اعلم أنّ الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه: أنّ الله تعالى يعيد عند ظهور إمام الزمان المهدي قوماً ... ثم قال: إنّما المعول في إثبات الرجعة على إجماع الإمامية على معناها بأنّ الله تعالى يحيي أمواتاً عند قيام القائم من أوليائه وأعدائه فكيف يطرّق التأويل على ما هو معلوم فالمعنى غير محتمل^(١).

وقال أيضاً في رسائله: اعلم أنّ الذي تقوله الإمامية في الرجعة لا خلاف بين المسلمين، بل بين الموحدين في جوازه وأنّه مقدورٌ لله تعالى وإنّما الخلاف بينهم في أنّه يوجد لا محالة أو ليس كذلك ولا يخالف في صحة رجعة الأموات إلّا ملحد وخارج عن أقوال أهل التوحيد؛ لأنّ الله تعالى قادر على إيجاد الجواهر بعد إعدامها وإذا كان قادراً عليها جاز أنّ يوجدّها متى شاء ... إلى أنّ قال: وقد اجتمعت الإمامية على أنّ الله تعالى عند ظهور القائم صاحب الزمان يُعيدُ قوماً من أوليائه لنصرته والابتهاج بدولته وقوماً من أعدائه يفعل بهم ما يستحق من العذاب.

وإجماع هذه الطائفة قد بينّا في غير موضع من كتبنا أنّه حجة لأنّ المعصوم فيهم فيجب القطع على ثبوت الرجعة، مضافاً إلى جوازها في القدرة وليست الرجعة مما ينافي التكليف ويحيل الإجماع معه وذلك أنّ الدواعي مع الرجعة مترددة والعلم بالله تعالى في تلك الحال لا يكون إلّا مكتسباً غير ضروري كما أنّ العلم به تعالى يكون مكتسباً غير ضروري والدواعي ثابتة مع تواتر المعجزات وترادف باهر الآيات أو من هرب من أصحابنا من القول بثبات (بإثبات) التكليف على أهل الرجعة - لاعتقاده أنّ التكليف في تلك الحال لا يصح له القول بالرجعة إنّما هي على طريق الثواب وإدخال المسرة على المؤمنين مما يشاء ومن ظهور كلمة الحق - فهو غير مصيب لأنّه لا خلاف

(١) رسائل المرتضى، ج ١، ص ١٢٥ - ١٢٦ المسألة ٨؛ البحار، مجلد ٥٣، ص ١٣٨ - ١٣٩١.

بين أصحابنا في أنّ الله تعالى ليعيد من سبقت وفاته من المؤمنين لينصروا الإمام^(١).

٥ - الطبرسي: إجماع الشيعة الإمامية على الرجعة:

قال الطبرسي في تفسيره مجمع البيان في ذيل قوله تعالى ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾^(٢)، إنّ المعوّل في الرجعة على إجماع الشيعة الإمامية حيث قال: ولأنّ الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة فيتطرق التأويل عليها وإنّما المعوّل في ذلك على إجماع الشيعة الإمامية وإنّ كانت الأخبار تعضده وتؤيده^(٣).

٦ - ابن شهر آشوب:

وقال ابن شهر آشوب في المناقب عند شرح خطبة أمير المؤمنين عليه السلام المعروفة حيث يقول فيها: «وبي وعلى يدي تقوم الساعة». ونقل شرح الباقر عليه السلام لتلك الخطبة وبالتحديد هذا المقطع يعني الرجعة قبل القيامة ينصر الله في ذريتي المؤمنين^(٤).

٧ - ابن طاووس: الرجعة قدرة إعجازية للنبي على إحياء الموتى:

قال ابن طاووس في سعد السعود: والرجعة التي يعتقدونها علماءنا أهل البيت وشيعتهم تكون من جملة آيات النبي ومعجزاته ولأي حال يكون منزلته عند الجمهور دون موسى وعيسى ودانيال وقد أحى الله (جلّ جلاله) على أيديهم أمواتاً كثيرة بغير خلاف عند العلماء بهذه الأمور^(٥).

(١) رسائل الشريف المرتضى: ج ٣ ص ١٣٦.

(٢) سورة النمل الآية ٨٢.

(٣) تفسير مجمع البيان: جلد ٧ ص ٤٠٦.

(٤) مناقب بن شهر آشوب، مجلد ٢، ص ٢٠٧.

(٥) سعد السعود / ص ٦٦.

٨ - الحر العاملي: وجوب الإقرار بها كل يوم:

قال الحر في سياق أن الرجعة اعتقاد يجب الإقرار به كل يوم وفي كل عبادة كالتوحيد والنبوة والمعاد، وفي معرض الاستدلال على الرجعة: إنا مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كما أنا مأمورون بالإقرار في كثير من الأوقات بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة، وكلما كان كذلك فهو حق والصغرى ثابتة بالنقل المتواتر الآتي والكبرى بديهية فالرجعة حق.

وقال أيضاً:

الرابع: إجماع جميع الشيعة الإمامية وإطباق الطائفة الاثنا عشرية على اعتقاد صحة الرجعة فلا يظهر منهم مخالف يُعتبر به من العلماء السابقين ولا اللاحقين وقد عُلم دخول المعصوم في هذا الإجماع بورود الأحاديث المتواترة عن النبي والأئمة الدالة على اعتقادهم بصحة الرجعة حتى أنه قد ورد ذلك عن صاحب الزمان مُحَمَّد بن الحسن المهدي في التوقيعات الواردة عنه وغيرها مع قلة ما ورد عنه في مثل ذلك بالنسبة إلى ما ورد عن آبائه.

ثم ذكر أقوال بقية العلماء المتقدمين المصراحة بالإجماع كالطبرسي والصدوق، وقال: ومما يدلُّ على ثبوت الإجماع: اتفاقهم على رواية أحاديث الرجعة حتى أنه لا يكاد يخلو منها كتاب من كتب الشيعة ولا تراهم يضعفون حديثاً واحداً منها ولا يتعرضون لتأويل شيء منها فعلم أنهم يعتقدون مضمونها لأنهم يضعفون كل حديث يخالف اعتقادهم أو يصرحون بتأويله وصرفه عن ظاهره، وهذا معلوم بالتبع لكتبهم.

الرجعة من ضروريات مذهب الإمامية:

وقال في ضمن الأدلة على الرجعة:

الخامس: الضرورة: فإن ثبوت الرجعة من ضروريات مذهب الإمامية عند جميع

العلماء المعروفين والمصنفين المشهورين، بل يعلم العامة أنّ ذلك من مذهب الشيعة فلا ترى أحداً يُعرف اسمه ويعلم له تصنيف من الإمامية يصرح بإنكار الرجعة ولا تأويلها ومعلوم أنّ الضروري والنظري يختلف عند الناظرين فقد يكون الحكم ضرورياً عند قوم نظرياً عند آخرين والذي يُعلم بالتبع أنّ صحة الرجعة أمرٌ محقق معلوم مفروغ منه مقطوع به ضروري عند أكثر علماء الإمامية أو الجميع حتّى لقد صنّفت الإمامية كتباً كثيرة في إثبات الرجعة كما صنفوا في إثبات المتعة وإثبات الإمامة وغير ذلك ولا يحضرني أسماء جميع تلك الكتب وأنا أذكر ما حضرني من ذلك .

ثم ذكر جملة ممن ألفوا في الرجعة^(١).

ثم قال بعدما رووا من قصة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة: وهذا كما ترى أيضاً يدلُّ على أنّ القول بالرجعة أمرٌ معلوم من مذهب الإمامية يعرفه المؤلف والمخالف وهذا معنى ضروري المذهب وهذا أعلى مرتبة من الإجماع فيه دلالة واضحة على بطلان تأويل الرجعة برجوع الدولة وقت خروج المهدي (عجل الله تعالى فرجه).

ثم قال: ومما يدلُّ على أنّ صحة الرجعة قد صارت ضرورية عند كل من تتبع الأحاديث: أنك لا تجد في الضروريات - كوجوب الصلاة وتحريم الزنا - أكثر من الأحاديث الدالة على صحة الرجعة، ومما يدلُّ على ذلك: أنّ العامة قد نقلوا في كتبهم عن الإمامية أنّهم قائلون بالرجعة وأنكروا عليهم ذلك فمنهم: الرازي والنيشابوري والزمخشري والشهرستاني وابن أبي الحديد وغيرهم، فقد ذكروا أنّ الشيعة تعتقد صحة الرجعة وأنكروا عليهم ذلك وهو دالٌّ على صحتها وأنها من خواص الشيعة وضروريات مذهبهم.

ثم نقل عن بعضهم ذلك.

ثم إنّ الحر العاملي أكثر دقّة في توصيفه لموقعية الرجعة في الاعتقاد من تعبير

(١) الإيقاظ من الهجة: / الباب ٢ للحر العاملي، ص ٩٥، وفيه أخرج ما يزيد على ستمائة ونيّف حديثاً في

المجلسي، رغم أنَّ المجلسي فحل الفحول في الكلام، لكن الحر اعتمد اللغة العقلية والكلامية الممزوجة بالحكمة في قراءته لروايات الرجعة وتأطير وقولية نتائجها، وكلامه مملوء بالاحتمالات العقلية الحكيمة.

والرجعة باب مُهمَل، حتَّى من اشتغل به، كان اشتغاله به سطحياً. نعم، امتاز الحر العاملي ببصيرة في المعارف عن المجلسي في خصوص الرجعة، وإنجاز وعمل الحر في (الإيقاظ) أعظم من عمله في (الوسائل)، حيث ينمُّ تحقيقه في الرجعة عن غور معرفي ونظر ثاقب في أبواب المعارف والعوالم.

٩- المجلسي: تواتر روايات الرجعة.

تصريح المجلسي والحر بأنَّ ما روياه هو بعض روايات الرجعة:

وقال المجلسي في (البحار) بعد نقله لكلام العامة والخاصة: ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيراً من كلماتهم في ذلك وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار فيما تواتر في قريب من مائتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ... إلى أنَّ قال: وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف!!^(١).

أقول: سيأتي في فصل الرجعة في تراث أهل البيت: أنَّ روايات الرجعة تزيد عن ألف رواية، بل لو أحصي مع ذلك كل زيارة ودعاء وورد مأثور عنهم عليه السلام تضمَّن أحد ألفاظ الرجعة ومرادفاتهما لبلغ العدد الآلاف. هذا فضلاً عن رواية العامة والجمهور عدداً كبيراً من روايات فصول الرجعة وإن كانت ليست بلفظ الرجعة - وهم لا يشعرون أنها منها.

(١) بحار الأنوار / مجلد ٥٣ ص ١٢٢. ١٢٣، المجلسي: .أورد ٢٠٠ حديث في الرجعة عن خمسين أصلاً معتبراً عن اثنين وأربعين راوياً مباشراً عن الأئمة.

والظاهر أن تقدير المجلسي رحمته الله لعدد روايات الرجعة بالمائتين إما إشارة إلى السقف الأدنى من تعداد الأحاديث وأن هناك عدداً زائداً على هذا العدد أو أنه يشير إلى خصوص الأحاديث الواردة في الرجعة المتعرضة لتفاصيلها وذات الدلالة بدرجة الظهور البين .

ولكن الصحيح أن هناك من الصريح ما يزيد على هذا العدد أضعافاً كثيرة - كما سيأتي والعدر للمجلسي - سند كر سببه. كيف وهو يصرح فيما سيأتي من كلامه بعدم روايته كل ما وجدته من روايات الرجعة، وذلك لعدم وقوفه على معرفة أسماء مؤلفي كتب تلك الأحاديث القديمة وهذا نظير تصريح الحر العاملي فيما سيأتي من كلامه بأنه لم يرو كل ما وجدته من روايات الرجعة في الكتب لعدة أسباب:

منها: عدم تحمّل العقول لثقل ما فيها من معارف.

قال المجلسي رحمته الله اعلم يا أخي، أنني لا أظنك ترتاب بعد ما مهّدت وأوضحت لك في القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار، واشتهرت بينهم كالشمس في رائعة النهار، حتّى نظموها في أشعارهم، واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم وشنع المخالفون عليهم في ذلك، وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم. منهم الرازيّ والنيسابوريّ وغيرهما وقد مرّ كلام ابن أبي الحديد حيث أوضح مذهب الإمامية في ذلك ولولا مخافة التطويل من غير طائل لأوردت كثيراً من كلماتهم في ذلك.

وكيف يشك مؤمن بحقيّة الأئمة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح، رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم كثقة الإسلام الكليني، والصدوق مُحَمَّد بن بابويه، والشيخ أبي جعفر الطوسي، والسيد المرتضى، والنجاشي، والكشي، والعياشي، وعليّ بن إبراهيم، وسليم الهلالي، والشيخ المفيد، والكراجكي، والنعماني، والصفار، وسعد بن عبد الله، وابن قولويه، وعليّ بن عبد الحميد، والسيد عليّ بن طاووس، وولده صاحب كتاب (زوائد الفوائد)، ومحمد بن علي بن إبراهيم، وفرات بن إبراهيم، ومؤلف كتاب

(التنزيل والتحريف)، وأبي الفضل الطبرسي، وإبراهيم بن مُحَمَّد الثَّقفي، ومحمد بن العباس بن مروان، والبرقي وابن شهر آشوب، والحسن بن سليمان، والقطب الراوندي، والعلامة الحلّي والسيد بهاء الدين علي بن عبد الكريم، وأحمد بن داود بن سعيد، والحسن بن علي بن أبي حمزة، والفضل بن شاذان، والشيخ الشهيد مُحَمَّد بن مكي، والحسين بن حمدان، والحسن بن مُحَمَّد بن جمهور العمّي مؤلف كتاب (الواحدة)، والحسن بن محبوب، وجعفر بن مُحَمَّد بن مالك الكوفي، وطهر بن عبد الله، وشاذان بن جبرئيل صاحب كتاب (الفضائل)، ومؤلف كتاب العتيق، ومؤلف كتاب الخطب... وغيرهم من مؤلفي الكتب التي عندنا، ومن لم نعرف مؤلفه على التعيين؛ ولذا لم ننسب الأخبار إليهم، وإن كان بعضها موجوداً فيها.

وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر، مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف!

وظني أنّ من يشك في أمثالها فهو شاكٌّ في أئمة الدّين... ولا يمكنه إظهار ذلك من بين المؤمنين، فيحتال في تخريب الملة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين وتشكيكات الملحدين ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ ولندكر لمزيد التشييد والتأكيد أسماء بعض من تعرّض لتأسيس هذا المدّعى وصنّف فيه أو احتجّ على المنكرين أو خاصم المخالفين، سوى ما ظهر ممّا قدّمنا في ضمن الأخبار والله الموفق:

فمنهم: أحمد بن داود بن سعيد الجرجاني، قال الشيخ في الفهرست: له كتاب المتعة والرجعة.

ومنهم: الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، وعدّ النجاشي من جملة كتبه كتاب الرجعة.

ومنهم: الفضل بن شاذان النيسابوري، ذكر الشيخ في الفهرست والنجاشي أنّ له كتاباً في إثبات الرجعة. ومنهم الصدوق مُحَمَّد بن علي بن بابويه، فإنّه عدّ النجاشي من كتبه كتاب الرجعة.

ومنهم: مُحَمَّد بن مسعود العياشي ذكر الشيخ والنجاشي في الفهرست كتابه في الرجعة.

ومنهم: الحسن بن سليمان على ما روينا عنه الأخبار.
وأما سائر الأصحاب فإنهم ذكروها فيما صنفوا في الغيبة، ولم يفرّدوا لها رسالة وأكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفرّدوا كتاباً في الغيبة.
وقد عرفت سابقاً من روى ذلك من عظماء الأصحاب وأكابر المحدثين الذين ليس في جلالته شك ولا ارتياب.

وقال العلامة رحمته في خلاصة الرجال في ترجمة ميسر بن عبد العزيز. وقال العقيلي: أثنى عليه آل مُحَمَّد، وهو ممن يجاهد في الرجعة. انتهى كلام المجلسي^(١).
وقال الحر في كتابه (الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة): إن الأخبار بها متواترة والأدلة العقلية والنقلية على إمكانها ووقوعها كثيرة متظاهرة وقد نقل جماعة من علمائنا إجماع الإمامية على اعتقاد صحتها وإطباق الشيعة الاثني عشرية على نقل أحاديثها ورواياتها^(٢).

ثم قال: إن الذي وصل إلينا في هذا المعنى قد تجاوز حدّ التواتر المعنوي وأوجب لأهل التسليم العلم القطعي اليقيني.

١٠- الحكيم الملا صدرا ..

الرجعة من القرآن والنصوص ومتواترة، وعليها ضرورة المذهب فقد قال في شرحه لأصول الكافي تحت عنوان (تطبيق الدين الإلهي الذي جاء به خاتم النبيين صلّى الله عليه وآله على الأرض كلها وقهر سائر الأديان) - بعد أن أشار إلى دولة الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - : وقد بقي هنا بحث آخر يتصل بالإبلاغ

(١) البحار: مجلد ٥٣ ص ١٢٢. ١٢٤.

(٢) كتاب الإيقاظ من الهجعة في مقدمة الكتاب.

وتطبيق الدين وهو مسألة الرجعة التي استفيدت من القرآن ودلت عليها نصوص كثيرة، أو نصوصها وضوء أحاديث متضاربة تتناول مسألة الرجعة. هذا بلحاظ أصل الرجعة. وأما بلحاظ جزئيات وخصوصيات غير متفق عليها عند أصحابنا فليس يهمننا هنا ما قيل لها أو عليها، إنما المهم الإيمان بما جاء به رسول الله ﷺ من دون أن نحتمل له وجهاً من عندنا ولا ريب بلحاظ الأحاديث في أصل رجعة الأئمة عليهم السلام وبعض الأنبياء وعدد من الناس، بل قد علم رجعة عدد ممن محض الإيمان وعدد ممن محض الكفر، والعقل قد أذعن مسبقاً بأن الحق هو ما قاله الله وأبلغه رسله وحججه عليهم السلام وإن افترض أنه لا يملك بالفعل ما يدلل عليه تدليلاً عقلياً فلسفياً لا بأس به، لكن الافتراض غير مطابق الواقع إذ نملك ما يبرهن على الرجعة هذا إشارة إلى أن ذلك موجود في عقل أشرف من عقولنا وأكمل وهو أصل العقول وهو على حساب ظواهر العلم الكلي^(١).

وساق دليلاً عقلياً على الرجعة سيأتي نقله في الأدلة العقلية.

أقول: يستفاد من كلامه عدة نقاط منهجية في بحوث المعارف:

- ١- أن أصل الرجعة لا يُدانيها ريب بلحاظ الأحاديث الواردة وبلحاظ وقوعها.
- ٢- أن الحق فيما أبلغه الوحي وإن لم يتمكن العقل المحدود الجزئي لنا من إدراكه والدلالة عليه عقلاً بل ورود الوحي به كاشف عن إدراكه بالعقل الكلي الكامل الأشرف الذي هو أصل العقول.
- ٣- أنه لا يسوغ التأويل الاقتراحي لظواهر أدلة النقل للوحي بمجرد عدم إدراك وتصور عقولنا لحقيقة مفاد تلك الأدلة فضلاً عن مجرد الاستبعاد البادي في قصور العقول.

(١) شرح أصول الكافي: ج ٩٨: ١.

الحكيم الملا صدرا:

حقية مذهب الرجعة بالروايات المتظافرة والنقل الصحيح القطعي

قال في تفسير سورة يس: وقد صح عندنا بالروايات المتظافرة عن أئمتنا وسادتنا من أهل بيت النبوة آل مُحَمَّد (عليه وعليهم السلام) والعقل أيضاً لا يمنعه لوقوع مثله كثيراً من إحياء الموتى بإذن الله بيد أنبيائه كعيسى وشمعون وغيرهما (على نبينا وآله وعليه السلام)^(١).

وقد قال في رد مقالة الزمخشري في الكشف - عند استدلاله بالآية في رد القول بالرجعة واستدلاله بالرواية المروية عن ابن عباس في تكذيب الرجعة -: فمدفوع بأنه مجرد حكاية غير معلومة الصحة وعلى تقدير صحة الرواية عنه فالمروي ممنوع، فإن المتبع في الاعتقادات إمّا البرهان وإمّا النقل الصحيح القطعي عن أهل العصمة والولاية عليهم السلام^(٢).

الحكيم ملا صدرا ودلالة الأدلة على صحة الرجعة

وفي شرح أصول الكافي في ذيل حديث^(٣): عن رجعة الحسين عليه السلام إلى الدنيا: في شرح قول الإمام الصادق عليه السلام: «حتّى تروه: أي الحسين وقد خرج» قال: دلّ على الرجعة ومما دلّ عليها ما رواه المصنف في كتاب الروضة بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾ قال: إنه يخرج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه، عليهم البيض المذهب، لكل بيضة وجهان المؤدون إلى الناس أنّ هذا الحسين عليه السلام قد خرج حتّى لا يشك المؤمنون فيه وأنّه ليس بدجال ولا شيطان

(١) تفسير القرآن الكريم: المجلد ٥ ص ٧٥-٧٦.

(٢) تفسير القرآن الكريم: المجلد ٥ ص ٧٦-٧٧.

(٣) أصول الكافي، ج ١، ص ٢٨٣ باب أنّ الأئمة ع يفعلوا شيئاً ولا يفعلون إلا بعهد من الله عزّ وجلّ وأمرنه لا

والحجة القائمة بين أظهرهم^(١).

١١ - الطريحي:

وقال الشيخ فخر الدين الطريحي في مجمع البحرين: الرجعة بالفتح هي الكرة بعد الموت بعد ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وهي من ضروريات مذهب الإمامية، وعليها من الشواهد القرآنية وأحاديث أهل البيت عليهم السلام ما هو أشهر من أن يذكر حتى أنه ورد عنهم عليهم السلام (من لم يؤمن برجعتنا ولم يقر بمتعتنا فليس منا)^(٢).

١٢ - الفيض الكاشاني: وتقرير كلام المتقدمين في ضرورة الرجعة

فقد نقل في كتاب علم اليقين في أصول الدين كلام الطبرسي في (مجمع البيان) الذي تقدم نقله المتضمن لضرورة الرجعة عند الإمامية، وأن رواياتها لا تقبل التأويل ثم نقل كلام علي بن إبراهيم في تفسيره حول الرجعة وما استدلل به ثم نقل كلام الصدوق في (الاعتقادات) وقد أطل في نقل كلمات الأعلام الثلاثة^(٣).

١٣ - المولى محمد صالح المازندراني:

قال في ذيل حديث في أصول الكافي وارد في الرجعة المتضمن لشرح قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾ حيث بين الحديث أن هذا القول المنكر للبعث بعث الرجعة لا بعث القيامة وأن قوماً من المخالفين يقولون في دولة الإمام المهدي (عجل الله فرجه): «يا معشر الشيعة ما أكذبكم هذه دولتكم وأنتم تقولون فيها الكذب نسبوا الكذب إلى الشيعة في هذا القول...».

(١) شرح أصول الكافي، ج ٦، ص ٩١.

(٢) مجمع البحرين / في مادة الرجعة، والحديث رواه بالمضمون.

(٣) علم اليقين في أصول الدين، فصل الرجعة في الآيات والروايات ج ٣، ص ١٠٠ ثم عقد فصلاً آخر تابع للبحث في الرجعة إلى صفحة ١٠٩.

وأنت خير بأن قولهم بإبطال الرجعة باطل إذ لا دليل لهم عقلاً ونقلاً على بطلانه مع دلالة الآيات والروايات على وقوعها في هذه الأمة وفي الأمم السابقة كما في حكاية عُزير وموسى وعيسى عليه السلام ومن البين أن الحكم بعدم وجود شيء لا يستحيل وجوده عقلاً باعتبار عدم وجدان الدليل على وجوده باطل فكيف إذا وجد الدليل عليه! وأما عدم احتياج هذه الدولة القاهرة إلى الاستعانة بالموتى فممنوع وعلى تقدير التسليم يجوز أن يكون فائدة الرجوع إدخال السرور فيهم وتشفي صدورهم من مشاهدة نكال الأعداء واكتسابهم الأجر مرتين^(١).

١٤ - الشهيد الثالث القاضي التستري:

الرجعة أصل عند الشيعة ثابت بالكتاب والسنة

قال في (إحقاق الحق) في معرض رده على الناصبي: بل الحق ما أجراه الله تعالى على لسان ناصر الشيعة مع كونه من المخالفين لأن الإتيان والانتقام بعد عصر الصحابة والتابعين المرتدين إنما ينافي مدلول الآية لو لم يحظر هناك أحد منهم ولكن قد تقرر عند الشيعة - بناء على أصل الرجعة الثابت بالكتاب والسنة - أنه يرجع إلى الدنيا عند ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - جماعة من هؤلاء الصحابة المرتدين فيأتيهم المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - وينتقم منهم أشد الانتقام^(٢).

١٥ - السيد عبد الله شبر:

قال في (شرح الزيارة الجامعة): وقد تضافرت الأخبار وتواترت الآثار وأجمعت الشيعة الأبرار على الرجعة في الجملة وأنه يرجع إلى الدنيا في زمان المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - جماعة من خلص المؤمنين وأشقياء المخالفين، وقد أنكر

(١) شرح أصول الكافي، ج ١١ ص ٣٣٥.

(٢) إحقاق الحق، ج ٣، ص ٢١١.

المخالفون ذلك علينا أشد إنكار وشنّوا بذلك علينا مع أنّ الآيات القرآنية ناطقة بذلك. فقد ذكر الله تعالى رجعة عزيز وأصحاب الكهف والملا من بني إسرائيل فقال تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(١)... إلى أن قال بعد استدلاله بجملة من الآيات: وأمّا الأخبار التي وردت من طرقنا فهي قريبة التواتر، بل لعلها متواترة فقد رواها جمع غفير من ثقات علمائنا الأعلام وجمع كثير من الثقات العظام، قريباً من مائتي حديث ومنهم: الكليني والصدوق والمفيد والطوسي والمرتضى والنجاشي والكشي والعياشي وعلي بن إبراهيم وسليم الهلالي والكراجكي والنعمانى والصفار وسعد بن عبد الله وابن قولويه وولده وابن طاووس وفرات بن إبراهيم وأمين الإسلام أبو الفضل الطبرسي وأبو طالب الطبرسي والبرقي وابن شهر آشوب والقطب الراوندي والعلامة والفضل بن شاذان والشهيد الأول وغيرهم وقد ألّف جملة من قدماء الأصحاب فيها رسائل وكتباً كأحمد بن داود بن سعيد الجرجاني قال الشيخ في الفهرست: له كتاب المتعة والرجعة. والحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني عدّ النجاشي من جملة كتبه كتاب الرجعة. والفضل بن شاذان النيشابوري ذكر الشيخ في الفهرست والنجاشي أنّ له كتاباً إلى أن قال بعد ذكر جملة من كتب الأصحاب وذكر جملة من الروايات الواردة في الرجعة: وكذلك ذكر جملة من شبهات المخالفين والإجابة عنها^(٢).

وقال في (حق اليقين في معرفة أصول الدين): اعلم أنّ ثبوت الرجعة مما أجمعت عليه الشيعة والفرقة المحقة بل هي من ضروريات مذهبهم والأحاديث النبوية الدالة على الرجعة فهي كثيرة حتى ادعي تواترها^(٣).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٢.

(٢) الأنوار اللامعة في شرح الزيارة الجامعة، ص ١٦٥.

(٣) حق اليقين / ص ٢٩٧. ٣٠٥.

١٦ - أحمد الإحسائي: كفر منكر الرجعة دون الجاهل بها

قال في كتابه (الرجعة): فالإيمان بها مكمل للإيمان والجهل بها غير ناقض للإسلام وإنما الإشكال في إسلام منكرها بعدما تبين له الهدى. ولو لم يقل بها شخص لعدم ظهور الدليل له، ومن شأنه الإيمان بملوك الرجعة والرد إليهم والتسليم لهم فإن ذلك لا يكفره، وأما من أنكرها بعد ظهور الدليل فالقرآن ناطق بكفره وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ، لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾^(١)،^(٢).

١٧ - الشيط جعفر كاشف الغطاء

قال في (كشف الغطاء): وثبوت الخلافة لا يتوقف على بسط اليد كما أن النبوة والرسالة كذلك وعلى تقدير التوقف فحملها على الرجعة موافق لرأينا فإن طائفة منا حكموا بثبوت الرجعة للجميع في نهاية الاستدلال^(٣). أقول: قوله: (طائفة منا) تخصيصه لطائفة دون الجميع منا إنما هو بلحاظ كون الرجعة للجميع في مقابل مشهور الشيعة القائلين بأن الرجعة خاصة وليست بعامة وهذا تصريح بوجود القائل من علماء الإمامية بعموم الرجعة للجميع.

١٨ - ملا أحمد النراقي: الرجعة عند الشيعة

ذكر في كتابه (منهاج الوصول في تفسير آيات الأصول) ويعني بها الأصول الخمسة الدينية، ذكر ذلك أغا بزرك الطهراني في ترجمته عن كتابه فقال في أوّل

(١) سورة النحل: الآيتان ٣٨، ٣٩.

(٢) كتاب الرجعة للشيخ أحمد الإحسائي ص ٢٨.

(٣) كشف الغطاء ٧١/١.

الخاتمة: إنّ النفوس بعد معرفة آيات الأحكام والأصول ترى نفسها ناقصة وتميل إلى الحركة نحو السعادة والتكميل) فيستفيد من العقول الأربعة عشر في الخاتمة وفي آخر الباب الرابع عشر خاض في إثبات الرجعة عند الشيعة مفصلاً^(١).

١٩- ميرزا حبيب الله الرشتي: منكر الرجعة كافر مع التقصير

قال ميرزا حبيب الله الرشتي في كتابه (كاشف الظلام في حل معضلات الكلام) في أصول الدين باللغة الفارسية - كما ذكر ذلك عنه المحقق أغابزرگ الطهراني في الذريعة^(٢) -: ومما ذكره في أواخر الكتاب قبل الخاتمة: أنّ منكر الرجعة كافر مع التقصير والاعتقاد به كالاعتقاد بعصمة الصديقة الطاهرة عليها السلام ومنكرهما سواء في إنكار الضروري.

٢٠- الجنوباذي: الرجعة كالضروري في هذه الأمة

وقال السلطان الجنوباذي في تفسيره بيان السعادات في ذيل قوله تعالى - عندما أرجع قوم بني إسرائيل الذين طالبوا أنّ يروا الله جهرة فأماتهم الله صعقة -: ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ﴾ ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾: [هذه] إشارة إلى أنّ البعثة كانت عن موت لا عن إغماء. وهذه الآية تدلّ على جواز الرجعة وصارت كالضروري في هذه الأمة، وقد احتج أمير المؤمنين عليه السلام بها على ابن الكواء في إنكاره الرجعة^(٣).

(١) الذريعة/ مجلد ٢٢/ ص ٣٥١ المسلسل ٦٩٣٧.

(٢) الذريعة ج ١٧/ ٢٣٧ رقم ٦٠ من حرف الكاف.

(٣) المجلد الأوّل ص ٩٥. ٩٦، تفسير بيان السعادات.

٢١ - العلامة الطباطبائي:

الرجعة متواترة تزيد على خمسمائة رواية

قال في الميزان حول الرجعة: إنّ الروايات متواترة معنىً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حتى عُدّ القول بالرجعة عند المخالفين من مختصات الشيعة وأئمتهم من لدن الصدر الأوّل والتواتر لا يبطل بقبول آحاد الروايات للخدشة والمناقشة على أنّ عدة من الآيات النازلة فيها والروايات الواردة فيها تامة الدلالة قابلة الاعتماد.

وقال: فإذا تصفحت وجدت شيئاً كثيراً من الآيات ورد تفسيرها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام تارة بالقيامة وأخرى بالرجعة وثالثة بالظهور وليس ذلك إلا لوحدة وسنخية بين هذه المعاني والناس لمّا لم يبحثوا عن حقيقة يوم القيامة ولم يستفرغوا الوسع في الكشف عما يعطيه القرآن من هوية هذا اليوم العظيم تفرقوا في أمر هذه الروايات، فمنهم من طرحها وهي مئات وربما زادت على خمسمائة رواية في أبواب متفرقة ومنهم من أولها على ظهورها وصراحتها ومنهم - وهم أمثل طريقة - من ينقلها ويقف عليها من غير بحث وغير الشيعة - وهم عامة المسلمين - وإنّ أذعنوا بظهور المهدي ورووه بطرق متواترة عن النبي صلى الله عليه وآله لكنهم أنكروا الرجعة وعدّوا القول بها من مختصات الشيعة وربما لحق بهم في هذه الأعصار بعض المنتسبين إلى الشيعة! وعدّ ذلك من الدسّ الذي عمله اليهود وبعض المتظاهرين بالإسلام كعبد الله بن سبأ وأصحابه ... على أنّ هذه القضايا التي أخبرنا بها أئمة أهل البيت عليهم السلام من الملاحم المتعلقة بآخر الزمان وقد أثبتتها النقلة والرواة في كتب محفوظة النسخ عندنا سابقة تأليفاً وكتابة على الوقوع بقرون وأزمنة طويلة نشاهد كل يوم صدق شرط منها من غير زيادة ونقيصة فلنحقق صحة جميعها وجميع مضامينها^(١).

(١) الميزان / سورة البقرة / الآية ٢١٠ / تحت عنوان (بحث روائي آخر): ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٨.

أقول ويستفاد من كلامه عدّة نقاط :

١. تواتر أخبار الرجعة.

٢. بدهاه ضرورة الرجعة واختصاصها بمذهب الشيعة عند عامة المسلمين.

٣. أنّ إنكار الرجعة يخرج من مذهب الإيمان وإنّما يكون المنكر - رغم إقراره بمذهب الحق - منتحلاً للانتساب إلى التشيع.

٤. أنّ روايات الرجعة والملاحم ليست متواترة فقط بل متطابقة مع البراهين العقلية التي أشارت إليها آيات وروايات القيامة والظهور.

٥. أنّ روايات الرجعة ليست متواترة فقط بل هي ملحمة علمية إعجازية.

٦ - حكمه بتحقيق صحة جميع روايات الرجعة صدوراً بالأدلة السابقة وهي نتائج بالغة المداقة بل صحة جميع مضامينها لتطابقه مع البراهين العقلية في القرآن وهذه نتائج بالغة المداقة لم يسبقه إليها أحد من الأعلام.

٢٢ - الشيط كاشف الغطاء: الرجعة ضرورة في المذهب

وقال الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء في معرض ردّه على الكاتب الناصبي المدعو أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) عند تشييعه على الشيعة بقولهم بالرجعة: إنّ الرجعة وإن كانت ضرورية في مذهب الشيعة إلّا أنّها ليست أصلاً من أصولهم نظير الشهادات الثلاث وهي الشهادة بالتوحيد والشهادة بالرسالة والشهادة بالإمامة مما يتوقف أصل الدخول في الإيمان عليها لتكون ركناً من أركان مذهب الشيعة نظير ركنية الشهادات الثلاث.

قال في معرض ذلك: فليت شعري هل القول بالرجعة أصل من أصول الشيعة وركن من أركان مذهبها حتّى يكون نبزا عليها

وليس التدين بالرجعة في مذهب التشيع بلازم ولا إنكارها بضر وإن كانت ضرورية عندهم ولكن لا يناط التشيع بها وجوداً وعدماً وليست هي إلّا كبعض أنباء

الغيب وحوادث المستقبل وأشراط الساعة مثل نزول عيسى من السماء^(١). انتهى.

الفرق بين أصول الدين وضرورياته وأسباب الردّة

أقول: إنّ ما تقدم من كلام الشيخ كاشف الغطاء رحمته الله يقرر فيه ويثبت أنّ الرجعة ضرورية في مذهب التشيع ولكن حيث تقرر في أبحاث الفقه - ولا سيما عند المتأخرين - أنّ حكم الضرورة ليس هو على حدّ حكم الشهادتين وحكم الشهادات الثلاث التي تسمى تارة بأصول الإسلام وأصول الإيمان في الاصطلاح وأخرى بأركان الإسلام وأركان الإيمان وتسمى ثلاثة بالأصل والأساس والركن وبينها وبين الضروري فروق في الأحكام والآثار، فإنّ بين هذه الأقسام اختلافاً مهماً كما أنّ هناك قسماً آخر قد وقع الخلط بينه وبين الأقسام السابقة وهو ما يوجب إنكاره الخروج من الإسلام والإيمان مطلقاً، فقد جعل المعاد في بعض الكلمات من أصول الدين بمعنى أساسياته مع أن الفرق فارق بينهما كما أشار إليه كاشف الغطاء فإنه وإن كان من أصول الدين لكنه ليس من أساسياته ولا من بوابتيه كالشهادتين.

ولنوضح الأقسام وفوارق أحكامها وآثارها إجمالاً:

الأوّل: أساسيات الدين وأساسيات الإيمان: والمراد بها خصوص الأصول التي يدخل بها الإنسان إلى حظيرة الإسلام أو يدخل بها إلى بيئة الإيمان كالشهادتين أو الشهادات الثلاثة فهي بوابة أصل الدخول إلى الإسلام ولا يتمّ الدخول إلّا بمعرفتها والإقرار بها وهذا بخلاف الأقسام الآتية فإنها وإن كان بعضها من الأصول إلّا أنها ليست مما يتوقف الدخول إلى الإسلام أو الإيمان عليها وإن كان أصلاً من الأصول.

وهذا حال المعاد والاعتقاد به فإنه وإن كان أصلاً من الأصول وضرورياً من الضروريات العظيمة إلّا أن الداخل للإسلام لا يطالب أوّل دخوله بالاقرار به وكذلك الحال في كثير من الضروريات فإنها وإن كان يترتب على إنكارها الخروج والردة

(١) أصل الشيعة وأصولها: ص ١٦٧.

- على تفصيل يأتي - إلا أن ذلك لا يعني كونها من الأساسيات بمصطلح البوابة للدخول وهذا معنى زائد على كونها أصلاً من الأصول .

فكذلك الحال في الرجعة فأنها وإن قامت عليها الضرورة إلا أنها ليست من الأساسيات التي يطالب بالإقرار بها الداخل في الإيمان أول دخوله بل اللازم عليه مجرد الإقرار بالشهادات الثلاث .

الثاني: أصول الدين سواء أصول الإسلام الظاهري أو أصول الدين الواقعي وهو الإيمان، وهي أعم من القسم الأول أي الأساسيات.

والأصل هو الضروري الذي يوجب إنكاره الردّة والخروج عن الإسلام أو عن الإيمان بخلاف بقية سائر الضروريات عند الفقهاء المتأخرين في هذا العصر. نعم عند المتقدمين يشترك جميع الضروريات في هذا الأثر فضلاً عن ترتيبه على القسم الأول أيضاً. نعم يبقى فرق في الضروريات عندهم أن بعض الضروريات واسعة الدائرة والرقعة والانتشار ولا يتوقف بداهتها على تعلم وتعليم أو على ارتفاع شبهة بخلاف غيرها .

الثالث: ضروريات الدين - سواء الإسلام أو الإيمان - وهي ما قام الدليل القطعي البديهي أو القريب من البداهة عليها، وهي أعم من القسمين الأولين من الأساسيات والأصول .

وهي تنقسم إلى أقسام عديدة بحسب دائرة الضروري والضرورة إلى عامة وخاصة وأخصية ولكل منها آثار وأحكام تختلف عن الأخرى، كما أن بين المتقدمين والمتأخرين من الفقهاء اختلاف في أحكامها من جهة إنكارها للجهل بها وفي مورد طرو الشبهة أو غير ذلك من الحالات.

وبذلك يتضح أن نفي كون شيء أساسياً لا يعني نفي كونه أصلاً من الأصول، كما أن نفي كون شيء أصلاً من الأصول لا يعني نفي كونه ضرورياً لأن نفي الخاص لا يعني نفي العام بخلاف نفي العام فإنه نفي للخاص أيضاً، وقد وقع الخلط في ذلك كثيراً كما وقع الخلط بين الأقسام الثلاثة كثيراً موضوعاً وأحكاماً وآثاراً والتبس البحث

لاجل ذلك. والتميز يكون بالتثبت والمدافعة الصناعية في الآثار بعد الإمام بتعدد الأقسام واختلاف الآثار والأحكام في الأدلة وكلمات فحول الأعلام. ثم إنَّ هناك أقساماً أخرى من الاعتقادات لها أحكام أخرى لايسع المجال لذكرها .

الرابع: القطعيات اليقينية الواجبة الاعتقاد مطلقاً وإنكارها يوجب الضلال وإن لم يوجب الردة.

الخامس: الواجبات القطعية باليقين النظري وهي واجبة الاعتقاد مطلقاً أيضاً.

السادس: الواجبة اليقينية باليقين النظري إلا أنَّ الاعتقاد بها معلق على العلم بها .

السابع: الواجبات الاعتقادية بالدليل الظني المعتبر ووجوبها معلق على وصولها دليلها الظني للمكلف .

ومن ذلك يظهر أن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء رحمته الله ليس ينفي ضرورة الرجعة وإنما ينفي كونها من أساسيات الإيمان أي البوابة التي لا بدَّ من الإقرار بها لأجل الدخول في الإيمان.

وقال في كتابه (أصل الشيعة وأصولها) تحت عنوان كتب الرجعة عند الشيعة في تنمة كلامه: ثم هل ترى المتهوسين على الشيعة بحديث الرجعة قديماً وحديثاً عرفوا معنى الرجعة والمراد بها عند من يقول بها من الشيعة! وأي غرابة واستحالة في العقول أنسيحيي الله سبحانه جماعة من الناس بعد موتهم! وأي نكر في هذا بعد أن وقع مثله بنص الكتاب الكريم! ألم يسمع المتهوسون قصة ابن العجوز التي قصها الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(١) ! ألم تمر عليهم كريمة قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾^(٢) ! مع أنَّ [في] يوم القيامة تحشر جميع الأمم لا من كل أمة. وحديث الطعن

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(٢) سورة النحل: الآية ٨٣.

بالرجعة كان هجيرى علماء السنة من العصر الاول إلى هذه العصور فكان علماء الجرح والتعديل منهم إذا ذكروا بعض العظماء من رواة الشيعة ولم يجدوا مجالاً للطعن فيه لوثاقته وورعه وأمانته نبزوه بأنه يقول بالرجعة! فكأنهم يقولون: يعبد صنماً أو يجعل لله شريكاً ونادرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة معروفة، انتهى كلامه.

أقول: يشير عليه السلام إلى تقادم معروفة الرجعة كمعلم عقيدي للتشيع منذ العصر الأول إلى درجة أنه بان عن الشيعة والتشيع وظهر بنحو واضح عند علماء العامة آنذاك. وهذا يُبين درجة قوية وشديدة لضرورة الرجعة في مذهب أهل البيت عليهم السلام، رغم أن ظروف التقية والكتمان آنذاك كانت شديدة لكن لقوة ضرورة الرجعة طفحت إلى درجة واصله إلى الشيوع والانتشار عند المخالفين فضلاً عن الموالين لاسيما وأن الرجعة كانت رمزاً للبراءة والتبري من أعداء أهل البيت عليهم السلام وأن الرجعة مفادها مشروع إقامة الدول لأهل البيت عليهم السلام وهو مشروع سياسي في أحد أبعاده.

٢٣ - المظفر: حقيقة الرجعة نوع من المعاد . . .

الرجعة فعل إعجازي للنبي والوصي

قال الشيخ المظفر في (عقائد الإمامية) تحت عنوان (عقيدتنا في الرجعة): إن الذي تذهب إليه الإمامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوماً من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعزّ فريقاً ويذلّ فريقاً ويُدبّل المحقين من المبطلين والمظلومين منهم من الظالمين؛ وذلك عند قيام مهدي آل محمد (عليهم أفضل الصلاة والسلام)، ولا يرجع إلا من علت درجته في الإيمان ومن بلغ الغاية من الفساد ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت ومن بعده إلى النشور وما يستحقونه من الثواب أو العقاب كما حكى تعالى في قرآنه الكريم تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثةً لعلهم يصلحون: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ

وَأَخْيَيْنَا اثْنَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١﴾ .

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا وتظافرت بها الأخبار عن بيت العصمة والإمامية بأجمعها عليه إلا قليلون منهم تأولوا [أي لم ينكروا] ما ورد في الرجعة بأن معناها رجوع الدولة والأمر والنهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر (عجل الله تعالى فرجه الشريف) من دون رجوع الأشخاص وإحياء الموتى.

والقول بالرجعة يُعدّ عند أهل السنة من المستنكرات التي يستقبح الاعتقاد بها وكان المؤلفون منهم في رجال الحديث يعدون الاعتقاد بالرجعة من الطعون في الراوي والشناعات عليه والتي تستوجب رفض روايته وطرحها.

ويبدو أنهم يعدونها بمنزلة الشرك والكفر بل أشنع فكان هذا الاعتقاد من أكبر ما تُنبز به شيعة الإمامية ويشنع به عليهم ولا شك في أنّ هذا من نوع التهويلات التي تتخذها الطوائف الإسلامية فيما غبر ذريعة لطعن بعضها في بعض والدعاية ضدها.

ولا نرى في الواقع ما يبرر هذا التهويل لأنّ الاعتقاد بالرجعة لا يחדش في عقيدة التوحيد ولا في عقيدة النبوة بل يؤكّد صحة العقيدتين إذ الرجعة دليل القدرة البالغة لله تعالى كالبعث والنشر.

وهي من الأمور الخارقة للعادة التي تصلح أن تكون معجزة لنبينا مُحَمَّد وآل بيته (صلى الله عليه وعليهم) وهي عيناً كمعجزة إحياء الموتى التي كانت للمسيح عليه السلام بل أبلغ هنا لأنّها بعد أن يصبح الأموات رميماً ﴿... قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ (٢).

أمّا من طعن في الرجعة باعتبار أنها من التناسخ الباطل فلاّنه لم يفرق بين معنى التناسخ وبين المعاد الجسماني والرجعة من نوع المعاد الجسماني فإنّ معنى التناسخ: هو انتقال النفس من بدن إلى بدن آخر منفصلاً عن الأوّل وليس كذلك معنى المعاد

(١) سورة غافر: الآية ١١.

(٢) سورة يس: الآية ٧٩.

الجسماني فإنَّ معناه: رجوع نفس البدن الأوَّل بمشخصاته النفسية فكذلك الرجعة وإذا كانت الرجعة تناسخاً فإنَّ إحياء الموتى على يد عيسى عليه السلام كان تناسخاً وإذا كانت الرجعة تناسخاً كان البعث والمعاد الجسماني تناسخاً.

إذا لم يبق إلا أن يناقش في الرجعة من جهتين:

الأولى: أنها مستحيلة الوقوع.

الثانية: كذب الأحاديث الواردة فيها.

وعلى تقدير صحة المناقشتين فإنَّه لا يعتبر الاعتقاد بها بهذه الدرجة من الشناعة

التي هولها خصوم الشيعة.

وكم من معتقدات لباقي طوائف المسلمين هي من الأمور المستحيلة أو التي لم يثبت فيها نص صحيح، ولكن لم يُوجب تكفيراً وخروجاً عن الإسلام؛ ولذلك أمثلة كثيرة منها: الاعتقاد بجواز سهو النبي صلى الله عليه وآله أو عصيانه ومنها: الاعتقاد بقدوم القرآن ومنها: القول بالوعيد ومنها: الاعتقاد بأنَّ النبي صلى الله عليه وآله لم ينص على خليفة من بعده.

ثم إنَّ هاتين المناقشتين لا أساس لهما من الصحة:

أما [المناقشة الأولى - وهي] أنَّ الرجعة مستحيلة - : فقد قلنا إنها من نوع البعث والمعاد الجسماني غير أنها بعث موقوت في الدنيا، والدليل على إمكان البعث دليل على إمكانها ولا سبب لاستغرابها إلا أنها أمرٌ غير معهود لنا في ما ألفناه في حياتنا الدنيا ولا نعرف من أسبابها أو موانعها ما يقربها إلى اعترافنا أو يبعدها وخيال الإنسان لا يسهل عليه أن يتقبل تصديق ما لم يألفه وذلك كمن يستغرب البعث فيقول: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾؟ فيقال له: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾.

نعم في مثل ذلك مما لا دليل عقلي لنا على نفيه أو إثباته أو نتخيل عدم وجود الدليل، يلزمنا الرضوخ إلى النصوص الدينية التي هي من مصدر الوحي الإلهي وقد ورد في القرآن الكريم ما يثبت وقوع الرجعة إلى الدنيا لبعض الأموات كمعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى: ﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكقوله تعالى: ﴿أَنْتَ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِثَّةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾ والآية

المتقدمة: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ...﴾ فإنه لا يستقيم معنى هذه الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت وإن تكلف بعض المفسرين في تأويلها بما لا يروي الغليل ولا يحقق معنى الآية.

وأما المناقشة الثانية - وهي دعوى أن الحديث فيها موضوع -: فإنه لا وجه له لأن الرجعة من الأمور الضرورية فيما جاء عن آل البيت عليهم السلام من الأخبار المتواترة . وبعد هذا أفلا تجب من كاتب شهير يدعي المعرفة مثل أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) إذ يقول: فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة! فأنا أقول له على مدّعاة: -

فاليهودية أيضاً ظهرت في القرآن بالرجعة - كما تقدم ذكر القرآن لها في الآيات المتقدمة - ونزيده فنقول: والحقيقة أنه لا بدّ أن تظهر اليهودية والنصرانية في كثير من المعتقدات والأحكام الإسلامية لأنّ النبي الأكرم صلى الله عليه وآله جاء مصداقاً لما بين يديه من الشرايع السماوية وإن نسخ بعض أحكامها، فظهور اليهودية أو النصرانية في بعض المعتقدات الإسلامية ليس عيباً في الإسلام على تقدير أن الرجعة من الآراء اليهودية كما يدّعيه هذا الكاتب.

وعلى كل حال فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها وإنما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب وهي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها ولا يمتنع وقوعها^(١). انتهى.

أقول: ويستفاد من كلامه جملة من النقاط:

- (١) أن الرجعة حقيقة من مصاديق هوية المعاد الأكبر إلّا أنها معاد أصغر . وهذا ما صرح به جملة من علماء الإمامية.
- (٢) أن الأمر الذي لا دليل عقلي على نفيه ولا على إثباته وقامت النصوص الدينية

على إثباته يلزم الرضوخ إليها والإقرار به.

(٣) أنّ الرجعة من الضروريات الواردة عن آل البيت عليهم السلام فضلاً عن دلالة القرآن

عليها.

٢٤ - ٢٥ - وقفة مع السيد الأمين والشيط مغنية

قال الشيخ مغنية في كتاب (الشيعة في الميزان): إنّ علماء الإمامية فريقان: فريق يثبت الرجعة والفريق الآخر ينفي إعادة قوم من الأموات إلى هذه الحياة نفياً باتاً ... ثم قال: ونقل هذا الاختلاف الشيخ الإمامي الثقة أبو علي الطبرسي في مجمع البيان عند تفسير قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١) قال: استدللّ بهذه الآية على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية.

وأما الذين أنكروا الرجعة فقد قالوا: إنّ الحشر في الآية ... إلخ.

ومهما يكن فإنّ غرضنا الأوّل من نقل كلام الشيخ الطبرسي الإمامي هو التدليل على أنّ علماء الإمامية لم يتفقوا بكلمة واحدة على القول بالرجعة، وقد اعترف باختلافهم الشيخ أبو زهرة، حيث قال في كتاب (الإمام الصادق): ويظهر أنّ فكرة الرجعة على هذا الوضع ليست أمراً متفقاً عند إخواننا الاثني عشرية بل فيهم فريق لم يعتقدوه.

وقال السيد محسن الأمين في كتاب (نقض الوشيعة):

الرجعة أمر نقلي إنّ صحّ النقل به لزم اعتقاده وإلا فلا.

ثم قال الشيخ المغنية: ولو كانت الرجعة من أصول الدين أو المذهب عند

الإمامية لوجب الاعتقاد بها ولما وقع بينهم اختلاف.

أمّا الأخبار المروية في الرجعة عن أهل البيت عليهم السلام فهي كالأحاديث في الدجال

التي رواها مسلم في صحيحه ورواها أبو داود وكلاً أحاديث التي رويت عن النبي صلى الله عليه وآله

في أنّ أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم الأموات أنّ هذه الأحاديث التي رواها السنة في الدجال وعرض أعمال الأحياء على الأموات - وما إلى ذلك - تماماً كالأخبار التي رواها الشيعة في الرجعة عن أهل البيت عليه السلام فمن شاء آمن بها ومن شاء جحدّها ولا بأس عليه في الحالين وما أكثر هذا النوع من الأحاديث في كتب الفريقين^(١). انتهى .

وفي كلامه مواضع من الغفلة والالتباس:

(١) ما نسبته إلى الطبرسي في (مجمع البيان) من أنّ كلامه يشير إلى عدم ضرورة الرجعة! والحال أنّه قدّ تقدم في أوائل كلام الطبرسي في ذيل سورة النمل^(٢): أنّها تضافرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد عليه السلام في ذلك وأنّ مضمونها لا يشك عاقل أنّه مقدور لله سبحانه وتعالى، وقد فعل ذلك في الأمم الخالية ونطق القرآن في ذلك في عدّة مواضع مثل قصة عزيز وغيره، على ما فسّرناه في موضعه وصح عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه سيقع في هذه الأمة ما وقع في الأمم السابقة وأنّ جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة على رجوع الدولة والأمر والنهي دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات وأولّوا الأخبار والواردة في ذلك لما ظنوا أنّ الرجعة تنافي التكليف وليس كذلك. ولم يذكروا أنّهم أنكروا الأخبار الواردة فيها ولم يطرحوها. ثم ردّ عليهم بأن الرجعة لم تثبت بمجرد ظواهر الأخبار لكي يتطرق إليها التأويل وإنّما قام عليها إجماع الشيعة الإمامية، فلا يصح التأويل فيها.

فما نسب الشيخ مغنية للطبرسي عارٍ عن المداقة والصحة من أنّه يقول إنّ المسألة خلافية واجتهادية.

(٢) وأمّا ما نقله عن السيد محسن الأمين فقد قال نظيره السيد في كتابه أعيان الشيعة: وأمّا الرجعة ففيها أخبار فمن صحت عنده لزمه القول بها ومن لا فلا^(٣). وكلام السيد محسن يناقض ما انتهى إليه الشيخ مغنية من أنّ المكلف والباحث

(١) الشيعة في الميزان ص ٥٤ . ٥٥.

(٢) في ذيل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾.

(٣) أعيان الشيعة / ج ١، ص ٣١.

في الخيار بين الأخذ بروايات الرجعة وبين تركها وطرحها وأنها راجعة إلى مشيئة الشخص وتشهيه إن شاء آمن بها وإن شاء جحد فهذا تدافع بين موضع ما استشهد به من كلام السيد محسن الأمين وما انتهى إليه من نتيجة.

نعم هناك تدافع في كلام السيد محسن الأمين أيضاً بين ما تقدم وبين ما قاله في موضع ثالث من كتابه (أعيان الشيعة)^(١) حيث قال في معرض ردّه على (أحمد أمين):

وأما الرجعة فقد بدء قوله [يعني الكاتب أحمد أمين] بأنّ مُحَمَّدًا ﷺ يرجع ... ثم تحول إلى القول بأنّ علياً عليه السلام يرجع وفكرة الرجعة أخذها ابن سبأ من اليهودية فعندهم أنّ النبي إلياس صعد إلى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون ووجدت الفكرة في النصرانية في عصورها الأولى.

ونقول: سواء كان ابن سبأ أخذ فكرة الرجعة من اليهودية أم من غيرها فإنّ صحت الرواية بها كانت كأمر تاريخي لا علاقة له بالعقائد الدينية، وإنّ لم تصح ولم يقل أحد بها فليست الرجعة مما يجب اعتقاده أو يضر عدم الاعتقاد به! انتهى.

وكلام السيد محسن الأمين هذا من غرائب الكلام! وهو الذي أغرى الشيخ مغنية إلى توهم أنّها من الأمور التاريخية البحتة مع أنّه لا يستريب أي باحث في الرجعة، أنّ الرجعة مسألة اعتقادية غاية الأمر تثبتها الشيعة ويجحدوها مذهب العامة.

وقد تضافرت الرواية المتواترة عن أهل البيت عليه السلام بلزوم الإيمان بها على نمط الإيمان بالمعاد وأنّها نوع من المعاد الجسماني المصغّر وممهد للبعث الأكبر، بل دلّ على ذلك متظافر الآيات القرآنية وإلى لزوم الإيمان بها كما سيأتي.

بل سيأتي أنّ روايات المخالفين متواترة بجملة من فصول الرجعة كدابة الأرض والعصا والميسم وظهور الآيات وخروج الشمس من مغربها وأشرط الساعة وغيرها مما سيأتي وهذه كلها من مراحل وفصول الرجعة أثبتوا رواياتها في كتبهم مع أنّهم لا يعلمون بأنّ مفادها هي الرجعة.

فالعجيب من السيد غفلته عن هذا الكم الهائل من الروايات والجم الكثير من كلمات الأعلام حول الرجعة، والعصمة لأهلها، مع أنّ الأصحاب قد أجابوا بأجوبة محكمة متقنة عن تهريج المخالفين في الرجعة منها: كلام الطبرسي في (مجمع البيان) تحت ذيل قوله تعالى ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾ من سورة النمل .

وقفة مع رأي السيد الأمين

وقال السيد محسن الأمين في موضع آخر من كتابه في معرض ردّه على (أحمد أمين) في قوله^(١): اليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة: أنه قلد في ذلك من قبله ممن يريدون التظليل والباطل حملته عليه العداوة وقلة الخوف من الله تعالى. وقد سئل الشريف المرتضى علم الهدى رحمته الله في المسائل التي وردت عليه من الريّ عن حقيقة الرجعة فأجاب بما معناه: أنّ هناك من يرى فيها أنّ الله تعالى يُعيد عند ظهور المهدي قوماً ممن كان تقدم موته، وأنّ غيرهم يرى أنّ المقصود رجوع الدولة والأمر والنهي من دون رجوع الأشخاص وإحياء الأموات [انتهى كلام المرتضى].

ثم قال: فظهر من ذلك أنّ القول بالرجعة ليس اتفاقاً عند الشيعة - بنص السيد المرتضى - وليس معناها متفقاً عليه عندهم ولا يَأْثُم منكرها الذي لم تثبت عنده وإنّما هي شبه أمر تاريخي وحادث من حوادث المستقبل فمن صحت أخبارها عنده لم يسعه إنكارها ولم يكن في اعتقادها ضرراً ديني، ومن لم ير أخبارها أو لم تصح عنده فهو في سعة من عدم الاعتقاد بها هذه هي الرجعة التي يطبل القوم بها ويزمرون. انتهى.

وفي كلامه جملة من الغفلات الخطيرة وإنّ كان هو رحمته الله في صدد الجواب عن تهريج أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) إلّا أنّ الردّ عليه لا ينجح فيه الابتعاد عن حقائق المذهب فإنّه هناك أجوبة شافية وافية محكمة متقنة قد اعتمدها الأصحاب منذ

(١) أعيان الشيعة، مجلد الأوّل / ص ٥٦.

في رد كلام أحمد أمين في كتاب (فجر الإسلام) الذي يتهم فيه على الشيعة.

زمن بعيد كالصدوق والمفيد ومن بعدهم من أعلام وزعماء الطائفة. ومن هذه الغفلات: (١) أنه ﷺ لم يتحرَّ ولم يتثبت بدقة كلام السيد المرتضى فتوهم من عبارة السيد المرتضى أنه يرى أنَّ المسألة خلافية وهذا بعيد عن الحقيقة تماماً والحال أنَّ اللازم عليه أنَّ يراجع كلام السيد المرتضى في مواضع عدَّة كي يُلمَّ بحقيقة رؤية السيد في هذه المسألة والباب فإنَّ السيد المرتضى في (أجوبة مسائل الري) التي أشار إليها السيد محسن الأمين ﷺ أشار إلى أنَّ من تأول الرجعة برجوع الدولة هم شذاذ من الإمامية فوصفهم بهذا الوصف بل قال المرتضى في موضع آخر: ولا يخالف في صحة رجعة الأموات إلَّا ملحد وخارج عن أقوال أهل التوحيد.

كما ذكر السيد المرتضى في موضع ثالث أيضاً أنَّ الطريق إلى إثبات الرجعة إجماع الإمامية على وقوعها فإنَّهم لا يختلفون في ذلك

وغيرها من العبارات التي نقلناها عنه سابقاً حيث يرفض فيها تأويل الروايات. فبعد كل هذا! كيف يستظهر السيد الأمين وينسب إلى السيد المرتضى ذلك ويزعم بأنَّ القول بالرجعة ليس اتفاقياً عند السيد المرتضى! مع أنه يرى أنَّ منكر صحة الرجعة ملحد يخرج عن الإسلام لا عن الإيمان فقط.

(٢) توهمه أنَّ المسألة تاريخية بحتة مع أنَّ الرجعة كما مرَّ في جملة من الكلمات هي نوع من المعاد أي يتمُّ فيها المداينة من الظالمين لأئمة الحق المستضعفين ويتم فيها بعث الأموات وإحيائهم وهي قدرة إلهية عظيمة من نمط البعث في المعاد الأكبر فكيف لا يكون ما هو من شأن وشؤون المعاد أمراً اعتقادياً!

(٣) أنه تكرر في عبارته إيهام أنَّ ما ورد في الرجعة مجموعة وعينة من الأخبار قد تكون صحيحة لدى باحث بحسب رؤيته في مسائل علم الرجال والحديث، وقد لا تصح عند آخر والحال أنَّ عدد روايات الرجعة - كما سيأتي - فاق حدَّ التواتر بل إنَّ تواتر رواياتها ليس فقط عند الشيعة بل هو كذلك في روايات العامة ولكنها ليست بعنوان ولفظ الرجعة، بل بعنوانين وألفاظ فصول الرجعة والمراحل الخطيرة فيها فأثبتوا رواياتها في مصادرهم وهم لا يعلمون أن مفادها من فصول ومراحل الرجعة.

وقد مرَّ كلام الشريف المرتضى في رسائله حيث قال: ولا يخالف في صحة رجعة الأموات إلّا ملحد وخارج عن أقوال أهل التوحيد^(١).

وقد صرّح الحر العاملي رحمته الله في موضعين في أوائل كتابه (الإيقاظ) أنه رغم جمعه لستمائة حديث ونيف في الرجعة إلّا أنه أعرض عن أحاديث كثيرة وجدها في الرجعة لأسباب عديدة منها: عدم تحمل العقول المبتدئة مضامينها الصعبة الفهم على الخيال البشري كما أشار إلى ذلك كل من العلامة الطباطبائي والشيخ المظفر.

قال الحر العاملي: ولذا لم أنقل هنا من تلك الرسالة شيئاً مع أنّ أحاديثها لا تقصر عن الأحاديث التي جمعناها في العدد والاعتماد^(٢).

فهو يشير إلى زيادة أضعاف على ما رواه من أحاديث وقف عليها في الرجعة ولم ينقلها.

وقال بعد ذلك أيضاً: أنا لم نتمكن من مطالعة الجميع، لضيق الوقت وكثرة الموانع، ولا حضرنا جميع ما هو بأيدي الناس الآن من الكتب.

وكلامه هذا يشير إلى أضعاف مضاعفة من كم الأحاديث في الرجعة.

ومن حقائق المذهب الالتفات إلى منهج علمي معرفي، فقد ترى غير واحد من الأكابر (قدس الله أسرارهم) يغفلون عن أحاديث الرجعة المتواترة أو عن باب من روايات المعارف المروية كذلك، وهذه مسألة مهمة جداً واللازم عدم الاغترار بمثل هذه الغفلات^(٣).

٢٦- السيد الكلبيكاني: الرجعة ضرورة

سئل عن حكم الاعتقاد بالرجعة، وما هو ضابط الضروريات الواجب الاعتقاد بها؟ فأجاب:

(١) رسائل السيد المرتضى ١٣٥/٢.

(٢) الإيقاظ في الهجعة، الباب الثاني عشر. الشبهة الثالثة.

(٣) أنظر: الإيقاظ من الهجعة: ب ١١ ح ٩ و ١٠.

بسمه تعالى: الرجعة وجزئياتها في الجملة ثابتة، ولا يبعد كونها من ضروريات المذهب، وضابط كون الشيء من الضروريات: أن يكون في الوضوح بحيث يلزم اعتقاده الاعتقاد بالدين أو المذهب، والله العالم^(١).

٢٧ - الشيط ناصر مكارم الشيرازي: الرجعة من ضروريات المذهب قال في تفسيره (الأمثل) في ذيل قوله تعالى: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾: والرجعة من عقائد الشيعة المعروفة.

وتفسيرها في عبارته الموجزة بهذا النحو: بعد ظهور المهدي (عجل الله فرجه الشريف) وبين يدي القيامة تعود طائفة من المؤمنين الخُلص وطائفة من الكفار الأشرار إلى هذه الدنيا فالطائفة الأولى تصعد في مدارج الكمال والطائفة الثانية تنال عقابها الشديد ... إلى أن قال: وآخر الكلام هنا أن الشيعة مع اعتقادهم بالرجعة التي أخذوها عن أهل البيت عليه السلام فإنهم لا يحكمون على منكري الرجعة بالكفر؛ لأن الرجعة من ضروريات المذهب الشيعي لا من ضروريات الإسلام^(٢).

الرجعة ضرورة أديانية وإسلامية

أقول: سيأتي تقريب أن الرجعة من ضروريات الإسلام بعدة تقرّيات أحدها: ما أشار إليه السيد المرتضى في كلامه المتقدم: أن صحة الرجعة [أي إمكانها] لا ينكرها إلا ملحد. ومقصود السيد أن صحة إمكانها ضرورة في الأديان السماوية.

ثانيها: ما أشرنا إليه: أن كافة المسلمين رَوَوْا أحاديث فصول ومراحل الرجعة كدابة الأرض والعصا والميسم وخروج الآيات ... وغيرها وهي ضرورة قرآنية فضلاً عن كونها ضرورة حديثية وإسلامية وليست مذهبية فقط نعم بعنوان وعناوين مرادفة لها عقلاً لا لغة.

(١) إرشاد السائل، السيد محمد رضا الكليگاني ص ٢٠٣.

(٢) تفسير الأمثل، مجلد ١٢ ص ١٤٧.

الرجعة في كلام علماء العامة

١ - القاضي عبد الجبار المعتزلي

قال في تفسيره (متشابه القرآن) في تفسير قوله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾: يدلُّ على العدل وعلى تنزيهه عن القبيح لأنَّه مع تجويز ذلك عليه يلزم القول بأنه عابث بسائر ما خلق الله، تعالى عن ذلك ويدل على بطلان قول من ينكر المعاد والرجعة^(١).

٢ - الطبري

قال في ذيل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كَرَّةً فَتَبَرَّا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّوْا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ يعني بقوله تعالى ذكره: وقال الذين اتبعوا وقال: أتباع الرجال الذين كانوا اتخذوهم أنداداً من دون الله يطيعونهم في معصية الله، ويعصون ربهم في طاعتهم إذ يرون عذاب الله في الآخرة: ﴿لَوْ أَنَّا لَنَا كَرَّةٌ﴾ يعني بالكرة: الرجعة إلى الدنيا^(٢).

٣ - الزمخشري

قال في ذيل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا

(١) متشابه القرآن ٥٢٠/١٥.

(٢) جامع البيان للطبري ١٠٠ / ٢.

يَرْجِعُونَ، وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُخْضَرُونَ^(١). بدل ﴿إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدل من ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ على المعنى لا على اللفظ تقديره: ألم يروا كثرة إهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين إليهم. وعن الحسن: كسر إنَّ على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود: ألم يروا من أهلكنا، والبدل على هذه القراءة بدل اشتغال، وهذا مما يرد قول أهل الرجعة، ويحكى عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قيل له: إنَّ قومًا يزعمون أنَّ علياً مبعوث قبل يوم القيامة! فقال: بنس القوم نحن إذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه، انتهى.

٤ - ٥ - المراغي وصاحب الظلال

حكى الشيخ مغنية في تفسيره (الكاشف) في ذيل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: في الرد على أكثر المفسرين القدامى والجدد - ومنهم المراغي وصاحب الظلال، حيث قال: قالوا في معنى هذه الجملة الكريمة: ألم ير المكذبون أنَّ الأمم الذين أهلكناهم لا يعودون إلى الدنيا ثانية: وفي هذا التفسير نظر؛ لأنَّ عدم عودة الأموات إلى الدنيا للمكذابين بالبعث وليس حجة عليهم، والمعنى الصحيح كما نظن: ألم ير المكذبون أنَّ الله قد أهلك الماضين بقضهم وقضيضهم ولم يبق منهم أحد يرجع إلى المكذابين اللاحقين ينبئهم بخبر المكذابين السابقين وإنَّما دلَّ على إهلاكهم المعالم والآثار^(١).

٦ - ابن حجر العسقلاني

ذكر ابن حجر في مقدمة (فتح الباري) في (فصل في تمييز أسباب الطعن في المكذابين): والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة، فمن قدمه على أبي بكر وعمر

(١) سورة يس: الآيتان ٣١، ٣٢.

(١) تفسير الكاشف للشيخ مغنية ج ٦ / ٣١٢.

فهو غال في تشيعه ويطلق عليه الرافضي وإلا فشيوعي فإن انضاف إلى ذلك السب أو التصريح بالبغض فعال في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشد في الغلو^(٢). وهذا يفيد أن الرجعة أخطر مقام في إمامة علي عليه السلام عندهم .

٧ - ابن عاشور في التحرير والتنوير

قال في سورة البقرة في ذيل قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً﴾: والكرة الرجعة إلى محل كان فيه الراجع وهي مرة من الكر ولذلك تطلق في القرآن على الرجوع إلى الدنيا؛ لأنه رجوع بمكان سابق وحذف متعلق الكرة هنا لظهوره^(٣).

٨ - محمد عزة

وقال في (التفسير الحديث) في ذيل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا﴾: ومع أن كل مفسري السنة مجمعون على أن الحشر هو حشر يوم القيامة فإن مفسري الشيعة يستدلون بالآيات على عقيدة الرجعة التي يدينون بها والتي هي من أهم عقائدهم حتى أن بعضهم يكفرون من لا يؤمن بها والتي يصفون بها رجعة علي وأئمتهم وأوليائهم وقوماً من أعدائهم قبل انقضاء الدنيا لينتقم الأولون من الآخرين، وبقطع النظر عن عقيدتهم العجيبة فإن في الاستدلال عليها بالآيات التي نحن في صددنا تعسفاً ظاهراً وتكلفاً حزيباً صارخاً، سواء من ناحية سياقها أم من ناحية فحواها.

وفي تفسير الطبرسي - وهو من أكثرهم اعتدالاً - كلام طويل عجيب في تفصيل وإثبات ذلك ومما قاله: إنه مما تظاهرت أخباره عن أئمة الهدى من آل محمد وإجماعهم حجة، ونحن نريد أن ننزه أي واحد منهم فضلاً عن جميعهم من أن يكون قد استنبط ذلك من هذه الآيات .

(٢) فتح الباري لابن حجر ج ١/٤٩٥ .

(٣) التحرير والتنوير ٩٨/٢ .

٩- أبو الفدا إسماعيل

قال في تفسير (روح البيان) في ذيل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾: وهذه الآية تردُّ قول أهل الرجعة أي من يزعم أن من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت كما حُكي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قيل له: إن قومًا يزعمون أن علياً عليه السلام سيعود قبل يوم القيامة! فقال: بشس القوم نحن إذا نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه أي لو كان راجعاً لكان حياً والحي لا تنكح نساؤه ولا يقسم ميراثه كما قال الفقهاء: إذا بلغ إلى المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الأول فهي امرأته لأنها كانت منكوحته ولم يعترض شيء من أسباب الفرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا يقربها حتى تنقضي عدتها من النكاح الثاني. ويجب إكفار الروافض في قولهم بأن علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا فينتقمون من أعدائهم ويملاؤن الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وذلك القول مخالف للنص^(١).

١٠- ابن سعد

روى في الطبقات الكبرى عن عمر بن الأصم قال: قيل للحسن بن علي: إن ناساً من شيعة أبي الحسن علي عليه السلام يزعمون أنه دابة الأرض وأنه سيبعث قبل يوم القيامة؟ فقال: كذبوا ليس أولئك شيعة أولئك أعداؤه لو علمنا ذلك ما قسمنا ميراثه ولا أنكحنا نساءه^(٢).

١١. الآلوس

قال في (روح المعاني) في ذيل قوله تعالى من سورة النحل: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ

(١) روح البيان ٣٩٠/٧. ٣٩١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد، الطبقة الأولى علي بن أبي طالب، ج ٣، ص ٣٩.

أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ^(١)، وزعم بعض الشيعة أن الآية في علي (كرم الله تعالى وجهه) والأئمة من بنيه (رضي الله تعالى عنهم) وأنها من أدلة الرجعة التي قال بها أكثرهم، وهو زعم باطل، والقول بالرجعة محض سخافة لا يكاد يقول بها من يؤمن بالبعث، وقد بين ذلك على أتم وجه في (التحفة الأثني عشرية)، ولعل النوبة تفضي إن شاء الله تعالى إلى بيانه^(٢).

وفي موضع آخر في ذيل سورة المؤمنون: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾، قال: وروى الإمامية عن أبي جعفر عليه السلام أن ذلك عذاب يعذبون به في الرجعة.

ثم قام بتكذيب ما ترويه الإمامية بشدة وبألفاظ بعيدة عن المنهج العلمي^(٣). وفي موضع ثالث في ذيل سورة النور قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾^(٤)، قال: وزعم الطبرسي أن الخطاب للنبي وأهل بيته فهم الموعودون بالاستخلاف وما معه ويكفي في ذلك تحقق الموعود في زمن المهدي عليه السلام ولا ينافي ذلك عدم وجوده عند نزول الآية؛ لأن الخطاب الشفاهي لا يخص الموجودين وكذا لا ينافي عدم حصوله لكل؛ لأن الكلام نظير (بنو فلان قتلوا فلاناً) واستدل على ذلك بما روى العياشي بإسناده عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قرأ الآية فقال: هم والله شيعتنا أهل البيت يفعل ذلك بهم على يد رجل منا وهو مهدي هذه الأمة، وهو الذي قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لولم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله تعالى ذلك اليوم حتى يلي رجل من عترتي اسمه إسمي يملأ الأرض عدلاً وقسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً» ... إلى أن

(١) سورة النحل: الآية ٣٨.

(٢) روح المعاني / ج ٧، ص ٣٧٢.

(٣) المصدر السابق / ج ٩، ص ٢٥٦.

(٤) سورة النور: الآية ٥٥.

قال: - نعم ورد من طريقنا ما يستأنس به لهم في هذا المقام لكنّه لا يعول عليه أيضاً مثل أخبارهم وهو ما أخرجه عبد بن حميد عن عطية أنّه عليه الصلوات والسلام قرأ الآية فقال: أهل البيت ها هنا وأشار بيده إلى القبلة، وزعم بعضهم نحو ما سمعت عن الطبرسي إلّا أنّه قال: هي في حق جميع أهل البيت علي (كرم الله وجهه) وسائر الأئمة الاثني عشر وتحقق ذلك فيهم زمن الرجعة حين يقوم القائم عليه السلام، وزعم أنها أحد أدلة الرجعة^(١).

وفي موضع رابع - في ذيل سورة النمل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ... - إلى قوله: - وَيَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٢)، قال: أي تكلمهم بأنهم كانوا لا يتيقنون بآيات الله تعالى الناطقة بمجيء الساعة ومباديها أو بجميع آياته التي من جملتها تلك الآيات.

وقيل بآياته التي من جملتها خروجها بين يدي الساعة وليس بذاك ... - إلى أن قال - والظاهر أن ضمير الجمع في تكلمهم للكفرة المنكرين للبعث مطلقاً. والرجعة التي يعتقدونها الشيعة لا نعتقدوها والآية الآتية لا تدلّ كما يزعمون عليها ويسهل أمر ذلك أنّه ليس مدار الحديث عنهم سواء ما هم عليها من الشرك والكفر بالآيات وإنكار البعث وذلك موجود فيهم وفي الكفرة الموجودين عند إخراج الدابة^(٣). انتهى.

أقول: والغريب أنّه استظهر أن المراد من الناس في الآية أهل مكة! واستشهد على ذلك بما روي عن وهب: أن الدابة تخبر كل من تراه أن أهل مكة كانوا بمحمّد والقرآن لا يوقنون. أقول:

(١) روح المعاني / ج ٩، ص ٣٩٦.

(٢) سورة النمل: الآيات ٨٢-٨٣.

(٣) روح المعاني / ج ٩، ص ٣٩٦.

وفي كلامه جملة من الزيف والهراء منها:

(١) نسبته - على ما في التفسير المطبوع - أنَّ الشيعة ينكرون البعث والمعاد! وهل في المسلمين مثل الشيعة من يثبت المعاد؟! فهم يثبتون بعث الرجعة وبعث أكبر للمعاد، وسيأتي في الباب الثالث أنَّ في الرجعة تكرار في البعث عدَّة مرات فضلاً عن البعث الأكبر في القيامة، بل لا تجد في تراث الحديث حول المعاد بقدر ما يوجد لدى الشيعة في تراث المسلمين، لأنَّ سائر المسلمين تركوا علم أهل البيت عليه السلام فنَّصَبَ العلم عندهم عن أحوال الآخرة وشؤونها ومواقف عالم القيامة.

(٢) اعترفهم بأن الدابة في آخر الدنيا قبل يوم القيامة عندما تخرج لمحاسبة كفّار قريش ومشركيها:

أ - فهل ذلك برجوع قبل يوم القيامة في الدنيا أم ماذا؟

ب - وما هو وجه الحكمة في تعرض الدابة - التي هي آية إلهية - لنشر ملف ومحاسبة كفّار قريش قبل يوم القيامة.

ج - وما هو وجه مُداينة دابة الأرض ومكافئتها للمؤمن بوسم الإيمان ومجازاتها للكافر والمنافق بوسم الكفر؟

د - ولماذا بقي ملف كفّار قريش معلقاً حتّى وقت خروج الدابة.

إلى غير ذلك من التساؤلات التي تثار في معالم خروج الدابة بحسب ما أشارت إليه الآيات والروايات التي لا تنطبق تلك المعالم إلّا على الرجعة وشؤونها الذي تعتقده مدرسة أهل البيت عليه السلام، وآمنت به الشيعة.

(٣) ثمَّ ما وجه الاستلزام بين القول بالرجعة وتوهم إنكار البعث الأكبر والمعاد؟! مع أنَّ العكس - عقلاً - هو الصحيح فإنَّ من يقول بالرجعة التي هي بعث من القبور هو الأولى عقلاً أنَّ يلتزم بالرجعة والرجوع في معاد الآخرة الكبرى كما يأتي ذلك في بحث (الرجعة والعقل).

قال في ذيل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ﴾: وهذه الآية من أشهر ما

استدل به الإمامية على الرجعة ...

ثم حكى كلام الطبرسي في مجمع البيان، وقال: أول من قال بالرجعة عبد الله بن سبأ، ولكن خصصها بالنبي ﷺ، وتبعه جابر الجعفي في أول المائة الثانية فقال برجعة الأمير (كرم الله تعالى وجهه) أيضاً، لكن لم يوقتها بوقت ولما أتى القرن الثالث قرّر أهل الإمامية رجعة الأئمة كلهم وعينوا لذلك وقت ظهور المهدي واستدلوا على ذلك بما روه عن أئمة أهل البيت.

والزيدية كافة منكرون لهذه الدعوى إنكاراً شديداً وقد ردّوها في كتبهم على وجهٍ مستوفى بروايات عن أئمة أهل البيت أيضاً تعارض روايات الإمامية، والآيات المذكورة هنا لا تدل على الرجعة حسبما يزعمون، ولا أظن أن أحداً منهم يزعم دلالتها على ذلك بل قصارى ما يقول إنها تدل على رجعة المكذبين أو رؤسائهم فتكون دالة على أصل الرجعة وصحتها لا على الرجعة بالكيفية التي يذكرونها، وفي كلام الطبرسي ما يُشير إلى هذا.

وأنت تعلم أنه لا يكاد يصح إرادة الرجعة إلى الدنيا من الآية لإفادتها أن الحشر المذكور لتوبيخ المكذبين وتقريرهم من جهته (عزّ وجلّ) بل ظاهر ما بعد يقتضي أنه تعالى بذاته يوبخهم ويقرعهم على تكذيبهم بآياته سبحانه والمعروف من الآيات لمثل ذلك هو يوم القيامة مع أنها تفيد أيضاً وقوع العذاب عليهم واشتغالهم به عن الجواب ولم تُفد موتهم ورجوعهم إلى ما هو أشد منه وأبقى وهو عذاب الآخرة الذي يقتضيه عظم جنايتهم فالظاهر استمرار حياتهم وعذابهم بعد هذا الحشر ولا يتسنى ذلك إلا حشر يوم القيامة.

وربما يقال أيضاً - مما يأبى حمل الحشر المذكور على الرجعة -: أن فيه راحة لهم في الجملة حيث يفوت به ما كانوا فيه من عذاب البرزخ الذي هو للمكذبين كيف ما كان أشد من عذاب الدنيا وفي ذلك إهمال لما يقتضيه عظم الجناية، وكيف تصح إرادة الرجعة منها وفي الآيات ما يأبى ذلك، منه قوله تعالى: ﴿رَبِّ ارْجِعُون، لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ

يُبْعَثُونَ^(١).

فإنَّ آخر الآية ظاهرٌ في عدم الرجعة مطلقاً، وكون الإحياء بعد الإمامة والإرجاع إلى الدنيا من الأمور المقدورة له (عَزَّ وَجَلَّ) مما لا ينتطح فيه كبشان إلا أنَّ الكلام في وقوعه. وأهل السنة ومن وافقهم لا يقولون به ويمنعون إرادته من الآية ويستندون في ذلك إلى آيات كثيرة.

والأخبار التي روتها الإمامية في هذا الباب قد كفتنا الزيدية مؤونة ردّها، على أنَّ الطبرسي أشار إلى أنها ليست أدلة وأنَّ التعويل ليس عليها وإنَّما الدليل إجماع الإمامية والتعويل ليس إلا عليه.

وأنت تعلم أنَّ مدار حجة الإجماع - على المختار عندهم - حصول جزم بموافقة المعصوم ولم يحصل للسني هذا الجزم من إجماعهم هذا فلا ينتهض ذلك حجة عليه مع أنَّ له إجماعاً يخالفه وهو إجماع قومه على عدم الرجعة الكاشف عما عليه سيد المعصومين (صلى الله تعالى عليه [وآله] وسلم)، وكل ما تقوله الإمامية في هذا الإجماع يقول السني مثله في إجماعه وما ذكر من قوله (صلى الله عليه [وآله] وسلم): (سيكون في أمتي ... الحديث) لا نعلم صحته بهذا اللفظ بل الظاهر عدم صحته فإنَّه كان في بني إسرائيل ما لم يذكر أحد أنَّه يكون مثله في هذه الأمة كنتق الجبل عليهم حين امتنعوا عن أخذ ما آتاهم الله تعالى من الكتاب والبقاء في التيه أربعين سنة حيث قالوا لموسى عليه السلام: ﴿فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾^(٢) ونزول المن والسلوى عليهم فيه إلى غير ذلك.

وبالجملة: القول بالرجعة - حسب ما تزعم الإمامية - مما لا ينتهض عليه دليل، وكم من آية في القرآن الكريم - تأباه - غير قابلة للتأويل وكأن ظلمة بغضهم للصحابة حالت بينهم وبين أنَّ يحيطوا علماً بتلك الآيات^(٣). انتهى.

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٩٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٤.

(٣) النهاية، مجلد ١، ص ٢٣٨.

أقول: في كلامه موارد زائفة عديدة:

الأول: كون أول من قال بالرجعة عبد الله بن سبأ! مع أن من كتب في أحوال الصحابة نسب القول بالرجعة إلى جماعة منهم: أبي الطفيل عامر بن واثلة وسليم بن قيس وقبلهما سلمان وأبي ذر الغفاري وعمار وحذيفة وغيرهم بل قبلهم أحاديث النبي ﷺ وأمير المؤمنين علي عليه السلام بل وما قصه القرآن من وقوعها في عزيز وموارد عديدة في بني إسرائيل ... إلى غير ذلك.

الثاني: هل مع كل ذلك يتنكر للرجعة! وأنه يستلزم إنكار المعاد أو هي برهان على المعاد! كما استدل القرآن على المعاد برجوع أصحاب الكهف.

الثالث: أن تراث الحديث لأهل البيت عليه السلام منذ القرن الأول يعج برجوع كل الأئمة عليه السلام بل الرسول ﷺ أيضاً مبين ذلك من الآيات القرآنية وهذا التراث متقدم النسخ محفوظ جيلاً بعد جيل لا على ما ابتلي به العامة من تحريم تدوين الحديث لديهم أكثر من قرن من الزمان، فكيف يدعي وينسج من تحامله على الشيعة أنهم قرروا ذلك في القرن الثالث.

الرابع: دعوى اختصاص الزيدية بأهل البيت عليه السلام على حد اختصاص الاثنى عشرية بهم هذا كلام من لا اطلاع له على تاريخ الملل والنحل، وكيف يستوي الزيدية والإمامية في الأخذ عن أهل البيت عليه السلام وقد أخذ الزيدية كثيراً عن غيرهم في المعتقد وفي الأحكام! وهل يجهل معالم ذلك على متبع في المذاهب والفرق؟!

الخامس: دعواه أن الآيات لا تدل على الرجعة هي مكابرة إن كان يقصد فيما مضى من الأمم فلم يستلزم الإقرار بها إنكاراً للمعاد بل مزيد برهان عليه فإن استبعادات المعاد الأكبر كلها تدفع بوقوع الرجعة كما هو الحال في قصة عزيز وقصة إبراهيم عليه السلام والطيور وقصة أصحاب الكهف وغيرها من قصص القرآن في الأمم السابقة كلها آيات ودلائل على المعاد، ومنه يظهر أن الآيات المتوهم نفيها للرجعة كسنة إلهية ليست الرجوع إلى الدنيا بعد الموت ومكث في البرزخ، بل معاني أخرى كما مرّ ويأتي.

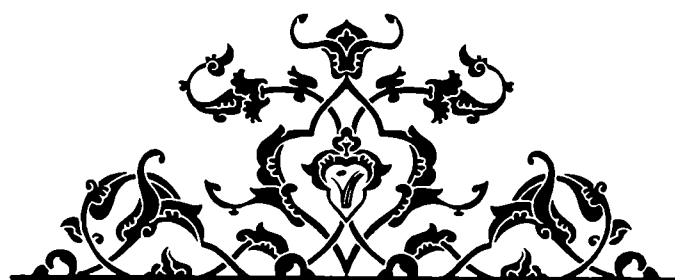
السادس: أن تسليمه بدلالة الآية برجوع رؤساء المكذبين دون الكيفية التي يقول

بها الشيعة فيه: أن تفاصيل الرجعة لا تقتنص من آية واحدة أو رواية فاردة بل من مجموع آيات وروايات .

السابع: أن ما ورد كثيراً في القرآن من تمنى العصاة والكفار الجاحدين الرجوع إلى الدنيا ووعدهم بالتوبة واجابته تعالى ﴿كلا إنها كلمة هو قائلها﴾ ، إنما هو بلحاظ الرجوع عند الموت وعدم تحمل مكابدات عذاب البرزخ. أما انقطاع عذاب البرزخ بالرجعة فليس هناك ما يدل على استمراره كعذاب الآخرة والخلود فيه بل هو كالحدود والتعزيرات بعدما كان في الرجعة مرحلة امتحان آخر أشد وأصعب .

الثامن: أن استبعاده قاعدة وقوع ما وقع في الأمم السابقة - لاسيما بني اسرائيل - وفي هذه الأمة وأنه لم يقع إلى يومنا كثير مما وقع فيهم ففيه: أن الأمد لهذه الأمة لا زال ولم يَأْزَفْ أَجْلُهَا وهذا مجرد استبعاد وتكهّن .

والأغرب منه: إنكاره لورود الحديث النبوي بذلك! فهو يعني قلة اطلاع على مصادر الحديث مع أن هذا الحديث مستفيض إن لم يكن متواتراً بمجموع طرق الفريقين فضلاً عن دلالة عدّة آيات على هذه القاعدة المروية في الحديث النبوي.



الفصل الثاني

الرجعة والعقل



المستقبل دليل عقلي

الرجعة شعار لعدالة أرقى مستقبلية

إنّ تطلّع البشرية نحو علم المستقبل آخذ في الازدياد وبشغفٍ شديد وقد أنشأت جملة من التخصصات الأكاديمية الباحثة عن علم المستقبل ونظريته، وبالأحرى فإنّ الشعوب البشرية - سواء الأوروبية أو الغربية أو الشرقية - ها هي تمدُّ بصرها إلى ما وراء الديمقراطية والليبرالية ولا زالت العدالة هي الشغل الشاغل للفكر البشري.

الرجعة مخزون معرفي ضخم للعدالة والحرية

والتعرف على منظومة العدل طريق طويل لا بدّ أن تطويه البشرية فنموذج الشيوعية والاشتراكية والرأسمالية ونظام السوق الحر والنظام العالمي الموحد تحت ظل منظمة الأمم المتحدة وغيرها من الأطروحات لم تلبّ للبشرية طموحات في العدالة. وشعار البشرية المطالب بالحقوق وأنّ الشعب يريد إسقاط النظام لم يرق إلى مستوى تعلق إرادة الشعب ومطالبته بقيادة من هو مركز العدل وقطب رحاه وهو المعصوم المزوّد بالعلم الشمولي الموجب لازدهار النظام البشري إلى السعادة. فشعارات مطالبات الشعوب لا زالت في وسط الطريق وليست غايات نهائية لإرساء العدالة. فكثير من النسيج والبنى الاجتماعية تحتاج إلى تغييرات تحول دون بروز ألوان من الظلم والعدوان، فالبشرية رغم تجاوزها لاستبداد الفرد والقبيلة لكن لا زالت تعاني ألوان أخرى من الاستبداد سواء الناشئ من العرق أو الطبقة أو الجماعات

والكتل. بل إنّ البشرية على صعيد التنظير - فضلاً عن صعيد التطبيق - لا زالت عاجزة عن تصوير النظام العادل على الصعيد السياسي أو الاقتصادي أو القضائي أو الحقوقي أو الجرمي فضلاً عن عجز البشرية ونخبها عن اكتشاف آليات تطبيق العدالة.

الرجعة مشروع إصلاح متقدم على الديمقراطية

وإنّ بحث الرجعة هو علم المستقبل ونظريته وهو الريّ الروي لتعطش البشرية وهو إعداد لها بتطوير معرفتها إلى آفاق من الإصلاح وآليات العدل لم يرتق العقل البشري إلى تصورها فإنّ في ما جاء من القرآن والسنة حول الرجعة يبني غايات لدى البشرية لم تكن لديها معرفة بها في شعاراتها وتطلعاتها التي تهتف بها لأجل السعادة والكمال.

وهذا الرصيد المعرفي للعدالة والإصلاح في الرجعة من العظمة بمكان يشير مخاوف مراكز الدراسات الغربية بأنّ تسويق مثل هذه المشاريع - نظير تسويق المشروع المهدوي - يُنذر بخطورته على الأنظمة الغربية إذ يجبر ولاء الشعوب وتطلعاتها وطموحاتها نحو هذا المشروع وهذه المشاريع دون ما تطبّل لها دعائياً من شعار الديمقراطية والليبرالية.

وسأتي بيان أنّ لكل واحد من المعصومين عليه السلام في رجعته إلى دار الدنيا ملفاً ومشروعاً خاصاً من الإصلاح يُقام على يديه هو دون غيره من المعصومين عليه السلام أمراً من الله.

فرجوع شخص كل واحد واحد منهم ينطوي على حلقة فرج خاص للبشرية غير حلقة الفرّج التي تتم للبشرية على يد بقية المعصومين عليه السلام، فتكامل حلقات الفرّج - من الضائقة التي تعانيها البشرية - برجوع جميع المعصومين عليه السلام واحد بعد الآخر، ومن ثمّ ورد في زيارات كل واحد منهم التعجيل بفرّج ظهوره من عالم البرزخ إلى الحياة الدنيا رجوعاً ورجعة كما في الدعاء بتعجيل ظهور مهديهم (عجل الله تعالى فرجه) وإنّ كان عقد الدرّ لحلقات هذا الفرّج هو رجوع ورجعة أمير المؤمنين عليه السلام بل وعلى

رجعاته تحوم وتدور أدوار الرجعة ورجعاته وكراته توطئة لرجعة السيد الأكبر في نهاية المطاف وهو سيد الأنبياء ﷺ .

ومن ثمَّ ورد في الآيات والروايات: أنَّ كل واحد من الأئمة عليه السلام موعود مهدي منتظر ظهوره وخروجه من قبره إلى الرجعة ليقيم ركناً من دولة العدل الإلهي في الأرض.

الرجعة والتطلع البشري نحو المستقبل

الرجعة تزاوج حضارات ومشاركة إعمار بين الأموات والأحياء كما وردت روايات عديدة في آداب زيارة كل واحد من المعصومين عليه السلام بالدعاء بتعجيل فرجه وتسهيل مخرجه وأن الرجعة ظهور له من مغيبه، ولا ريب أن الأمم السابقة تحمل ثقافات وتقاليد وعادات تختلف عن الأمم الحية الحاضرة فمع اختلاط الأمم الغابرة واللاحقة في مجتمع واحد يبدو المشهد غريباً ويصعب تصور التفاعل الاجتماعي فيما بين أعضاء المجتمع لا سيما أن الأمم السابقة الراجعة من الموت قد مرت بها نشآت البرزخ فاكسبت طبيعة حياة ونشأة لطيفة وشفافة وإن كانت أرضية. وإن هذا التمازج والتفاعل بين الأجيال الماضية والحاضرة بات حديث الساعة في الفكر والتطلع البشري مما ينوّه إلى استعداد العقل والذهنية البشرية والنفسية الإنسانية المعاصرة لمثل هذا الحدث.

النزعة الفطرية برهان على الرجعة

وإنّ ما تقدم بيانه من تطلع البشرية نحو مشاركة الأموات للأحياء هو نزعة فطرية لعود الأموات، وهذه النزعة الفطرية ليست تقتصر على الأحياء تجاه الأموات بل هي من الأحياء تجاه أنفسهم - على تقدير موتهم أي تطلعهم نحو مستقبل أنفسهم لما بعد موتهم - وهو أيضاً نزوع فطري عصري في البشر نحو الرجعة تطلعاً لتكامل الحضارات وتمازجها وتفاعلها فيما بينها، أي بين القديمة منها والحاضرة الرائدة وهذا منشأ ثالث لنزوع الفطرة وتطلعها وطلبها للرجعة.

صياغة أخرى للدليل الفطري على الرجعة

إنَّ ما في الرجعة من فتح المجال للفرص لجميع المظلومين والمضطهدين في الأمم والأجيال الماضية - لا الاقتصار على الأحياء فحسب - هو تطلع تنشده الفطرة البشرية عموماً كما أنَّ تفعيل طاقات الأفراد البشرية في ظل الأنظمة هو انطلاقة وهدفٌ تسعى نحوه العقول والنفوس البشرية ويشمل ذلك من مضى وغبر من البشر، فالنظام العادل على الأرض يفسح المجال أمام كل فرد قصر وفرط في الرقي للكمال. فهذا سبب الرجوع والرجعة لكل فرد وهو سبب كافٍ لرجوع كل الأئمة عليهم السلام لإقامة سلسلة النظام العادل بنحو متراتب.

الرجعة والاستدلال العقلي

وقد استدل جملة من علماء الإمامية المحققين في الآونة الأخيرة على ضرورة وقوع الرجعة بالدليل العقلي استخراجاً من البيانات العقلية الموجودة في الآيات والروايات. وقد أشرنا إلى أنَّ الصدوق رحمته الله اتَّجه إلى قراءة عقلية للرجعة منهجيتها قائمة على الوحدة والاتحاد بين باب النوم والموت وباب اليقظة والبعث، وهذا المنهج هو الآخر مستخرجٌ من الآيات والروايات كما سيتبين، وقد تابع الحر العاملي رحمته الله في كتابه (الإيقاظ من الهجعة في إثبات الرجعة) الصدوق رحمته الله على هذا المنهج بل بنى هيكل كتابه كله على ذلك.

وممن نحى إلى المنهج العقلي في الآونة الأخيرة: الشيخ مُحَمَّد الشاه آبادي والحكيم المولى السيد أبو الحسن الرفيعي والعلامة المحقق الطباطبائي في (الميزان) وأيضاً الفقيه العارف الصوفي المفسر الجونبادي (الكونبادي) في تفسيره (بيان السعادات) والحكيم المولى علي النوري.

وأما من استدل على إمكان الرجعة وصحة وقوعها بالدليل العقلي: فأكثر علماء الإمامية سواء بالمشرب الكلامي أو الفلسفي أو العرفاني بدءاً بالسيد المرتضى والمفيد

وانتهاءً بالحكيم ملا صدرا في تفسير سورة يس ومواضع أخرى من تفسيره أيضاً بل يظهر من بعض كلماته المتقدمة تقرير الدليل العقلي على وقوع الرجعة.

وجه عقلي آخر على الرجعة للصدوق وآخر للعاملي

وقد اعتمد الصدوق عليه السلام على بيان عقلي في الآيات والروايات في الرجعة وسيأتي تفصيله، وملخصه: أنّ هناك حالة وماهية عقلية مشتركة بين الموت والنوم، كما أنّ هناك هوية عقلية مشتركة بين اليقظة من النوم والبعث من الموت فالماهية المشتركة الأولى بين الموت والنوم الذي هو بمثابة الترادف العقلي هو وجود هوية جامعة عقلية ماهوية تكوينية بين الموت والنوم وإنّ كانت هناك فوارق عديدة بينهما أيضاً بل إنّ للموت درجات.

وروى الكليني في باب (ما يعاين المؤمن والكافر - في القبر -) بسنده عن عمّار بن مروان عمّن سمع أبا عبد الله عليه السلام في حديث عن موت الميت وحالاته ومسائلة القبر ونحوها: «ثم يقال للمؤمن: نم نومة العروس على فراشها»^(١) مع أنّ المخاطب ميت فنومه في برزخه مرتبة أخرى من الموت أو أن الانفصال للروح مرتبة أشدّ. وفي رواية الأشعث عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: «يسأل الرجل في قبره فإذا أثبت فسح له في قبره سبعة أذرع وفتح له باب إلى الجنة وقيل له: نم نومة العروس قرير العين»^(٢).

وغيرها من الروايات المستفيضة المتضمنة لنوم الميت في قبره بعد موته فهذه مراتب.

وروى الصدوق في كتاب (الاعتقادات) باب (مسائلة القبر) رواية موت فاطمة بنت أسد ووضع النبي صلى الله عليه وآله لها في القبر وتلقينه صلى الله عليه وآله لها في الرواية: «سئلت عن وليها

(١) الكافي ٣/ ص ١٣١؛ كتاب الجنائز. باب ما يعاين المؤمن والكافر ح ٤.

(٢) الكافي ٣/ ص ٢٣٨. ح ٤٧. ٩.

وإمامها فارتجّ عليها فقلت لها: إبنك، إبنك، فقالت: ولدي ولّتي وإمامي فانصرفا عنها، وقالوا: لا سبيل لك لنا عليك نامي كما تنام العروس في خدرها. ثم إنها ماتت مودة ثانية^(١).

ثم قال الصدوق: وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى قوله: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(٢). انتهى.
كما أنّ للنوم درجات متفاوتة عديدة والحالة والماهية الجامعة هو أنّ كلاً من الموت والنوم انفصال للروح عن البدن مع كون هذا الانفصال ذو درجات متفاوتة كبيرة وكثيرة جداً.

وروى الصدوق أيضاً عن مُحَمَّد بن علي الباقر أنه قيل له: ما الموت؟ فقال: «هو النوم الذي يأتيكم في كل ليلة إلا أنه طويل مدته لا ينتبه منه إلى يوم القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ورأى في نومه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره، فكيف حال فرح في النوم ووجل فيه! هذا الموت فاستعدوا له»^(٣).

وكذلك هناك ماهية عقلية مشتركة بين اليقظة من النوم والبعث من الموت وهي رجوع الروح إلى البدن بعد انفصالها على اختلاف درجات الرجوع بحسب وبسبب اختلاف درجات انفصال الروح، وقد ورد إطلاق النوم على الموت والعكس كذلك كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثْنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿قُل لَّو كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى

(١) الاعتقادات للصدوق باب المسائلة في القبر ص ١٤٠. علل الشرائع ٢/٤٦٩ ح ٣٢ ب ٢٢٢؛ الكافي ١/٤٥٣ ح ٢.

(٢) سورة غافر: الآية ١٣.

(٣) معاني الأخبار ص ٢٨٩ ح ٥.

(٤) سورة يس: الآية ٥٢.

مُضَاجِعِهِمْ^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾^(٢).

وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾^(٣).

وقد ورد التصريح بالجامع بين الموت والنوم في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

فلاحظ أن الآية جعلت التوفي للنفوس جامع بين الموت والنوم.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾^(٥).

فعبر عن حالتهم باللبث وذكر عنوان اللبث نفسه في شأن عزيز في قوله تعالى: ﴿كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ﴾^(٦).

وورد إطلاق اللبث على الموت في كثير من الآيات كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(٧).

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا، يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا، نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا﴾^(٨).

وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٤.

(٢) سورة الكهف: الآية ١١.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٥.

(٤) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٥) سورة الكهف: الآية ٢٥.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٧) سورة الإسراء: الآية ١٧.

(٨) سورة طه: الآية ١٠٣، ١٠٤.

يُؤْفِكُونَ، وَقَالَ الَّذِينَ أَوْتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ^(١).

وقد سلك وقرر الحر العاملي رحمته الله في كتابه (الإيقاظ) أنَّ النوم مراتب وهي مراتب للموت وأنواع له.

وقوله تعالى: ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾^(٢).

فأطلق عنوان البعث على الاستيقاظ من النوم.

وعلى ضوء ذلك فكما يتكامل الإنسان بالنوم واليقظة يومياً في الطبيعة طيلة أيام عمره - وهو تكاملٌ جسماني وروحاني - فكذلك تكامله بتكرر الموت الذي هو سنخ من النوم وكذلك تكرر البعث من الموت في الرجعة الذي هو سنخ من اليقظة والاستيقاظ.

فكما أنَّ النوم واليقظة دور ودوران طبيعي لتكامل الروح والبدن وهو عروج ونزول يومي للإنسان - أي انفصال للروح وعودها مرات وكرات - فكذلك الحال في انفصال الروح بالموت وعودها بالبعث في نفس الجسد الدنيوي فإنه عروجٌ ونزول للروح في نفس الجسد الواحد ومن ثم سيأتي في الروايات أنَّ لكل إنسان إلا ما استثنى أكثر من رجعة.

من استدل بالبرهان العقلي على وقوع الرجعة

منهم الصدوق رحمته الله كما تقدم شرح منهجه وتابعه عليه ببلورة كبيرة الحر العاملي رحمته الله.

ومنهم السيد ابن طاووس رحمته الله قال: فإذا كان هذا قد روه ودونوه عن نباش القبور

(١) سورة الروم: الآية ٥٦. ٥٥.

(٢) سورة الكهف: الآية ١١. ١٢.

فهلا كان لعلماء أهل البيت عليهم السلام أسوة به! ولأي حال تقابل رواياتهم عليهم السلام بالنفور؟! وهذه المرأة المذكورة - أي التي رجعت من الموت - دون الذين يرجعون لمهمات الأمور - أي أئمة أهل البيت عليهم السلام الذين يرجعون لإقامة العدل الإلهي؟ والرجعة التي يعتقدونها علماءنا وأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم تكون من جملة آيات النبي صلى الله عليه وآله ومعجزاته، ولأي حال تكون منزلته عند الجمهور دون موسى وعيسى ودانيال؟ وقد أحى الله (جلّ جلاله) على أيديهم أمواتاً كثيرة بغير خلاف عند العلماء لهذه الأمور ^(١).

ومنهم الحكيم الملا صدرا الذي تقدم كلامه في شرحه على أصول الكافي. وكذا المولى النوري والعارف المفسر الجنابادي. ومنهم الشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي وتلميذه الشيخ محمد آل عبد الجبار القطيفي.

ومنهم الشاه آبادي في رشحات البحار وشذرات الذهب، والرفيعي في الرسائل، والعلامة الطباطبائي في الميزان والأعلام الثلاثة برهنوا عقلياً على الرجعة كتقرير برهان ملا صدرا على المعاد.

وقد استخرج كل من استدل بالبرهان العقلي للرجعة ذلك من بيانات وإشارات الآيات والروايات.

والأدلة العقلية على الرجعة تارة على إمكانها وقد استدل بها على هذا المقام جل علماء الإمامية، وأخرى على وقوعها وهم الذين تقدمت الإشارة إلى بعض أسمائهم.

ثم إنّ هناك شبهات بلباس عقلي على الرجعة قد تقدمت التعرض لكثير منها والجواب عنها في الباب الأوّل.

البرهان العقلي للرجعة في الآيات والروايات

(١) قال تعالى: ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ * مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ * مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ * ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ * ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ * ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ * كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ﴾^(١).

وهذه الآيات وإن وردت عن أئمة الهدى عليهم السلام أنها وردت في أمير المؤمنين عليه السلام ورجوعه وأن خلقته من طينة الأنبياء وأن الله يسره لسبيل الهدى وأماته ميتة الأنبياء ونشره للرجعة فيقضي ما أمره، إلا أنه يستفاد من الروايات وهذه الآيات قاعدة عامة ومقدمات استدلال برهاني لضرورة الرجعة كما استفاد ذلك كل من الحكيم الرفيعي والشاه آبادي والسيد الطباطبائي^(٢) حيث تبين الآيات أن هناك استعداد تكامل للإنسان بحسب التقدير العقلي الماهوي وحسب تقدير الإمكانات التي قدرها الباري تعالى لا يستوفي كمالها الإنسان في عمره الأول في الدنيا، بل لابد من نشره مرة أخرى ليقضي ويستوفي ما أمره الله تعالى باستيفائه من الكمالات والطاعات والخيرات في هذه الدار. وقد مر في الباب الأول جملة من فلسفات وغايات الرجعة.

ومما يشير إلى فلسفة الرجعة وأن غايتها استيفاء الكمالات المتبقية: كثير من الروايات الواردة الشارحة للوعود القرآنية بإنجاز الكمالات القصوى في الأرض.

مثل: ما خرج إلى أبي القاسم بن العلاء الهمداني وكيل أبي محمد عليه السلام: «أن مولانا الحسين عليه السلام ولد يوم الخميس لثلاث خلون من شعبان فصمه وادع فيه بهذا الدعاء ... - وساق الدعاء إلى قوله - وسيّد الأسرة، الممدود بالنصرة يوم الكرة، المعوض من قتله أن الأئمة من نسله، والشفاء في تربته، والفوز معه في أوبته، والأوصياء من عترته بعد قائمهم وغيبته، حتى يدركوا الأوتار، ويثأروا الثار، ويرضوا الجبار، ويكونوا

(١) سورة عبس: الآية ١٧. ٢٣.

(٢) الميزان في تفسير القرآن ذيل الآية ٢١٠ من سورة البقرة.

خير أنصار ... - إلى قوله: - فنحن عائذون بقبره نشهد تربته، وننتظر أوبته، آمين رب العالمين»^(١).

فبينَ ﷺ أن غاية الرجعة والرجوع هو استكمال إنجاز الغايات وإتمام إيجاد الأهداف وأن الخطوة بالرجعة معه ﷺ فوز عن الخسران .

وعن حريز، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: جعلت فداك ما أقلّ بقاءكم أهل البيت وأقرب آجالكم بعضها من بعض، مع حاجة هذا الخلق إليكم؟! فقال: «إنّ لكلّ منّا صحيفة فيها ما يحتاج إليه أن يعمل به في مدّته، فإذا انقضى ما فيها ممّا أمر به، عرف أنّ أجله قد حضر، وأتاه النبيّ ينعي إليه نفسه، وأخبره بما له عند الله. وإنّ الحسين (صلوات الله عليه) قرأ صحيفته التي أعطيها وفسّر له ما يأتي وما يبقى وبقي منها أشياء لم تنقُص، فخرج إلى القتال وكانت تلك الأمور التي بقيت أنّ الملائكة سألت الله في نصرته فأذن لهم فمكثت تستعدّ للقتال وتتأهب لذلك حتّى قُتل، فنزلت وقد انقطعت مدّته وقُتل (صلوات الله عليه). فقالت الملائكة: يا ربّ أذنت لنا في الانحدار، وأذنت لنا في نصرته، فانحدروا وقد قبضته؟ فأوحى الله (تبارك وتعالى) إليهم: أنّ الزموا قبّته حتّى ترونه قد خرج فانصروه، وابكوا عليه وعلى ما فاتكم من نصرته، وإنّكم خُصصتم بنصرته والبكاء عليه، فبكت الملائكة تقرّباً وجزعاً على ما فاتهم من نصرته، فإذا خرج (صلوات الله عليه) يكونون أنصاره»^(٢).

وفيها تصريح بأن الخروج من القبر والبرزخ للرجعة لإتمام المأموريات الإلهية في تخطيط دولة العدل الإلهي .

وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنّه قال في خطبة خطبها في حجّة الوداع: «لأقتلنّ العمالقة في كتيبة»، فقال له جبرئيل ﷺ: أو علي، قال: «أو علي بن أبي طالب ﷺ»^(٣).

(١) بحار الأنوار ٥٣: ٩٤ و ٩٥/ح ١٠٧، عن إقبال الأعمال ٣/٣٠٣ و ٣٠٤، وعن مصباح المتهجد: ٨٢٦ و ٨٢٧ /

ح (١/ ٨٨٦)، وعن المصباح للكفعمي: ٥٤٣.

(٢) بحار الأنوار ٦٣: ١٠٦/ح ١٣٣؛ عن كامل الزيارات: ١٧٨ و ١٧٩/باب ٢٧/ح (٢٠/٢٤٠).

(٣) بحار الأنوار ٥٣: ١١٤/ح (١٣٨/ ١٩)، عن مختصر بصائر الدرجات: ٢١٠.

والعمالقة أي الطواغيت ذوو الطغيان، كما أشير إلى هذا العنوان في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ﴾^(١).

ومن الغايات التي تنجز في الرجعة: جلاء الرسول ﷺ عظمة وشريعة وديناً بدولة رجعتهم.

فعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، قال: يعني الأئمة منا أهل البيت يملكون الأرض في آخر الزمان فيملئونها عدلاً وقسطاً^(٢).

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام، قلت: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾، قال: «ذلك الإمام من ذرية فاطمة عليها السلام يُسئل عن دين رسول الله فيجلى لمن يسأله، فحكى الله قوله: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾...»^(٣).

ومن غايات الرجعة: استيفاء بقية العمر في قبال الأجل الاخترامي كما أن أهل القرية وعزير بعد رجعتهم استكملوا آجالهم.

قال الصدوق في رسالة (الاعتقادات): اعتقادنا في الرجعة أنها حق وقد قال الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(٤) كان هؤلاء سبعين ألف بيت، وكان يقع فيهم الطاعون كل سنة، فيخرج الأغنياء لقوتهم، ويبقى الفقراء لضعفهم، فيقل الطاعون في الذين يخرجون، ويكثر في الذين يقيمون، فيقول الذين يقيمون: لو خرجنا لما أصابنا الطاعون، ويقول الذين خرجوا: لو أقمنا لأصابنا كما أصابهم، فأجمعوا على أن يخرجوا جميعاً من ديارهم، إذا كان وقت الطاعون، فخرجوا بأجمعهم فنزلوا على شطّ بحر، فلمّا وضعوا رحالهم ناداهم الله: موتوا! فماتوا جميعاً فكنستهم المارة عن الطريق، فبقوا بذلك ما شاء الله تعالى. ثم مرّ

(١) سورة المائدة: الآية ٢٢.

(٢) بحار الأنوار ٥٣: ١١٨ / ح ١٤٨، عن تفسير فرات الكوفي: ٥٦٣ / ح (٦/٧٢٢).

(٣) تفسير القمي ٢: ٤٢٤؛ الكافي ٨: ٥٠ / ح ١٢ باختلاف يسير.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٣.

بهم نبيّ من أنبياء بني إسرائيل يقال له إرميا، فقال: لو شئت يا ربّ لأحييتهم فعمّروا بلادك، وولدوا عبادك، وعبدوك مع من يعبدك. فأوحى الله تعالى إليه: أفتحبّ أن أحييهم لك؟ قال: نعم. فأحياهم الله له، وبعثهم معه. فهؤلاء ماتوا ورجعوا إلى الدنيا ثم ماتوا بآجالهم.

وقال الله (عزّ وجلّ): ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١)، فهذا مات مائة سنة ورجع إلى الدنيا وبقي فيها، ثم مات بأجله وهو عزيز^(٢).

ومن الغايات والكمالات المرجو استيفائها في الرجعة: امتحان المستضعفين في الرجعة وتكاملهم بدليل أنّ لهم حساب والحساب كما مرّ في الرجعة وأيضاً مرّ قاعدة أنّ لكلّ بشر رجعة لأن له ميتة وقتلة وكذلك المستضعف له رجعة فيمتحن.

وعن سلمان الفارسي، قال: دخلت على رسول الله ﷺ يوماً فلمّا نظر إليّ قال: «يا سلمان إنّ الله (عزّ وجلّ) لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلّا جعل له اثني عشر نقيباً»، قال: قلت: يا رسول الله لقد عرفت هذا من أهل الكتابين، قال: «يا سلمان فهل علمت من نقبائي الاثني عشر الذين اختارهم الله للإمامة من بعدي؟»، فقلت: الله ورسوله أعلم: قال: «يا سلمان خلقتني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته وخلق من نوري علياً فدعاه فأطاعه وخلق من نوري علي فاطمة فدعاهما فأطاعته، وخلق منّي ومن علي وفاطمة الحسن والحسين فدعاهما فأطاعا فسمّانا الله (عزّ وجلّ) بخمسة أسماء من أسمائه: فالله المحمود وأنا مُحَمَّد، والله العلي وهذا علي، والله فاطر وهذه فاطمة، والله ذو الإحسان

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

(٢) بحار الأنوار ٥٣: ١٢٨، عن الاعتقادات: ٦٠ و ٦١/باب (١٨) الاعتقاد في الرجعة.

وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا ومن نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فأطاعوا قبل أن يخلق الله (عَزَّ وَجَلَّ) سماء مبنية وأرضاً مدحية، أو هواءً أو ماءً أو ملكاً أو بشراً، وكنا بعلمه أنوراً نسبّحه ونسمع له ونطيع». فقال سلمان: قلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي ما لمن عرف هؤلاء؟ قال: «يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم واقتدى بهم، فوالى وليّهم، وتبرأ من عدوّهم فهو - والله - منا، يرد حيث نرد، ويسكن حيث نسكن»، قلت: يا رسول الله فهل يكون إيمان بهم بغير معرفة بأسمائهم وأنسابهم؟ فقالك «لا يا سلمان»، قلت: يا رسول الله فأنتى لي بهم؟ قال: «قد عرفت إلى الحسين»، قال: «ثم سيّد العابدين علي بن الحسين ثم ابنه مُحَمَّد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيّين والمرسلين، ثمّ جعفر بن مُحَمَّد لسان الله الصادق، ثمّ موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله، ثمّ علي بن موسى الرضا لأمر الله، ثمّ مُحَمَّد بن علي المختار من خلق الله، ثمّ علي بن مُحَمَّد الهادي إلى الله، ثمّ الحسن بن علي الصامت الأمين على دين الله ثمّ (م ح م د) - سمّاه باسمه - ابن الحسن المهدي الناطق القائم بحق الله». قال سلمان: فبكيت ثمّ قلت: يا رسول الله فأنتى لسلمان لإدراكهم؟ قال: «يا سلمان إنك مدرّكهم وأمثالك ومن تولّاهم حقيقة المعرفة»، قال سلمان: فشكرت الله كثيراً ثمّ قلت: يا رسول الله إنني مؤجل إلى عهدهم؟ قال: «يا سلمان اقرأ: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ ثمّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾»^(١). قال سلمان: فاشتدّ بكائي وشوقي وقلت: يا رسول الله بعهد منك؟ فقال: «أي والذي أرسل مُحَمَّدًا إنّه لبعهد منّي ولعلي وفاطمة والحسن والحسين، وتسعة أئمة وكلّ من هو منا ومظلوم فينا، إي والله يا سلمان، ثمّ ليحضرنّ إبليس وجنوده وكلّ من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً حتّى يؤخذ بالقصاص والأوتار والثارات ولا يظلم ربك أحداً ونحن تأويل هذه الآية ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ

(١) سورة الإسراء: الآية ٥ و ٦.

وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُضِرَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿١﴾، قال سلمان: فقامت من بين يدي رسول الله ﷺ وما يزال سلمان متى لقي الموت أو لقيه^(٢).

والرواية تبين أن من آثار الاعتقاد والمعرفة بالرجعة عدم المبالاة بالموت وذلك لطموح الأمل بانتظار الفرج الإلهي.

انتشار المعرفة بهم ﷺ أعظم إظهاراً للدين

ومن أعظم وأكبر غايات الرجعة انتشار المعرفة والإيمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ وبالأئمة ﷺ وقد مرّ في الباب الأول أن الرجعة مشروع معرفي واعتقادي ودولة معرفة أولاً قبل أن يكون مشروعاً سياسياً وبناء دولة قدرة.

وقد روي في ذيل قوله تعالى: ﴿وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَأَنْ أَتْلُو الْقُرْآنَ فَمَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ * وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٣)، قال: «أمير المؤمنين والأئمة ﷺ إذا رجعوا يعرفهم أعداؤهم إذا رأوهم»^(٤).

والرواية دالة على أن أعظم نصر وأكبر إظهار للدين ليس هو النصر العسكري أو النصر السياسي، بل هو النصر المعرفي المعارفي الفكري الاعتقادي، وهو أكبر تأويل لقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٥)، والمعرفة دالة على سابقة عهد ذهني، إذا أخذ في قوامها - بحسب استعمال سياق التركيب في الآية - التذكر والإيمان والإيقان بالآيات فتارة يقابل الجحود والإنكار وأخرى يقابل التكذيب

(١) سورة القصص: الآية ٥ و ٦.

(٢) بحار الأنوار، ٥٣: ١٤٢ و ١٤٣ / ح ١٦٢، عن المحتضر: ٢٦٦. ٢٦٩ / ح ٣٥٣.

(٣) سورة النمل: الآية ٩١. ٩٣.

(٤) مختصر البصائر: ١٧٠ و ١٧١ / ح ٢٠، عن تفسير القمي ٢: ١٣٢.

(٥) سورة التوبة: الآية ٣٢.

وهو في الآيات الناطقة وهو أعظم انحراف وقع فيه اليهود وندد به القرآن عليهم في عدة سور.

وقال علي بن إبراهيم القمي في قوله تعالى: ﴿وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيَّ آيَاتِ اللَّهِ تُنْكِرُونَ﴾، يعني أمير المؤمنين والأئمة (صلوات الله عليهم) في الرجعة، فإذا رأوهم ﴿فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَخُدْهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾ أي جحدنا بما أشر كناهم ﴿فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾^{(١)(٢)}.

إنجاز الوعود والوعد الإلهي

ومن الغايات الإلهية والعقلية لخلق الأرض وعالم الدنيا كما هو مطرد في كل عالم خلقه: وصوله إلى غايات وكمالات خلقته وهو المسمى في لغة الوحي بالوعد الإلهي، كما أشارت إليه جملة من الآيات والروايات:

١ - قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(٣)، وعطف يوم الأشهاد قرينة على تعلق الظرف بالنصرة، وهذا الوعد صريح في نصرة الرسل أنفسهم لا نصرة ما بعثوا به فقط.

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: قلت له: قول الله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، قال: «ذلك - والله - في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله كثيراً لم ينصروا في الدنيا وقتلوا، والأئمة قد قتلوا ولم ينصروا فذلك في الرجعة»^(٤).

٢ - قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً

(١) سورة غافر: الآية ٨١. ٨٥.

(٢) مختصر البصائر: ١٨٨ / ح ٢٩/٢٩، عن تفسير القمي ٢: ٢٦١.

(٣) سورة غافر: الآية ٥١.

(٤) مختصر البصائر: ١٠٧ و ١٠٨ / ح ٦.

وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ^(١)، والعموم استغراقي ولكل الأئمة والأنبياء وغير مختص بالمهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - .

وعن عبد الله بن مسكان عن أبي عبد الله (صلوات الله عليه) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ^(٢)﴾، قال: «ما بعث الله نبياً من لدن آدم إلى عيسى عليه السلام إلا أن يرجع إلى الدنيا فينصر أمير المؤمنين عليه السلام، وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يعني رسول الله، ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني أمير المؤمنين» .

قال القمي: ومثله كثير وما وعد الله (تبارك وتعالى) الأئمة من الرجعة والنصر، فقال: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ - يَامَعْشَرَ الْأَئِمَّةِ - وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا^(٣)﴾، فهذا مما يكون إذا رجعوا إلى الدنيا.

وقوله: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُكِنُّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ^(٤)﴾، فهذا كله مما يكون في الرجعة^(٥). انتهى.

٣- الوعد بالعذاب الأصغر دون الأكبر الأخروي من وعيد الرجعة، وقد تكرر في عدة سور، كما في قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾، قال: ذلك إذا خرجوا في الرجعة من القبر، ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ كلهم الظلمة فيقولون: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ فقال الله رداً عليهم: ﴿أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ في ذلك اليوم وقد جاءهم رسول مبين أي رسول قد تبين لهم: ﴿ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ

(١) سورة القصص: الآية ٥.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨١.

(٣) سورة النور: الآية ٥٥.

(٤) سورة القصص: الآية ٥ و ٦.

(٥) مختصر البصائر: ١٦٦ و ١٦٧، عن تفسير القمي ١: ٢٥.

مَجْنُونٌ ﴿١﴾ ، قال: قالوا ذلك لما نزل الوحي على رسول الله وأخذه الغشي، فقالوا: هو مجنون. ثم قال: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ يعني إلى القيامة، ولو كان قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ في القيامة، لم يقل: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ لأنه ليس بعد الآخرة والقيامة حالة يعودون إليها، ثم قال: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يعني في القيامة ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾^(١)،^(٢).

وظاهر ﴿فَارْتَقِبْ﴾ أنه مستقبلي لا يقع في حياته الشريفة الأولى ﷺ. وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ آل مُحَمَّدٍ حَقَّهُمْ ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾، قال: عذاب الرجعة بالسيف^(٤).

الاعتقاد بالرجعة وقوة الصبر والتحمل

إنَّ الاعتقاد بالرجعة باعث لقوة وقدرة التحمل والصبر للأئمة عليهم السلام فضلاً عن غيرهم؛ لأنَّ الأمل منشط للقدرة وللحيوية كما هو فلسفة المعاد ومن ثمَّ قرن جبرئيل إنباءه للرسول ﷺ ولفاطمة عليها السلام بشهادة الحسين عليه السلام بالإنباء برجعته وكرَّته وملكه. قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا﴾، قال: «الإحسان رسول الله ﷺ»، وقوله: ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾، إنما عنى الحسن والحسين عليه السلام، ثمَّ عطف على الحسين فقال: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾^(٥)، وذلك أنَّ الله أخبر رسول الله ﷺ وبشَّره بالحسين عليه السلام قبل حملهِ، وأنَّ الإمامة تكون في ولده إلى يوم القيامة. ثمَّ أخبره بما يصيبه من القتل في نفسه وولده، ثمَّ عوَّضه بأنَّ جعل الإمامة في عقبه. ثمَّ أعلمه أنَّه يُقتل، ثمَّ يردّه

(١) سورة الدخان: الآية ١٠. ١٦.

(٢) مختصر البصائر: ١٧٤/ح ٢٧، عن تفسير القمي ٢: ٢٩٠ و ٢٩١.

(٣) سورة الطور: الآية ٤٧.

(٤) مختصر البصائر: ١٧٦ و ١٧٧/ح ٣١، عن تفسير القمي ٢: ٣٣٣.

(٥) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

إلى الدنيا وينصره حتى يقتل أعداءه، ويملكه الأرض وهو قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ...﴾^(١). وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾^(٢)، فبشر الله نبيه ﷺ أن أهل بيتك يملكون الأرض ويرجعون إليها، ويقتلون أعداءهم، فأخبر رسول الله ﷺ فاطمة عليها السلام بخبر الحسين عليه السلام وقته فحملته كرهاً لما علمت من ذلك^(٣).

وكذلك في ذيل سورة الضحى لشرح صدره بعدما انقطع عنه الوحي أربعين يوماً.

فعن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَلَا آخِرَةَ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى﴾، قال: «يعني الكرة هي الآخرة للنبي (صلى الله عليه وآله)»، قلت: قوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾^(٤)؟ قال: «يعطيك من الجنة فترضى»^(٥). وإن الوعد بالإعطاء بعد الآخرة دالٌّ على أن المراد بالآخرة الحقبة الآخر من الدنيا أي الرجعة.

تقرير الإمكان العقلي للرجعة

إن القول بإمكان المعاد كما في (الإيقاظ) يلزم القول بإمكان الرجعة بالأولوية العقلية إذ تكوينها أقل في حاجة الإمكانات التكوينية بخلاف المعاد فإن فيها تغيرات كونية عامة تستلزم قدرات هائلة.

(١) سورة القصص: الآية ٥.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ١٠٥.

(٣) مختصر البصائر: ١٧٤/ح ٢٨، عن تفسير القمي ٢: ٢٩٧.

(٤) سورة الضحى: الآية ٤ و ٥.

(٥) مختصر البصائر: ١٧٩ و ١٨٠/ح ٣٧، عن تفسير القمي ٢: ٤٢٧.

شبهات على الرجعة

١ - توبة الظالمين بعودتهم وهي تخالف ما تسالم عند الإمامية من خلودهم في النار.

وجوابه: ما مرّ مفصلاً في الباب الأوّل من مراتب الاختيار وضيق فرص الاختيار فليس الحال كالحيّة الأولى بل الإقلاع عما كان لا يتمّ قلعه إلا بمرارة شديدة بالغة ومقاساة هائلة من العذاب.

٢. إياسهم عن حصول توبتهم.

وجوابه: أن التوبة ليست ممتنعة ولكن - كما مر - لا تتحقق حقيقة بمجرد اللسان ولا بمجرد الندم بعد رسوخ ملكات الرذيلة بل بهول عظيم من المقاومة والمعاناة لأجل اقتلاع الملكات والعادات الرذيلية والاعتیاد للخلق غير المرضي ولأفعال الشرور وقد مرّ بسط الكلام بشرح واف في الباب الأوّل من جهات عديدة .

٣ - كيف يقون على إصرارهم على الغي والعصيان وقد عاينوا البرزخ والعذاب؟ وقد مرّ الجواب عنه مفصلاً وإجمالاً: أن البرزخ لا يبقى في ذاكرتهم إلا كنعو الحلم العابر كالذي يستيقظ من النوم بعد رؤيته لأهوال عظيمة في المنام فلاحظوا مقالة الكفار وأهل الشرور يوم القيامة حين بعثهم كما يرسمه ويصوره قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ﴾ وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون^(١).

والحاصل لابدّ من الالتفات إلى جملة من الأمور ليتضح الحال في أحوال الرجعة وكذلك أحوال القيامة التي هي أكثر غموضاً وإبهاماً إذا ماقيست بأحوال الحياة الأولى من الدنيا:

(١) سورة الروم: الآية ٥٥. ٥٦.

- أ - أن البرزخ يكون كالحالة المنامية كما دلت عليه الآيات والروايات.
- ب - جبال الملكات الرديئة مانعة كالجبال الثقال وإن لم يستحيل التغيير لكن بمكابدة عذاب المرارة المهولة.
- ج - إن التوبة وإن لم تكن مستحيلة إلا أنها حقيقة لا تتحقق بالتمني والخواطر واللسان بل بمداواة جراحية لاستئصال جواهر ظلمانية في أعماق النفس وكم هي معاناة فصل العضو البدني فكيف بالتجوهر في ذات النفس! ولك أن تراجع قدرتك في هذا العمر: هل يسهل عليك ترك الاعتياد وما تطبعت عليه من سيئ أعمال ورديء أخلاق؟ وهناك جملة أمور أخرى تقدم بسطها في الباب الأول فلاحظها .

الحكيم علي النوري رحمته الله تعدد غايات الرجعة عمومها لأفراد البشر

قال في تعليقه على (تفسير القرآن الكريم) للملا صدرا حيث خصص الرجعة بالأرواح العالية: وفيه نظر لا يخفى، وحق الجواب هو اختصاص أهل الرجعة بغير الهالكين بهلاك الاستئصال، فإنَّ الرحمة الواسعة تأبى من أن يعذب بعذاب الاستئصال مرتين، كما ورد في الحديث عن أئمتنا عليهم السلام هذا. انتهى.

وفي جوابه ما لا يخفى، إذ أمر الرجعة لا تختص بالنفوس الكاملة في السعادة، بل ذلك الرجوع - حسبما ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام - يعم المؤمن والكافر الكاملين البالغين في الإيمان والكفر وليس سر الرجعة منحصراً في استخلاص الأسارى، كما لا يخفى من تتبع أخبار الرجعة وأحاديثها بل السر في حل إشكال هذه الآية - التي بظاهر منطوقها احتج وتمسك الخصم المنكر للرجعة - هو ما تضمنه الحديث الوارد عنهم عليهم السلام من كون حكم الرجعة مختصاً بغير الهالكين أي المهلكين بعذاب الاستئصال في الدنيا. وهذا هو مقتضى العدل والعدالة، فإنَّ حكم الرجعة من باب الكفرة البالغين في دركات الكفر والعداوة للحق وأهله، هو معاناة ضرب من النعمة والعذاب في الدنيا كمعاناة أهل عذاب الاستئصال قبل عذاب الآخرة فافهم ولا تغفل.

الحكيم النوري: برهان عقلي على الرجعة قبل القيامة الكبرى
وفي تعليقه أخرى له على موضع من تفسير الملا صدرا في مقام الجمع بين التزامه بالقول بالرجعة وقطعيته وقوله الآخر بأنَّ النفوس لا ترجع إلى البدن الدنيوي

بدعوى أن الرجعة تستلزم التناسخ، حيث قال الملا صدرا في ذيل قوله سبحانه: ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١)، هذا إخبار عما يغشي الناس في النفخة الأولى عند قيام الساعة من الأحوال والأحوال.

قال: وما ذكره من الأحوال المشتركة بين القيامتين الكبرى والصغرى.

أمّا أنهم لا يستطيعون - أي لا يقدرّون على الإيصاء بشيء ينفعهم في أمر آخرتهم أو في أعقابهم وأخلافهم - فلانقطاع العمل والسعي عند قيام الساعة وانتفاء العقب والأهل والولد بعد الموت لأن ثبوت الشيء للشيء وإضافته إليه متوقف على بقاء ذلك الشيء المنسوب إليه بل بقاء الطرفين، والأوّل منتف في القيامة الصغرى، والثاني في الكبرى.

وأمّا نفي القدرة على الرجوع إلى أهلهم لما علمت من استحالة رجوع النفوس من نشأة وقعوا فيها إلى نشأة سابقة عليها، فلأن الطبائع مفطورة على التوجه إلى غاياتها الذاتية، والتوجّهات الفطرية والتطوّرات الطبيعية ممتنعة الانعكاس والانقلاب، ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾، وهذا أصل متين قد ابتنى عليه كثير من القواعد والأحكام وقد بنينا عليه إبطال التناسخ كما هو مذكور في مقامه^(١).

برهان عقلي آخر على الرجعة

قال المولى علي النوري في ذيل قول الملا صدرا: (لما علمت من استحالة رجوع النفوس): هذا بظاهره لا يلائم القول بالرجعة التي يقول بها أصحابنا الإمامية والطائفة المحقة والمفسر عليه السلام وهو من أساطين الحكمة المطلقة والعلوم الحقة الحقيقية الموروثة من أهل بيت الولاية والعصمة عليه السلام ممن له قدم راسخ في القول بها والذب عنها كما سبق منه الذب والدفع قبيل هذا في ذيل تفسيره الكريم: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ

(١) سورة يس: الآية ٥٠.

(١) تفسير القرآن للملا صدرا ج ٥/ ١٥٩.

مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ» .

وأما وجه الكشف عن سر وجه الجمع بين ما صرح به هاهنا من الاستحالة وبين ما سبق منه قبيل هذا من الذب والدفع عن الرجعة المعروفة من مذهبنا المعروفة الموروثة من سادتنا وأئمتنا عليهم السلام هو الفرق والتفرقة بين نشأتي القيامتين الصغرى المعروفة بعالم القبر والبرزخ المتوسط بين النشأتين:

نشأة الدنيا ونشأة الآخرة الكبرى المعروفة بالساعة التي بعث عند قيامها كل من في القبور ﴿وحصل ما في الصدور﴾ ، وهو يوم البعث والنشور، لمكان سر إمكان رجوع الأنفس المقبورة إلى الدنيا مادامت الأنفس برزخية موجودة بوجود متوسط بين الدنيا والآخرة الكبرى، متعلقة بضرب من التعلق بالدنيا، باقية تعلقاتها بأبدانها الدنيوية بقاء لا يعرفه إلا الراسخون في العلم عليهم السلام وبعدهم من اقتبس نوره من مشكاة ولايتهم مع صيرورة أبدانها تراباً وعظامها رميماً.

وأما سر استحالة رجوعها إلى الدنيا عند قيام الساعة وتحقق النفخة الأولى التي بها يتحقق فناء دار الدنيا طراً، ويرتفع كلها رأساً، ويصعق كل من في السموات العلى والأرضين السفلى جمعاً وجميعاً، ويرتفع آثار علاقة النفس بالدنيا كلية: فهو انصرام أجل الدنيا بما فيها، وقلع أصول أشجارها ورقائق أصولها ودقائقها، بحيث لا يبقى منه علاقة من علائق الأنفس بها، لانتفاء مادة التعلق رأساً، وجهة العلاقة طراً، بانتفاء الشجرة إلى الثمرة القصوى وانقلاب المادة إلى الصورة التي هي الصورة القصوى بشرائش وجودها هذا، فافهم^(١).

أقول: قد بين الحكيم النوري برهاناً على الرجعة وهو مؤلف من مقدمات: المقدمة الأولى: أنَّ الانفس المقبورة والنفس البرزخية متعلقة بنحو وبضرب من التعلق بالدنيا وباقية تعلقاتها بأبدانها الدنيوية بقاء غير محسوس ولا مرئي لكنه موجود ومستمر غير منقطع كما هو الحال في النائم نوماً عميقاً بل أشدّ بكثير .

(١) تفسير القرآن الكريم للملا صدرا ج ٥ / ٤٢٤ .

المقدمة الثانية : أنَّ الأنفس البرزخية موجودة بوجود متوسط بين الدنيا والآخرة الكبرى.

المقدمة الثالثة: أنَّ الوجود المتوسط لا ينقطع تعلقه بمادَّة أجسام الدنيا فالعلاقة تظل باقية وإنَّ صارت الأبدان الغليظة تراباً وعظاماً لكنَّها تبقى متعلقة بمادة لطيفة دنيوية غير مرئية كما أشارت إلى ذلك النصوص من أهل البيت عليه السلام.

المقدمة الرابعة: استحالة رجوع النفوس إلى الدنيا عند القيامة الكبرى والنفخ في الصور وذلك بسبب انقطاع علاقة النفس بالمادة الدنيوية تماماً سواء المادة الغليظة أو المادة اللطيفة الدنيوية؛ وذلك لصيرورة الأجسام صورة محضة متمحضة في الكمال الجسماني في بُعد الصورة الجوهرية فلا مادة قابلة للتكامل، وهذا مبنى النوري في المعاد أنَّ صيرورة الأجسام وحركتها الجوهرية حيث مقام الأرواح أي حيث تقوم هي بها لا العكس كان في بدء النشأة الدنيوية الجسمانية.

وبذلك يتبيَّن برهان على ضرورة عود الأنفس البرزخية إلى دار الدنيا كي يحصل لها التكامل ويشتدَّ كماله إلى درجة تصل إلى اشتداد كمال الآخرة من حيث الأجسام والصور.

وقال في تعليقه على تفسير الملا صدرا أيضاً:

قوله: (في كل سبعة أيام) أنَّ هذا القضاء وجريان حكم النفوس الكلية في النفوس الجزئية لهو في القيامة الوسطى التي هي يوم الرجعة تتكرر هذه السبعة التي هي أسبوع واحد من الأسابيع السبعة، ويوم الكرة هو يوم دولة آل مُحَمَّد عليه السلام الذي قلنا به ولم يقل به مخالفونا فلا تغفل^(١).

أقول: ويشير النوري أيضاً إلى كلام الملا صدرا في ذيل الآية ٣١ من سورة يس حيث قال: وفي الكشف: (هذا مما يرد قول أهل الرجعة). وفيه نظر لا يخفى على المنصف، فإن عدم رجعة قرون من الكفرة الناقصين الهالكين هلاك الأبد لا يدلُّ على

(١) تفسر القرآن الكريم، ملا صدرا/ ج ٦ ص ٣٤٦.

عدم رجعة غيرهم من النفوس الكاملة الحيّة بحياة العلم والعرفان، فلا استحالة في إنزال الأرواح العالية بإذن الله وقدرته في هذا العالم لخلاص الأسارى والمحبوسين بقيود التعلقات من هذا السجن.

وأما مانقله تأييداً لمذهبه من منع الرجعة - من قوله: (ويحكى عن ابن عباس أنه قيل له: إن قوماً يزعمون أنّ علياً عليه السلام مبعوث قبل يوم القيامة. فقال بشس القوم، نحن إذن نكحنا نسائه وقسمنا ميراثه) - فمدفوع بأنه مجرد حكاية غير معلومة الصحة، وعلى تقدير صحة الرواية عنه فالمروي ممنوع، فإنّ المتبع في الاعتقادات إمّا البرهان وإمّا النقل الصحيح القطعي عن أهل العصمة والولاية.

وقد صحّ عندنا بالروايات المتظافرة عن أئمتنا وساداتنا من أهل بيت النبوة والعلم حقّية مذهب الرجعة ووقوعها عند ظهور قائم آل مُحَمَّد (عليه وعليهم السلام)، والعقل أيضاً لا يمنعه لوقوع مثله كثيراً، من إحياء الموتى بإذن الله بيد أنبيائه كعيسى وشمعون وغيرهما (على نبينا وآله وعليهم السلام)^(١).

أقول: وسيأتي في كلام الطباطبائي والمحقق الشاه آبادي والفقيه الحكيم الرفيعي القزويني: أنّ الرجعة بعث في الأجساد ومن القبر بالبدن السابق لا ببدن جديد وهي بهذا التفسير لا تستلزم التناسخ كما توهمه عبارة الحكيم ملا صدرا ويوهمه كلامه في الأسفار وسائر كتبه.

ولكنه عدل بعد ذلك إلى تفسير الرجعة بالإنزال والنزول والتنزل لا البعث في الأجساد. وقد مرّ أن حقيقة الرجعة مغايرة للنزول والتنزل والإنزال فإنه ليس بعثاً ولا إحياءً للموتى بل هو كتّنزل الملائكة وتكثف اللطيف بينما الرجعة هي خروج بالبدن المقبور.

كما أنه يرد على توجيهه لحقيقة الرجعة: أنّ الرجعة لا تختص بالأرواح العالية بل كذلك تعم وتشمل الأرواح السافلة في الدركات بمقتضى أنّ الرجعة تعم من

(١) تفسير القرآن للملا صدرا، ٧٦/٥.

محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً، بل تقدم في الباب الأول - وسيأتي في الباب الثالث - أنَّ الرجعة في أواخرها عامة لجميع البشر حتى المستضعفين، بل مرّت رواية معتبرة مفسّرة للاختصاص لا في أصل الرجعة بل المحاسبة والمجازاة في الرجعة كما هو الحال في عالم القبر فإنّه عام للجميع إنّما المختصّ هو مسألة القبر تختص بمن مُحض الإيمان ومن محض الكفر.

واعلم أنّه قد استدل على إمكان الرجعة وصحة وقوعها جملة من علماء الإمامية سواء كان على الصعيد الكلامي أو الفلسفي أو العرفاني. كما أنّه قد استدل جملة منهم على ضرورة وقوعها عقلاً بجملة من الوجوه والأدلة.

وإليك سرد لجملة من هذه الكلمات والاستدلالات:

١- قال السيد المرتضى في رسائله: لأنّ الله تعالى قادر على إيجاد الجواهر بعد إعدامها وإذا كان قادراً عليها جاز أن يوجدّها - متى شاء - والأعراض التي بها يكون أحدنا حياً مخصوصاً على ضربين: أحدهما: لا خلاف في أنّ الإعادة بعينها غير واجبة كالكون والاعتماد وما يجري مجرى ذلك.

والضرب الآخر: اختلف في وجوب إعادته بعينه - وهو الحياة والتأليف - وقد بينا في كتاب (الذخيرة) أنّ الإعادة بعينها غير واجبة إنّ ثبت أنّ الحياة والتأليف من الأجناس الباقية ففي ذلك شك فالإعادة جائزة صحيحة على كل حال^(١).

٢- ما تقدم من استدلال الملا صدرا في تفسيره رداً على صاحب الكشف من توهمه بطلان الرجعة من قوله تعالى: ﴿الم يروا كم اهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم يرجعون﴾ حيث قال في ذيل رده:

وقد صحّ عندنا بالروايات المتظافرة عن أئمتنا وساداتنا من أهل بيت النبوة والعلم

حقية مذهب الرجعة ووقوعها عند ظهور قائم آل مُحَمَّد (عليه وعليهم السلام) ، والعقل أيضاً لا يمنعه لوقوع مثله كثيراً من إحياء الموتى بإذن الله بيد أنبيائه كعيسى وشمعون وغيرهما (على نبينا وآله وعليهم السلام) .

ثم يحتمل أن يرجع ضمير «أنهم» إلى الكفرة وضمير «إليهم» إلى القرون ويكون معناه: أن هؤلاء لا يرجعون - بحسب القوة والقدرة أو الشوكة والجاه أو العدة والكثرة - إليهم، فكيف لا يعتبرون بمن سبقهم.

ولا يبعد أن يكون المراد هلاكهم بحسب موت الجهل والكفر والعناء هلاكاً سرمدياً، فحينئذٍ معنى «أنهم لا يرجعون» أي في شِدَّة الجحود والنفاق والاستكبار والاعتزاز بالظنون الفاسدة والعقائد الباطلة، كما هو شيمة أصحاب الجدال وأهل المكر والاحتيال، الذين هم أعدى أعداء الله ورسوله كما ذكر وصفهم وذمهم في القرآن كثيراً. ويؤيد هذا الحمل: كون هذه الآية عقيب قوله ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فالمعنى أن هؤلاء لا يصلون في الاستهزاء بالرسول إلى من أهلكنا قبلهم من المستهزئين بالرسول الذين كانوا أشد منهم في الجحود والاستهزاء على وزان قوله تعالى: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ ﴿كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا﴾^(١).

ويستفاد من كلامه:

أولاً: ذهابه إلى كون الرجعة فعل إحياء يقوم به خلفاء الله في أرضه بإذن من الله وإقدار منه تعالى.

الثاني: تفسيره العقلي للرجعة بأنها إنزال الأرواح لا بعث الأرواح في الأجساد وقد مرَّ كراراً في الباب الأول - وسيأتي - أن النزول والإنزال والتزل يختلف عن بعث الرجعة.

(١) تفسير القرآن الكريم، ج ٥، ص ٧٥. ٧٦.

الجناباذي: تقرير عقلي للرجعة

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾.

قد فسر الهدى في اخبار عديدة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وبعلى عليه السلام نفسه وهكذا فسر الذكر والمراد بالمعيشة الضنك: إما الضيق فيما يحتاج إليه في الدنيا من المأكل والملبوس وغيرهما وبهذا الاعتبار فسرت بالضيق في الرجعة في أخبار كثيرة وأنهم يأكلون العذرة وفسر في بعض الأخبار بعذاب القبر وضمكه.

والتحقيق: أن الراحة وضعها الله تعالى في الآخرة التي قلب الإنسان أنموذج منها، وسعة العيش والراحة للإنسان ليست إلا من طريق القلب الذي هو طريق الولاية وطريق الآخرة وضيق العيش وعناؤه ليس إلا من الدنيا التي هي أنموذجاً لجحيم وطريقها. ومن أعرض عن الذكر - الذي هو الولاية التي هي طريق القلب وطريق الآخرة - توجه إلى الدنيا التي هي طريق الجحيم وفيها العناء والضيق.

ومن توجه إلى الدنيا سدّ باب الراحة على نفسه وفتح باب الضيق والتعب عليها، وكان في ضيق استشعر به أم لم يستشعر، ومن تولى علياً عليه السلام وفتح طريق القلب فتح طريق الراحة على نفسه فإن دخل في باب القلب والآخرة دخل في السعة والراحة، وإن لم يدخل كان في عناء لبقائه بعد في الدنيا لكنه كان في طريق الوصول إلى الراحة وضيق العيش في الدنيا وضيق الصدر وضيق القبر وضيق العيش في الرجعة كلها لازم لسدّ طريق القلب.

﴿وَنَحْشُرُهُ﴾ قرئ بالرفع وقرئ في الشواذ بالجزم ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ عن الولاية والإمام والآيات ونعيم الآخرة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً﴾ قيل: يحشر من قبره بصيراً وإذا أتى المحشر يصير أعمى ﴿قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا﴾ العظمى التي هم الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وآياتنا الصغرى التي هي آيات الآفاق والأنفس ﴿فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى﴾ أي تركتها ولم تتبعها وكذلك اليوم تترك ولا يعتنى بك ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ﴾ في التوجه إلى الدنيا زائداً على قدر الواجب والندب

﴿وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ﴾ التي هم الأنبياء والأولياء عليهم السلام ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ من النسيان والحشر أعمى ومن ضيق المعيشة حتى أنها تعدّ في مقابل عذاب الآخرة نعمة^(١).

أقول: ما ذكره في هذا المقام في غاية الجودة وهو قد استشعره من روايات الرجعة من أنّ وضع ومكانة كل إنسان في الرجعة مسبب عن أعماله في الحياة الأولى من الدنيا.

وقال عليه السلام في تفسير سورة الحجر في ذيل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾: ﴿وهو الذي أحياكم﴾ من الجمادية بالحياة الحيوانية أو من الحيوانية بالحياة البشرية أو من البشرية بالحياة الإنسانية، ﴿ثم يميتكم﴾ عن الحياة الحيوانية والبشرية عند الموت. أو عن الحياة الإنسانية أيضاً عند النفخة الأولى ﴿ثم يحييكم﴾ بالحياة الإنسانية أو البهيمية أو السبعية أو الشيطانية عند الرجعة ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ﴾ بنعمة الإحياء الأوّل ولذلك لا ينتبه إلى نعمة الإحياء الثاني وهو جواب لسؤال مقدر كأنه قيل: ما حال الإنسان أي شكر أم يكفر؟ أو [بمعنى] أنّ الإنسان لجحود يعني سجيته الجحود لأنّه يجحد الإعادة والمبدأ مع الأدلة الواضحة على الإبداء والإعادة^(١).

ويستفاد من كلامه:

١ - تفسير النفخة الأولى بأنّها الإحياء في الرجعة مقابل النفخة الثانية وهي الإحياء يوم القيامة.

٢ - كما أنّه يشير إلى أنّ الموت والإماتة في أفراد البشر على درجات فمنهم من يموت عن الحياة الحيوانية والبشرية ومنهم من يموت عن الحياة الإنسانية. كما أنّ الإحياء في الرجعة أيضاً على درجات بحسب الصورة الجوهرية التي اكتسبها الإنسان

(١) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادات ٣/ ٣٩.

(١) تفسير بيان السعادة، ج ٣، ص ٨٤

من الحياة الأولى من الدنيا.

٣ - كما أنه يشير إلى أنّ العصاة ومن مخّض الكفر يزدادون جحوداً في الرجعة لجحودهم نعمة الإحياء الثاني بعد كون جحودهم كفوراً بنعمة الإحياء الأوّل وقد مرّ في الباب الأوّل الإشارة إلى ذلك في مضمون الروايات الواردة وأنّ الكفر في الرجعة أشدّ عتواً من الكفر في الحياة الدنيا الأولى وإنّ الرجعة تكون للكافرين فتنة أكثر لدعواهم أنّ الحياة بعد الموت في دار الدنيا من الدوران والدورة الطبيعية للدنيا ليس إلاّ.

الرجعة جعل النفس التي بالفعل ذات قدرة لإحياء البدن الميت

وقال في تفسير سورة الدخان في ذيل قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ * إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَى﴾: أي أنّ الموتة أو أنّ الفتنة أو أنّ العاقبة ونهاية الأمر ﴿إلا موتتنا الأولى﴾ إنكاراً للمعاد ﴿وما نحن بمنشرين﴾ معادين مبعوثين ﴿فأتوا بآبائنا﴾ الميتين بالموتة الأولى ﴿إِنْ كنتم صادقين﴾ في وعد الإعادة والثواب والعقاب، جعلوا الإعادة والبعث في الآخرة والانتها عن الدنيا في الدنيا، ففاسوا قياساً سقيماً ولم يدروا أنّ من صار بالفعل لا يمكن أن يعود بالقوة والإعادة في الدنيا لا تكون إلاّ بجعل ما بالفعل بالقوة وأمّا الرجعة إلى الدنيا - التي ذكرت في الأخبار - [فهي] بنحو الإجمال وقال بها الفقهاء (رضوان الله عليهم) وإحياء الأموات الذي نسب إلى الأكابر فهو ليس بجعل ما بالفعل بالقوة وإنّما هي توسعة من الكامل في وجود الميت^(١).

أقول: قدّ تعرض إلى جواب اعتراض وشبهة ذات إعضال يتوهم الإيراد بها على القول بالرجعة وهي: أنّ الرجعة إلى الدنيا وإلى نفس البدن الدنيوي السابق هذا يستلزم جعل النفس - التي صارت بالفعل حائزة جملة من درجات الوجود - مرة أخرى بالقوة، فيسلب عنها ما قدّ اكتسبته من كمال أو صور خيرية أو شرية.

(١) تفسير بيان السعادة، ج ٤، ص ٦٨.

فأجاب: بأنَّ الإعادة في الدنيا غير الرجعة إلى الدنيا أي الإعادة التي يطلبها المشركون من الصيرورة في الأصلاب ثم الأرحام ثم الولادة كالحياة الأولى من الدنيا لأنها تستلزم جعل ما بالفعل بالقوة وهذا بخلاف الرجعة إلى الدنيا فإنَّها بعثٌ بالبدن السابق من القبور وتنشيط وتفعيل بزيادة الكمال للوجود البدني لذلك الميت وهي توسعة في التكامل.

❖ قال العلامة حسن زاده الآملي حول هذا الاعتراض في كتاب (عيون مسائل النفس) في التكامل البرزخي والبحث عن تكامل النفوس بعد انقطاعها عن هذه النشأة في برازخها: ورود هذا البحث في الصحف العقلية إنَّما كان من قبل الشرائع الإلهية وإلاَّ فالعقل وحده لا يحكم بذلك وبعد ما نطق الشرع به تصدى العقل لإقامة البرهان عليه وتعرض بوجدان السبيل إلى دليله. فالتكامل البرزخي صار من أغمض المسائل العقلية لأنَّ الاستكمال لا يتحقق إلاَّ بالحركة والاستعداد والخروج من القوة إلى الفعل وبعد انقطاع النفس عن نشأة الحركة كيف يتصور فيها الاستكمال! وغاية ما تيسر لنا من الفحص والبحث عن ذلك هي ما حررناها في النكتة السابعة والثلاثين وستمئة من ألف نكتة ونكتة فراجع إليها وليس لنا مزيد تحقيق وراء ما فيها حتَّى نذكره ههنا ولا يبعد أن يكون ذلك التحقيق في التكامل البرزخي هو معنى من معاني الرجعة أيضاً فتبصر^(١).

أقول: كون الرجعة تكاملاً هذا قول متين في محلّه لكن ليس تكاملاً برزخياً بمعنى البقاء والمكث في البرزخ من الكامل بالفعل في زيادة كمال لوجود بدن الميت بتفعيله إحياءً وبعثاً.

الجناباذي: إنَّ علياً هو النبأ العظيم، وهو الرجعة

وقال في تفسير سورة النازعات في ذيل قوله تعالى: ﴿إلى ربك منتهاها﴾: يعني أنَّ الساعة منتهاها الرب فإنَّ كنت تقدر على معرفة الرب تقدر على معرفتها، أو المعنى:

(١) عيون مسائل النفس. شرح العيون في شرح العيون، ص ٦٨٦.

إلى ربك المضاف وظهوره منتهى وقت الساعة يعني أنّ الساعة - أي وقت القيام عند الله - من أول الموت إلى ظهور ربك عليك وحين ظهور الرب يكون تمام القيام عند الله سواء كان الموت اختيارياً أو اضطرارياً ولذلك فسّرت الساعة تارة بظهور القائم (عجل الله تعالى فرجه) وتارة بالقيامة وتارة بالرجعة وتارة بالموت.

فإنّ الكل بعد طي البرازخ - اختياراً أو اضطراراً - ينتهي إلى علي عليه السلام فإنّ إياب الخلق إليه وحسابهم عليه ورجوعهم إليه عليه السلام وهو قيامتهم وهو رجعتهم سواء جعل المراد بالرجعة الرجعة إلى الصحو بعد المحو أو إلى القوى والجنود بعد الفناء عنها، أو الرجعة إلى الآخرة وهو ظاهر أو الرجعة إلى الدنيا فإنّه بعد رجوعهم إلى إمامهم كان أوّل رجعتهم إلى الدنيا وإلى المراتب الدانية التي كانوا مدبرين معرضين عنها^(١).

أقول: وفي كلامه جملة من الفوائد:

١ - تفسيره للساعة بأربعة معاني وسيأتي الإشارة إليها في الروايات في الباب

الرابع.

٢ - تفسيره بأنّ المعاد هو لقيا أمير المؤمنين عليه السلام في يوم الفصل إذ هو خليفة الله وخليفة رسوله على العباد كما وردت الروايات بأنّ النبا العظيم هو علي عليه السلام، وكما أنّ المعاد هو لقياءه، فكذا هو عليه السلام الرجعة.

نظير ما أشير إليه في جملة من الزيارات والروايات أنّ إياب الخلق إلى أهل البيت عليهم السلام وإلى علي عليه السلام وحسابهم عليه وعليهم عليهم السلام، لأنّهم خلفاء الله، إذ الباري تعالى ليس بجسم ولا جسماني، كما هو الحال في ملائكة الجنان وملائكة العذاب ومن ثم علي عليه السلام هو قسيم الجنة والنار وأنّ المعاد قوامه بالحكم عن الله لا بالظرف المكاني لطبيعة نشأة المعاد فحسب.

ثم بين أن الكل إنّما ينتهون إلى علي عليه السلام في النشأة اللاحقة بعد طيهم برازخ كثيرة وذلك يتخلله رجعات وموتات وأنّ مشاهدة الكل للآيات في المراحل المختلفة

(١) تفسير بيان الساعة، ج ٤، ص ٢٣٣ - ٢٣٤.

من الإحياء والإماتة إنما هي انعكاس للآية الكبرى لله تعالى والآية الكبرى هي علي عليه السلام بعد نبيه صلى الله عليه وآله؟ فترجع الآيات في الآفاق والعوالم إلى أنها ظهورات وآيات لهذه الآية الإلهية. فمن ثم كانت الرجعة والمعاد والقيامة تؤول إليه عليه السلام بما هو آية كبرى لله تعالى.

نعم قد تكون كيفية ذلك البدن في الرجعة وقدراته - مع كونه في دار الدنيا - متميزة ببطانة أو طاقة أو قدرات خاصة كما يظهر من جملة من الروايات الآتية في الباب الثالث.

ومن ثم فسرت (النبا العظيم) في الروايات المستفيضة بـ (علي عليه السلام) ومنه يظهر سبب رؤية المؤمن والكافر عند الموت والاحتضار لأهل البيت عليهم السلام لذا فقد ورد أن علياً عليه السلام هو صاحب الرجعة والنبي صلى الله عليه وآله صاحب الآخرة.

٣ - تفسيره الرجعة بعدة رجعات، كالرجعة إلى الصحو بعد المحو أو كالرجعة إلى القوى النازلة في النفس والجنود بعد الفناء عنها في المشاهدة والشهود والمكاشفة أو كالرجعة إلى الآخرة وهي المعاد الأكبر أو كالرجعة إلى الدنيا.

الرجعة السفر الثالث من الأسفار الأربعة

قال السيد مصطفى الخميني رحمه الله في تفسيره للقرآن الكريم مطابقاً لما تقدم من كلام الجنازادي في تفسير حقيقة الرجعة فجعل الرجعة من السفر الثالث وهو سفر بالحق في الخلق^(١).

وفي موضع آخر من تفسيره تحت عنوان (المسألة الثالثة: حول إعادة المعدوم) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكُنْتُمْ أََمْْواتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(٢) قال رحمه الله:

(١) تفسير القرآن الكريم، ج ٢، ص ٢١٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٨.

ومن الغريب توهم بعض أرباب الكشف أنّ الإحياء الثاني هو الإعادة في هذه الدنيا ثم بعد ذلك ﴿إليه ترجعون﴾! ولعلّه اشتباه في النقل وغلط في الفهم أو تصور في الكشف ولو كان مفاد الآية ما تخيله ليكون الرجعة لكلّ أحد، مع أنها لجماعة خاصة وليست الرجعة إلّا بالمعنى الذي يساعد عليه النقل والعقل والكشف بأخبار الآحاد في هذه المسائل العقلية والاعتقادية غير جائز عند علمائنا الأصوليين بلّ والظواهر في هذه المواقف موكولة إلى أهله، دون العقول السوقية والأفهام البدوية ولا يقاس فقه الله الأكبر بفقه الله الأصغر^(١).

أقول: ظاهره تفسير أن الرجعة بغير الإعادة إلى الدنيا مع أنّه ارتضى تفسير الجناباذي للرجعة بالسفر الثالث والرابع وأنه الرجوع والإعادة إلى الدنيا. نعم، كمالات الروح في الرجعة بالبدن الدنيوي كسفر ثالث ورابع ليس كحالة الروح بالقوة في مبتدأ الحياة الأولى في الدنيا فهي في الرجعة أصبحت بالفعل ولكن لازالت تتكامل وتستوفي فعليات لم تستوفها من قبل وقد أشار إلى ذلك كل من الحكيم الشاه آبادي والسيد الرفيعي والعلامة الطباطبائي. وأمّا أنّ هذا المفاد هو من أخبار الآحاد! فليس في محله فإنّ مفاد رجوع البدن الدنيوي والخروج من القبر مفادٌ وظهورٌ متواترٌ من الروايات.

تأييد أرواح الموتى للأحياء والرجعة

قال صاحب (تفسير روح البيان) - وهو من المخالفين الصوفية - في سورة يس في ذيل قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢): وهذه الآية ترد قول أهل الرجعة أي من يزعم أنّ من الخلق من يرجع قبل القيامة بعد الموت ... إلى أنّ قال: وأنّ علياً وأصحابه يرجعون إلى الدنيا فينقمون من أعدائهم

(١) تفسير القرآن الكريم، ج ٥، ص ١٦٧. ١٦٨.

(٢) سورة يس: الآية ٣١.

ويعملون الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وذلك القول مخالف للنص. نعم، إنَّ روحانية علي (رضي الله عنه) من وزراء المهدي في آخر الزمان على ما عليه أهل الحقائق ولا يلزم من ذلك محذور قطعاً لأنَّ الأرواح تعين الأرواح والأجسام في كل وقت وحال فاعرف هذا^(١).

أقول: ستعرف في بحث (الرجعة والقرآن) أنَّ الآية أجنبية عن نفي الرجعة وإنَّما هي في صدد إثبات قاهرية الله للعباد بالموت لما وَرَدَ عَنْهُمْ ﷺ في دعاء الجوشن: «يا من في الممات قدرته» ومن ثم مفاد الآية تنفي رجوع الموتى إليهم حين سوفهم إلى الموت والبرزخ أو بلا مكث فيه يجازون فيه بقسط من الجزاء ولا تنفي رجوع الموتى إلى الدنيا ولو بعد حين.

أو أنَّ الآية تنفي رجوع من وقع عليه الهلاك والعذاب العاجل من الأمم وهؤلاء مستثنون من الرجعة كما في قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٢) حيث أشارت روايات أهل البيت ﷺ إلى مفاد هذه الآية - كما سيأتي مفصلاً - أنَّ من عذَّب من الأقوام والأمم لا يرجعون في الرجعة وهم مستثنون من عموم الرجعة.

وهذا القائل حيث غفل عن بيانات أهل البيت ﷺ شط به الكلام إلى ما ترى فلم يبصر قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(٣) بخلاف حشر القيامة الذي أشير إليه في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَنَحْشُرُنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤) فإنَّه حشر لجميع الناس وقد أشير إلى ذلك كله في روايات أهل البيت ﷺ.

إلى غير ذلك من عشرات الآيات الدالة على الرجعة كما سيأتي.

(١) تفسير روح البيان / ج ٧ / ص ٣٩٠. ٣٩١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٥.

(٣) سورة النمل: الآية ٨٣.

(٤) سورة الكهف: الآية ٦٠٥.

وأما تمكين أئمة الحق الذين استضعفوا لينتقموا من الظالمين فهو مفاد قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^(١) فإن هذه سنة الله لا تبدل ولا تتحول.

وأما تفسيره للرجعة بإعانة أرواح الموتى للأحياء والذي هو من باب التأيد منها للأحياء وقريب من النزول والإنزال لأرواح الموتى ببدن برزخي فسيأتي بيان الفارق بين حقيقة كل منها مع حقيقة الرجعة في الباب الثالث.

استدلال جماعة من أعلام هذا العصر

وقد استدلل غالب علماء الإمامية بأن إحياء الموتى في هذه الدنيا ورجوعهم إليها ليس بمحال بل قد وقع بكثرة وفي موارد عديدة كما أشار إليه القرآن كما أن إحياء جميع البشر في يوم القيامة الكبرى أمر ممكن بل ضروري الوقوع فأي استنكار للعقل من إحياء الموتى قبل يوم القيامة إلى دار الدنيا في عهد الرجعة؟! وهذا الاستنكار ليس إلا كاستنكار عقيدة المعاد والتعجب والسخرية منها كالتعجب والسخرية من المعاد بعد كون الرجعة نوعاً من المعاد والعقل لا يحكم على مثل هذا الأمر بالاستحالة وقدرة الله واسعة، وهذه الأمور عنده هيئة يسيرة.

✽ قال العلامة حسن زاده الأملي (دام ظله) في كتاب (عيون مسائل النفس): ثم إنَّ للعلامة القيصري بحثاً مفيداً في المقام أفاده في شرحه على آخر فُصٍّ من فصوص الحكم للشيخ العارف العربي ولنا ولغيرنا أيضاً في بيان ما أفاده إشارات، تأتي بها جميعاً تميماً للفائدة ومزيداً للاستبصار وهي ما يلي:

وما جاء في كلام الأولياء مما يشبه التناسخ إنما هو بحكم أحدية الحقيقة وسريانها في صور مختلفة كسريان المعنى الكلي في صور جزئياته وظهور هوية الحق في مظاهر أسمائه وصفاته لذلك نفوا التناسخ حين صدر منهم مثل هذا الكلام كما قال

الشيخ العارف المحقق ابن الفارض (قدس الله روحه):

فمن قائل بالنسخ فالمسخ لائق به ابرأ وكن عما يراه بعزلة

وللروح - من أول تنزلاتها إلى الموطن الدنياوي - صور كثيرة بحسب المواطن التي يعبر عليها في النزول وصور برزخية على حسب هيئاتها الروحانية، وصور جنانية وصور جهنمية تطلبها الأعمال الحسنة والأفعال القبيحة تظهر فيها عند الرجوع وإشاراتهم كلها راجعة إليها لا إلى الأبدان العنصرية لعدم انحصار العوالم، وأيضاً ليس قوة هذا الظهور بعد الانتقال إلى الغيب إلا للكامل المسرّحين في العوالم لا للمقيدين في البرازخ والمحجوبين فيها كما قال تعالى حاكياً عنهم: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١) وقال: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾^(٢) وقال: ﴿انظُرُونَا نَقْتِسِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَهُ بَابٌ﴾^(٣).

وكما أنهم عند كونهم في الشهادة لا يمنعون من الدخول في عالم الغيب كذلك عند كونهم في الغيب لا يمنعون من الظهور في الشهادة إذا طلبوا من الحق بلسان استعدادهم ذلك لتكميل الناقصين منهم من التقيد والتعشق بالبرازخ الظلمانية فيرتفع التغاير بينهم وبين الروح الأول ويحصل لهم السراية في المظاهر.

ويعلم ما أشرنا إليه من يعلم سر دخول النبي ﷺ في جهنم لإخراج أمته مراراً ودخول باقي الأنبياء والأولياء كذلك كما دلّ عليه حديث الشفاعة وغيره من الأحاديث الصحيحة ومن أمعن النظر فيما قرر يظهر له من الفرق بينه وبين التناسخ إذ بينهما فوارق كثيرة يؤدي ذكرها إلى الإسهاب والله الهادي وإليه المآب.

أقول: فقله (وما جاء في كلام الأولياء ... الخ)، ناظر إلى التناسخ الملكوتي

(١) سورة الأنعام: الآية ٢٧.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٢٨.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٣.

السرياني. وقوله: (لذلك نفوا التناسخ إلى قولهم بسريان الحقيقة الذي يشبه التناسخ وموهم للتناسخ)، ينفي القوم من العرفاء التناسخ حين صدر منهم مثل هذا الكلام الذي يشبه التناسخ.

وقوله: (وأيضاً ليس قوة هذا الظهور ... الخ) هنا أيضاً دليل على أنهم ليسوا قائلين بالتناسخ لأنّ القائلين بالتناسخ قالوا: إنّ النفوس الناقصة تتناسخ، والعرفاء قالوا: إنّ النفوس الكاملة تظهر بعد الانتقال فهذا الظهور ليس بالتناسخ.

وقوله: (كذلك عند كونهم في الغيب لا يمنعون من الظهور في الشهادة)، قدّ تقدم في العين الخمسين ذكر روايات في ذلك ناطقة بأنّ المؤمن بعد انقطاعه من هذه النشأة يزور أهله ففي رواية: «يزور على قدر منزلته» وفي أخرى: «على قدر فضائلهم» وفي أخرى: «على قدر عمله».

ثم قال أستاذنا العلامة الشيخ محمد حسين الفاضل التوني (قدس الله روحه وجزاه عنا خير جزء المعلمين) إنّ القيصري ناظر في هذا إلى الرجعة التي هي من اعتقادات الإمامية (أنار الله برهانهم) وكان يقول: الرجعة إنّما هي بهذا المعنى الصحيح.

ثم لا يخفى عليك أنّ لكلام القيصري كما أنّهم عند كونهم في الشهادة لا يمنعون من الدخول في عالم الغيب كذلك عند كونهم في الغيب لا يمنعون من الظهور في الشهادة لشأناً من الشأن^(١). انتهى كلامه.

أقول: ما ذكره (دام ظله) من كون الظهور في عالم الدنيا والشهادة لأهل البرزخ رجعة، هو غفلة فإنّ النزول والتنزل والتمثل من أهل البرزخ والكائنات السماوية في الأرض والدنيا يغير الرجعة فإنّها - كما عرفت - بعث من القبور بالأبدان واستقرار إلى أجل - كما مرّ - مغايرة الرجعة لتأييد أرواح الموتى في البرزخ لأرواح الأحياء في الدنيا، فهذه ثلاث أقسام في مقابل الرجعة.

(١) عيون مسائل النفس: مسرح العيون في شرح العيون: عين في التناسخ ص ٦٨١ . ٥٨٠.

الجناباذي: تداعيات العمل في هذه الحياة على موقعية الإنسان في الرجعة
قال في تفسير سورة طه ذيل قوله تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة
ضنكا ونحشره يوم القيامة اعمى﴾ حيث ورد في بعض الروايات في ذيل الآية أن
الضنك والضيق للناس في الرجعة قال: فسر الهدى في الآية ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ
وَلَا يَشْقَى﴾ في أخبار عديدة بولاية أمير المؤمنين عليه السلام وبعلي عليه السلام نفسه وهكذا فسر
الذكر.

والمراد بالمعيشة الضنك: أن الضيق في ما يحتاج إليه في الدنيا من المأكل
 والملبوس وغيرهما، وبهذا الاعتبار فسرت بالضيق في الرجعة في أخبار كثيرة وأنهم
 يأكلون العذرة وفسر في بعض الأخبار بعذاب القبر وضمنكه.

والتحقيق: أن الراحة وضعها الله تعالى في الآخرة التي قلب الإنسان انموذج منها
 وسعة العيش والراحة للإنسان ليس إلا من طريق القلب الذي هو طريق الولاية وطريق
 الآخرة وضيق العيش وعناؤه ليس إلا من الدنيا التي هي أنموذج الجحيم وطريقها ومن
 أعرض عن الذكر الذي هو الولاية التي هي طريق القلب وطريق الآخرة توجه إلى
 الدنيا التي هي طريق الجحيم وفيها العناء والضيق ومن توجه إلى الدنيا سد باب الراحة
 على نفسه وفتح باب الضيق والتعب عليه كان في ضيق استشعر به أم لم يستشعر ومن
 تولى علماً عليه السلام وفتح طريق القلب فتح طريق الراحة على نفسه فإن دخل في باب القلب
 والآخرة دخل في السعة والراحة وإن لم يدخل كان في عناء لبقائه بعد في الدنيا لكنه
 كان في طريق الوصول إلى الراحة وضيق العيش في الدنيا وضيق الصدر. انتهى كلامه.

اعتراض ودفع

وربما يعترض على الرجعة: بأنها تستلزم تعلق نفسين ببدن واحد وهو عين
 محذور التناسخ، ولكون البدن في بداية نموّه يستدعي إفاضة نفس جديدة عليه
 والنفس السابقة في درجة الشيخوخة إلى غير ذلك من محاذير التناسخ.

وجه الاندفاع: أنّ الرجعة ليست تعلقاً ببدن جديد بل هي تعلق بالبدن الأوّل كما مرّ توضيحه، بل قد مرّ أنّه ليس تعلق بالبدن الأوّل بعد انقطاع تام، إذ لا انقطاع تام بالموت، إنّما هو الموت الأوّل وهو ضعف تعلق وليس انقطاع بالمرّة والبعث في الرجعة هو تنشيط للعلة الضعيفة الباقية وتقوية لها مرة أخرى.

وقد تقدم في الباب الأوّل: أنّ للموت مراتب عديدة كما أنّ النوم أحد مراتب الموت - كما أشار إليه الحديث النبوي المتقدم - واليقظة من النوم أحد مراتب البعث وقد تذوّق النائم هذا التنوع والتفاوت في درجات الموت. وقد بسط الحر العاملي الكلام فيه - إلى حدّ ما - ومدى ارتباطه بالرجعة في كتابه (الإيقاظ من الهجعة في إثبات الرجعة).

آيات البعث والمعاد لمقامات ثلاث

ومن الملفت في تفسير (بيان السعادة) للحكيم العارف الجنازادي أنّه كرر الالتفات والإلفات إلى أنّ آيات البعث والمعاد واردة في الموت والرجعة والمعاد الأكبر أي القيامة الصغرى والوسطى والكبرى مسنداً ذلك إلى تنبيه روايات أهل البيت عليه السلام إلى هذه الحقائق في ذيل تلك الآيات.

الجنازادي: تعدّد الرجعة ودرجاتها في الكمال

قال في موضع من تفسير سورة مريم في ذيل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا﴾: اعلم أنّ التقوى الحقيقية لا تحصل إلّا بالولاية ومن تولّى علماً كان تقياً استشعر بتقواه أم لا ويوم الأعراف - الذي هو آخر البرزخ - يحشر شيعة علي عليه السلام إلى مقاماتهم الأخروية ونعيمهم وأزواجهم على ما نقل في الأخبار من التفاصيل.

واختيار اسم الرحمن لأنّ شيعة علي عليه السلام إذا وصل إلى الأعراف لم يبق عليه شيء من أوصاف النفس ويظهر من كل ما ينبغي أن يطهر عنه من نسبة الأفعال والصفات إلى نفسه بل من نسبة الأنانية إلى نفسه ويحصل له الفناء التام الذي هو آخر

مقامات التقوى وبعد الفناء التَّام لا يكون بقاء إلا ببقاء الله وبعد البقاء يصير الباقي مبقياً لأهل عالمه ومملكته.

وهذا الإبقاء هو الرجعة في العالم الصغير وهو أنموذج رحمة الله الرحمانية وبهذا الاعتبار قال: نحشرهم إلى الرحمن وبحسب السلوك إذا تمَّ السَّفر الثاني للسَّالك وانتهى تقواه إلى الفناء الذاتى وسار بالحق في الحق إن أدركته العناية الإلهية وأبقته بعد فناءه يصير السَّالك أيضاً باقياً ببقاء الله ومبقياً لأهل مملكته وأهل الملك الكبير ويصير عادلاً بعدل الله ومعطياً لكلِّ حقّه وهذا من خواصِّ اسم الرحمن ولهذا قال: ﴿نحشر المتقين إلى الرحمن﴾. انتهى كلامه.

وفي كلامه جملة من الفوائد العقلية والحقائق المعرفية استشعرها من الأخبار الواردة في الرجعة والبرزخ والآخرة:

١ - أنَّ البرزخ متعدد لأنَّ بعد كل موت برزخاً، لاسيَّما مع إشارة جملة من روايات الرجعة إلى أنَّ لكلِّ إنسان رجعات، إلّا من أهلك بعذاب عاجل في الحياة الأولى من الدنيا فهناك مراتب من الموت ومراتب من البرزخ ومراتب من البعث وتعداد من الحشر والنشر، كما سيأتي إليه الإشارة في الروايات في الباب الثالث.

٢ - أنَّه أطلق على مقام الأعراف ويوم الأعراف أنه من البرازخ وأنه آخرها ولا يخلو من تأمل ونظر لأن يوم القيامة - كما سيأتي في الباب الثالث - عالم أكبر استعداداً وظرفاً من عالم الرجعة فضلاً عن عمر الحياة الأولى للدنيا، أو أنَّ الأعراف هو في مقامات أواخر عالم الرجعة حيث سيأتي أن الحساب يقع في أواخرها حسب ما تشير إليه جملة من الآيات والروايات.

٣ - أنَّ الرجعات اللاحقة أشدَّ تكاملاً من الرجعات الأولى كما أن الرجعة أشدَّ تكاملاً من الظهور للإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - كما أنَّ الفارق في كمال وتكامل نشأة دولة الظهور للإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - مع زمان غيبته فارق مهول جداً بأضعاف مضاعفة، فكيف الحال مع نشأة الرجعة وقد أُشير إلى ذلك في روايات الرجعة وستأتي في الباب الثالث والرابع.

ولعظم هذا الفارق فقد أشار الحر العامل في مقدمة كتابه إلى (أن بعض المعاصرين له ممن كتب في الرجعة قد ذكر فيه أشياء غريبة مستبعدة كان ذلك سبباً لتوقف بعض الشيعة عن قبولها، حتى انتهى إلى إنكار أصل الرجعة وحاول إبطال برهانها ودليلها وربما مال إلى صرفها عن ظاهرها وتأويلها مع أنَّ الأخبار بها متواترة، ثم ذكر قيام الأدلة العقلية والنقلية وإطباق الشيعة الاثنى عشرية عليها.

وقال في موضع آخر في مقدمة كتابه: (ورأيت رسائل في الرجعة لبعض المتأخرين تشتمل على أحاديث غير ما أوردته ولم أنقلها أيضاً لاشتمالها على أمور مستبعدة ينكرها أكثر الناس في بادئ الأمر، مع أنها لا تخرج عن قدرة الله، لكن الإقرار بها صعب على الناظر فيها).

تفسير عرفاني للرجعة: ضرورة الرجعة لضرورة الأسفار الأربعة

قال الجنابادي في تفسير سورة البقرة^(١) في ذيل الآية ١٩٤.

اعلم أنَّ الإنسان قبل هبوط آدم في العالم الصغير وبعث الرسول الباطني كافر محض لا يعرف مبدءاً ولا معاداً وبعد بعث الرسول الباطني يظهر له إقرار فطري بأنَّ له مبدءاً ومسخرّاً له لكنّه إمّا لا يستشعر بهذا الإقرار أصلاً ويحتاج إلى منبه خارجي ينبّهه على فطرته، أو يستشعر استشعاراً ضعيفاً مغلوباً في غفلاته وهذا في قليل من الناس وقد يستشعر استشعاراً قوياً يحمله على الطلب ولا يدعه حتى يوصله إلى مطلوبه، مثل الكبريتية تكاد تشتعل ولو لم تمسها نار وهذا في غاية الندرة.

والقسمان الأولان إمّا يبقون في كفرهم الصراح ولا يتنبهون من المنبهات الخارجية والرسول الإلهية وليس لهم إلّا قضاء شهواتهم ومقتضيات نفوسهم وهؤلاء عامة الناس سواء دعاهم رسول خارجي - أو نوابهم - إلى الله أو لا وسواء قبلوا الدعوة الظاهرة وبايعوا البيعة العامة أو لا غاية الأمر أنَّ من قبل الدعوة الظاهرة ودخل في

(١) تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، مجلد ١ ص ١٩٥.

الإسلام إن مات في حال حياة الرسول أو نائبه الذي بايعوه كان ناجياً نجاتاً ما وكل هؤلاء مرجون لأمر الله لكن البائعين ليسوا مرجين لأمر الله بحسب أول درجات النجاة بل بحسب كمال درجات النجاة أو يتنبهون فيطلبون من يدلهم على مبدئهم فإما لا يصلون أو يصلون.

والواصل إلى الدليل إمّا يعمل بمقتضى دلالة الدليل أو لا يعمل والعامل إمّا يبقى في الكفر بحسب الحال أو يتجاوز إلى الشرك الحالي أو الشرك الشهودي أو يتجاوز إلى التوحيد الشهودي والتحقيقي وفي هذا الحال إن لم يبق له إشارة إلى التوحيد ولا توحيد كان عبد الله وهو آخر مقامات العبودية وتامة الفقر، وحينئذٍ يحصل له بداية مقامات الربوبية إن أبقاه الله تعالى بعنايته، وإن بقي على هذه الحالة ولم يبقه الله بعد فنائه لم يكن له عين ولا أثر فلم يكن له اسم ولا رسم ولا حكم، وهذا أحد مصاديق الحديث القدسي «إن أوليائي تحت قبائي لا يعرفهم غيري» وأحد مصاديق الولي والإمام كما نبينه في (تحقيق الولي والنبى والرسول والإمام) وإن أبقاه الله بعنايته بعد فناءه.

وقال أيضاً في وصف السفر الثاني: إنه يسمّى بمقام التحديث والتكليم بتحديث الملائكة للعبد فيها من غير رؤيتهم نوماً ويقظة وأنه يسمّى بالولاية وغير ذلك من الأسماء كالصحو بعد المحو والبقاء بعد الفناء والبقاء بالله.

وقال في وصف السفر الثالث الذي هو الرجعة: إنه يسمع صوت الملك في النوم واليقظة ويرى في المنام شخصه ولا يرى في اليقظة ويسمع في تلك المرتبة إخبار الملائكة وتلقى العلوم من دون إخبار الملائكة بالوحي والإلهام لا بالتحديث والتكليم.

وقال في وصف السفر الرابع الذي هو الرجعة أيضاً: إنه يرى العبد ويسمع من الملائكة يقظة ونوماً وقد ذكر أن ذلك ورد في أخبار كثيرة عن أهل البيت عليهم السلام في الفرق بين الرسول والنبى والمحدث والإمام بأن الرسول يسمع من الملك ويرى شخصه في المنام ويعاينه في اليقظة والنبى يسمع ويرى في المنام ولا يعاين والمحدث أو الإمام يسمع ولا يرى ولا يعاين.

وإن أبقاه الله بعنايته بعد فنائه وتفضل عليه بالصحو بعد المحو صار ولياً لله وهذه

الولاية روح النبوة والرسالة ومقدمة عليها وهي المنام التي تكون قبل النبوة والرسالة فإن تفضل عليه وأرجعه إلى مملكته وأحيا له أهل مملكته بالحياة الثانية الأخروية - وهذه هي الرجعة التي لا بد منها لكل أحد اختياراً في حال الحياة أو اضطراراً بعد الممات وهي الرجعة في العالم الصغير - صار نبياً أو خليفة للنبي وللنبوة والخلافة مراتب ودرجات لا يحصها إلا الله وتطلق الإمامة عليهما أو على خلافة النبوة وهي النبوة التي هي روح الرسالة ومقدمة عليها فإن وجده الله أهلاً لإصلاح مملكته بأن لم يكن مفراطاً ولا مفراطاً في الحقوق وأرجعه إلى الخلق لإصلاحهم صار رسولاً أو خليفة وتطلق الإمامة عليهما أو على خلافة الرسالة ومرتبات الرسالة وخلافتها أيضاً لا تحصى وهذه الأربعة أمهات مراتب الكمال، ولكل من هذه حكم هو اسم غير ما للأخرى فإن الأولى تسمى العبودية والثانية تسمى بالإمامة والثالثة تسمى النبوة لكون العبد فيها خبير من الله ومخبراً عنه والرابعة تسمى بالرسالة، لرسالة العبد فيها من الله إلى الخلق. انتهى^(١).

الرجعة تفسير وبرهان آخر

ونستخلص من كلامه السابق: أنّ الضرورة القائمة على لزوم السفر الثالث والرابع لكل إنسان في التكامل هو بعينه دليل ضرورة الرجعة لكل إنسان، فمع أنّ السفر الأول والثاني هما قوس صعود إلا أنّه لا بدّ من قوس النزول وهو السفر الثالث والرابع وهو بحسب الصورة قوس نزول إلا أنّه بحسب اللب والحقيقة درجات أكبر من قوس الصعود، وهو بهذا البيان يبين إلزاماً وملازمة لكل من قال بضرورة الأسفار الأربعة أنّه لا بدّ أن يلتزم بضرورة الرجعة وبذلك يندفع أيضاً جملة من الشبهات أو الإشكالات التي قد يعترض بها على القول بالرجعة:

١ - كالاغتراض بأنّ الرجعة تقهقر من حركة ودرجة الكمال التي وصلت إليها النفس بمفارقة البدن الدنيوي بالهبوط إلى البدن الدنيوي مرة أخرى.

ووجه الاندفاع: أنَّ هذا الهبوط إلى الأرض ليس تقهقراً وتراجعاً عن الكمال، بل هو ترقّ وتصاعد إلى درجات الكمال الأكبر كما هو الحال في السفر الثالث والرابع للنفس وصرف كون السفر الثالث من الحق إلى الخلق بالحق لا يعني الهبوط حقيقةً بل هو هبوط صورةً في حين كونه عروجاً أكبر حقيقةً، كما هو الحال في يوميات الإنسان عندما تصعد روحه في النوم ثم تهبط في اليقظة، وكما في بدو وابتداء الحياة الأولى من الدنيا سواء على القول بكون النفس حادثة بحدوث البدن أو القول بأن النفس قديمة قبل البدن، فإنّه على كلا القولين هو هبوط للنفس ولكن هذا الهبوط هو طريق للتكامل كما هو الحال في هبوط آدم إلى الأرض من الجنة، فكما لا يتوهم عند القائلين بالسفر الثالث والرابع للنفس الإنسانية، أنّه تقهقر وهبوط لبأً وحقيقةً بل هو مزيد كمال وتكامل، فذلك الحال في الرجعة.

هذا مع ما تقدم في جواب الحكيم علي النوري المتقدم من أنَّ النفس لم تنقطع رابطتها بالبدن الدنيوي بالموت وإن كان هذا الارتباط غير مرئي، بل مرتبة البدن الذي ترتبط به النفس مرتبة غير مرئية وقد أشارت إلى ذلك كلّ الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام في الموت والقبر، كما سنشير إلى جملة منها.

٢ - ومن الاعتراضات التي ربما يعترض به على القول بالرجعة: أنها قول بالتناسخ إذ معاودة تعلق النفس بالبدن يستلزم التناسخ.

وقد تقدم جوابه وهو أنَّ النفس لم تقطع ارتباطها بالبدن نهائياً، بل بقي لها نحو ارتباط غير مرئي كما أنّها لا تتعلق ببدن جديد كي يتوهم توارد نفسين على بدن واحد.

الرجعة في قوس النزول والمعراج في قوس الصعود

٣ - أنَّ مراده في شرح الأسفار الأربعة للإنسان - من النبوة والرسالة والإمامة والخلافة - ليس المعنى المعهود الذي هو مناصب إلهية، بل مراده مطلق المعنى اللغوي من الهداية والهادي من معنى الإمام ومطلق الإلهام والإفهام هو مراده اللغوي للنبا أو الرؤية والمشاهدة القلبية كما أنَّ مراده من الرسالة لغةً هو مطلق مسؤولية الأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة إلى الله تعالى ومن ثمَّ يشير إلى أنَّ المؤمنين في الرجعة يزدادون كفاءةً في الدعوة إلى الله بعدما شاهدوا وعانوا من الموت والبرزخ ومعاناة لقاء الله الذي هو بمثابة عروج لهم.

وبَيَّن أنَّ الإنسان الراجع في الرجعة يزود بقدرات وإدراكات ومشاهدات وهو بهذا البدن الدنيوي الذي بعث فيه بعد الموت وبعد البرزخ لم تكن تلك القدرات والإدراكات لدى الإنسان في جسده الدنيوي قبل الموت، وهذا ما أشارت إليه روايات الرجعة المتظافرة وقد أشار إلى اقتباسه هو من الروايات الواردة المستفيضة والمتواترة. كما بيَّن أنَّ الإنسان الراجع في الرجعة يزود بقدرات وإدراكات ومشاهدات وهو بهذا البدن الدنيوي الذي بعث فيه بعد الموت وبعد البرزخ لم تكن تلك القدرات والإدراكات لدى الإنسان في جسده الدنيوي قبل الموت.

الرجعة تقابل العروج

وكلامه هذا يشير إلى الأسفار الأربعة وهي: الأول: من الخلق إلى الحق والثاني: من الحق إلى الحق بالحق والثالث: من الحق إلى الخلق بالحق والرابع: من الخلق إلى الخلق بالحق. فهو يُشيرُ إلى أنَّ الرجعة هي السفر الثالث، فإمّا أن يكون اختياراً إذا كان الموت اختياراً وإمّا أن يكون الرجوع اضطراراً إذا كان الموت اضطراراً.

وبعبارة أخرى: إنَّ عروج الروح وتكاملها بمشاهدة العوالم العلوية - سواء في جانب الجمال والرحمة أو جانب الجلال والقهر والعذاب - لا بدَّ منه وكذلك لا بد منه عودها بعد العروج إلى عالم البدن والمادة وشؤونها وقد يحصل هذا العروج والرجوع اختيارياً فإنَّ لم يحصل اختيارياً حصل اضطرارياً وحينئذٍ فالرجوع أو الرجعة تقابل العروج والصعود كما ورد عنه ﷺ: «كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تبعثون» فالموت نقطة الانطلاق إلى العروج والبعث نقطة الانطلاق إلى الرجعة.

وهذا بخلاف شأن النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام الذين قد حصلت لديهم هذه الشؤون بالموت الاختياري والعروج الإرادي قبل الموت وارتحالهم إلى الرفيق الأعلى.

وهو يشير أيضاً إلى الروايات التي عقد لها الكليني عليه السلام باباً في (أصول الكافي)، وعقد لها الصفار عليه السلام أيضاً باباً في (بصائر الدرجات)، وغيرهما في كتب أخرى للأصحاب.

ثم قال الجنابادي: إنّ السالك الناقص قد يطرو عليه تلك الحالات من الإفاقة والرجوع إلى مملكته وإلى مملكة الخارج بل التكميل لا يتم إلا بطرو تلك الأحوال وأنّ الإنسان خلق ذا مراتب عديدة في كل مرتبة منها له جنود وكل منها في بقاءه تحتاج إلى أشياء ففي مرتبة النباتية والحيوانية تحتاج قواه النباتية والحيوانية وبقاء بدنه وبقاء نفسه النباتية والحيوانية والإنسانية إلى المأكل والمشروب والملبوس والمسكن والمركوب والمنكوح ولكن لا بدّ في تلبية تلك الحاجات من الجانب الوسطي، لا إفراط ولا تفريط وذلك إنّما يتحقق في الرجعة في السفر الثالث والرابع، حيث يتمّ التوازن في الجهة الدنيوية والأخروية وإعطاء كل ذي حق حقه وأنّ الإنسان في المرتبة الإنسانية خلق ذا قوة عاقلة مدبرة لأمر أهل مملكته، مسخرة للوامة وهي مسخرة للخيال وهو مسخر للمدارك والقوى الشوقية وهي مسخرة للقوى المحركة وهي مسخرة للأعصاب والأوتار والعضلات فهو يحتاج إلى بقاء العاقلة بهذه الكيفية بحيث يؤدي بالإنسان إلى السلوك إلى الله ^(١) انتهى.

أقول: من ثم يكون السلوك إلى الله في الرجعة - التي هي السفر الثالث والرابع - أقوى من السفر إلى الله في السفر الأوّل، فالتكامل في الرجعة - وهي الحياة الآخرة من الدنيا - أكمل من الحياة الدنيا الأولى.

وهنا ملاحظة وهي: أنّ جملة ممّا نقلنا عنه بالتلخيص كما أنّ جملة من النتائج لم يذكرها بالصراحة ولم يذكرها بالتفصيل ولم يركّز عليها بالالتفات إلا إشارته الإجمالية في قوله: «وهذه هي الرجعة التي لا بدّ منها لكل أحد اختياراً في حال الحياة أو اضطراراً بعد الممات وهي الرجعة في العالم الصغير».

(١) تفسير بيان السعادة ج ١، ص ١٩٦ - ١٩٤.

الرفيعي: الرجعة والدليل العقلي

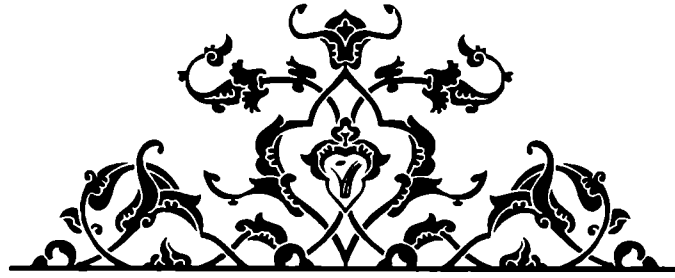
قال الحكيم الفقيه السيد أبو الحسن الرفيعي القزويني: والعقل قد أذعن مسبقاً بأن الحق هو ما قاله الله وأبلغه رسله وحججه عليه السلام وإن افترض أنه لا يملك بالفعل ما يدل عليه تدليلاً عقلياً فلسفياً لا بأس به، لكن الافتراض غير مطابق الواقع إذ نملك ما يبرهن على الرجعة.

هذا منبه إلى: كأن ذلك موجود في عقل أشف من عقولنا وأكمل وهو أصل العقول وهو على حساب ظواهر العلم الكلي يسمّى عقلاً أولاً على ملاحظة وعقلاً فعلاً على ملاحظة أخرى كما يسمّى قلماً باعتبار آخر ولوحاً محفوظاً باعتبار آخر وأمّا على حساب بطون العلم الكلي ومعطيات علوم المكاشفة ومداليل آيات الكتاب المجيد وأحاديث رسول الله وأوصيائه (صلوات الله عليهم) فهو روحانية النبي وأهل بيته المعصومين عليهم السلام وعقلهم الأتم الأشرف الذي منه يستضيء الأملاك وهو نفسه المتصل بالفيض الإلهي.

هذا بيد أن أصول العلم الكلي تنص عندنا على إمكان الرجعة أو على نزولها ... وقال أيضاً في رسالة له في الرجعة ما ملخصه: إنّ دور الرجعة من تنمة أنحاء كمالات المعصومين عليهم السلام والأصفياء وليس رجوع نفوسهم الشريفة إلى الدنيا رجوعاً تعلقياً انفعالياً يحتاج إلى استعداد مادي سابق بل هو رجوع فعلي ناشئ عن الجهات الفاعلية التي لا تحتاج في تخصصاتها إلى استعدادات مادية ولا في حصولاتها إلى كفايات عنصرية وإنّما تلك الجهات تلزمها التخصصات والاستعدادات والكفايات، بل الأجساد العنصرية متعلقة بتلك النفوس الكاملة الراجعة بإذن الله ولازم لها متى ما أراد ذلك، فالأمر على عكس تعلق النفوس بالأبدان بل هو تعلق الأبدان بالنفوس.

فليست النفوس في الرجعة تتعلق بالأبدان على نحو الانفعال بها ولا النفوس ترجع عن فعليتها وتتقهقر إلى القوة كما قد يتوهم من الرجعة إلى الدنيا، كما أنه ليس تعلق الأبدان بالنفوس ناتجاً عن الحركة الجوهرية في ظرف الرجعة ووعائها، بل هذا

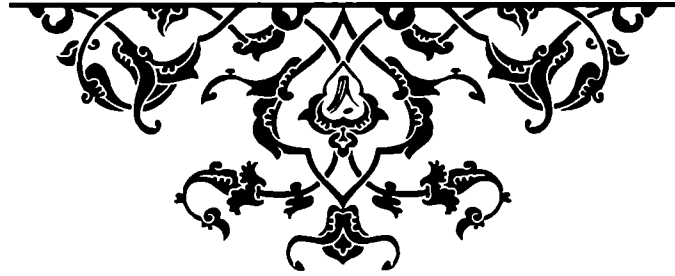
التعلق للأبدان بالنفوس موجود بوجود فعلي لدى تلك النفوس عزمها في دور الرجوع إلى الدنيا تخصصات وضعية وأبدان عنصرية واستعدادات وكمففات جسمانية، فالأبدان هي متعلقة بالنفوس في الرجعة وليست النفوس متعلقة بالأبدان كما أن تعلق الأبدان بالنفوس ليس عن حركة جوهريّة ، بل لكمال فعلي لدى تلك النفوس. انتهى



الفصل الثالث

مصادر

أدلة الرجعة



المصادر القرآنية للرجعة

(١) استقصى الحر العاملي رحمته الله - في الباب الثالث الذي عقده في دلالة الآيات القرآنية الدالة على الرجعة في كتابه (الإيقاظ من الهجعة) - أربعة وستين موضعاً من سور القرآن كل موضع بمثابة طائفة مستقلة من الآيات القرآنية وأكثر تلك الطوائف مشتملة على عديد من الآيات.

(٢) آيات الحجة والرجعة للشيخ محمد علي بن المولى حسن علي الهمداني الحائري في مجلدين جمع فيه ٣١٣ من الآيات في الرجعة والحجة (عجل الله تعالى فرجه) ذكر ذلك المحقق الطهراني في الذريعة ^(١).

المصادر الروائية الحديثية

(١) قال الشيخ المجلسي رحمته الله في البحار: القول بالرجعة التي أجمعت الشيعة عليها في جميع الأعصار واشتهرت بينهم كالشمس في رابعة النهار حتى نظموها في أشعارهم واحتجوا بها على المخالفين في جميع أمصارهم وشنَّع المخالفون عليهم في ذلك وأثبتوه في كتبهم وأسفارهم ... إلى أن قال: وكيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات

(١) الذريعة الى تصانيف الشيعة للمحقق الطهراني ج ١٩ / ص ٣٦٧ / رقم ٣٤/١٦.

العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ...

ثم ذكر جملة من المؤلفين أكثرهم من القرن الثالث والرابع وقلة منهم في القرون اللاحقة، بل ذكر ضمنهم جماعة من أصحاب الأئمة. ثم قال بعد ذلك: وغيرهم من مؤلفي الكتب التي عندنا ولم نعرف مؤلفها على التعيين، ولذا لم تنسب الأخبار إليهم وإن كان بعضها موجوداً فيها وإذا لم يكن مثل هذا متواتراً ففي أي شيء يمكن دعوى التواتر مع ما روته كافة الشيعة خلفاً عن سلف؟!^(١).

أقول: وهذا يفيد أن هناك جملة من المصادر المشتملة على روايات الرجعة لم ينقل عنها المجلسي لعدم معرفة مؤلفيها، وهذا يشير إلى كثرة المصادر الروائية القديمة للرجعة وأن العدد للأحاديث لا ينحصر بالمائتي حديث التي انتقاها رحمته.

ثم قال: وظني أن من يشك في أمثالها فهو شاك في أئمة الدين ولا يمكنه إظهار ذلك بين المؤمنين فيحتال في تخريب الملة القويمة بإلقاء ما يتسارع إليه عقول المستضعفين وتشكيكات الملحدين ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^(٢).

ثم ذكر كلمات جملة أخرى من طبقات الرواة الذين ألفوا في الرجعة.

(٢) استدرك عليه تلميذه في كتابه (عوالم العلوم) ما يزيد على السبعين رواية^(٣).

(٣) جمع الحر العاملي في كتابه (الإيقاظ) ما يقرب من ستمائة وعشرين رواية، وقد ذكر أنه أعرض عن كثير من المصادر الحديثية فضلاً عن استقصاء الروايات الواردة في كل زيارة وكل دعاء وكل ورد والمتضمنة للإقرار بالرجعة وكذلك مرادفاتنا لفظاً في سياق الإقرار بأصول الدين، وذكر أنه لو استقصي ذلك كله لكان كمّاً هائلاً مضاعفاً فوق التواتر، مع أنه قال أيضاً في الباب الأول في المقدمة الثانية عشر: (في ذكر الكتب المعتمدة التي قد نقلت منها أدلة الرجعة وأحاديثها ومقدماتها

(١) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٢٢. ١٢٣.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) عوالم العلوم للشيخ عبدالله البحراني الأصفهاني، ٢٦٠. ٤.

ولم تحضرني جميع الكتب التي تشتمل على الأحاديث بهذا، وفيما حضرني منها بل في بعضها بل في كتاب واحد منها بل في حديث واحد منها كفاية لأهل التحقيق والتسليم، ولم استوفِ جميع ما حضرني، ولا نقلت جميع ما فيها، وإنما نظرت في مظان تلك الأحاديث، وكثيراً ما توجد أحاديث في غير مظانها، ومن تتبع أمكنه الزيادة على ما نقلت من تلك الكتب). انتهى.

ثم أذكر أسماء الكتب التي حضرته.

أقول: فهو يشير في عشر ملاحظات ونقاط إلى أن عدد الأحاديث يفوق الستمائة وعشرين حديثاً بكثير مضافاً إلى عدم توفر جميع الكتب الحديثية لديه وأنه لم يستوفِ استقصاءً واستقراءً جميع ما توفر لديه من كتب بل ولا نقل جميع ما وقف عليه فيها. وقال أيضاً في مطلع الباب الثاني: (وقد رأيت أحاديث كثيرة في الرجعة غير ما جمعتها في هذه الرسالة ولم أنقلها لأن مؤلف ذلك الكتاب غير مشهور ولا معلوم الحال ورأيت رسائل في الرجعة لبعض المتأخرين تشتمل على أحاديث غير ما أوردته ولم أنقلها أيضاً: لاشتمالها على أمور مستبعدة ينكرها أكثر الناس في بادئ الأمر مع أنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى لكن الإقرار بها صعب على الناظر فيها وتحتمل الحمل على المبالغة إذا ثبت ما يعارضها، وفي الأحاديث التي أوردناها بل في بعضها كفاية)^(١).

ثم قال: (ومما يدلُّ على ذلك: كثرة المصنفين الذين رَووا أحاديث الرجعة في مصنفات خاصة بها وشاملة لها وقد عرفت من أسماء الكتب التي نقلنا منها ما يزيد على سبعين كتاباً قد صنفها عظماء علماء الإمامية ...) ثم ذكر جملة وافرة من أسماء الأعلام سواء من الرواة أصحاب الأئمة أو من علماء الطائفة في الغيبة الصغرى أو في بدايات الغيبة الكبرى والقرون اللاحقة، وقال: (وغيرهم فقد صرّحوا بصحة الرجعة ونقلوا أحاديثها)^(٢).

(١) ص ١٠١، الإيقاظ، الحر العاملي.

(٢) ص ٧٣، الإيقاظ، الحر العاملي.

وقال أيضاً: (ومما يدلُّ على أن صحة الرجعة قد صارت ضرورة عند كل من تتبع الأحاديث: أنك لا تجد في الضروريات - كوجوب الصلاة وتحريم الزنا - أكثر من الأحاديث الدالة على صحة الرجعة)^(١).

وقال في الباب الثاني أيضاً في الوجه الثامن من الوجوه الدالة على الرجعة: (الثامن: أنا مأمورون بالإقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات وكل وقت كما أنا مأمورون بالإقرار في كثير من الأوقات بالتوحيد والنبوة والإمامة والقيامة وكل ما كان كذلك فهو حق والصغرى ثابتة بالنقل المتواتر)^(٢).

أقول: وليته نقل تلك الأحاديث! فإن كثيراً من تراث المعارف قد ضاع وحرمت منه الإنسانية بسبب قصور أفق الأجيال السابقة عن تحمل المعارف الباهرة لكون أفق العقل آنذاك غير بالغ المستوى الحالي وغير ناضج إلى مستوى الإدراك البشري الراهن فيما يتعاقب من تطور ونضوج للعقل البشري.

وكلامه يشير إلى أنّ ما ورد في روايات الأدعية، وروايات الزيارات، وروايات الأوراد والأذكار تبلغ عدداً كبيراً جداً ولم يورد هذا الكم من هذه الأبواب أحد ممن كتب في الرجعة؛ وذلك لأنّ هذه الروايات في هذه الأبواب أكثر من أن تحصى وتستقصى من ناحية ومن ناحية أخرى ذكر الرجعة في هذه الروايات قد يكون في كلمة من الزيارات أو جملة من الدعاء أو كلمتين من الورد أو الذكر فلا تحظى لدى الباحث والكاتب في الرجعة باهتمام كي يوردها في ضمن روايات الرجعة، لاسيما وأنّ الروايات في هذه الأبواب هو بعنوان الزيارة أو الدعاء أو الورد أو الذكر لا بعنوان الرجعة كمسألة اعتقادية فلا تسترعي انتباه المتتبع والباحث فتغيب عن دائرة تتبعه وتعداد الأحاديث التي يستقصيها.

ويشير أيضاً إلى أنّ روايات هذا الباب تدشن الرجعة في مصاف أصول الدين

(١) ص ٨٣، الإيقاظ، الحر العاملي.

(٢) ص ١٠٢، الإيقاظ، الحر العاملي.

وتربي المكلف على حفظ الاعتقاد بها كل يوم في كل ورد ودعاء وزيارة لاسيما وأنها ترد بالفاظ مترادفة أخرى عديدة جداً لا بخصوص الرجعة.

خمسون أو سبعون ألف حديث في الرجعة

وسياتي في مصادر العامة الحديثية والرجالية أن الخمسين أو السبعين ألف حديث التي يرويها جابر بن يزيد الجعفي عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام هي في الرجعة. وهذا الذي ذكره غير مستبعد بعد ما أشار إليه الحرّ العاملي أن ما من رواية في زيارة أو دعاء أو ورد وذكر إلا وهي متضمنة للرجعة أو مرادفات لها ولو بكلمة ، والذي ذكره بين ظاهر لمن تدبر وتتبع بتركيز وتدقيق .

٤) كتاب (تفريج الكربات في إثبات الرجعة) ألفه السيد محمود بن فتح الله الحسيني الكاظمي النجفي الذي كان معاصراً للشيخ الحر، فقد أودع في كتابه ما يقرب من خمسمائة حديث - كما صرح هو بذلك - وأشار الحر العاملي إلى أنه لم يعتمد أحاديث كتاب هذا السيد! ويظهر من كلام الحر أن السيد ألف كتابه قبل كتاب الإيقاظ، وهذا يفيد أن الخمسمائة حديث التي رواها السيد في كتابه جُلّها لم يروها الحر في كتابه والذي قد اشتمل على ستمائة وعشرين حديث وهذا يقرر أن إجمالي عدد أحاديث الرجعة في هذين الكتابين فقط يربو على ألف حديث.

قال الحر العاملي في مقدمة كتابه: وقد جمع بعض السادات المعاصرين رسالة في إثبات الرجعة التي وعد الله به المؤمنين والنبي والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين) وفيها أشياء غريبة مستبعدة! لم يعلم من أين نقلها ليظهر أنها من الكتب المعتمدة فكان ذلك سبباً لتوقف بعض الشيعة عن قبولها حتى انتهى إلى إنكار أصل الرجعة وحاول إبطال برهانها ودليلها وربما مال إلى صرفها عن ظاهرها وتأويلها مع أن الأخبار بها متواترة والأدلة العقلية والنقلية على إمكانها ووقوعها كثيرة متظافرة. انتهى.

ومفاد كلامه يعطي ما ذكرناه، وأمّا استبعاده للروايات ففي غير محله - كما سيظهر في الأبواب الآتية - بل لها قراءة عقلية على طبق القواعد والموازن.

وقال في الذريعة: إنّ الحر عنى بذلك السيد الجليل محمود بن فتح الله الحسيني الكاظمي النجفي - معاصر الشيخ الحر والمجاز من الفاضل الجواد الكاظمي تلميذ الشيخ البهائي - في كتابه إثبات الرجعة الذي ذكر فيه أحاديث الرجعة وأنّ اسم الكتاب الأصلي (تفريج الكربة في إثبات الرجعة) ^(١).

وذكر له كتاباً في أصول الدين ذكر في خاتمته بعد المعاد قوله فيها: ومما ينبغي اعتقاده: رجعة مُحمّد وأهل بيته على نحو ما ذكرناه في كتابنا الموضوع للرجعة أنّه إذا كانت السنة التي يظهر فيها (قائم آل مُحمّد) وذكر في هذا المختصر - كما بين ذلك المحقق الطهراني في الذريعة بقوله: المختصر الذي أورده في الخاتمة كثيراً من الغرائب المستبعدة التي أشار الشيخ الحر إليها في أوّل كتابه (إيقاظ الهجعة).

وقال في الذريعة أيضاً: رأيت نسخته (تفريج الكربة في إثبات الرجعة) عند السيد محمد باقر حفيد الآية الطباطبائي اليزدي وهي ضمن مجموعة بخط العالم الكامل الفاضل المولى مُحمّد الجاني ورأيت أوصاف الكاتب كذلك بخط العالم الجليل الشيخ خضر بن شلال العفكاوي النجفي.

ثم قال: وذكرت في الكرام البررة ترجمته وبعض تصانيفه ثم إنّ المؤلف بعد أن ذكر في الخاتمة رجعة سائر الأئمة واحداً بعد واحد على نحو الإرسال، قال: ما ذكرناه هنا ملتقط من روايات الأئمة عليهم السلام واعتقاد رجعتهم واجب وإنّما قلنا (ينبغي) اتقاء من خلاف بعض العلماء، حيث يظن أنّ المراد بالرجعة قيام القائم. والحق أنّ رجعتهم حقاً بنص الأخبار ولا يسمع دعوى أنها آحاد بعد ظاهر القرآن ونص نحو خمسمائة حديث ولو لم يكن إلّا إنكار المخالفين لكفى ^(٢).

وقال في مقدمة كتابه: إنّ (لم يرو فيها ما تشمئز منها النفوس)، وقال: (رسالة يرغب فيها أرباب المعقول)، فهذان قيدان في كلامه للروايات التي استخرجها في

(١) الذريعة، ج ٢، ص ١٩٣، وذكر أن له كتاب (أصول الدين) وفي خاتمته بعد المعاد بحث الرجعة.

(٢) الذريعة تحت عنوان (أصول الدين)، رقم المسلسل ٧٣٦ المجلد الثاني صفحة ١٩٣، (ج ٢ ص ١٩٣).

الرجعة وأنه لم يرو في الرجعة كل ما وجدته هذا رغم أن الحر العاملي أكد مرتين أنه لم يرو كل ما رواه السيد فهذا انتقاء من منابع روايات الرجعة وبقي روايات عديدة لم يروها.

روايات الرجعة في كتب الغيبة

٥) ذكر المجلسي أن أكثر الأصحاب الأقدمين ذكروا روايات الرجعة فيما صنفوه في الغيبة، قال: (وأما سائر الأصحاب فإنهم ذكروها فيما صنفوا في الغيبة ولم يفرّدوا لها رسالة وأكثر أصحاب الكتب من أصحابنا أفرّدوا كتاباً في الغيبة^(١)). أقول: وما أشار إليه المجلسي بالغ الأهمية فإن أكثر أصحاب الكتب الروائية - الذين ألفوا في الغيبة - لم يُفرّدوا ولم يفصلوا روايات الرجعة عن روايات غيبة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) لما يوجد من الترابط والتلاحم بين الغيبة والرجعة باعتبار أن الظهور فاتحة الرجعة.

الرجعة في مصادر الحديث للعامة

وأما العامة فقد رووا روايات الرجعة بكمّ متواتر لكن لا بلفظ الرجعة بل بألفاظ مراحل الرجعة وفصولها من دون أن يستشعروا أنها من مسلسل أحداث الرجعة والأبواب التي أوردوا فيها تلك الروايات.

هذا مضافاً إلى ما سيأتي من كلماتهم الكثيرة أن جابر الجعفي قد روى خمسون أو ثمانون ألف حديث في الرجعة عن الإمام أبي جعفر الباقر (عليه السلام).

وأما الأبواب والعناوين التي رووها في فصول الرجعة من غير التفات منهم إلى ارتباطها بالرجعة:

١ - ملاحم آخر الزمان.

(١) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٢٤.

- ٢ - كتان الفتن.
 - ٣ - خروج وظهور الآيات.
 - ٤ - ظهور الشمس من مغربها.
 - ٥ - ما رووه في نزول النبي عيسى عليه السلام.
 - ٦ - علامات وأشراط الساعة.
 - ٧ - خروج دابة الأرض.
 - ٨ - العصا والميسم.
 - ٩ - الحوض.
 - ١٠ - الحشر والمحشر والبعث والنشور.
 - ١١ - الحساب.
 - ١٢ - الحاشر من أسماء النبي ﷺ.
 - ١٣ - العاقب من أسمائه ﷺ أيضاً.
 - ١٤ - الماحي من أسمائه ﷺ أيضاً.
 - ١٥ - المنصور والسفاح والمهدي من أهل البيت عليهم السلام.
 - ١٦ - ما رووه في ذي القرنين.
 - ١٧ - ما رووه في أصحاب الكهف.
- وغيرها من الأبواب والفصول التي يقف عليها المتتبع بعد إمامه تحليلاً وغوراً بما جاء عن أهل البيت عليهم السلام من حقائق أحداث الرجعة وفصولها ومراحلها فيتعرف على ارتباط كل ذلك بالرجعة ومسلسل أمورها ، وإلا لن يظهر له من الروايات ما كان بلفظ الرجعة ولن يتعرف على مرادفاتها اللغوية فضلاً عن مرادفاتها العقلية الغامضة فضلاً عن مرادفاتها الوجودية الأشدّ خفاءً.

الرجعة في العهدين: التوراة والإنجيل

وقد تقدم في طعن أحمد أمين في كتابه على عقيدة الرجعة بأنها عقيدة متأصلة

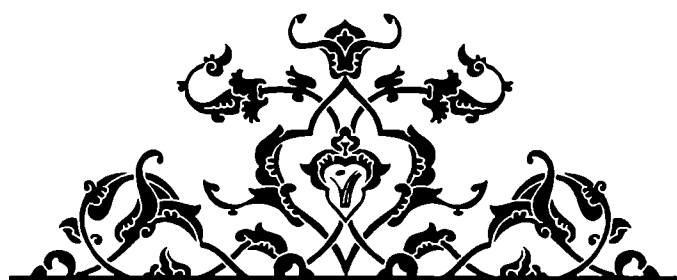
في التوراة وأنها متجذرة فيها بكثافة في أسفارها ، وكيف لا يكون الحال كذلك وقد أكثر القرآن في عدة سور من ذكر قصص وقوع رجعة الأموات في بني إسرائيل، وقد كثرت تنبأتهم في عصرنا الحاضر عن توقيت زمان رجوع الموتى كما يوقتون ظهور المسيح .

والحاصل أن الاعتقاد بها متجذر في مصادرهم كما هو الحال في ظهور المصلح الإلهي، ويحتاج إلى دراسة متكاملة الأطراف في مصادرهم مشفوعة بالتحليل والتبويب الهندسي للمباحث .

وكذلك الحال في الإنجيل، وقد بدأت الثقافة الغربية في مسلسلات استكشاف المستقبل إنتاج أفلام كثيرة عن عود الموتى ومشاركتهم الأحياء في مجمل الأحداث الواقعة.

والحاصل أن رجعة الأموات باتت ثقافة عصرية تلهج بها الأفكار البشرية، ولا يقتصر البحث والتنقيب والتتبع على العهدين بل المفروض توسعته إلى مجمل الكتب السماوية الموروثة بأيدي البشر رغم التحريف الواقع فيها فإن ذلك لا يسد باب الاحتجاج والتنقيب البحثي المعرفي كما احتج القرآن أيضاً على اليهود بالتوراة الموجودة واحتج على النصارى بالإنجيل الموجود.

وكذلك الحال بالنسبة إلى الملل والنحل الأخرى والموروث الاعتقادي لديهم .



الفصل الرابع

الرجعة والقرآن



آيات وقوع الرجعة في الامم السابقة

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّوُوفٌ رَحِيمٌ﴾^(١).

الأولى: قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(٢).

وفي هذه الآيات مثال رجعة الإنسان والحيوان .

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُ تَوَمِّنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

مع أن سؤال إبراهيم عليه السلام عن عموم طبيعة الأحياء إلا أن إحياءه كان لأربعة من الطير

(١) سورة البقرة: الآية ١٤٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٥٩.

كما أن الإحياء أجراه الله تعالى على يديه فرجة الطيور وقعت على يديه .

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخَيِّ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَنْبِئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُّؤْمِنِينَ﴾^(١).

وإحياء الموتى معجزة أجراها الله تعالى على يدي النبي عيسى عليه السلام وهي إرجاع الموتى إلى دار الدنيا ، وهو مؤشر إلى أن الرجعة العامة لعموم البشر معجزة يجريها الله تعالى على يدي النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام .

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلٍ لِّلْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(٢). وهذه الآية تتعرض لرجعة مستقبلية للنبي عيسى عليه السلام بناءً على أن رفعه للسماء توفٍ، وهي متطابقة مع الرجعة المزامنة لأول الظهور .

الخامسة: ما ورد من آيات في السبعين الذين اتهموا موسى عليه السلام بقتل هارون عليه السلام وطلبوا رؤية الله جهرة فأماتهم الله ثم أحياهم:

(أ): ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ ۖ ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣).

(ب): ﴿وَاخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنَّ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَاءُ وَتَهْدِي مَن تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾^(٤).

السادسة: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٩.

(٢) سورة النساء: الآية ١٥٩.

(٣) سورة البقرة: الآيتان ٥٥ - ٥٦.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٥٥.

رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

وقد ورد في روايات أهل البيت عليه السلام أن الصعق موت لموسى عليه السلام كما ورد اللفظ نفسه في السبعين الذين أخذتهم الصاعقة .

السابعة: قوله تعالى في قصة الذين خرجوا حذر الموت : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أَلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾^(١).

الثامنة: قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُوتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

والضمير في (اضربوه ببعضها) يرجع إلى البقرة التي أشير إليها في قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوعًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾^(٣).

فجعل الله إحياء الشاب المقتول على ضربه ببعض لحم البقرة فكيف إذا مس الميت بدن أحد أنبيائه أو خلفائه في أرضه من الأوصياء عليه السلام .

التاسعة: قوله تعالى : ﴿فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿٣﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا﴾.

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ... إلى قوله: وَكَذَلِكَ أَغَثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾.

وهذه الآية ناصة على أن رجعة أصحاب الكهف آية وبرهان على المعاد الأكبر والاستدلال بالآية وبما تقدم من بعض الآيات المتقدمة مبني على ما تمّ تنقيحه من اتحاد حقيقة النوم والموت في الجنس وإن اختلفت درجات كل منهما بنحو متفاوت

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(٢) سورة البقرة: الآيتان ٧٢ - ٧٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٦٧.

كبير جداً في كل واحد في درجاته فضلاً عن مقارنته بالآخر .

العاشرة: قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ فَاكْشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ﴾^(١).

فأرجع الله تعالى له أهله وأولاده بعد ما أماتهم الله تعالى ، وهذه السنة سيجريها الله تعالى في أمير المؤمنين عليه السلام وسيجمع له أولاده.

الآيات الدالة على قاعدة أن ما وقع في الأمم السابقة يقع في هذه الأمة

(١) قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَكِنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(٢).

(٢) قوله تعالى: ﴿اسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾^(٣).

(٣) قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ * وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ * وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾^(٤).

أي ليجرين عليكم ما جرى على الأمم السابقة بنحو متطابق طبقاً عن طبق .

(٤) قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا * سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا﴾^(٥).

هذا مضافاً إلى ما استفاض عن النبي ﷺ عند الفريقين من قوله: إنه سيجري على

هذه الأمة كل ما جرى على الأمم السابقة أو على بني إسرائيل .

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨٤

(٢) سورة الفتح: الآية ٢٣.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤٣.

(٤) سورة الانشقاق: الآيات ١٦ - ١٧ - ١٨.

(٥) سورة الأسراء: الآية ٧٧.

التفويج في الحشر الخاص عند خروج الآيات

الطائفة الأولى والثانية: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾^(١).

وهذه الآية في سياق شأن خروج دابة الأرض في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ * وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا جَاؤُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَآذَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنْطِقُونَ...﴾.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوَةٍ دَاخِرِينَ﴾ * وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسِبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ * مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُمْ مِّنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ * وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ... إلى قوله: وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

(٢) قوله تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ * يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا * وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا * وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا * إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا * لِلطَّاغِينَ مَابًا * لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَفِيهَا أُخْقَابًا﴾.

وهي تستدعي بحثاً مستقلاً وهي تشترك مع آية دابة الأرض وآية الحشر الخاص أنها في الذين وقعوا في التكذيب بالآيات.

(٣) ثم إنَّ هناك آيات عديدة دالة على أنَّ الحشر في القيامة لمجموع البشر و للكل، ومنها:

(١) سورة النمل: الآية ٨٣

(٢) سورة النمل: الآيات ٨٧ - ٩٣.

١. قوله تعالى: ﴿فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾^(١).
٢. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاءُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^(٢).
٣. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنَّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِّنَ الْإِنْسِ﴾^(٣).
٤. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ﴾^(٤).
٥. وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَا هُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٥).

ووجه دلالة آيات سورة النمل المتقدمة على الرجعة من وجوه:

الأوّل: أنّ الحشر في الآية لبعض الناس لا كلهم، فإنّ (من) في ﴿من كلّ أمة فوجاً﴾ للتبعيض فالحشر التبعيضي يغيّر الحشر المجموعي، والذي سيقع في القيامة الكبرى والمعاد الأكبر هو الحشر العام لا الحشر الخاص، فالحشر الخاص لا محالة يغيّر يومه و يباين يوم الحشر العام الذي هو يوم القيامة الكبرى.

وتخصيص الحشر بالبعض يدفع ما يتوهم من (أنّ الآية في صدد تخصيص الهوان والتعذيب بالمكذّبين لا تخصيص الحشر وإنّما ذكر مقدمة لذلك)؛ لأنّ تخصيص الحشر يغيّر تخصيص التوبيخ والتقريع فإنّ الحشر لا مخصص له يوم القيامة بأحد، بل الحشر يتناول الجميع والمجموع ثم بعد الحشر يخصص كل بما يستحق، فأين تخصيص الحشر من تخصيص العذاب والتقريع؟ وكم بينهما من الفرق؟

الثاني: أن تعقيب هذا الحشر الخاص في آية سورة النمل بآيات بعدها متصلة

(١) سورة النساء: الآية ١٧٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٢٢.

(٣) سورة الأنعام: الآية ١٢٨.

(٤) سورة يونس: الآية ٢٨.

(٥) سورة الكهف: الآية ٤٧.

بالنفخ في الصور الظاهر في نفخ القيامة، فهو مما يدلُّ على تقدم الحشر الخاص على نفخ الصور.

الثالث: أنَّ هذه الآية متصلة بخروج الدابة، وخروج دابة الأرض قبل القيامة الكبرى كما في روايات الفريقين المتواترة، وآية الدابة وآية الحشر الخاص تتحدث عن أمر متعدد، وهو تكذيب المكذبين بآيات الله، والآيات جمع وليست مفرداً فلا تحمل الآية على خصوص المكذبين بسيد الأنبياء ﷺ، بل لا محالة تشمل المكذبين لأهل بيته ﷺ أيضاً لتعارف إطلاق الآية في القرآن على حجج الله تعالى، كما في إطلاقها على النبي عيسى وأمه مريم ﷺ.

الرابع: تعبير آية الدابة وآية الحشر الخاص وأنَّ كلاً منهما إذا ﴿وقع القول عليهم﴾ الدالُّ على وحدة الحديث والوقت والزمان، وسنسط جملة من الكلام فيما سيأتي من أنَّ روايات العامة في خروج دابة الأرض كلها خروج حجة الله تعالى على الناس وأنَّ الخروج من الأرض - وهو عنوان الرجعة - في مقابل الخروج من أرحام الأمهات.

وقد تعرض جملة من مفسري العامة للآية في تفاسيرهم، ومنهم:

١ - قال السيوطي في ذيل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّنْ يُكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾: رؤساؤهم المتبعون فهم يوزعون، أي يجمعون برد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون^(١) أي كأن الحشر تدريجي فيحشر الكل بالتالي، وهذا ينافي التبعض وأنَّ الذين يجمعون هم الأبعاض الذين حشروا من كل أمة لا حشر الكل من الكل ولا جمع كل الكل.

٢ - وقال الرازي في ذيل قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَخْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مَّمَّنْ يُكْذِبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال: فاعلم أنَّ هذه الأمور الواقعة بعد قيام القيامة، فالفرق بين (من) الأولى والثانية، أنَّ الأولى للتبعض والثانية للتبين، كقوله (من الأوثان).

(١) تفسير الجلالين ذيل الآية ٨٣ من سورة النمل.

أما قوله: ﴿فهم يوزعون﴾ معناه: يحبس أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار، وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد أطرافه، كما وصفت جنود سليمان بذلك^(١).

والجواب: ما مرّ وليس في الآية كبكبتهم وإنما لصقها من آيات أخرى، بل في آيات سورة النمل كما مرّ تعقب النفخ في الصور بعد الحشر الخاص الذي هو في الرجعة.

إشكالات الألوسي في دلالة الآية على الرجعة

قال الألوسي في ذيل قوله تعالى:

أول من قال بالرجعة عبد الله بن سبأ، ولكن خصها بالنبي ﷺ وتبعه جابر الجعفي في أول المائة الثانية، فقال برجعة الأمير أيضاً، لكن لم يوقتها بوقت، ولما أتى القرن الثالث كثّر أهله من الإمامية، فقالوا برجعة الأئمة كلهم وأعدائهم وعينوا لذلك وقت ظهور المهدي، واستدلوا على ذلك بما روه عن أئمة أهل البيت، والزيدية كافة منكرون لهذه الدعوى إنكاراً شديداً. وقد ردوها في كتبهم على وجه مستوفى بروايات عن أئمة أهل البيت أيضاً تعارض روايات الإمامية.

٢- والآية المذكورة هنا لا تدلُّ على الرجعة حسبما يزعمون ولا أظن أن أحداً منهم يزعم دلالتها على ذلك، بل قصارى ما يقولون إنها تدلُّ على رجعة المكذبين أو رؤسائهم، فتكون دالة على أصل الرجعة وصحتها لا على الرجعة بالكيفية التي يذكرونها، وفي كلام الطبري ما يشير إلى هذا.

٣- وأنت تعلم أنه لا يكاد يصح إرادة الرجعة إلى الدنيا من الآية لإفادتها أن الحشر المذكور لتوبيخ المكذبين وتقريعهم من جهته (عزَّ وجلَّ)، بل ظاهر ما بعده يقتضي أنه تعالى بذاته يوبخهم ويقرعهم على تكذيبهم بآياته سبحانه، والمعروف من

(١) تفسير الفخر الرازي: ج ٢٤، ص ٢١٨.

الآيات لمثل ذلك هو يوم القيامة.

٤ - مع أنها تفيد أيضاً وقوع العذاب عليهم واشتغالهم به عن الجواب ولم تفد موتهم ورجوعهم إلى ما هو أشد منه وأبقى وهو عذاب الآخرة الذي يقتضيه عظم جنايتهم، فالظاهر استمرار حياتهم وعذابهم بعد هذا الحشر ولا يتسنى ذلك إلا إذا كان حشر يوم القيامة.

٥ - وربما يقال أيضاً مما يأبى انطباق الحشر المذكور على الرجعة: أن فيه راحة لهم في الجملة، حيث يفوت به ما كانوا فيه من عذاب البرزخ الذي هو للمكذبين، وهو كيفما كان أشد من عذاب الدنيا، وفي ذلك إهمال لما يقتضيه عظم الجناية.

٦ - وأيضاً كيف يصح إرادة الرجعة وفي الآيات ما يأبى ذلك، منه: قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

فإن آخر الآية ظاهر في عدم الرجعة مطلقاً وكون الإحياء بعد الإماتة.

٧ - والإرجاع إلى الدنيا من الأمور المقدورة له (عَزَّ وَجَلَّ) مما لا ينتطح فيه كبشان، إلا أن الكلام في وقوعه وأهل السنة ومن وافقهم لا يقولون به، ويمنعون إرادته من الآية ويستندون في ذلك إلى آيات كثيرة. انتهى^(١).

والجواب عن الأول: أننا قد أثبتنا من روايات العامة الواردة في دابة الأرض وفي العصا والميسم لها، وفي أشراط الساعة وفي ملاحم آخر الزمان وغيرها من الأبواب التي تقدمت الإشارة إليها وسيأتي المزيد من الكلام عنها - والمروية لديهم باستفاضة وتواتر في فصول وأبواب عديدة عن النبي ﷺ وعن الصحابة مما ظاهر أنهم يروونه عن النبي ﷺ وإن أضمرنا الإسناد، وأن تلك الروايات كلها في شؤون الرجعة ورجوع حجج الله تعالى ورجوع الموتى، وأن خروج الدابة من الأرض لا من الرحم، هو عنوان الرجوع من القبر ومن التراب، وشواهد عديدة في رواياتهم أنه علي بن أبي طالب عليه السلام،

(١) روح المعاني: ج ٢٠، ص ٢٧.

وهذا قبل أن يدخل عبد الله بن سبأ اليهودي في الإسلام.
وأما وجود عقيدة الرجعة في التوراة والإنجيل فهذا حق، فإن جملة من أصول
العقيدة مما اتفقت كل الكتب السماوية بالتصريح بها، وهذا مما يعزز أن عقيدة الرجعة
من الدين الواحد بين بعثات الأنبياء والرسل، لا من الشرايع المنسوخة.
وأما الزيدية فقد ذكرنا عن غير مصدر أن الجارودية من الزيدية يقولون بها،
وهي فرقة كبيرة منهم.

وعن الثاني: وهو أن دلالة الآية تدلُّ على حشر خصوص رموز المكذبين
ورؤسائهم وعتاتهم، وهذا في الأدوار الأولى من مراحل الرجعة، وهو الذي وردَ
مستفيضاً عن أهل البيت عليه السلام أنه إنما يرجع من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر
محضاً دون المستضعفين ونحوهم وإن كان الأصح في معنى هذه القاعدة المروية
مستفيضاً عنهم عليه السلام هو أنه لا يسائل ولا يحاسب ولا يعاقب في الرجعة إلا من محض
الإيمان ومن محض الكفر كما هو الحال في مسألة القبر لا أن أصل الرجوع مخصوص
بالممحض كما أن ولوج القبر لا يختص بالممحض بل يشمل المستضعف والبله
والصغار وغيرهم وإنما تختص المحاسبة والمسائلة بالممحض فكذلك الرجعة كما
أفصحت عن ذلك إحدى الصحاح من الروايات.

وعن الثالث: أن الرجعة إحدى غاياتها الانتقام من المجرمين في دار الدنيا قبل
الآخرة، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ﴾
فالعذاب الأدنى في الرجعة، كما نبّه وبين ذلك أهل البيت عليه السلام في رواياتهم والعذاب
الأكبر في القيامة والآخرة بعدها والتقابل في الوصف ظاهر.

وأما كون التعذيب من الله تعالى فهو صادق على التعذيب الصادر من حجج الله
تعالى وأصفياه، كما في قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾، وإلا فإن الذات
الإلهية لا تباشر الأفعال الجسمانية، بل يخلقها الباري تعالى ويُجريها على أيدي أوليائه
وملائكته.

وعن الرابع: فالعجيب منه اعتراضه هذا! فإن الآيات اللاحقة لآية الحشر الخاص

تسوق وقوع النفخ في الصور بعده، فكيف لا تفيد موتهم بعد ذلك الحشر الخاص!
وعن الخامس: أنَّ الحشر الخاص ليس تخفيفاً من عذاب المكذبين، بل إرجاعهم انتقاماً منهم في الدار التي ارتكبوا فيها ما ارتكبوا من الجنايات، وهو المعبر عنه في قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَثْوَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وعن السادس: فهناك عدّة وجوه للآيات النافية لطلب الرجعة:
الأوّل: أنَّ النفي في بعض تلك الآيات - كما في سورة يس - إنّما هو للأقوام التي أهلكت بالعذاب الإلهي العاجل في دار الدنيا، فهؤلاء مستثنون من الرجعة، كما دلّ عليه قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١) كما أشارت الروايات في بيان الآيات، وسيأتي بيان ذلك في الباب الثالث.

الثاني: أنَّ المنفي هو الرجعة عند الموت بأنّ يؤخر وينسى موته عن الحياة الأولى، لا مطلق الرجعة بعد الموت بأمد ومدة.

الثالث: أنَّ المنفي هو رجعة أهل النار بعد دخولهم في الآخرة الأبدية للنار الكبرى، كما في قوله تعالى: ﴿اٰخِسُوْا فِيْهَا وَلَا تَكَلِّمُوْنَ﴾^(٢)، أو في يوم القيامة الكبرى، فإنّهم لا يرجعون إلى دار الدنيا.

الرابع: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^(٣).

ومن تفسيرها: أنَّ البعث قد أطلق مع الرجعة، كما أنَّ مطالبة من استحق العذاب بالرجوع، وليس هو الرجوع في الرجعة كي يستدل بهذه الآية لنفي الرجعة لمن محض الكفر محضاً، بل إنّما يطالب بالرجوع بأن لا يموت ولا يدخل البرزخ بينما الرجعة هي

(١) سورة الأنبياء: الآية ٩٥.

(٢) سورة المؤمنون: الآيات ١٠٨ - ١١١.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٩٩.

بعد البرزخ بعثاً من البرزخ إلى الدنيا مرة أخرى، ومن ثم إشارة الآية أن من وراء الموت برزخاً ممتداً إلى غاية البعث، وكما أن هنالك بعثاً في القيامة الكبرى فهناك بعث في القيامة الوسطى والصغرى. وهذه الآية نظير ما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾.

آية دابة الأرض وخروج ومجيء الآيات

(٢) قوله: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(١) وقد أشبعنا البحث في دلالتها في فصل دابة الأرض في تراث العامة والجمهور فيما يأتي.

والخروج من الأرض عنوان قرآني للرجعة يقابل الحياة الأولى من الدنيا الذي هو خروج من الأرحام، وقد قرأها أبي (تنبههم) وقرأها ابن مسعود (تكلمهم بأنَّ الناس) وقرئت (إن) مكسورة حكاية لقول الدابة.

فإن قيل: إذا كانت حكاية لقول دابة الأرض فكيف يقول (بآياتنا)؟

وأجاب الفخر الرازي: بأنَّ قولها حكاية لقول الله تعالى أو على معنى بآيات ربنا أو لاختصاصها بالله تعالى أضافت آيات الله إلى نفسها، كما يقال: بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا، وإنما خيل مولاه وبلاده. انتهى

وهذه دلالة في الآية على أن دابة الأرض لها مقام إلهي وأنها حجة ناطقة عن الله تعالى وتداين وتحاسب البشر وأنها مبعوثة من الله تعالى لإقامة العدل الإلهي في الأرض.

٣- قوله تعالى: ﴿سَنَسِمْهُ عَلَى الْخُرْطُومِ﴾ والضمير يرجع إلى الحلاف المهين والهماز المشاء بالنميم والمناع للخير المعتدي الأثيم والعُتلّ والزنيم، والمسنوم على

الخرطوم - حسب روايات الفريقين - عند خروج دابة الأرض، ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتسم الكافر على خرطومه بأنه كافر أو منافق، وتسم المؤمن على ناصيته بأنه مؤمن.

فالأية الكريمة واضحة الدلالة بقرينة (دابة الأرض) وروايات الفريقين في ذيلها أنّ الكفار والمنافقين يعودون إلى الدنيا في زمن دابة الأرض ويوسمون على خراطيمهم - وهي أنوفهم - بالكفر والنفاق، وأنّ ذلك الشخص الذي نزلت في مورده هذه الآيات ووصفته بتلك الأوصاف يرجع في زمن خروج دابة الأرض.

٤ - نعم يرتبط بهذه الآية ما في مجيء الآيات في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ انتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾^(١).

وقد فسرها كثير من مفسري العامة بمجيء أشراط الساعة التي منها دابة الأرض وظهور الشمس من مغربها، وقد استوفينا جملة من الكلام في ذلك في روايات دابة الأرض.

٥ - قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْزِلَ آيَةً وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٢).

٦ - قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(٣).

٧ - نزول النبي عيسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِكَ وَرَأَيْكَ إِلَى وَمُطَهَّرِكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَخُكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٣٨.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢١٠.

فَاعْزِبْهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ * وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمُ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ^(١).

الطائفة الثالثة: استثناء الأمم الهالكة بالعذاب من الرجوع في الرجعة الرجوع في الرجعة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ * وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ * حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ * وَقَاتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ^(٢)﴾.

وقبل الخوض في دلالة الآية لابد أن نلفت إلى محطات ومواد متفق عليها في دلالة الآية أو مال إليها الكثير إن لم يكن الأكثر:

المحطة الأولى: أنه قد وقع اختلاف كثير بين المفسرين في لفظة (لا) في الآية وهل هي زائدة أو أصلية؟ ورغم أنها نقطة خلافية، لا وفاقية، ولكننا نستشعر منها وفاقاً في عدم تعين كون معنى الآية هو الرجوع إلى الدنيا عند الموت لا الرجوع بعد الموت إلى الدنيا، كما قد يدعي البعض أن هذا المفاد مُسلم في الآية.

المحطة الثانية: أن الرجعة في الآية عند الأكثر من المفسرين - إن لم يكن الأغلب - هي الرجعة إلى الدنيا، وليس المراد بها الرجعة إلى الله في القيامة.

المحطة الثالثة: أن الإهلاك في الآية بمعنى العذاب والاصطلام، وقد ذهب إليه الكثير من المفسرين وليس بمعنى مجرد الموت.

وأشار الراغب الأصفهاني في المفردات إلى أن الإهلاك للذم إلا ما استثنى، كما في قوله تعالى: ﴿هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ

(١) سورة آل عمران: الآية ٦٦.

(٢) سورة الأنبياء: الآيات ٩٤ - ٩٧.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٤٧.

الْفَاسِقُونَ»^(١) وما ورد في سورة العنكبوت في شأن قوم لوط^(٢)، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا»^(٣)، وقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادُ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ»^(٤) وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ»^(٥) وقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ»^(٦) وغيرها من الموارد العديدة في الآيات التي أسند فيها الإهلاك إلى القرى بمعنى العذاب والاستئصال.

المحطة الرابعة: أنّ هذه الآية الكريمة أتت بعدها ذكر بأجوج ومأجوج وخروجهم متفق عليه، وأنه قبل يوم القيامة. ومن ثم ذكر اقتراب الوعد الحق أي ساعة القيامة، وهذا يشكل قرينة على أنّ الرجعة المنفية عن كل قرية أهلكت، هي الرجعة إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

فيبقى حينئذٍ دوران الأمر في هذه الرجعة إلى الدنيا بين كونها رجعة إلى الدنيا عند أوان وحين الإماتة، وعند بلوغ الروح التراقي والتي مرّ أنّها منفية عن سنة الله تعالى إلا ما شاء الله، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ * وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ * وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ * فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ * تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^(٧).

أو بين كونها الرجعة إلى الدنيا بعد الموت والمكث مدة في البرزخ - سواء طالت أم قصرت - بفاصل زمني مديد قبل يوم القيامة، وهي التي تعتقد بها مدرسة أهل

(١) سورة الأحقاف: الآية ٣٥.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٣١.

(٣) سورة الإسراء: الآية ١٦.

(٤) سورة الحاقة: الآيتان ٥ - ٦.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٣١.

(٦) سورة القصص: الآية ٥٩.

(٧) سورة الواقعة: الآيات ٨٣ - ٨٧.

البيت ﷺ وأنها بعث أصغر.

وحينئذ يقع الكلام في كون (لا) زائدة أو أصلية؟ وهل هي متعلّقة للحرمة أو عطف بدل عن الحرام؟ فإذا كانت عطف بدل تكون تفسيراً لنفس الحرمة لا أنها متعلّقة الحرمة فيكون حاصل المعنى حينئذٍ على تقدير كون الإهلاك بمعنى العذاب: أن كل قرية أهلك بالنعمة والعذاب الإلهي العاجل، لا ترجع هي على وجه الخصوص قبل يوم القيامة بخلاف بقية الأمم والقرى التي إمّا أن تكون مؤمنة أو كافرة وضالة لكنّها لم يعاجل لها العقوبة والنعمة الإلهية، فإن لها رجعة ويرجعون إلى دار الدنيا.

فالآية على هذا التقدير في صدد التفصيل بين الأمم وأنّ الأمم المغضوب عليها والذين عوجلوا بالعذاب لا يمهلون بامتحان آخر في دار الدنيا، بل يساقون إلى بعث الآخرة دائبين في العذاب حتّى ذلك الميعاد، وحيث قد عرفت أنّ الإهلاك في الآية بمعنى تعجيل النعمة فتخصيص القرى والأمم الهالكة بالعذاب بهذا المنع التكويني منه تعالى، يقتضي - مفهوماً - وجود هذا الرجوع إلى الدنيا في البقية دون من خصص المنع بهم.

وأما لو جعلت (لا) متعلّقة للحرمة فإما أن تُقدّر (لا) زائدة فيكون حاصل المعنى: منعهم من الرجوع حين الإماتة وحين الإهلاك أو أن تقدّر (لا) غير زائدة فيكون حاصل المعنى ضرورة رجوعهم ويقدر رجوع يوم المعاد. وعلى كلا التقديرين تخصيص ذلك المعنى بالقرية التي أهلكت بالعذاب لا وجه له، بل هو عام لكل القرى والأمم التي ماتت ولو بدون عذاب إلهي. نعم على التقدير الأوّل قد يقرّر حاصل المعنى بأنّ المراد بالرجوع الرجوع ما قبل يوم القيامة.

وعلى أي تقدير ظهر أنّ الآية في صدد الرجوع إلى الدنيا لا في حين أوان الموت، بل بعده قبل يوم القيامة وأنّ التخصيص في الآية بالقرى التي أهلكت دون غيرها دالّ وبقوة على التفصيل في الحكم بين أمم مهلكة وأمم أخرى.

وأما احتمال أنّ الإهلاك لا بمعنى العذاب العاجل في دار الدنيا، بل بمعنى مجرد الموت، فقد تقدّم أنّ الإهلاك في أغلب الآيات في السور - إلّا ما استثنى - مستعمل في

العذاب والنقمة العاجلة والإماتة بنزول العذاب، مع أن الآية لا يستقيم معناها في المقام لو فُسِّرَ الإهلاك بمعنى الإماتة المعتادة، فإنَّ محط النظر حينئذٍ أنَّ الموت لا يوجب عجز الباري عن إعادتهم يوم المعاد لا أكثر بينما الملحوظ في الآية أنَّ محط النظر على أهل القرية والأقوام الذين اهلكوها، فيكون وصف الإهلاك قيداً احترازياً لا مقسماً وموضوعاً مبتدأ. وبين المعنيين والتركيب اللفظي لهما بون شاسع وبعيد.

فتعين بقرينة كون القيد احترازياً أنه مفصل بين القرى. فالحكم ليس بعام في الآية، بل خاص تفوح من ألفاظها وسبك تركيبها الخصوصية والتخصيص، هذا مضافاً للقرائن التي مرَّت فيتطابق المفاد المذكور مع الروايات المستفيضة عن أهل البيت عليهم السلام أنَّ الآية في صدد نفي الرجعة إلى الدنيا بعد الموت والمكث في البرزخ وقبل يوم القيامة للأقوام التي عُوِّجِلَتْ بالعذاب الإلهي في دار الدنيا.

الطائفة الرابعة: آيات الوعد الإلهي بالنصر

(١) قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

(٢) قوله تعالى: ﴿وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَتُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَتُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(٢)،^(٣).

قال السيد المرتضى في الاستدلال على الرجعة بهذه الآية :

(١) سورة النور: الآية ٥٥.

(٢) جاء في معاني الأخبار، (باب أنتم المستضعفون بعدي)، ص ٧٩: «هذه الآية جارية فينا إلى يوم القيامة»، وفي أمالي الصدوق، المجلس ٩٢، ح ٢٦: «هي لنا وفينا».

(٣) سورة القصص: الآية ٦.

فإن قيل: فما عندكم فيما تستدلّ به الإمامية على ثبوت الرجعة من قوله تعالى ... وذكر الآية، وظاهر هذا الكلام يقتضي الاستقبال فلا يجوز أن يحمل على أن المراد به موسى عليه السلام وشيعته وإذا حملنا فرعون وهامان على أنهما الرجلان المعروفان اللذان كانا في عهد موسى عليه السلام فيجب أن يعادا لئرياً ما من الله تعالى به على ما ذكره من المستضعفين، وهذا يوجب الرجعة على ما بيناه لا محالة.

قلنا: ليس الاستدلال بذلك مرضياً ولا دليل يقتضي ثبوت الرجعة إلا ما بيناه من إجماع الإمامية، وإنما قلنا: إن ذلك ليس بصحيح إذ لفظ الاستقبال في الآية لا يدل على أن ذلك ما وقع؛ لأن الله تعالى تكلم بالقرآن عند جميع المسلمين قبل خلق آدم عليه السلام فضلاً عن موسى عليه السلام والألفاظ التي تقتضي الماضي في القرآن هي التي تحتاج أن نتأولها إذا كان إيجاده متقدماً. وإذا سلّمنا أن ذلك ما وقع إلى الآن وأنه منتظرٌ منعنا من اقتضاه الرجعة في الدنيا، ولعل ذلك خبرٌ عما يكون في الآخرة، وعند دخول الجنة والنار فإن الله تعالى لا محالة يمنّ على مستضعفي أوليائه المؤمنين في الدنيا بأن يورثهم الثواب في الجنة، ويُمكن لهم في أرضها ويجعلهم أئمة وأعلاماً يوصل إليهم من حقوق التعظيمات وفنون الكرامات ويُعلم فرعون وهامان وجنودهما في النار - ذلك ليزدادوا حسرةً وغماً وأسفاً.

وقوله تعالى: ﴿مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ صحيح ينبوا عن التأويل الذي ذكرناه؛ لأن فرعون وهامان وشيعتهم يكرهون وصول الثواب والمسارة والتعظيم والتبجيل إلى أعدائهما من موسى عليه السلام وأنصاره وشيعته ومشاهدتهم لذلك وعلمهم به زائد في عقابهم، ومقوّر لعذابهم ومضاعف لإيلامهم وهذا مما لا يخفى صحته واطّراده على متأمل. انتهى^(١).

أقول: وما ذكره من رد الاستدلال بالآية لا يخلو من تكلف وتمحّل؛ وذلك لأن ظاهر الآية هو التمكين في أرض الدنيا، كما أريد من الأرض التي استضعفوا فيها. كما

(١) رسائل المرتضى، المجلد ٣/ص ١٣٩.

أنَّ التعبير بالوارثين هو وراثة الأرض التي استضعفوا فيها.

وأما كون القرآن عند جميع المسلمين قبل خلق آدم فلا ينافي كون النزول في الآيات وألفاظ التنزيل هو بحسب ألفاظ التنزيل ومواطنها الزمانية وإن كان المعنى الكلي يجري كما تجري الشمس والليل والنهار، ومن ثمَّ لا محالة يكون سبب النزول له شأن مهم في تأطير قالب الدلالة والمعنى، وإن كان من جهة أخرى لا ينحصر المعنى العام به.

وعلى هذا فلفظ المضارع والماضي - بلحاظ موارد النزول - باق على حاله وعلى هذا فالآية الكريمة لا بدَّ أن تلحظ ويلحظ مفادها بحسب الموطن الزماني لنزولها أيضاً. فلا محالة ستكون الإرادة مستقبلية لهامان وفرعون ومتعلّقة بتمكين المستضعفين في الأرض، وعلى قاعدة أنَّ الآية تجري مجرى الشمس والليل والنهار، فأهل البيت عليهم السلام استضعفوا وقُتلوا وشُردوا فلا محالة يتعلّق بهم الوعد الإلهي بتمكينهم في الأرض وإراءة الظالمين لهم من أعدائهم من فراعنة أزمانهم ووزرائهم الذين هم على مثال نمروود وفرعون وهامان، بعد ما ذكر القرآن أن قصصهم عبرة وعبور لا تتوقف عندهم وتجمد بل تجري في غير من نزلت فيهم ﴿إِنَّ فِي قِصَصِهِمْ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

(٣) قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ^(١).

(٤) قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ^(٢)﴾.

(٥) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ^(٣)﴾.

ومتى يظهره على سائر الملل ومتى يكون ذلك؟ فقد وقع المفسرون في حيص

(١) سورة الأنبياء: الآيتان ١٠٥ - ١٠٦.

(٢) سورة القصص: الآية ٨٥.

(٣) سورة التوبة: الآية ٣٣.

وبيص فيه وتقدمت الإشارة في الباب الأول أن إظهار الدين على درجات ومراتب كثيرة بعدد درجات الإسلام والإيمان - كما أشير إليه في روايات أهل البيت عليهم السلام - تبياناً لما في آيات القرآن فإذا كان الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - يملأها عدلاً وقسطاً فإن أمير المؤمنين عليه السلام يملأها صدقاً وتقوى وهي مرتبة أعلى من المرتبة السابقة .

كما مر أيضاً أن الإظهار الأكبر للدين سيتم على يد رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يبعث في الرجعة للندارة الكبرى والدعوة للدين مالم يظهره من قبل ﴿يا أيها المدثر﴾ بتراب القبر ﴿قم فأنذر﴾ و ﴿إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾ وإن ما دعى إليه إنما هو الندارة الصغرى وسيأتي كل ذلك مفصلاً في الباب الثالث إن شاء الله.

(٦) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(١).

(٧) قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

(٨) الآيات الناطقة بأن عاقبة الأرض للمتقين، وقد وردت في روايات الفريقين أن من أسماء الرسول صلى الله عليه وآله: العاقب، وكذلك في وصف أمير المؤمنين عليه السلام.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٣).

وقوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٤).

وقوله تعالى: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾^(٥).

وقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا

(١) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٢) سورة الصف: الآية ٩.

(٣) منتخب البصائر، الحديث ٥٢.

(٤) سورة الأعراف: الآية ١٢٨.

(٥) سورة هود: الآية ٤٩.

فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ^(١).

(٩) قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾.

قال عليه السلام: «ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله كثير منهم لم ينصروا في الدنيا، وقتلوا، والأئمة قد قتلوا ولم ينصروا فذلك في الرجعة»^(٢).

والرواية تبين وجه الدلالة في الوعد المذكور في الآية على ضرورة الرجعة.
(١٠) قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيدُنِي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ﴾^(٣).

(١١) قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ * أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾^{(٤) (٥)}.

والرواية في ذيلها قول جبرئيل لرسول الله ﷺ: «واحدة لك واثنان لعلي وموعدكم السلام» أي في الرجعة تلتقيان في الكوفة .

(١٢) قوله تعالى: ﴿فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظَرِينَ * ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنَجِّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٦). وعنوان الانتظار والوعد بالنجاة للرسول وللمؤمنين وانه حق جعله وقطعه

الله على نفسه، وكل هذه الامور مستقبلية من ايام الدنيا بحسب ألفاظ الآية.

(١٣) قوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٧).

(١) سورة طه: الآية ١٣٢.

(٢) سورة القصص: الآية ٨٣.

(٣) تفسير فرات الكوفي الصافي.

(٤) سورة الزخرف، الآيتان ٤١ - ٤٢.

(٥) أمالي الطوسي، مجلس ١٣، ح ١١ ص ٣٦٦.

(٦) سورة يونس: الآيتان ١٠٢ - ١٠٣.

(٧) سورة الروم: الآية ٤٧.

الطائفة الخامسة: الإحياء والإماتة مرتين

١ - قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾^(١).

٢ - قوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَخْيَتْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾^(٢).

وتقريب دلالة الآية الأولى: أنَّ عنوان الأموات يغير عنوان الإماتة المتكررة في الآية الثانية، ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ هي الحياة الأولى في الدنيا ثم يميتكم الموت الأولى ثم يحييكم وهي الحياة الثانية، ثم إليه ترجعون، وهي القيامة فالحياة الثانية التي قبلها هي الرجعة في الدنيا.

وأما تقريب دلالة الآية الثانية: أن عنوان الإماتة يغير الموت والأموات، وهي موتان لمن كان حياً، فالإماتة مرتين يقتضي وجود حياتين قبلهما، كما أنَّ ظاهر الإحياء في الترتيب الذكري أنَّه بعد الإماتة فيقتضي أنَّه بعد كل إماتة حصل إحياء، فالإحياء الثاني حياة ثالثة في القيامة يغير الإحياء الأول، وهي الحياة الثانية بعد الإماتة الأولى. وأما قوله تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾^(٣). فتوجيه دلالة مع الآيتين بما يلي:

١ - قال الشيخ محمد رضا المشهدي: بل يحيون فيها دائماً، والاستثناء منقطع أو متصل والضَّمير للآخرة والموت أول أحوالها، أو الجنة والمؤمن يشارفها بالموت ويشاهدها عنده فكأنه فيها. أو الاستثناء للمبالغة في تعميم النفي، وامتناع الموت، فكأنه قال: لا يذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموت الأولى في المستقبل^(٢).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨.

(٢) سورة غافر: الآية ١١.

(٣) سورة الدخان: الآية ٥٦.

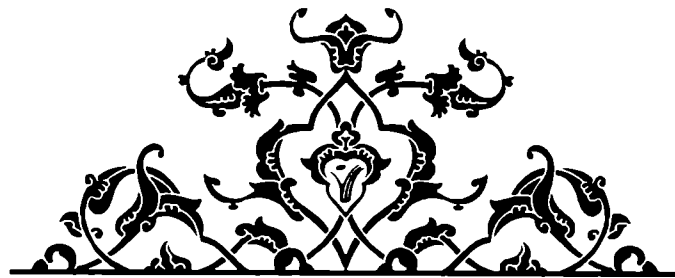
(٢) كنز الدقائق ص ١٤٢.

وحاصل كلامه: تفسير (الأولى) لا بمعنى الواحدة، بل بمعنى القبل والقبيل المحتفة الحافة والمشاركة فليست الآية في صدد تعداد أعداد الموتبل وصف الموتة بالسابقة.

٢ - أنّ الموتة الأولى في مقابل القتل لأنّ لكل مؤمن موة وقتلة كما دلت على ذلك الآيات والروايات .

٣ - أنّ وصف (الأولى) بمعنى المخففة النازلة درجة من جهات شدائد الموت ومرارته فلا يذوقون الموت الشديد على أنّ النوم بدرجاته - حتى السّنة - درجات من الموت.

هذا ولا تنافي بين الوجوه التي ذكرت ولا مانع من الجمع بينها مع أنّ أقربها مراداً في الآية الوجه الأوّل .



الفصل الخامس

الرجعة في مصادر الحديث العامة



الرجعة في مصادر الحديث للعامة

روى العامة في كتب حديثهم روايات مستفيضة، بل متواترة عن الرجعة ولكنها ليست بلفظ الرجعة، بل بعناوين أخرى كثيرة ومتعددة - كما مر - تحمل أسماء فصول ومراحل الرجعة فرووها من حيث لا يشعرون ودوتوها في كتب حديثهم، حيث أوردت الصحاح الستة - فضلاً عن غيرها - أخباراً عن دابة الأرض والمسيح والعصا وغيرها من العناوين الآتية ودابة الأرض من أعظم مراحل الرجعة كما سيأتي، وقد سبق أن أشرنا إلى سبعة عشر عنواناً أو تزيد ومن تلك العناوين التي رووها:

١ - ما رووه في عنوان دابة الأرض.

ودابة الأرض هي فصل من الفصول المهمة من مراحل الرجعة وهي إحدى رجعات أمير المؤمنين عليه السلام الهامة، وقد رووا فيها تفاصيل كثيرة، وكثير منها متطابق مع ما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام في دابة الأرض، بل سيأتي أنهم رووا أن دابة الأرض هي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢ - ما رووه بعنوان خروج الآيات.

فقد رووا في هذا العنوان أيضاً الشيء الكثير من أحداث الرجعة وهم يظنونها أنها من إرهابات ساعة القيامة الكبرى بينما هي من أحداث الرجعة وإن كانت أحداث الرجعة في نهايتها تعقبها القيامة الكبرى.

٣ - ما رووه بعنوان أشرط الساعة.

٤ - ما رووه من ظهور الشمس من مغربها ونزول عيسى عليه السلام، ونزوله عليه السلام عندهم

هو رجعة ورجوع من الموت إلى الحياة الدنيا؛ لأن في اعتقادهم أن عيسى عليه السلام قد مات وتوفاه الله عند رفعه إليه.

٥- ما رووه في عنوان (كتاب الفتن)، وقد ألفوا في هذا العنوان كتباً عديدة.

٦- ما رووه في عنوان الملاحم، وقد ألفوا في ذلك كتباً أيضاً.

٧- ما رووه في أسماء النبي صلى الله عليه وآله أنه الحاشر وأنه العاقب والمأحي والممقي وغيرها من أسمائه وصفاته المرتبطة بالرجعة من حيث لا يشعرون. وقد روى العامة بطرق مستفيضة عن النبي صلى الله عليه وآله في احتجاجه على اليهود بما في كتبهم وأناجيلهم من أنه الحاشر والعاقب^(١)، والحال أن النبي قد ذكر في التوراة والإنجيل باسم الحاشر، فقد رووه وهم لا يشعرون بكون مفاده هو مقام الرجعة لسيد الأنبياء، حيث إن معنى العاقب هو الشخص الذي ليس بعده أحد كما رووا هم نص ذلك أي أن رجعته هي آخر رجعات المعصومين من أهل البيت عليهم السلام ورووا أن الحاشر هو الذي يحشر الناس.

وما رواه مالك في كتابه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لي خمسة أسماء، أنا محمد وأنا أحمد وأنا المأحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب»^(٢)، ويكون المأحي الذي يمحو الله به الكفر وذلك في الرجعة حيث يمحو الله بدولته في رجعته ظاهرة الكفر، وهي آخر دول الرجعة ويكون أكمل مراحل إظهار الدين.

٨- ما رووه من قوله وقول أهل بيته: «إن منّا المهدي والمنصور والسفاح والمنذر». ولم يعلموا أن هذه أسماء وصفات ومقامات للنبي وللأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين) في الرجعة فإنّ بظهور الإمام المهدي (عجل الله فرجه) يرجع الإمام الحسين عليه السلام وهو الملقب بالمنصور ثم يرجع أمير المؤمنين عليه السلام حيث يسفح عروش

(١) روى ابن حنبل في مسنده مجلد ٦، ص ٢٥، عن توفي بن مالك الأشجعي، ورواه الحاكم في المستدرک

/ مجلد ٣ ص ٤١٥، في قصة إسلام عبدالله بن سلام وأيضاً رواه البيهقي.

(٢) الموطأ: ج ٢، كتاب أسماء النبي صلى الله عليه وآله، ص ١٠٤.

الظالمين، وفي آخر الرجعة يرجع سيد الأنبياء ﷺ ويُبعث بالندارة الكبرى^(١).

٩ - ما روه بعنوان الميسم والعصا.

١٠ - ما ذكره في باب البعث والنشور والحشر والمحشر نظير ما أخرجه البيهقي

في البعث والنشور، فإنه أورد في سننه روايات عديدة عن دابة الأرض وغيرها من
فصول الرجعة.

١١ - ما روه في ذي القرنين.

١٢ - ما روه في أصحاب الكهف.

وفي الحقيقة أن ما روته العامة في كتب الحديث في باب الفتن وأشرط الساعة
وخروج الآيات ودابة الأرض وباب ملاحم آخر الزمان جُلّها ومعظمها روايات في
الرجعة وفصولها وأخطر أحداثها لكنّها لم تتضمن لفظة الرجعة وهي مشحونة بأسرار ما
ورد في الرجعة من روايات أهل بيت العصمة عليهم السلام، وكلها مع تدبر الباحث في ألفاظها
وأسنتها يكتشف اشتمالها وتطابقها مع نفائس معارف الرجعة المروية عن الأئمة عليهم السلام
ولكن من دون استشعار والتفات علماء العامة ومحدثيهم بلطائف مفاد هذه الروايات
المستفيضة.

نقاط منهجية في البحث العقائدي

أهمية تراث الحديث والتفسير لدى العامة على علم الكلام:

النقطة الأولى: لابد من الالتفات إلى أنّ مصادر وكتب الحديث وشروحها وكتب التفسير لدى العامة وأهل الخلافة أسلم في الاحتفاظ بحقائق العقائد من كتب الكلام والمتكلمين لديهم، فكم من عقيدة أصيلة في القرآن وأحاديث النبي ﷺ مما هي مقررة في مدرسة أهل البيت تجدها محذوفة في منظومة العقائد في كتب المتكلمين لديهم أو لم يستخرجوها، بينما تجد بصماتها وعناوينها لازالت باقية في كتب الحديث ولو بعناوين أخرى مرادفة لغوية أو مرادفة عقلية أو عناوين ملازمة، بينما يشاهد خفاء ذلك تماماً في ساحة كتب الكلام والمتكلمين عندهم.

وهذه نقطة منهجية هامة في البحث والتتبع ورصد المتسالم عليه بين المسلمين، فإنّ ثوابت العقيدة المشتركة بين رصد كافة المسلمين لا يمكن الاعتماد في تحديدها على كتب الكلام وكتابة المتكلمين وما استخرجوه من المصادر من الآيات والروايات. وليس هذا حال التراث والمصادر عند العامة فقط بل عند الخاصة أيضاً فإنّ ما قام به علماء الإمامية (شكر الله مساعيهم) من رسم واستخراج منظومة العقائد في كتبهم لا يمثل تمام منظومة العقائد في تراث أهل البيت ﷺ فإنّ هناك أبواباً وفصولاً وقواعد ومسائل كثيرة في مضامين الروايات لم يتعرض لها علماء الكلام من الإمامية.

كما هو الحال في فقه الفروع أيضاً، فإنّ التراث الروائي الفقهي، بل وآيات الأحكام في القرآن أوسع بكثير مما قد استخرجه الفقهاء في الكتب والأبواب الفقهية ولأجل ذلك نرى توسّع الفقه أبواباً وفصولاً قرناً بعد قرن.

ومن ثمَّ كان اللازم على الباحث المحقق أن يتتبع مهما أمكن في أبواب الحديث وطوائف الآيات والتصفح لكتبه وشروحه فإنَّه سيقف على العديد من المباحث والمسائل التي لم يعنوها.

النقطة الثانية: أنَّ كثيراً من الحقائق الاعتقادية لدى مدرسة أهل البيت عليهم السلام موجودة في تراث الحديث لدى العامة، لكن بعناوين وأطر وألفاظ أخرى. ولخفاء مفاد تلك الألفاظ النبوية والعناوين والأطر لم يهتد العامة إلى أنها هي الحقائق التي أنكروها وجحدوها من مقامات أهل بيت النبوة عليهم السلام، وخفاء دلالتها وغموض المعنى عليهم هو الذي كان سبباً في حفظ هذا التراث عن الإبادة والطمس مثل ما جرى لكثير من الحديث النبوي الذي منع عن تدوينه الأوَّل والثاني، بل قاما بحرقه! واستمر منع التدوين لديهم أكثر من قرن.

وهذا النمط من الحديث الخفي الدلالة هو ما يُعرف بالتعريض في البيان وهو أسلوب مرموز ومُشَقَّر، مكنونة فيه الحقائق بدلالة موزونة على القواعد والضوابط المقررة المعروفة في علوم اللغة ولكن لا يهتدون إلى دلالتها عفويّاً، بل ولا بالتدبر اليسير كي لا تطمس هذه الآثار فقاموا بروايتها والاعتراف بها رغم جحودهم لحقائقها. وكذلك الحال في دلالة الكثير من الآيات فإنَّ خفاء الدلالة صان الآيات في القرآن الكريم عن التحريف من قِبَل الجاحدين والمنكرين لهذه الحقائق العقائدية.

النقطة الثالثة: أن عملية المقابلة والمقارنة بين ما رووه من تراث الحديث وما رويناه عن أهل البيت عليهم السلام من تراثٍ له فوائد عظيمة جداً إذ كثيراً ما لديهم من تراث مبشر الدلالة أو مشتت المقاطع ولا يهتدي الباحث إلى مغزاه ومآله إلا بالرجوع إلى تفسير أهل البيت عليهم السلام وإلى هذه الملاحم والمعالم المروية عن النبي صلى الله عليه وآله فإنهم عليهم السلام يكشفون عن الخيط الواصل بين الحلقات المختلفة من الأحداث والمقامات وبدون تفسير لا ينجلي الإبهام والغموض عن كثير من الحقائق، وهذا ما سيجد مثاله القارئ من بعض طوائف الروايات التي رواها العامة في ملاحم آخر الزمان وهو المنطبق على الرجعة، وهذا مُطَرَّد في أبواب المعارف لمن مارس هذه المقارنة بين التراثين من

الحديث فإنه يكشف عن كثير من الخفايا وأسرار الحقائق التي رووها ولم يفتنوا أنها من دلائل وحقائق مقامات أهل البيت عليه السلام ومعارفهم. فعليك بالقيام بهذه المقارنة والمقابلة مع شيء من اليقظة والفتنة إلى المراتب والملازمات فسيظهر لك من ذلك العجائب التي خفيت أو غفل عنها أجيال من الباحثين والمحققين من الفريقين.

جابر الجعفي وخمسون أو سبعون ألف حديث في الرجعة

قال المحقق الطهراني في كتابه (الذريعة) إنَّ السيد ابن طاووس في كتاب الطرائف^(١) ذكر أنَّ صحيح مسلم بإسناده عن جراح قال سمعت جابر يقول عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر عن النبي كلها في الرجعة^(٢).

لكن الموجود من النسخة المطبوعة لكتاب الطرائف لابن طاووس قوله في نقد العامة في تركهم لعنة النبي: ومما يدلُّ على ذلك ما رواه جماعة سبب إطراحهم لأخبار أهل البيت عليه السلام وشيعتهم ورواه مسلم في صحيحه في أوائل الجزء الأول بإسناده إلى الجراح بن مليح، قال سمعت جابراً يقول عندي سبعون ألف حديث عن أبي جعفر عن النبي كلها. ثم ذكر مسلم في صحيحه بإسناده إلى مُحَمَّد بن عمر الرازي، قال: سمعت جرير يقول لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم أكتب عنه كان يؤمن بالرجعة!

وكذلك روى مسلم في الجزء المذكور بإسناده إلى عبد الله بن المبارك أنَّه يقول على رؤوس الأشهاد: دعوا حديث عمرو بن ثابت فإنه كانوا يسبوا السلف». قال عبد الحمود: انظر - رحمك الله - كيف حَرَمُوا أنفسهم الانتفاع برواية سبعين ألف حديث عن نبيهم برواية أبي جعفر الذي هو من أعيان أهل بيته الذين أمرهم بالتمسك بهم! ثم إنَّ أكثر المسلمين أو كلهم قد رووا إحياء الأموات في الدنيا وحديث إحياء

(١) الطرائف ٤٨/.

(٢) الذريعة: ج ٢ ص ٥٠٧.

الله تعالى الأموات في القبور للمسألة وقد تقدمت روايتهم عن أصحاب الكهف وهذا كتابهم يتضمن: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ﴾^(١) والسبعين الذين أصابتهم الصاعقة مع موسى عليه السلام وحديث العزيز ومن أحياه عيسى عليه السلام وحديث جريح الذي أجمع على صحته وحديث الذين يُحييهم الله تعالى للمسألة فأى فرق بين هؤلاء الأربعة وبين ما رواه أهل البيت وشيعتهم من الرجعة فأى ذنب كان لجابر حتى يُسقط حديثه^(٢).

أقول: ما ذكره ابن طاووس رحمته الله من حديث مسلم عن جابر ليس فيه تقييد كون مجموع السبعين ألف حديث عن جابر، ولكن يظهر من الحديث اللاحق لمسلم عن سبب تركهم الرواية رواية - أي سبعين ألف حديث - أنّ جابر أظهر الاعتقاد بالرجعة والظاهر أنّ إظهار جابر الاعتقاد بالرجعة كان عبر ما سمعوه منه من أحاديث عن أبي جعفر الباقر عليه السلام عن النبي صلّى الله عليه وآله في الرجعة كما يشير ذيل كلام ابن طاووس (ما رواه أهل البيت وشيعتهم عن الرجعة).

ويؤيد هذا الاستظهار من ابن طاووس أن جابر كان يروي أحاديث في الرجعة: ما رواه مسلم في نفس الباب في أوائل كتابه بسنده عن السفیان، قال كان الناس يحملن عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر فاتهمه الناس في حديثه وتركه بعض الناس، ف قيل له وما أظهر؟ قال الإيمان بالرجعة.

والظاهر من هذا الحديث أنّ إظهاره كان عبر روايته ونقله حديث الرجعة. وكذلك ما رواه مسلم بإسناده عن جرير الذي تقدم في كلام ابن طاووس أنه لقيه ولم يكتب عنه لأنه كان يؤمن بالرجعة.

ودأب الرواة في كيفية استكشاف مذاهب بعضهم للبعض الآخر هو عبر ما يروونه من مضامين الأحاديث، وروايتهم لمضمون ما يمثل تبنيًا منهم لذلك المضمون

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٣.

(٢) الطرائف، ص ١٩١.

كمذهب ومسلك.

ويشهد لهذا الاستظهار وأن أحاديث جابر كانت في الرجعة: ما رواه مسلم أيضاً في نفس الباب أيضاً بإسناده عن زهير، قال: قال جابر - أو سمعت جابراً يقول -: أني عندي لخمسين ألف حديث ما حدثت منها بشيء، قال ثم حدث يوماً بحديث، فقال هذا من الخمسين ألفاً.

فكأنما الحديث الذي حدث به واستغربوا منه حديث الرجعة وأن هذه الأحاديث الخمسين ألفاً فيها.

ويدعم هذا الاستظهار: ما رواه مسلم أيضاً في نفس الباب في سياق الكلام عن أحاديث جابر عن الباقر عن النبي ﷺ بإسناده إلى سفيان أيضاً قال سمعت رجلاً سأل جابراً عن قوله (عَزَّ وَجَلَّ): ﴿فَلَنْ أُبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ فقال جابر لم يجئ تأويل هذه^(١). قال سفيان: وكذب فقلنا لسفيان: وما أراد بهذا؟ فقال: إن الرافضة تقول: إنَّ علياً في السحاب فلا نخرج مع من خرج من ولده حتى ينادي منادٍ من السماء - يريد علياً - إنه ينادي: اخرجوا مع فلان. يقول جابر: فهذا تأويل هذه الآية، وكذب، كانت في إخوة يوسف (صلى الله عليه وسلم).

وروى بعده بإسناده إلى سفيان أيضاً قال: سمعت جابر يحدث بنحو من ثلاثين ألف حديث ما أستحلُّ أن أذكر منها شيئاً وإنَّ لي كذا وكذا.

وهذه الرواية شاهد على أنَّ مافهمه سفيان - والذي أشار إليه جابر في الرواية السابقة - أنَّ قوله تعالى: ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ هو حكومة دولة أهل البيت ﷺ على الأرض من ظهور المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف والرجعة.

فكل هذه قرائن عديدة على أنَّ الرواية سمعوا منه أو فهموا منه أنَّ السبعين ألف حديث أو الخمسين ألف أو الثلاثين ألف هي في الرجعة التي استبشعوها، وإلا لو كانت في أبواب الفقه والفروع لرووها عن الباقر عن النبي ﷺ، كما رووا جابر نفسه

(١) المشار إليه ﴿أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ﴾ أي حكم الله في الأرض.

عن الباقر عليه السلام في أبواب الفروع.

ويشهد على كون تعداد هذه الروايات لجابر في الرجعة: أنَّ المانع الذي ذكره وجوه ومشاهير رواة العامة كسبب لامتناعهم عن روايات جابر هو الرجعة ولم يذكروا سبباً آخر كقول جابر بإمامة أهل البيت عليهم السلام ولا قوله بالوصية من النبي صلى الله عليه وآله لعلي وعترته من أئمة أهل البيت عليهم السلام ولا تبري جابر من صحابة السقيفة، بل حصر السبب في الرجعة كما يلاحظ المتتبع في الروايات العديدة التي أوردها مسلم في أوّل صحيحه أو التي أوردها عن روايتهم حول جابر في تراجم كتب الرجال^(١)، مع أنَّ المروي في الكتب وكتب الحديث لدينا أنَّ جابر كان يجاهر بالوصية النبوية للأئمة عليهم السلام وبولاية أهل البيت عليهم السلام في مسجد الكوفة ومع ذلك لم يجعلوا السبب في امتناعهم عن الحديث عنه إلا الرجعة وهذا كله شاهد ويدل على أنَّهم فهموا أو سمعوا منه أنَّ هذه الأحاديث هي في الرجعة.

نعم ذكر النادر منهم أنَّه رافضي يشتم أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وروى العقيلي بإسناده عن ابن أكتهم الخراساني، قال لسفيان رأيت - يا أبا محمد - الذين عابوا علي جابر الجعفي قوله: (حدثني وصي الأوصياء) [يعني الباقر عليه السلام]؟! فقال سفيان: هذا أهونه^(٢). وهذا تصريح بأنَّ هناك سبباً أكبر من ذلك هو الذي منعهم من نقل الرواية عنه، وهو عود الحكم في الأرض إلى أهل البيت عليهم السلام في الرجعة. وروى أيضاً بسنده عن سفيان بن عيينة أنَّه كان يقول: قال جابر: «إنَّ دابة الأرض علي».

وقد مرَّت روايته عن سفيان (أنَّ الناس كانوا يحملون الحديث عن جابر قبل أن يظهر ما أظهر فلما أظهر ما أظهر في حديثه وتركه بعض الناس فقيل له وما أظهر؟ قال: الإيمان بالرجعة) ففيه تخصيص المانع بالرجعة.

(١) كالعقيلي في كتاب الضعفاء.

(٢) الضعفاء: ج ١ ص ١٩٤.

وروى العقيلي بإسناده عن سفيان بن عيينة قال: أتيت جابر الجعفي فسمعت منه ذاك الكلام - يعني الإيمان بالرجعة - .

وذكر الذهبي عن ابن حبان في ترجمة جابر قوله عن جابر: كان سبئاً من أصحاب عبد الله بن سبأ كان يقول: إنّ علياً يرجع إلى الدنيا^(١).

ويظهر من هذا الموقف لابن حبان أنّ الرجعة عند العامة أعظم خطباً وأكثر هولاً في المعرفة بالأئمة عليهم السلام من معرفة نفس الأئمة عليهم السلام وأنهم مفترضو الطاعة موصى إليهم، وهذه حقيقة أنّ معرفتهم بالرجعة أعظم من معرفتهم أنهم مفترضو الطاعة، وأنّ لديهم علم لدني ونحو ذلك، مما به معرفة بمقاماتهم في الحياة الأولى من الدنيا. وقد أشار إلى ذلك حديث الإمام الباقر عليه السلام الذي مرّ في الباب الأوّل في الفصل الأوّل في معرفة الرجعة وتأثيرها في المعرفة الدينية.

وعلى أي حال يظهر جلياً من كلام ابن حبان أنّ أحاديث جابر ورواياته أكثر ما تدور حوله الرجعة ومن الشواهد على ذلك: ما ذكره الذهبي عن ابن عدي قوله في جابر: عامّة ما قذفوه به أنّه كان يؤمن بالرجعة^(٢).

وروى الذهبي عن ابن عيينة، قال: جابر الجعفي يقول: دابة الأرض علي^(٣). وقال الطبري في تفسير جامع البيان في ذيل قوله تعالى: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(٤): روى بطريقه عن ابن حُميد عن عيسى بن فرقد عن جابر الجعفي، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة فقرأ هذه الآية: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

فكأنّ أبا جعفر وجّه تأويل ذلك إلى أنّه حرام على أهل قرية أمتناهم أن يرجعوا

(١) ميزان الاعتدال: ج ١ ص ٣٨٣.

(٢) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٣٨٣.

(٣) نفس المصدر، ص ٣٨٤.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ٩٥.

إلى الدنيا^(١).

خطبة أبي حمزة الغارجي

وأما هذه الشيع فشيعةٌ ظهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله ولم يفارقوا الناس ببصر... جُفأة على القرآن أتباع كُهان يؤملون الدول في بعث الموتى ويعتقدون الرجعى إلى الدنيا قلدوا دينهم رجلاً لا ينظر إليهم^(٢).

كلام الطبري عن مقالة الرجعة عند عبد الله بن سبأ

روى الطبري عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي في شأن عبد الله بن سبأ: حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمداً يرجع، وقد قال الله عز وجل ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ فمحمداً أحق بالرجوع من عيسى، قال: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها، ثم قال لهم بعد ذلك: إنه كان ألف نبي ولكل نبي وصي وكان عليّ وصي مُحَمَّدٌ^(٣).

روايتهم النزول في الرجعة

١ - حدثنا نعيم بن حماد حدثنا أبو المغيرة عن ابن عيَّاش عن شيخ له عن وهب بن مُنبّه، قال: طلوع الشمس الآية العاشرة، وهي آخر الآيات، ثم ﴿تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ﴾^(٤)، ويطرح كل ذي مال ماله، ويُشغل كل تاجر عن تجارته^(٥).

(١) جامع البيان، ج ١٧، ص ٦٩.

(٢) البيان والتبيين، الجاحظ، ص ٢٧٦.

(٣) تاريخ الطبري، أحداث سنة ٣٥. ج ٣، ص ٣٧٨.

(٤) سورة الحج: الآية ٢.

(٥) كتاب الفتن، الجزء التاسع، ص ٤٧٧، الحديث ١٨٤٠.

٢ - أبو المغيرة عن ابن عيَّاش عن شيخ له عن وهب بن منبه قال: بعد الآية السابعة: أن يبعث الله ملائكة على خيل بُلُق تطير بين السماء والأرض تنعى الأرض ومن عليها ومن فيها، والآية الثامنة: أنه لا يبقى على الأرض شجرة إلا بكت دماً، والتاسعة: أنه لا يبقى على الأرض صخرة إلا وُنت ونين النساء، والعاشر: طلوع الشمس من مغربها^(١).

(١) كتاب الفتن، الجزء التاسع، ص ٤٦٨، الحديث ١٧٩١.

من تراث الرجعة عند أهل السنة، والآيات التي تخرج في آخر الزمان في أشراط الساعة

النار التي تسوق الناس إلى المحشر

روى العامة باستفاضة - بل بتواتر - خروج النار من قعر عدن أو الحجاز وأنها تسوق الناس إلى المحشر. وتقع هذه الآية الكبرى قبل الساعة الكبرى للقيامة. وهذا المفاد مطابق لما وَرَدَ في روايات أهل البيت عليهم السلام أنَّ الحساب في آخر الرجعة قبل يوم عالم القيامة وسيأتي بيانه.

١ - روى ابن حنبل في مسنده عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وآله من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال: لا تقوم الساعة حتى ترون عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة وخروج يأجوج ومأجوج وخروج عيسى بن مريم والدجال وثلاث خسوف: خسف بالمغرب وخسف بالشرق وخسف جزيرة العرب ونار تخرج من قعر عدن تسوق أو تحشر الناس تبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم ^(١).

٢ - وروى أحمد بن حنبل عن عبد الله بن عمر، قال: قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله: ستخرج نارٌ قبل يوم القيامة من بحر حضرموت أو من حضرموت، قالوا فيما تأمرنا يا

(١) مسند أحمد بن حنبل، ج ٤، ص ٧.

رسول الله قال: عليكم بالشام^(١).

٣- روى ابن حنبل أيضاً عن حذيفة بن أسيد: نارٌ تخرج من قبل تطرد الناس إلى محشرهم^(٢).

٤- روى عبد الله بن سنان عن النبي ﷺ: أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ أَوَّلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ: أَنَّ أَوَّلَ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْمَشْرِقِ وَتَحْشُرُهُمْ إِلَى الْمَغْرِبِ^(٣).

٥- وروى البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنْ أَرْضِ الْحِجَازِ تُضِيُّ أَعْنَاقَ الْإِبِلِ بِبَصْرَى^(٤).

وهنا ملاحظة

عند مقابلة ومقارنة روايات الفريقين يلاحظ تشاكل وتقارب كبير في النعوت بين دابة الأرض والنار التي تخرج، فكما وَرَدَ خروج الدابة في خُرُجَاتِهَا الثلاث تارةً من اليمن وأخرى من الحجاز، فكذلك وَرَدَ في خروج النار التي تسوق الناس إلى محشرهم.

فقد روى القمي في تفسيره قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٥)، قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن معنى هذا؟ فقال: «نار تخرج من المغرب ومَلِكٌ يسوقها من خلفها»^(٦).
٦- روى الصدوق بسنده عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: كُنَّا جُلُوسًا فِي الْمَدِينَةِ فِي ظِلِّ حَائِطٍ، قَالَ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي غُرْفَةِ

(١) مسند أحمد مسند عبد الله بن عمر، ج ٢، ص ٥٣، ص ٦٩.

(٢) مسند أحمد، ج ٤، ص ٦.

(٣) مجمع كزوائد، ج ٨، ص ١٣.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب خروج النار، ج ٨، ص ١٠٠؛ وصحيح مسلم باب كتاب الفتن،

وأشراط الساعة، ج ٨، ص ١٨٠.

(٥) سورة المعارج: الآية ١.

(٦) تفسير القمي، ج ٢٢، ص ٣٨٥.

فاطلع علينا فقال: فيما أنتم؟ فقلنا: نتحدث قال: عمّاذا؟ قلنا: عن الساعة فقال: إنكم لا ترون الساعة حتّى ترون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض، وثلاثة خسوف في الأرض ... خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب. وخروج عيسى بن مريم وخروج يأجوج ومأجوج وتكون في آخر الزمان نارٌ تخرج من اليمن من قعر الأرض لا تدع خلفها أحداً تسوق الناس إلى المحشر كلما قاموا قامت لهم تسوقهم إلى المحشر^(١).

٧- روى الحسين بن سعيد عن إبراهيم بن أبي البلاد عن يعقوب بن شعيب بن ميثم قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «نارٌ تخرج تخرج من قعر عدن تضيء لها أعناق الإبل تُبصرُ من أرض الشام. تسوق الناس إلى المحشر»^(٢).

أقول: ولا يخفى أنّ هذه النار التي تخرج من قعر عدن أو من مكان آخر قريب منها وأنها تسوق الناس إلى المحشر، هذا تعبير مستفيض في رواياتهم وهو نص في رجعة الأموات؛ وذلك لمكان التعبير بمادة (الحشر) فإنّ سوق الناس إلى محشرهم إنّما هو بلحاظ الميت الذي أحيا يساق بعد إحيائه إلى المحشر كما هو الاستعمال في القرآن الكريم كما أنّ الحشر والمحشر أيضاً نص في الحساب والمحاسبة، وإقامة الحساب - والذي مرّ استظهاره من الروايات أنه في آخر الرجعة - فيكون هذا اللسان في الروايات المستفيضة نص في أنّ الحساب في آخر الرجعة قبل قيام الساعة للقيامة الكبرى، وهي ومطابقة لكثير من نصوصنا - كما سيأتي في الباب الثالث - مضافاً إلى ورود هذا اللسان نفسه من طرقنا أيضاً عن أهل البيت عليهم السلام.

٨- روى نعيم بن حماد بسنده عن عبد الله بن عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّها ستكون هجرة بعد هجرة حتّى يهاجر الناس إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام حتّى لا يبقى على الأرض إلّا شرار أهلها تقدّرهم روح الله تعالى وتلفظهم أرضوهم وتحشرهم

(١) الخصال للصدوق، ص ٤٤٩، مختصر بصائر الدرجات، ص ٢٠٣.

(٢) كتاب الزهد للحسين بن سعيد، ص ٩٥، الباب ١٨.

نارٌ من عدن مع القردة والخنازير تبیت معهم وإنما باتوا وتقبل معهم وإنما قالوا ولها ما سقط منهم^(١).

٩ - روى بسنده أيضاً عن عبد الله بن عمر، قال: ستكون هجرة من بعد هجرة - لخيار أهل الأرضين - إلى مهاجر إبراهيم عليه السلام حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها تلفظهم أرضهم وتمقتهم نفس الله وتحشرهم النار مع القردة والخنازير تقبل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا ولها ما سقط منهم^(٢).

١٠ - روى عنه أيضاً نفس الحديث إلا أن فيه: تلفظهم أرضهم وتعذرهم نفس الله تعالى^(٣).

١١ - روى بسنده عن عمر بن الخطاب أنه قال يوماً بمكة في الحج، بأهل اليمن هاجروا قبل الظلمتين: أمّا أحدهما فالحبشة تخرجون حتى يبلغوا مقامي هذا والأخرى نار تخرج من عدن تسوق الناس والدواب والوحش والسباع، ودقاق الدواب وجلالها إذا قامت قاموا وإذا تحركت تحركوا. قال: وقال كعب: إذا عثر إنسان أو دابته قالت له النار: وانتكست! لو شئت لهاجرت قبل اليوم حتى تنتهي إلى بصرى فتقيم أربعين عاماً لا يصطلي بها أحدٌ إلا كُتب: جهنمي، وحتى يسأل الكافر فيقول: هذه النار التي كُنّا نوعدُ؟ فكيف؟ أنتم إذا رأيتم تلك الآية العظيمة! فينظر الناظر منكم إلى مشارق الأرض فيراها بزروعها خضراء يتناكحون ويلحقون، أفتراكم تاركي أعمالكم التي تعملون اليوم. وأنتم تنظرون إلى تلك الآية العظيمة، ورب الكعبة لتعملن أعمالكم وأنتم تنظرون إليها^(٤).

(١) كتاب الفتن / ح ١٧٦٧ و ح ١٧٦٥ و ح ١٧٥٨ وقد خصص في كتابه هذا باباً في النار التي تحشر إلى الشام.

(٢) كتاب الفتن / ح ١٧٤٨.

(٣) كتاب الفتن / ح ١٧٦٥.

(٤) كتاب الفتن / ح ١٧٤٣.

وهنا ملاحظة

لا يخفى أنّ فيما تقدّم في لسان الروايات التي رويها تشابه عظيم بين النار التي تخرج وتسوق الناس إلى المحشر وبين دابة الأرض - كما مرّ وزيادة على ما مرّ - أنّ روايات النار هنا قد تضمنت نعت من يدبر ويدير ويقوم بحشر الناس إلى المحشر بـ (نفس الله) في الروايات المتقدمة تارة وأخرى بنعت من يقوم بالحشر بـ (روح الله) وهذه النعوت مقامات رفيعة بمن يوكله الله للقيام بحشر الناس.

كما أنّ في تلك الروايات المتقدمة أيضاً أنّ النار - التي تحشر الناس وتسوقهم - تكتب على الكافر: جهنمي، وهذا ما تقوم به دابة الأرض بالميسم والعصا كما مرّ في روايات الفريقين.

كما أنّه قد أُشير أيضاً في هذه الروايات إلى حشر كل المخلوقات التي تدبّ على الأرض وهو من خواص الحشر الأكبر.

١٢- وروى نعيم أيضاً بسنده عن عكرمة، قال: محشر الناس نحو الشام وأوّل من حشر من هذه الأمة النضير^(١).

١٣- وروى أيضاً بسنده عن أرطأة، قال: تكون نار ودخان في المشرق أربعين ليلة^(٢).

١٤- روى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام حديثاً في الرجعة، وفيه قوله عليه السلام: «وقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: هو علي بن أبي طالب عليه السلام إذا رجع في الرجعة»^(٣).

١٥- وروى نعيم بسنده عن أبي هريرة، قال: تخرج نار من المشرق وأخرى من قبل المغرب تحشران الناس بين أيديهم القردة. تسيران بالنهار وتكمنان بالليل حتّى

(١) كتاب الفتن لنعيم: ح ١٧٥٠.

(٢) نفس المصدر، ح ١٧٦٨.

(٣) مختصر بصائر الدرجات: باب الكرات ح ١.

تجتمعان بحب منبج.

١٦- وروى أيضاً عن كعب عن عبد الله بن عمر تعدد النار التي تخرج فذكر النار التي من عدن وناراً أخرى من نحو المغرب وثالثة من نحو المشرق وأن لكل نار زماناً تقيم فيه لا تنطفئ، ويحشر جميع الناس بهذه النيران إلا الاعرابيين^(١).

وقد روى روايات عديدة في حشر الناس جميعاً إلا الإعرابين!!

١٧- وروى علي بن إبراهيم القمي في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَقَعٍ﴾^(٢) قال: سئل أبو جعفر عليه السلام عن معنى هذا؟ فقال: نار تخرج من المغرب ومَلِكٌ يسوقها من خلفها حتى يأتي من جهة دار سعد بن همام عند مسجدهم فلا تدع داراً لبني أمية إلا أحرقتها وأهلها، ولا تدع داراً فيها وترٌ لآل مُحَمَّدٍ إلا أحرقتها وذلك المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - .

حقيقة النار التي تخرج: هي الحرب التي يقوم بها حجة الله في أرضه

أقول: يظهر من بيان أئمة أهل البيت عليه السلام أن المراد بالنار في أحاديث النبي صلى الله عليه وآله هي الحروب التي تكون بعد ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - والتي في الرجعة أيضاً والتي فيها مُلْكٌ ودولة آل مُحَمَّدٍ (صلوات الله عليهم).

فأحدها: الحروب التي تقوم على يد المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ضد الجبابرة والظالمين من عُتَاة هذه الأمة والباقي تقوم على أيدي الأئمة عليه السلام في الرجعة لاسيما على يد دابة الأرض وهو علي بن أبي طالب عليه السلام، فإن أحد خَرَجات دابة الأرض تكون من اليمن.

كما لا يبعد أن يكون الدخان أيضاً إشارة إلى الحرب.

قال علي بن إبراهيم القمي: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾: ذلك إذا

(١) كتاب الفتن لنعيم، ١٧٦١، ١٧٥١، ١٧٤٥.

(٢) سورة المعارج: الآية ١ .

خرجوا في الرجعة من القبر ﴿يَغْشَى النَّاسَ﴾ كُلُّهُمْ الظُّلْمَةُ فيقولون: ﴿هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿فَقَالَ اللَّهُ رَدًّا عَلَيْهِمْ: ﴿أَتَى لَهُمُ الذِّكْرَى﴾ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ ﴿وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُبِينٌ﴾ أَي رَسُولٌ قَدْ تَبَيَّنَ لَهُمْ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ، وَقَالُوا: ﴿مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾، قَالَ: قَالُوا ذَلِكَ لَمَّا نَزَلَ الْوَحْيُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخَذَهُ الْغَشْيُ فَقَالُوا: هُوَ مَجْنُونٌ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ يَعْنِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَلَوْ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ﴾ فِي الْقِيَامَةِ لَمْ يَقُلْ: ﴿إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾؛ لِأَنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْآخِرَةِ وَالْقِيَامَةِ حَالَةٌ يَعُودُونَ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: ﴿يَوْمَ تَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾^(١).

ومن علامات انطباق دابة الأرض على النار - بمعنى أنّ حرب دابة الأرض هي النار - ما رواه الشيخ في أنّ دابة الأرض أيضاً تسوق الناس إلى المحشر فقد روى بسنده عن حبيب بن محمد بن يونس بن شاذان الصنعاني، قال: دخلت إلى علي بن إبراهيم بن مهزيار الأهوازي فسألته عن آل أبي مُحَمَّد ﷺ... حيث روى عن الناحية المقدسة - عجل الله تعالى فرجه الشريف - فقلت: يا سيدي متى يكون هذا الأمر؟ فقال: «إذا حيل بينكم وبين سبيل الكعبة، واجتمع الشمس والقمر واستدار بهما الكواكب والنجوم. فقلت: متى يا ابن رسول الله؟ فقال لي: في سنة كذا وكذا تخرج دابة الأرض من بين الصفا والمروة ومعه عصا موسى وخاتم سليمان تسوق الناس إلى المحشر»^(٢).

ورواه الطبري في (دلائل الإمامة)^(٣) بطريق آخر مسند عن ابن مهزيار. وفي هذه الرواية فائدة أخرى: أنه (عجل الله فرجه) أطلق أمر الظهور والفرج على خروج جده أمير المؤمنين ﷺ خروج دابة الأرض ووجه ذلك أن كلاً من ظهوره وظهور جده ﷺ هو إقامة دولة آل محمد (صلوات الله عليهم).

(١) تفسير القمي في ذيل الآية {يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ}.

(٢) غيبة الطوسي ص ٤٣٦.

(٣) دلائل الإمامة ص ٥٤٢.

المحشر في روايات أهل البيت عليهم السلام

روى الحر العاملي عن مُحَمَّد بن الحسن الطوسي بسند متصل إلى عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام في كلام له مع أبي حمزة الثمالي حول مسجد السهلة، قال: «فيه بيت إبراهيم الذي كان يخرج منه إلى العمالقة وفيه بيت إدريس الذي كان يخط فيه، وفيه صخرة خضراء فيها صورة جميع النبيين عليهم السلام وتحت الصخرة الطينية التي خلق الله منها النبيين، وفيها المعراج: وهو الفارق^(١) موضع منه وجوهر الناس وهو من كوفان. وفيه ينفخ في الصور وإليه المحشر، ويحشر من جانبه سبعون ألفاً يدخلون الجنة»^(٢).

وقد أشار العلامة الأميني رحمته الله إلى أنَّ العامة وأهل سُنَّة الخلافة قد رَووا في كتب أحاديثهم ما يشير إلى الرجعة من حيث لا يشعرون أو يشعرون ولكن يتعلمون ويتغامضون، فقد عقد البيهقي في سننه فصلاً أو باباً في عدِّ مَنْ تكلم بعد الموت، بمعنى أنَّه حيٌّ بعد الممات، ومنها:

١ - ما رَواه في الصحابي زيد بن خارجة الأنصاري أنَّه تكلم بعد الموت، فقد أخرج البيهقي بإسناده عن سعيد بن المسيب: أنَّ زيد بن خارجة الأنصاري توفي زمن عثمان فسُجِّي بثوبه ثم أنَّهم سمعوا جللة في صدره ثم تكلم ... إلى آخر الحديث^(٣) الذي لفقوا فيه جملة من الأراجيف، ورواه بطريق آخر عن النعمان بن بشير^(٤).

٢ - ما رَواه في أنصاري يتكلم بعد القتل، فقد أخرج البيهقي بسنده عن عبد الله

(١) وفي رواية كامل الزيارات ص ٧٥: (الفاروق).

(٢) الوسائل، ب ٤٩، أبواب أحكام المساجد، ح ١؛ وروي في التهذيب وكامل الزيارات.

(٣) دلائل النبوة: ج ٦ ص ٥٥.

(٤) الاستيعاب، مجلد ١/ ص ١٩٢، تاريخ بن كثير / مجلد ٦ ص ١٥٦؛ الشفاء للقاضي عياش / الروض الآنف

مجلد ٢، ص ٣٧٠؛ الإصابة المجلد الأول، ص ٥٦٥ / مجلد ٢، ص ٢٤؛ الخصائص الكبرى، مجلد ٢ / ص

٨٥ شرح الشفاء للخفاجي / مجلد ٣ / ص ١٠٨، نقلاً عن الطبراني وأبي نعيم وابن مندة، ورواه بن أبي

الدنيا عن أنس.

بن عبید الأنصاري، قال: بين ما هم يوارون القتلى يوم صفين أو يوم الجمل إذا تكلم رجل من الأنصار من القتلى .. ثم ذكروا عِدَّة من الأراجيف^(١).

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ج ٦ ص ٥٨، البداية والنهاية: ج ٦ ص ١٧٥، تاريخ ابن عساكر: ج ٣٠ ص ٤٠٨ وأيضاً ج ٣٩ ص ٢٢٢.

دابة الأرض ملحمة كبرى للرجعة في تراث العامة

إنّ الروايات التي رواها العامة أهل سنة الخلافة في الدابة بنحو مستفيض متضمنة لكثير من الحقائق حول الرجعة ومشملة على البراهين العديدة عليها، وهي ناطقة مفصحة عن مقامات عظيمة لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام. ولناخذ في استعراض معالم تلك المضامين في رواياتهم:

المعلم الأول: دابة الأرض معها عصا موسى وخاتم سليمان

فقد رووا هذا المعلم بنحو مستفيض أو متواتر وعجت به رواياتهم نظير: ما رواه ابن أبي حاتم بسنده المتصل عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تخرج دابة الأرض ومعها عصا موسى وخاتم سليمان (صلى الله عليه وسلم) تخطم أنف الكافر بالعصى وتُجلي وجه المؤمن بالخاتم حتى يجتمع الناس على الخوان يعرف المؤمن من الكافر^(١).

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ﴾: يعني إذا وجب عليهم العذاب، وقيل: إذا غضب الله عليهم، وقيل: إذا وجبت الحجة عليهم؛ وذلك أنهم لم

(١) تفسير ابن أبي حاتم، سورة النمل / مجلد ١١ ص ٢٠٣؛ سنن ابن ماجه، مجلد ٢، ص ١٣٥١، كتاب الفتن باب / الله باب دابة الأرض؛ سنن الترمذي، الجزء الخامس، ص ٢١، الحديث، ٣٢٤٠؛ مستدرک الحاكم النيسابوري، مجلد ٤، ص ٨٣؛ وإيقاظ ص ٤٨٢ و ص ٤٨٤ و ص ٤٨٥ و ص ٥٢٢.

يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر، وقيل: إذا لم يُرَجَّ صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ﴾^(١).

ورواها الترمذي عن أبي هريرة وحسنه أيضاً إلا أنه أضاف في آخرها: حتّى أن أهل الحق ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر^(٢).

وأخرج هذا الحديث عن أبي هريرة أيضاً الطيالسي وأحمد ونعيم بن حماد وابن ماجه وابن جرير وابن المنذر والحاكم وابن مردويه والبيهقي في البعث^(٣).

فقه الحديث

(١) وأوّل ما يتبادر من هذا المَعْلَم لدابة الأرض أنّ دابة الأرض هي إنسان هو حجة الله تعالى ناطقة تنطق بالحق، نظير نفس موسى وسليمان عليهما السلام؛ لأنّ العصا كانت بيد النبي موسى عليه السلام - وهو من أولي العزم - كمعجزة وحجة له، وكانت العصا برهاناً وعلامة على هداية وصدق دعوى موسى، فالعصا آية النبوة وعلامة صدق الهداية والإنباء عن الله تعالى وحينئذ لا يكون وارثها وصاحبها إلا إنساناً مصطفىاً وحجة لله تعالى على خلقه، وهو الوارث لمقام نبوة موسى عليه السلام، وحيث إنّ لا نبي بعد سيد الأنبياء صلّى الله عليه وآله فلا محالة تكون الدابة وخروجها هي رجعة أحد حجج الله تعالى ممن لهم الوصاية من سيد الأنبياء على هذا الدين وهذه الأُمَّة إذ لا دين بعد الإسلام ولا شريعة بعد شريعة سيد الأنبياء.

وأما خاتم سليمان عليه السلام فمن الواضح أنّه آية لملك سليمان وقدرته على الحكم والولاية وآية خلافته لله في أرضه فهو آية الحاكمية والملك من الله تعالى كمنصب وجعل إلهي.

(٢) لا يكون أحدٌ وارثاً لخاتم سليمان عليه السلام إلا إنسان لا بقية المخلوقات ولا ملكاً

(١) سورة النمل، الآية ٨٢.

(٢) سنن الترمذي، مجلد ٥ ص ٢١.

(٣) مسند الطيالسي بما أسنده أبو هريرة ج ٧، ص ٢١٩.

من الملائكة فضلاً عن أن يكون حيواناً بهيمياً كما أنه لا يمكن أن يكون إنساناً عادياً غير مُصطفى اصطفاً الحُجّية من الله تعالى، حيث إنّ خاتم سليمان عليه السلام في القرآن يرمز ويشير إلى مقام إلهي في الحكم والإمامة وخلافة الله في الأرض.

(٣) وإلى درجة من الولاية التكوينية يُسخر له فيها جملة من الأسباب وتسخر العفاريت والطير والجمال وغيرهما. فهو يشير إلى ملك سليمان عليه السلام وحاكمية خليفة الله وحجته على عباده.

فإذا اجتمع العصا والخاتم عند شخص واحد فسيكون وارثاً لمقام موسى وملك سليمان عليه السلام.

(٤) لا يخفى أنّ إضافة العصا لموسى والخاتم لسليمان عليه السلام، وأنّ العصا والخاتم مع الدابة لهما دلالة على أنّ هناك في المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وآله شخصاً قد اصطفاه الله وأورثه موارث الأنبياء وسيبعثه الله تعالى حاكماً من لدنه كما في بعثة طالوت ملكاً حاكماً بعد أن اصطفاه الله تعالى وهو يرث موارث الأنبياء.

(٥) في هذا دلالة على أنّ بعد حاكمية المهدي من آل محمد (عجل الله تعالى فرجه) من وُلد فاطمة عليها السلام هناك حاكم آخر بعده يكون من قبل الله تعالى.

المَعْلَم الثاني: تَخْطُم أنف الكافر والمنافق بالعصا، وتُجْلِي وجه المؤمن بالخاتم وَرَدَ هذا المَعْلَم في جملة من الروايات التي سبق وأشرنا إليها في جملة من المصادر. فقد روى الطبري في تفسيره في ذيل قوله تعالى: ﴿أخرجنا لهم دابة الأرض﴾ بسنده عن ابن عمر، قال: يبيت الناس يسرون إلى جَمْع وتبيت دابة الأرض وتسايروهم فيصبحون، وقد خطمتهم من رأسها وذنبها فما من مؤمن إلّا مسحته ولا من كافر ولا منافق إلّا تخبطه^(١).

وروى الحاكم النيسابوري بسنده عن أبي عوانة بسنده عن ابن عمر مثل الذي مرَّ

(١) الطبري، ج ١٩، ص ٤٩٨، ب ٧٩.

وزاد عليه: (وأنّ التوبة مفتوحة حتّى يخرج الدجال فيأخذ المؤمن منه كهيئة الزكمة وتدخل في مسامع الكافر والمنافق حتّى يكون كالشيء الحنيد)^(١).

وروى ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عن أبي الزبير أنّه وصف الدابة، فقال: (تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان ولا يبقى مؤمن إلّا نكتت في مسجده بعصا موسى نكتة بيضاء فتفشوا تلك النكتة حتّى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلّا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان فتفشوا تلك النكتة حتّى يسود لها وجهه، حتّى أنّ الناس يتبايعون في الأسواق - بكم ذا يا مؤمن وبكم ذا يا كافر - وحتّى أنّ أهل البيت يجلسون على مائدتهم فيعرفون مؤمنهم من كافرهم ثم تقول لهم الدابة، يا فلان أبشر! أنت من أهل الجنة، ويا فلان أنت من أهل النار، فذلك قول الله (عَزَّ وَجَلَّ) ﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾^(٢).

(٥) وهذا المَعْلَم يُشير إلى نحو من المُجازات الإلهية في الدنيا يُجريها الله تعالى على يد دابة الأرض، وهذا نحو من الحاكمية لدابة الأرض بين الناس من قبل الله تعالى، وهو نحو مظهر للحساب الإلهي في دار الدنيا.

(٧) وهذا النمط ليس على نمط الحكم الاعتباري التواضعي بين البشر بل هو حكم بقدرة ربانية.

(٨) ويظهر من ذلك أنّ هذه الحكومة نمط من الحكومة التكوينية، ومقام يفيض الحاكم من قبل الله تعالى على المؤمن بمزيد من الكمالات، وعلى الكافر بالدركات.

(٩) أنّ الظاهر من هذه الروايات وهذا المَعْلَم أنّ شأن مقام حاكمية دابة الأرض فصل الخطاب بين المؤمنين والمنافقين أي الفصل بين المؤمن من المسلمين والمنافق من المسلمين، إذ الكافر في مقابل المؤمن يراد به المنافق، وليس في مقابل المسلم إذ الروايات أخذت عنوان المؤمن دون عنوان المسلم.

(١) المستدرک على الصحيحين للحاكم، حديث أبي عوانة، ج ١٩ ص ٣٨٧، ح ٨٦٢٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم الرازي. ج ٩ ص ٢٩٢٤.

(١٠) أنّ إسناد مُجازات المؤمن بالكمال والترقي على يد دابة الأرض، ومجازاة الكافر بالإيمان المنافق من المسلمين على يدها، إشارة واضحة إلى كون دابة الأرض عالمة بسجل أعمال المؤمن والكافر، فهي شاهدة على أعمال الخلاق، وهذا عظيم مقام في الحجية، فخرج دابة الأرض في المسلمين هو رجوع حجة الله تعالى في الأمة الإسلامية بعد رسول الله ﷺ، وأنّ هذا الخروج إحياء لحجة الله بعد مماته لأنه خروج له من الأرض لا من الأرحام، والخروج من الأرض عنوان لإحياء الموتى في استعمالات القرآن.

(١١) وفي رواية سنن ابن ماجة وغيره من المصادر الأخرى: (أنّ أهل الخوان يجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر). وفي هذا إشارة إلى أنّ تجوهر الإنسان يتصاعد إلى درجة يبدو ويبرز ويتجسّد جوهره الروحي بلونه إلى العيان فيكون الجسد تابعاً إلى جوهر الروح لا من قبيل الحياة الأولى في الدنيا، حيث كان لجوهر الجسد الغليظ نحو استقلالية عن جوهر الروح. وهذا يشير إلى أنّ الطور التكويني في الرجعة - لاسيما في مرحلة دابة الأرض - يختلف الكون والزمان والمكان في أحكامه التكوينية عن النشأة الأولى في الحياة من الدنيا.

المعلّم الثالث: لدابة الأرض ثلاث خرجات من الدهر

روى الحاكم النسيابوري في مستدركه في (باب حديث أبي عوانة) حديثاً قال عنه: صحيح الإسناد لم يُخرج في البخاري ومسلم، وهو أبين حديث في ذكر دابة الأرض^(١).

(١) المستدرك على الصحيحين: ج ٤ ص ٤٨٤، ورواه أيضاً في مجمع الزوائد، ج ٨ ص ٧؛ وفي مسند أبي داود الطيالسي، ص ١١٤؛ وفي الأحاديث الطوال للطبراني، ص ٩١؛ والمعجم الكبير، ج ٣، ص ١٧٤؛ وكنز العمال للمتقي الهندي، ج ١٤، ص ٦٢٣؛ ومصادر عديدة أخرى.

بسند متصل عن أبي سريح الأنصاري عن النبي ﷺ : قال: (يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر؛ تخرج أول خرجة بأقصى اليمن، فيفشو ذكرها في البادية، ولا يدخل ذكرها القرية - يعني مكة - ثم تمكث زماناً طويلاً بعد ذلك، ثم تخرج خرجة أخرى قريباً من مكة فينتشر ذكرها في أهل البادية، وينتشر ذكرها بمكة، ثم تكمن زماناً طويلاً، ثم بينما الناس في أعظم المساجد حرمة وأحبها إلى الله وأكرمها على الله تعالى - المسجد الحرام - لم يرُعهم إلا وهي في ناحية المسجد. تدنوا وتربوا بين الركن الأسود وبين باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسع من ذلك، فيرفض الناس عنها شتى وجمعاً ويثبت لها عصابة من المسلمين عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فخرجت تنفض عن رأسها التراب فبدأت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكوكب الدرية ...) الحديث.

وروى الحاكم أيضاً رواية أخرى سماها (صحيحة الإسناد) في نفس الباب في ذيل الحديث السابق: عن أبي الطفيل عن حذيفة: (أنها تخرج ثلاث خرجات في بعض البوادي ثم تكمن ثم تخرج في بعض القرى حتى يدعروه حتى تهريق فيها الأمراء الدماء).

فقه الحديث

(١٠) أن التعبير بالخروج لتلك الدابة سواء تلك الروايات التي ذكرت خرجة واحدة أم التي ذكرت ثلاث خرجات. فإن عنوان الخروج يشاكل عنوان الخروج من القبر، وحيث إن هذا الخروج في دار الدنيا فليس هو خروج البعث للقيامة الكبرى. فلا محالة يكون من نوع الرجعة إلى الدنيا وهو إحياء للميت. وحيث إنه خروج من الأرض والتراب والقبر فليس هو من نمط التناسخ ولا خروج من الأصلاب والأرحام مرة أخرى.

(١١) إن دابة الأرض عندما يكون لها ثلاث خرجات، وكل خرجة من التراب حتى إنها في الخرجة الثالثة تخرج وتنفض التراب عن رأسها فمعناه تراب القبر.

وفي هذا إشارة واضحة لكون الخروج من الأرض وأنه حياة بعد موت، وهذا هو معنى الرجعة وأن هذه الرجعة تتكرر للدابة عدّة مرات، أي أن لها كرات ورجعات. وهذا يتطابق مع ما لدينا من أنّ المدعو بدابة الأرض وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام له كرات ورجعات ومن المهم الالتفات إلى أن الروايات الدالة على خروج الدابة - كلها أو جلّها - ينص على الخروج من الأرض والتراب وهو نفس التعبير القرآني عن المعاد بأنّه خروج من الأرض إلّا أنّ هذه حيث كانت في دار الدنيا فلا محالة تنطبق على الرجعة فقط.

المعلم الرابع: القدرة التكوينية في نظام حكم دابة الأرض

١. روى المتقي الهندي في كنز العمال: (مثل أمتي ومثل الدابة حين تخرج كمثّل حيز بني ورفعت حيطانه وسُدّت أبوابه وطرح فيها من الوحش كلها ثم جيء بالأسد فطرح وسطها فارتعدت وأقبلت إلى النفق تلحسه من كل جانب كذلك أمتي عند خروج الدابة لا يفر منها أحد إلّا مثلت بين عينيّه، ولها سلطان من ربنا عظيم). قال: رواه أبو نعيم والديلمي^(١).

وفي هذه الرواية إشارة إلى شدة القدرة التكوينية لنظام الحكم لدابة الأرض وليس حكمه على حدو الحكومات البشرية الاخرى بل تفوق قدرة نظام حكم المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، لاختصاص هذا الوصف بنظام حكم دابة الأرض.

٢ - روى نعيم بن حماد بسنده عن حذيفة في حديث عن دابة الأرض: (فتخرج عليهم الدابة فتجلوا وجوههم مثل الكوكب الدري، ثم تنطلق فلا يدركها طالب ولا يفوتها هارب، وتأتي الرجل وهو يصلي، فتقول: والله ما كنت من أهل الصلاة، فيلتفت إليها فتخطمه، قال: وتجلو وجه المؤمن وتخطم الكافر)^(١). الحديث.

(١) كنز العمال ح ٣٨٨٨١ ج ١٤ ص ٣٤٤.

(١) كتاب الفتن ص ٤٨٥، الحديث ١٨٦٨.

ومثل هذين الحديثين أحاديث كثيرة رواها العامة في مصنفاتهم، وهي دالة على مدى سلطان الحكومة والحكم الذي يقيمه حجة الله على خلقه والمنعوت هناك بدابة الأرض وأن هذه القدرة في حكومته ليست على نمط باقي الحكومات، بل الظاهر من روايات الفريقين أن نمط القدرة والسيطرة في حكومة حجة الله على خلقه - وهو علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام - المنعوت بدابة الأرض تفوق سيطرة حكومة الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ، كيف لا وقد نص القرآن على مقام من مقامات علي عليه السلام - وهو دابة الأرض - بالخصوص وهو من مقاماته العظيمة فضلاً عن بقية مقاماته ، بينما ذكر ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بالعموم الشامل لكل الأئمة عليهم السلام في آيات عديدة وذلك إشارة لطيفة إلى تعاضد مقامات أمير المؤمنين عليه السلام على مقامات بقية الأئمة عليهم السلام .

المعلم الخامس: تضاؤل قدرة إبليس وخفوت قوته

روى القوم بطرق عديدة: أن دابة الأرض بعد خروجها تلطم إبليس وهو ساجد^(١).

فقد روى الطبراني عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : (إذا طلعت الشمس من مغربها خرَّ إبليس ساجداً ينادي ويجهر: إلهي! مرني، أنا أسجد لمن شئت، قال: فتجتمع إليه زبانيته، فيقولون: يا سيدهم ما هذا التضرع؟! فيقول: إنما سألتُ ربي (عَزَّ وَجَلَّ) أن ينظرني إلى الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم. ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصخر، فأول خطوة تضعها في إنطاكيا فتأتي إبليس فتلطمه^(٢) .

وهناك روايات أخرى رووها باللسنةِ أخرى مُحصَّلة: أن إبليس وجنوده تتقلص قوتهم وفي بعضها يقتل بالدابة، وهذا مما يشير إلى درجة من تفشي الخير والخيرات

(١) مستدرک الحاكم النيشابوري، ج ٤، ص ٥٢١، وأيضاً مجمع الزوائد.

(٢) مجمع الزوائد، الهيثمي، ح ٨، ص ٨، باب (طلوع الشمس من مغربها) قال: أخرجه الطبراني.

وانتشار العدالة بأنماط مُركزة واسعة.

فقد روى الحاكم عن ابن مسعود: أنها إذا خرجت تقتل إبليس (وهو ساجد)، وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها.

وعن أنس بن مالك، قال في دابة الأرض: إنَّ فيها من كل أمة سيماء وإنَّ سيماءها من هذه الأمة أنها تتكلم بلسان عربي مبين^(١).

ومفاد هذه الرواية: أنَّ دابة الأرض تتكلم بكل اللغات البشرية، وهذا يشير إلى أنَّ مقام دابة الأرض هو مقام حجة من حجج الله تعالى، وهو المنطبق على وصاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

المعلم السادس: تفشي وإقامة العدل في أعلى درجاته في عهد وحاكمية دابة الأرض

روى الحاكم النيشابوري بسنده عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ: قال: (خروج الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها، فإذا خرجت لطمت إبليس وهو ساجدٌ ويتمتع المؤمنون في الأرض بعد ذلك أربعين سنة لا يتمنون شيئاً إلا أعطوه ووجدوه، ولا جور ولا ظلم، وقد أسلم الأشياء لرب العالمين طوعاً وكرهاً حتى أنَّ السبع لا يؤذي دابةً ولو طيراً ويلد المؤمن فلا يموت حتى يتم أربعين سنة بعد خروج الدابة ثم يعود فيهم الموت فيمكثون في ذلك ما شاء الله ثم يُسرع الموت في المؤمنين فلا يبقى مؤمن، فيقول الكافر قد كنّا مرعوبين من المؤمنين فلم يبقَ منهم أحد وليس تقبل منا توبة فيتهارجون في الطرق تهارج البهائم ثم يقوم أحدهم بأمه وأخته وابنته فينكحها وسط الطريق يقوم عنها واحد وينزوا عليها آخر...) إلى آخر الحديث وفيه يُبين قيام الساعة على أولاد الزنا شرار الناس^(٢).

ولهم روايات أخرى بطرق أخرى بهذا المضمون أيضاً.

(١) عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى المقدسي، ص ٣١٥.

(٢) المستدرک، مجلد ٤، ص ٥٢١.

وفي مفاد هذه الرواية محاور جمّة:

الأوّل: ما نحن في صددّه من ازدياد تفشي العدل كيفاً وكمّاً، وهو ما أشار إليه بقوله ﷺ: (ولا جور ولا ظلم وقد أسلم الأشياء لرب العالمين طوعاً وكرهاً حتّى أنّ السبع لا يؤذي دابةً ولا طيراً).

وهذه درجة من أفق العدل تتفشى حتّى في الحيوانات، وهذا المعنى من نظام العدل الشمولي الشامل للحيوانات لم يهتد إلى تصويره البشر إلى الآن فأي آلية وأي نظام وأي منظومة بإمكانها إقامة العدل حتّى في أرواح وطباع الحيوانات فضلاً عن الجن والإنس! وقد أشير في الرواية إلى تضاؤل الشر وتكاثر الخير وضعف قدرة إبليس والسيطرة عليه.

وكل هذه الأمور مما يُقوّي صرح وهيكل العدل ويضعف كيان الشر والظلم.

الثاني: تقليل الشرور في الأرض وضعف كيان الشر، فقد روى أحمد بن حنبل عن أبي هريرة عن النبي ﷺ يقول: (لا تقوم الساعة حتّى لا تنطح ذات قرن جماء)^(١). ومفاد الحديث إشارة إلى تفشي العدل بين الحيوانات البهيمة الذي مرّ الإشارة إليه فضلاً عن الجن والإنس، وقد أشار الحديث إلى خمول الشر بقوله: (إنّ دابة الأرض تلطم إبليس وهو ساجد)، وهو كناية عن سيطرة صاحب مقام دابة الأرض على قدرات إبليس وهو ساجد، أي منقاد وذليل في قدرته تحت قدرة وحاكمة دابة الأرض.

الثالث: تكامل الطبائع المادية إلى الذروة فضلاً عن التكامل الروحي الذي أُشير إليه، ومن معالم هذا التكامل: طول عمر المؤمنين وأنهم لا يتمنون شيئاً إلّا أعطوه ووجدوه.

الرابع: أنّ خروج الدابة من الأرض ورجعتها للعالم وحاكمتها في الأرض الذي هو حاكمية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في روايات العامة فضلاً عن روايات

(١) مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٤٢.

أهل البيت عليهم السلام وفضلاً عن الإشارات العديدة التي مرّ ذكرها: أنّ دابة الأرض هو حجة من حجج الله تعالى، فخرج الدابة بعد طلوع الشمس من مغربها، وطلوع الشمس من مغربها إنّما هو ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) من مكة كما مرّ تحقيق ذلك في مباحث معرفة الإمام المهدي.

فهذه البعدية نصّ في قيام دولة العدل الإلهي بعد دولة الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) واستمرار دول العدل إلى مراتب أعظم فأعظم في العدل، وأبرز ذلك هو دولة حجة الله على عباده صاحب مقام دابة الأرض وهو أمير المؤمنين عليه السلام.

دابة الأرض حقيقتها في روايات العامة

روى ابن أبي حاتم عن أبي الزعراء: أنّ رجلاً سأل عبد الله. عن الدابة؟ فقال له: سل علياً؛ فإنّه بذلك، فسأل علياً، فقال: تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتكلم الناس (أنّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) ^(١).

روى ابن أبي حاتم أيضاً: عن محمد بن كعب القرظي عن علي أنّه كان إذا سئل عن الدابة، قال: (أما والله ما لها ذنب، وإنّ لها لحية) ^(٢).

وفي تفسير بيان المعاني: قال علي (كرم الله وجهه): (لها لحية ولا ذنب لها). وقال وهب: وجهها وجه رجل وسائر خلقها كالطير، والله أعلم بحقيقتها والحكم الشرعي: وجوب الاعتقاد بخروجها جزماً، اعتقاداً لا مِرْيَةً فيه، ومن أنكرها يكفر - والعياذ بالله - لثبوتها نصاً بالقرآن العظيم ^(٣).

الاعتقاد برجعة أمير المؤمنين عليه السلام فرض على الأنبياء السابقين

قال السيوطي: أخرج ابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم

(١) تفسير ابن أبي حاتم، مجلد ٩، ص ٢٩٢٦ / ح ١٦٦٠٩.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم، مجلد ٩، ص ٢٩٢٤ / ح ١٦٥٩٦.

(٣) تفسير بيان المعاني، ج ٣، ص ٣٤٤.

عن الحسن: أن موسى عليه السلام سأل ربه أن يريه الدابة، فخرجت ثلاثة أيام وليالهن تذهب في السماء لا يرى واحد من طرفها، قال: فرأى منظراً فظيماً، فقال: رب ردّها، فردّها^(١). وكذلك روى العامة في مصادرهم: أن موسى عليه السلام طلب من الله أن يريه دابة الأرض، فأراه الله تعالى إيّاها.

وهذا مؤشر إلى أن الاعتقاد بدابة الأرض - وهو رجعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) - قد أخذ اعتقاده على الأنبياء السابقين وعرفهم الله تعالى الإيمان بها، كما يدل على أن دابة الأرض مقام من مقامات علي بن أبي طالب عليه السلام وقد أخذ على الأنبياء الاعتقاد به كما أخذ عليهم الاعتقاد بأنّ علياً عليه السلام مفترض الطاعة من الله بعد سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله رتبة ومقاماً.

وهذا ممّا يظهر بوضوح أن معرفة إمامة أمير المؤمنين عليه السلام من خلال الرجعة ومقاماته التي فيها لهو ركن هام في معرفة الإمامة كما تقدّمت الإشارة إليه في الأحاديث المروية عن الإمام الباقر عليه السلام.

إشارة روايات العامة إلى أن دابة الأرض علي عليه السلام

روى العقيلي - في ترجمة جابر الجعفي - عن سفيان بن عيينة عن جابر أنّه كان يقول: إنّ دابة الأرض علي^(٢).

وروى العقيلي أيضاً عن أبي بكر، قال: سمعت علياً على المنبر يقول: إنّ دابة الأرض تأكل وتُحدّث، فقال رشيد الهجري: أشهد أنك تلك الدابة، فقال له علي قولاً شديداً^(٣).

(١) تفسير الدر المنثور، ح ٥، ص ١١٥.

(٢) كتاب الضعفاء، باب الجيم، رقم ٢٤٠، ترجمة جابر بن يزيد الجعفي، ج ١، ص ١٩٤، ورواه الذهبي في

ميزان الاعتدال في ترجمة جابر بن يزيد، رقم ١٤٢٥ ج ١ ص ٣٨٤.

(٣) ضعفاء العقيلي، باب الراء، ج ٢ ص ٦٣، رقم ٦٠٣.

وروى ابن عساكر^(١) عن الغطافي عن رجاله عن الصادق عليه السلام عن آبائه الطاهرين عليه السلام عن جابر الأنصاري، قال: لما بويع علي خطب الناس، فقام إليه عبد الله بن سبأ، فقال له: أنت دابة الأرض، قال: فقال له اتق الله ... الحديث.

فيظهر من رواياتهم: أنَّ جملة من الصحابة والتابعين في الصدر الأول كانوا يقولون ويروون أنَّ دابة الأرض هو علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقال المقدسي: أخرج الإمام أبو عمر المقرئ في سننه عن أنس بن مالك، قال في دابة الأرض: إنَّ فيها من كل أمة سيماء، وإنَّ سيماءها من هذه الأمة أنَّها تتكلم بلسان عربي مبين^(٢).

ومفاد هذه الرواية: أنَّ دابة الأرض تتكلم بكل اللغات البشرية، وهذا أيضاً يشير إلى أنَّ مقام دابة الأرض حجة من حجج الله تعالى، وهو المنطبق على وصاية علي بن أبي طالب عليه السلام.

(١) روى ابن أبي عاصم المتوفى سنة ٢٨٧ في الغيبة الصغرى في (كتاب السنة) عن أبي الطفيل، قال: كان [ذو القرنين] رجلاً صالحاً ناصح الله فنصحه فضرب على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم ضُرب على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله، وإنَّ فيكم مثله. ومفادها: وجود إمام في الأمة الإسلامية منصوب من قبل الله تعالى يُمكن له الله في الأرض ويؤتيه الأسباب وأنَّه يُضرب على قرن رأسه مرتين أي يقتل مرتين ويُحيى ويرجع مرتين إلَّا أنَّه يُمكن له ويُعطى الأسباب بعد رجوعه من الموت إلى الدنيا بعد ما قُتل.

وقد رواه المتقي الهندي في كنز العمال عن ابن عاصم في (السند) وابن الأنباري في (المصاحف) وابن مردويه وابن المنذر وابن عبدالحكم في (فتوح مصر). وروى في كنز العمال عن ابن مردويه عن سالم بن أبي الجعد، قال: سئل عليُّ

(١) تاريخ دمشق، في ترجمة عبد الله بن سبأ، رقم ٣٣٠٦، ج ٢٩، ص ٩.

(٢) عقد الدرر في أخبار المنتظر، يوسف بن يحيى المقدسي، ص ٣١٥.

عن ذي القرنين أنبيُّ هو؟ فقال: سمعتُ نبيكم (صلى الله عليه وآله) يقول: هو عبدٌ وفي لفظ: رجل ناصح الله فنصحه وأنَّ فيكم لشبهه أو مثله^(١).

وذكر ابن أبي حاتم^(٢) في تفسيره روايات أنَّ في زمن علي عليه السلام كان الاعتقاد لدى جملة من المسلمين أن دابة الأرض هو علي عليه السلام فقد روى بسنده عن النزال بن سبرة، قال: قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام: إنَّ ناساً يزعمون أنك دابة الأرض؟ فقال علي عليه السلام: والله إنَّ لدابة الأرض ريشاً وزغباً...^(٣).

وروى السمعاني المتوفي سنة ٤٨٩هـ في تفسيره في ذيل قوله تعالى: ﴿أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾ عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: «ليس بدابة لها ذنب ولكن لها لحية» كان يشير إلى أنه رجل وليس بدابة ذات الأربع والأكثر من على أنها دابة، وهي تخرج في آخر الزمان، ويقال: إنَّ أوَّل أشراف الساعة طلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض^(٤).

ورواه الزمخشري في تفسيره في ذيل سورة الكهف.

(٢) روى ابن أبي حاتم في تفسيره بسند عن أبي الزعراء عن رجل سأل عبد البر عن الدابة، فقال له: سل علياً فإنه بذلك فسأل علياً عليه السلام، فقال: تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتكلم الناس^(٥).

وهذا الوصف لدابة الأرض منه عليه السلام يحاكي وصف القرآن للرسول ﷺ بأنه بشر، ففي توصيف دابة الأرض بذلك إشارة إلى أنها بشر قد اصطفاها الله للحكم في الأرض في حين أنه يأكل ويمشي في الأسواق.

(٣) وذكر مقاتل في تفسير آية دابة الأرض: أنَّ قوله تعالى: ﴿إنَّ الناس كانوا

(١) كنز العمال، مجلد ٢، ص ٤٥٦، رقم الحديث ٤٤٩١.

(٢) نفس المصدر / ٤٤٩٠.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ج ٩ ص ٢٩٢٤ الحديث / ١٦٥٩٥.

(٤) تفسير السمعاني، مجلد ٤، ص ١١٣.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم: ج ٩ ص ٢٦٢٦ الحديث ١٦٦٠٩.

بآياتنا» بخروج الدابة، هذا قول الدابة للناس أن الناس بخروجي لا يوقنون؛ لأنَّ خروجها آية من آيات الله (عَزَّ وَجَلَّ). انتهى كلامه.

ومقتضى تفسيره للآية: أنَّ كثيراً من الناس لا يؤمنون بخروج الدابة كآية من آيات الله، والخروج من الأرض عبارة أخرى عن الرجعة؛ لأنَّها خروج من القبر، أي من الأرض بينما الحياة الأولى لأي كائن حي يدب على الأرض هو خروج من الأرحام والأصلاب. فرجة دابة الأرض إلى الدنيا تمشي في الأسواق وتكلم الناس كحاكم من الله وبأمره آية من آيات الله الكبرى.

(٤) وروي مستفيضاً عند العامة: أنَّ لدابة الأرض ثلاث مراحل وخرجات في بعض البوادي وبعض القرى، حتَّى تهريق الأمراء فيها الدماء - كما مرَّ بعضه - وهذا يدلُّ على أنَّ لدابة الأرض رجعات.

الفرق بين حكومة دابة الأرض أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة

وبين الإمام الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه)

(٥) ورووا أيضاً مستفيضاً: أنَّ دابة الأرض تأتي الرجل وهو يصلي فتقول له: (اتعوذ بالصلاة! والله ما كنت من أهل الصلاة)، فإلتفت إليها فتخطمه.

وفي لفظ بعضها: فإذا رآها الناس دخلوا المسجد يصلون فتجيء إليهم، فتقول: (الآن تصلون!) فتخطم الكافر وتمسح على جبين المسلم غرة .

ومفاد هذه الروايات: أنَّ هذا الحاكم بأمر الله المدعو (دابة الأرض) لا يقبل ظاهر الإسلام، بل يداين ويحاكم الناس على البواطن وواقع حالهم من الإيمان القلبي والكفر القلبي.

ورووا أيضاً مستفيضاً: أنَّ دابة الأرض تسم الناس مؤمناً وكافراً، وهذا الوسم والفصل والميز المتواتر في رواياتهم مقارب جداً لما في رواياتنا.

روى الشيخ الطوسي عن النبي ﷺ: «أَنَّ عَلِيًّا قَسِيمَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ»^(١) ونظير «إِنَّ عَلِيًّا حُبَّهُ إِيْمَانٌ وَبُغْضُهُ كُفْرٌ» وهذه الصفة والشأن في عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام بعينها هي صفة دابة الأرض وأنها تسم الناس مؤمناً وكافراً، فهي فيصل وفاصل وفاروق وحاكم ديان يداين الناس يوم الدين وأنها تكتب بين عيني الإنسان: مؤمن أو كافر، فلا يبقى أحد إلا وسمت وجهه، فتركه أبيضاً أو أسوداً.

وقد وَرَدَ ابيضاض الوجه واسوداده مستفيضاً لدى الفريقين، وهو مفاد قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيْمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢). وهذا الحدث الذي تشير إليه هذه الآيات راجع إلى ما ورد بشأن دابة الأرض في سورة النمل.

وإلا فما هو حقيقة موقعية شخصية تفصل بين الناس بحسب حقائق قلوبهم ودينهم، وتداين الناس على حسب واقعهم، فهل هي إلا شخصية جعلها الله تعالى شاهدة على أعمال العباد، وحاكمة عليهم بحسب حقائق الدين وواقع جزاء الأعمال، لا حكومة ظاهرية بحسب ظاهر الإسلام ذات سيطرة محدودة في ظاهر أوضاع الناس، بل ذاك بولاية وقدرة على قلوب وأرواح الناس وبواطن ضمائرهم.

وبالمقارنة مع ما وَرَدَ مستفيضاً عن الفريقين في أوصاف حاكمية دابة الأرض عند خروجها أنه لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب. وهذا فارق كبير بين قدرة حاكمية دابة الأرض وحاكمة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) في دولة الظهور فإنه وَرَدَ في وصف قدرة حاكمية حكومته ودولته «أنه يسير والرعب أمامه شهراً».

بينما قدرة وسيطرة حاكمية دابة الأرض أَنَّ كل نقاط الأرض تحت سيطرتها

(١) التبيان في تفسير القرآن، ج ٤ ص ٤١١.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ١٠٦-١٠٨.

بالفعل في آن واحد، وأنَّ أي قوة في البشر لا تستطيع أن تستهدفها وأنَّها تصرخ فيسمعها من بين الخافقين. ولا ينال أحد من سيطرتها شيئاً.

ومن ثم كان درجة انتشار العدل في دولة الرجعة لأمر المؤمنين عليه السلام في مرحلة دولة دابة الأرض - وهي منتصف رجعاته - أعظم كمالاً بمراتب من دولة الظهور للإمام الثاني عشر - عجل الله تعالى فرجه الشريف - .

وقد روى الطبراني أنَّ دابة الأرض تلطم إبليس.

وذكر العيني في عمدة القارئ: أن دابة الأرض تقتل إبليس.

وروى ابن أبي شيبه الكوفي: أنَّ الدابة تنتقم من المنافقين يومئذٍ وهم أشر من الدجال^(١).

وروى نظيره ابن أبي حاتم في تفسيره في ذيل آية دابة الأرض.

وروى العيني أيضاً ضعف الشياطين بخروج دابة الأرض عن الشر.

وروى الحاكم بسنده عن أبي الطفيل: كنّا جلوساً عند حذيفة فذكرت الدابة،

فقال حذيفة: إنَّها تخرج ثلاث خرجات: في بعض البوادي، ثم تكمل ثم تخرج في

بعض القرى حتّى يذعروا حتّى تهريق فيها الأمراء الدماء، ثم تكمن، قال: فبينما الناس

عند أعظم المساجد وأفضلها وأشرفها - حتّى قلنا لمسجد الحرام - وما سمّاه إذ ارتفعت

الأرض ويهرب الناس ويبقى عامّة من المسلمين يقولون: إنَّه لن يُنجينا من أمر الله شيء!

فتخرج فتجلو ووجوههم حتّى تجعلها كالكواكب الدرية، وتتبع الناس جيران في الرباع

شركاء في الأموال وأصحاب في الإسلام^(٢).

وقول الناس: (إنَّه لن ينجينا من أمر الله شيء) دالٌّ على أنَّ حاكمية دابة الأرض

من الله تعالى وأمره.

كما أنَّ ما رواه العامة مستفيضاً (أنَّ معها عصى موسى وخاتم سليمان) مقتضاه:

(١) المصنف، مجلد ٨ ص ٦٧١، في (باب فقه الرجال).

(٢) المستدرك على الصحيحين: ج ٤ ص ٤٨٥.

أنَّها حجة الله وأنَّها شخصيةٌ ترثُ موارِيثُ الأنبياءِ فلها مقامُ الحجية، وأنَّها شخصية مصطفاة كالأنبياء وأنَّها تجمع معاجزهم.

وهل يقوم بمعاجز إلهية قام بها الأنبياء متفرقين ويقتدر عليها، ويقوم هو بها وحده، إلَّا رجل مصطفىٍ بإصطفاء عظيم وليس هو سيد الأنبياء ﷺ ولا نبي بعده فلم يبق إلَّا أوصياؤه وسيد أوصيائه ابن عمه من أهل بيته، كما هو مفاد حديث الدار وأحاديث آخر رواها الفريقان ونصَّ عليها العديد من الآيات في يوم القرآن .
كما أنَّ تجليتها تكويناً لنفاق المنافق وإيمان المؤمن وآثار أعمال كل منهما هو نمط من حاكمية يوم الدين، وأنَّه هو من يُجازي الخلق من قبل الله تعالى على نمط الجزاء الأخروي.

بدء الحساب في أواخر الرجعة قبل يوم القيامة

من مظاهر شخصية دابة الأرض: أنَّ حاكميته حاكمية يوم الدين وقد روى ابن أبي شيبة بسنده: أنَّه إذا خرجت أوَّل الآيات حبست الحفظة وطرحت الأقلام وشهدت الأجساد على الأعمال^(١).

وروى العامة أيضاً: أنَّ من الآيات التي تخرج لأشراط الساعة: خروج دابة الأرض وهذا مما يشير إلى أنَّ حاكميتها حاكمية مُداينة يوم الحساب، وقد وردَ في روايات أهل البيت ﷺ بدءُهُ في أواخر الرجعة قبل يوم القيامة.

وروي عن حذيفة بن أسيد، قال: كنَّا نتحدث في ظل غرفة لرسول الله ﷺ فذكرنا الساعة فارتفعت أصواتنا فأشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفته، فقال: عمَّا تتحدثون؟ فقلنا: ذكر الساعة، فقال رسول الله ﷺ: إنَّ الساعة لن تكون - أو لن تقوم - حتَّى يكون قبلها عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة وخروج يأجوج ومأجوج، والدجال، وعيسى بن مريم والدخان، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق

(١) المصنف ج ٨، الحديث ١٤٥، ١٥٥ ص ٦٧٠ - ٦٧١.

وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من قعر عدن فتسوق الناس إلى المحشر^(١).

ولا يخفى أنهم رَووا أيضاً أنَّ الدابة لها ثلاث خرجات، وأنَّ إحدى خرجاتها تكون من عدن وأنها تسوق الناس من هناك.

كما أنَّ سوق النار للناس يدلُّ على أنَّ المراد: أنَّ هناك سائق يسوق ويستهدف سوقهم إلى موقع المحشر. فليس هذه النار إلا عبارة عن الرهبة والرعب الذي ينتاب الناس من هذا السائق وهو ينطبق على دابة الأرض.

وقد وَرَدَ في مصادر أهل البيت عليه السلام: «أنَّ دابة الأرض تسوق الناس إلى المحشر»^(٢).

وروى الطبراني بسنده عن أبي الطفيل عن أبي سريحة الغفاري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ثم تذهب فيتجاوز الناس في دورهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال، ويعرف الكافر من المؤمن حتَّى أنَّ الكافر يقول للمؤمن يا مؤمن أقضي حقي، ويقول المؤمن للكافر: يا كافر، أقضي حقي)^(٣).

ومفاد هذه الرواية - المروية عندهم بطرق متعددة - يشير إلى درجة من تألف الناس وتوادهم وانسجامهم في الحياة والتعامل الاجتماعي، تترقى إلى درجة البناء وفق الأصول الأخلاقية لا مجرد قوانين العدل والقسط بجفاف.

وبعبارة أخرى: يكون بناء العلاقة الاجتماعية المعيشية على الإحسان، وهو أعلى رتبة من بنائه على مجرد العدل والقسط.

و تتكامل درجة الإصلاح في زمان دولة دابة الأرض بدرجات أعلى وأعظم ممَّا يتحقق في دولة الظهور للمهدي (عج الله تعالى فرجه) من عدل وقسط، وقد ورد

(١) السنن الكبرى للنسائي، ص ٤٢٤، ج ٦، الحديث ١١٣٨٠، المستدرک للحاكم النيشابوري، ج ٤ ص ٤٨٤،

الأحاديث الطوال للطبراني، ص ٩٢.

(٢) الغيبة للطوسي، ص ٢٦٦.

(٣) بحار الأنوار، ج ٥٢، ص ١٢.

أن أمير المؤمنين عليه السلام يملأها صدقاً وإيماناً وهي رتبة أعلى من ملأها قسطاً وعدلاً لأن الصدق والإيمان من باطن النفس وأما القسط والعدل فهو ظاهر التعامل بين الناس. وقد روى الحاكم عن أبي الطفيل، قال: كنا جلوساً عند حذيفة فذكرت الدابة، فقال حذيفة: إنها تخرج ثلاث خرجات فتخرج فتجلو وجوههم حتى تجعلها كالكوكب الدرّي، وتتبع الناس جيران في الرباع شركاء في الأموال وأصحاب في الإسلام^(١).

وقد رووا مستفيضاً أنّ تعامل الناس فيما بينهم يتمّ على الباطن لا على الظواهر. فمن ذلك: ما رواه الطبري بسنده عن أوس بن خالد عن أبي هريرة، قال قال: رسول الله صلى الله عليه وآله: تخرج الدابة معها خاتم سليمان، وعصى موسى فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى أنّ أهل البيت ليجتمعون فيقول: هذا يا مؤمن، ويقول: هذا يا كافر^(٢).

وروى الطبري أيضاً بسنده عن قتادة، قال: هي دابة قال: قال عبد الله بن عمر: تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء فتفشو في وجهه فيسود وجهه وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه حتى يبيض وجهه، فيجلس أهل البيت على المائدة فيعرفون المؤمن من الكافر ويتبايعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر^(٣).

كما أنهم رووا روايات مستفيضة أنّ دابة الأرض تسمّ الناس مؤمناً وكافراً، وهذا المقام عين مقام علي عليه السلام قسيم الجنة والنار، وأنّه حاكم وديان يوم الدين كخليفة الله تعالى.

فقد روى الطبري بسنده عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ... وذكر الدابة، فقال حذيفة: قلت: يا رسول الله من أين تخرج؟ قال: من أعظم المساجد حرمةً على الله بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه

(١) المستدرک علی الصحیحین، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٢) جامع البيان، مجلد ٢٠، ص ١٩، ح ٢٠٦٢٤.

(٣) جامع البيان، مجلد ٢٠، ص ٢٠، ح ٢٠٦٢٥.

المسلمون إذ تضطرب الأرض حولهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدوا رأسها ملمعة ذات وبر وریش، لم يدركها طالب، ولم يفوتها هارب، تسم الناس مؤمناً وكافراً، أمّا المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأمّا الكافر فتكت بين عينيه نكتة سوداء: كافر^(١).

ملحوظة معترضة

أقول: قد يظهر من الروايات تزامن رجعة أمير المؤمنين عليه السلام مع حضور ونزول عيسى عليه السلام وهو عصر ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - فيستلزم ذلك: أن أول من يرجع من المعصومين عليهم السلام هو علي عليه السلام، لا الحسين عليه السلام - كما مرّ - معاصراً لأواخر عهد المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -، وقد يظهر هذا المعنى أيضاً من رواية الناحية المقدسة التي ذكر من علامات وقت الظهور: خروج دابة الأرض. ويمكن توجيهه: أنّ التزام بين خروج دابة الأرض يكون في رجعة عيسى عليه السلام أو مراده من وقت الظهور ليس خصوص ظهوره - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بل مطلق ظهور دولتهم، وقد عرفت أن رجوع الأئمة عليهم السلام يطلق عليه رجوع بعد غيبة الموت.

رجوع إلى أحوال دابة الأرض

وروى الطبري أيضاً قريباً منه: أنّها تختتم أنف الكافر بالخاتم، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجه حتى يبيض وجهه فيجلس أهل البيت على المائدة فيعرفون المؤمن من الكافر، ويتبايعون في الأسواق فيعرفون المؤمن من الكافر. وروي أنّ شخصية دابة الأرض تكتب بين عيني الشخص: مؤمناً أو كافراً. ومما مرّت الإشارة إليه في طوائف الروايات التي رواها العامة وأنّها تسم الناس

(١) جامع البيان، تفسير الطبري / ج ٢٠ ص ١٩.

مؤمناً وكافراً وغيرها من الدلالات: يظهر أنّ حكومة دابة الأرض لا تكون على طبق الظواهر والسطح المعلن من الناس، بل تداين وتحاكم على الباطن والواقع من حقائق الأشخاص.

مثل ما رووا من أنّه إذا رآها الناس دخلوا المسجد الحرام يصلون فتجيء إليهم، فتقول: الآن تصلون! فتخطم الكافر وتمسح على جبين المسلم غرة.

مقام الحاشر والحشر للنبي ﷺ

وقد رووا في ذلك روايات مستفيضة:

- ١ - روى أحمد بن حنبل في مسنده عن حذيفة، قال: سمعت النبي ﷺ يقول في سكة من سكك المدينة: أنا مُحَمَّدٌ وأنا أحمد والحاشر والمقفي ونبي الرحمة^(١).
- ٢ - وروى في مسنده عن جبير بن مطعم عن أبيه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ لي أسماء: أنا أحمد وأنا مُحَمَّدٌ وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب^(٢).
- وفي رواية: (والخاتم)^(٣)، وفي رواية: (والعاقب الذي ليس بعده نبي)^(٤)، وفي رواية: «ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملحمة»^(٥) وفي رواية: «ونبي الملاحم»^(٦) وفي رواية: «وأنا النبي المصطفى»^(٧) ورواية «والعاقب الذي ليس بعده أحد»^(٨).

(١) مسند أحمد بن حنبل (حديث حذيفة بن اليمان)، ج ٥، ص ٤٠٥.

(٢) مسند أحمد ج ٤، ص ٨٤.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) مسند أحمد، ج ٤، ص ٨٠.

(٥) مسند أحمد، حديث أبي موسى الأشعري، ج ٤، ص ٣٩٥.

(٦) نفسه ج ٥، ص ٤٠٥.

(٧) مسند أحمد ج ٦، ص ٢٥.

(٨) سنن الدارمي، باب أسماء النبي ﷺ ج ٢، ص ٣١٨.

وروى نحوها البخاري في صحيحه^(١) ومسلم في صحيحه في مواضع منه، وفيه: «والعاقب الذي ليس بعده أحد»^(٢)، والترمذي في سننه^(٣)؛ والحاكم في المستدرک^(٤) وفي شرح صحيح مسلم للنووي: «وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي»^(٥). وفي مجمع الزوائد عن الطبراني في الكبير والأوسط عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ: «أنا أحمد وأنا محمد وأنا الحاشر الذي أحشر الناس على قدمي وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، فإذا كان يوم القيامة كان لواء الحمد معي وكنت أمام المرسلين وصاحب شفاعتهم»^(٦).

وهذه الروايات لها دلالة على الرجعة من وجوه:

الأول والثاني: تسميته من الله تعالى (الماحي) و (العاقب) قد ذكر في عدة روايات رويها وتفسيرها: بأن الله يمحو به الكفر، وهو مطابق لمفاد وعد الله تعالى، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ والذي ينجز هذا الوعد في رجعته ﷺ حيث إن في رجعته التي هي أيضاً مفاد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾.

وقد أشير في روايات أهل البيت عليهم السلام - كما سيأتي في الباب الثالث - أن رجعته ﷺ تكون في آخر حياة الرجعة وأن دولته ﷺ هي آخر دول المعصومين عليهم السلام. ومنه يُفسر اسم (العاقب)، حيث روي أنه «ليس بعده أحد» كالصريح في أن رجعته ﷺ هي في آخر عمر الدنيا، ولا محالة تكون في الحياة الآخرة من الدنيا. فلا بد إذن من رجعته ﷺ كي يمحو به جميع الكفر من الأرض ويكون عاقباً لا معقب يحكم الأرض

(١) صحيح البخاري كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ ج ٤، ص ١٦٢، وج ٦، ص ٦٢.

(٢) صحيح مسلم باب، باب في أسمائه ج ٧، ص ٨٩.

(٣) سنن الترمذي، باب ما جاء في أسماء النبي ﷺ، ج ٤، ص ٢١٤.

(٤) مستدرک الحاكم، باب أسماء النبي ﷺ ج ٢، ص ١٠٥.

(٥) شرح صحيح مسلم لأسمائه ج ١٥، ص ١٠٥.

(٦) مجمع الزوائد في أسمائه، ج ٨ ص ٢٨٤.

بعده.

الثالث: وصفه ووسمه بالمُقفي وهو مقارب لاسم (العاقب) فهو الذي يقفوا الخلائق والقرون، وهو يفيد أنه آخر المعصومين عليه السلام رجوعاً فلا بد من رجوعه كي يكون مُقَفِّياً وعاقباً ليس بعده أحد.

الرابع: تسميته (صلوات الله عليه وعلى آله) بنبي الملحمة ونبي الملاحم، والملحمة والملاحم في الروايات واللغة تُطلق على الأحداث الهامة الخطيرة المستقبلية، فعندما يكون هو نبي تلك الأحداث فهذا يفيد رجوعه لاسيما الإضافة إلى المفرد في لفظ (نبي الملحمة) الظاهرة في حضوره في الملحمة المستقبلية لا مجرد إخباره عنها.

الخامس: تسميته صلى الله عليه وآله بالحاشر، وقد صرَّح في رواية جابر عنه صلى الله عليه وآله التي رواها الطبراني بقوله صلى الله عليه وآله: «أنا الحاشر الذي أحشر الناس» فيدلّ على أنّ حشر الناس يجريه الله على يديه، ولا ينافي ذلك أنّ النافخ في صور النفوس هو إسرافيل، كما أشير إلى ذلك في الآيات والروايات، فإنّ جميع الملائكة - بما فيهم إسرافيل - في طوع خليفة الله في الأرض، ثم إنّ هذا الحشر الذي يجريه الله علي يد سيد الأنبياء ليس المراد اليد الجسمانية، بل القدرة التي أعطيت له كما في كثير من الروايات التي رووها.

وهذه التسمية له صلى الله عليه وآله مقرونة بتسميته بـ (الماحي) أو عند تسميته بـ (العاقب) قبل تسميته بـ (نبي الملحمة) الدالّ على أنّ هذا الحشر منه صلى الله عليه وآله للناس هو حشر الرجعة، إذ هو لا يختص بالحاشر الأكبر تواجداً في يوم القيامة.

وقد وردَ هذا العنوان في روايات أهل البيت عليهم السلام مثل:

١ - الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث عن المعراج: «فاجتمعت الملائكة، وقالت: مرحباً بالأوّل ومرحباً بالآخر، ومرحباً بالحاشر ومرحباً بالناشر، مُحمَّد خير النبيين وعلي خير الوصيين»^(١).

٢ - موثق مُحمَّد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام، قال: «إنّ لرسول الله صلى الله عليه وآله عشرة

(١) الكافي، كتاب الصلاة، باب النوادر، ج ٣، ص ٤٨٢، ح ١.

أسماء: خمسة منها في القرآن وخمسة ليست في القرآن، فأما التي في القرآن: فمحمد وطره وأحمد وعبد الله ويس ونون، وأمّا التي ليست في القرآن: فالفتاح والخاتم والكافي والمقفي والحاشر^(١).

٣- وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «وإنّ لي الكرة بعد الكرة. والرجعة بعد الرجعة وأنا صاحب الرجعات والكرات، وصاحب الصولات والنقمت، والدولات العجيبات، وأنا قرن من حديد، وأنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا أمين الله وخازنه، وعيبة سره وحجابه ووجه وصراطه، وميزانه وأنا الحاشر إلى الله وأنا كلمة الله التي يجمع بها المفترق ويفرق بها المجتمع وأنا أسماء الله الحسنی، وأمثاله العليا وآياته الكبرى. وأنا صاحب الجنة والنار أسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، وإليّ شروع أهل الجنة وإليّ عذاب أهل النار، وإليّ إياب الخلق جميعاً وأنا الإياب الذي يؤوب إليه كل شيء بعد الفناء وإليّ حساب الخلق جميعاً^(٢)».

٤- وفي رواية الخصيبي: (وفي صحف إبراهيم إلى آدم صلى الله عليهما) بالسرانية - مفسراً بالعربية -: النبي والمحمود والعاقب والناجي والحاشر والباعث والأمين^(٣).

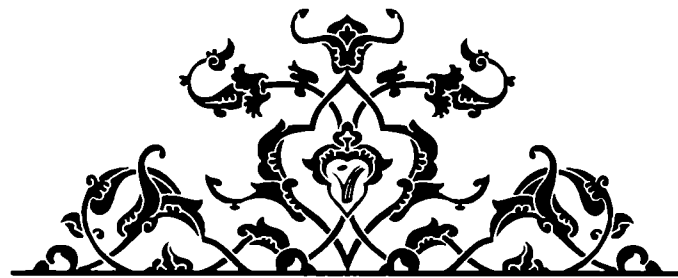
٥- وفي رواية نافع بن جبیر: (وأنا الحاشر بعثت مع الساعة)^(٤). وهذا المتن قرينة على كون المراد من الحشر وحاشريته عليه السلام أنها للناس ويكون مقترناً بالساعة للبعث وهي ساعة بعث الرجعة لا خصوص القيامة الكبرى، بل شاملة للصغرى والوسطى، وهي الرجعة والقرينة في هذا المتن: معيته للساعة قبيلها واقتران التسمية بالحاشر.

(١) الخصال، باب العشرة، ح ٢، ص ٤٢٥.

(٢) مختصر بصائر الدرجات، وأحاديث الرجعة من غير طريق سعد (ح ١٠١. ٢) ص ١٦٣.

(٣) الهداية الكبرى للخصيبي، الباب الأول ص ٣٩.

(٤) سبل الهدى والرشاد: ج ١ ص ٤٤٥.



الفصل السادس

الرجعة في الأديان

والكتب السماوية



الرجعة بشرت بها الأنبياء والمرسلين

السيد المرتضى: «الرجعة متفق عليها بين أهل الأديان السماوية»
قال: اعلم أنّ الذي يقوله الإمامية في الرجعة لا خلاف بين المسلمين - بل بين
الموحدين - في جوازه وأنّه مقدور لله تعالى.
وإنّما الخلاف بينهم في أنّه يوجد لا محالة أو ليس كذلك ولا يخالف في صحة
رجعة الأموات إلّا خارج عن أقوال التوحيد؛ لأنّ الله تعالى قادر على إيجاد الجواهر بعد
إعدامها وإذا كان عليها قادراً جاز أنّ يوجدّها متى شاء انتهى .
وكلامه يشير إلى :

(١) أهل التوحيد، وبهم يشير إلى أهل الديانات السماوية بما فيهم المسلمين
والنصارى واليهود والمجوس والصابئة.

(٢) أنّ إمكان الرجعة عند أهل هذه الديانات السماوية ضرورة اتفاقية فيما بينهم،
فالذي ينكر الإمكان وإمكان الوقوع خارج عن أهل الديانات السماوية برمتها.

(٣) أنّ الرجعة عقيدة راسخة في الأديان السماوية وليست خاصة بالمسلمين،
وهذا يعطي مؤشراً إلى أنّ الحكّام في الرجعة وروادها هم النبي ﷺ وأهل بيته ﺍﻟﻤﻮﺗﻪ ﻋﻠﻴﻬﻤﻮﻟﻰ
عقيدة بشرّ بها جميع الأنبياء السابقين أي أنّهم بشرّوا أممهم وأمروهم بولاية النبي وأهل
بيته (صلوات الله عليهم)، وقد مرّ أنّ الرجعة عنوان لولاية النبي ﷺ والإمامة لأهل
البيت ﺍﻟﻤﻮﺗﻪ ﻋﻠﻴﻬﻤﻮﻟﻰ .

مفروغية الاعتقاد بالرجعة في التوراة

قال الشيخ كاشف الغطاء في سياق الجواب عن اعتراض أحمد أمين المصري في (فجر الإسلام) عند قوله: «إنَّ اليهودية ظهرت عند التشيع بالقول بالرجعة»: فهل اتفقهم - أي الشيعة - مع اليهود بهذا يوجب كون اليهودية ظهرت في التشيع؟ وهل يصحَّ أن يقال: إنَّ اليهودية ظهرت في الإسلام؛ لأنَّ اليهود يقولون بعبادة إله واحد والمسلمون به قائلون؟ وهل هذا قول زائف واستنباط سخيف^(١). وكلُّ من الاعتراض والإجابة يشيران إلى مفروغية الاعتقاد بالرجعة في عقيدة التوراة.

ذلك لأنَّ النبي ﷺ جاء مُصَدِّقاً لما بين يديه من الشرايع السماوية.

ظهور الرجعة في القرآن

وقال المظفر - بعد قوله: بأنَّ الرجعة من الأمور الضرورية فيما جاء عن آل البيت من الأخبار المتواترة -: أفلا تعجب من كاتب شهير يدعي المعرفة - مثل أحمد أمين في كتابه (فجر الإسلام) - إذ يقول: «فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة»! فأنا أقول له على مُدَّعاه: فاليهودية ظهرت في القرآن بالرجعة، كما تقدم ذكر القرآن في الآيات المتقدمة.

ونزيده فنقول: والحقيقة أنَّه لا بدَّ أن تظهر اليهودية والنصرانية في كثير من المعتقدات والأحكام الإسلامية؛ لأنَّ النبي الأكرم ﷺ جاء مُصَدِّقاً لما بين يديه من الشرايع السماوية وأنَّ نسخ بعض أحكامه فظهور اليهودية أو النصرانية في بعض المعتقدات الإسلامية ليس عيباً في الإسلام^(٢) على تقدير أن الرجعة من الآراء اليهودية كما يدعيه هذا الكاتب.

(١) أصل الشيعة وأصولها، ص ١٦٧، عنوان الحديث عن الرجعة.

(٢) عقائد الإمامية، تحت عنوان (عقيدتنا في الرجعة).

الرجعة بشرت بها الأنبياء والمرسلون ﷺ

إنَّ الرجعة قدْ بشرت بها ودعت إليها جميع الأنبياء والمرسلين من لدن آدم حتى النبي عيسى ﷺ سواء في كتبهم وصحفهم المنزلة أو في أحاديث الأنبياء المأثورة، ويظهر من إبلاغهم المشترك الموحَّد أنَّها من الدين الواحد الذي بعثت عليه كافَّة الأنبياء. هذا من جانب ومن جانب آخر يدلُّ هذا التظافر من تبليغ الأنبياء على أهمية موقعية الرجعة كعقيدة في الدين، وأنَّها بمثابة تتلوا المعاد وتتلوا أصل المعرفة بسيد الأنبياء ﷺ وأوصيائه ﷺ، وهي في الحقيقة معرفة عالية راقية من مرتبة النبوة والإمامة والمعاد، كما أسلفنا سابقاً.

أما الأدلة المشيرة إلى ذلك:

(١) ما رواه الكليني بسنده عن الحسن بن شاذان الواسطي، قال: كتبت إلى أبي الحسن الرضا ﷺ أشكو جفاء أهل واسط وحملهم عليّ وكانت عصابة من العثمانية تؤذيني فوق بوقع بخطه ﷺ:

«إنَّ الله (جلَّ ذكره) أخذ ميثاق أوليائه على الصبر في دولة الباطل، فاصبر لحكم ربك، فلو قدْ قام سيد الخلق لقالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾»^(١).

وهو يشير ﷺ إلى رجعة سيد الأنبياء أو سيد الأوصياء من بعده وأنَّ في دولتهم سيندم أعدائهم، وأنَّ رجعة سيد الأنبياء وسيد الأوصياء مما قدْ قام بتبليغه جميع المرسلين، وأنَّ الرجعة بمكان من الأهمية في العقيدة حتى أنها تسمى بالمعاد الأصغر والبعث الأوَّل.

(٢) ما رواه ابن قولويه بأسانيد متعدِّدة:

منها: موثق مروون بن مسلم وبريد بن معاوية العجلي، قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ:

(١) الكافي، مجلد ٨/ ص ٢٤٧.

يا بن رسول الله أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله في كتابه حيث يقول: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فإن الناس يزعمون أنه إسماعيل بن إبراهيم. فقال عليه السلام: «إن إسماعيل مات قبل إبراهيم وأن إبراهيم كان حجة لله كلها قائماً صاحب شريعة، فإلى من أرسل إسماعيل إذا؟!». فقلت: جعلت فداك فمن؟ قال عليه السلام: «ذاك إسماعيل بن حزقيل النبي عليه السلام بعثه الله إلى قوم فكذبوه فقتلوه، وسلخوا وجهه، فغضب الله له عليهم فوجه إليه اسطاطيل ملك العذاب، فقال له: يا إسماعيل أنا اسطاطيل ملك العذاب وجهني إليك رب العزة. لأعذب قومك بأنواع العذاب إن شئت، فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك.

فأوحى الله إليه: فما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال: يا رب إنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية وأخبرت خير خلقك بما تفعل أمته بالحسين بن علي عليه السلام من بعد نبيها، وأنت وعدت الحسين عليه السلام أن تكرهه إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به، فحاجتي إليك - يا رب - أن تكرّني إلى الدنيا حتى انتقم ممن فعل ذلك بي كما تكرر للحسين. فوعد الله إسماعيل بن حزقيل ذلك فهو يكر مع الحسين عليه السلام»^(١).

وقد روى ابن قولويه أحاديث أخرى بطرق متعددة في هذا الباب بهذا المضمون، ومفادها: أن معرفة الرجعة من الدين الذي أخذه الله على جميع الأنبياء وليس من التشريعات الفرعية.

(٣) وكذا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢).

(١) كامل الزيارات، باب ١٩، ح ٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٨١.

ومفاد هذه الآية الشريفة: أن الله (عز وجل) أخذ في ميثاق النبوة على جميع الأنبياء أن يؤمنوا بالنبي ﷺ، كما أخذ عليهم جميعاً أن ينصروه فلم يؤخذ عليهم مجرد الإيمان فقط، بل أخذ عليهم النصرة والمؤازرة.

ولا تستقيم النصرة حقيقةً إلّا بأن يرجعوا إلى دار الدنيا فينصروا دين النبي ﷺ ويكونوا تحت رايته وذلك بنصرة أمير المؤمنين عليه السلام إذ هو دابة الأرض - كما تبين في روايات الفريقين - التي تخرج من الأرض والذي هو عنوان الرجعة، أي يخرج من القبور لا من الأرحام، وأمّا حمل نصرة الأنبياء عليهم السلام على إبلاغهم أممهم وأقوامهم بمجيء سيد الأنبياء في الزمان السابق الذي بعثوا فيه فهو وإن كان درجة من النصرة، ولكنه ليس يجري مجرى الحقيقة.

وهذه الآية تبين مدى ركنية معرفة الرجعة في العقيدة بحيث أخذت على الأنبياء في ميثاق نبوتهم، كما أخذ الإيمان بسيد الأنبياء عليهم السلام في ميثاق النبوة وهذا يفيد أن أخذ الإمامة والولاية لعلي عليه السلام على الأنبياء جميعاً عنوانها الرجعة. كما أنه مؤشر لمدى أهمية مقام الرجعة في معرفة إمامة أمير المؤمنين والأئمة المعصومين عليهم السلام، وقد استفاضت الروايات عنهم عليهم السلام في تبيان رجوع الضمير في (لنصرنه) إلى نصرة الأنبياء عليهم السلام لأمير المؤمنين عليه السلام.

اليهودية والرجعة، (عبد الله بن سبأ)

قال الطبري في تاريخه:

فيما كتب به إلى السري عن شعيب عن سيف عن عطية عن يزيد الفقعسي، قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء أمه سوداء، فأسلم في زمان عثمان، ثم تنقل في بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم، فبدأ بالحجاز ثم البصرة ثم الكوفة ثم الشام، فلم يقدر على ما يريد عند أحد من أهل الشام، فأخرجوه حتى أتى مصر فاعتمر فيهم، فقال لهم فيما يقول: - لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأنّ محمداً يرجع! وقد قال الله (عز وجل): ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ فمحمّد أحقّ بالرجو

من عيسى.

قال: فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة، فتكلموا فيها.

ثم قال: محمد خاتم الأنبياء وعلي خاتم الأوصياء.

ثم قال بعد ذلك: من أظلم ممن لم يجز وصيته رسول الله ﷺ ووثب علي وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة. ثم قال لهم بعد ذلك:

إن عثمان أخذها بغير حق، وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وأدعوهم إلى هذا الأمر^(١).

جملة فصول في الأديان ذات صلة بالرجعة

١ - نزول عيسى عليه السلام:

فإنه رجعة ورجوع عند البعض من الفريقين ممن يذهب إلى موته ووفاته عند رفعه إلى السماء، نظير الحر العاملي رحمه الله حيث نفى كون نزوله ظهوراً بعد خفاء بل عود رجعة ورجوع بعد الموت. وعلى أي تقدير فعلى القول الآخر - من كونه على قيد الحياة وإن كان هو الآن في السماء - فكذلك هو رجعة لعيسى عليه السلام لأنه قبضت روحه حين رفعه الله تعالى إلى السماء - على أي حال - ثم أحيى مرة أخرى ورُدَّت إليه روحه في السماء.

٢ - ذو القرنين ورجعته مرتين:

روى الطبرسي عن أمير المؤمنين عليه السلام أن ذا القرنين «كان عبداً أحب الله فأحبه الله، وإنما سُمِّي ذا القرنين؛ لأنه دعا قومه إلى الله فضربوه على قرنه، فغاب عنهم حياً، ثم عاد إليهم فضربوه على قرنه الآخر. وفيكم مثله»^(١).

وروى ابن بابويه صحيح أبي بصير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن ذا القرنين لم يكن

(١) تاريخ الطبري ٩٨ / ٥.

(١) الاحتجاج: ج ١ ص ٣٤٠.

نبياً، ولكنه كان عبداً صالحاً أحب الله فأحبه الله، وناصح لله فناصح الله، أمر قومه بتقوى الله، فضربوه على قرنه، فغاب عنهم زماناً، ثم رجع إليهم، فضربوه على قرنه الآخر، وفيكم منه وعلى سنته»^(١).

وقد ورد هذا المضمون بطرق عدة في أحاديث أهل البيت عليه السلام.

٣- جابرسا وجابلقا مدينتان في الفضاء، وسفرة ذي القرنين في المنظومة الشمسية أو في المجرة التي نحن فيها.

٤- مراتب الأنبياء عليهم السلام وإحاطتهم في الرجعة.

٥- ظاهرة جرجيس النبي عليه السلام وقصة إحياء إلياس ليونس عليه السلام، ومجيء جملة من أوصياء الأنبياء السابقين.

٦- نزول الأخبار بالرجعة في الكتب السماوية السابقة وكذا ظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف -.

٧- البشارة في التوراة بـ (دابة الأرض) باسم إيليا:

عن الأصبع بن نباتة، قال: قال لي معاوية: يا معشر الشيعة تزعمون أنّ علياً عليه السلام دابة الأرض؟ فقلت: نحن نقول، واليهود، تقول. فأرسل إلى رأس الجالوت، فقال: ويحك! تجدون دابة عندكم مكتوبة؟ فقال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: رجل، فقال: أتدري ما اسمه؟ قال: نعم، اسمه إيليا، قال: فالتفت إليّ فقال: ويحك يا أصبع! ما أقرب إيليا من (علياً)^(٢).

الغاية في الدين لا تتحقق إلا بالرجعة كما أن بدايته بالفطرة

وفيما كتب الحميري إلى القائم - عجل الله تعالى فرجه الشريف -: عن الرجل يقول بالحق ويرى المتعة، ويقول بالرجعة ...^(٣).

(١) الإمامة والتبصرة: ص ١٢١.

(٢) مختصر بصائر الدرجات ص ٢٠٧.

(٣) بحار الأنوار، ٥٣: ١٣١.

وفيما خرج من الناحية إلى مُحَمَّد الحميري: أشهد أنك حجة الله، أنتم الأول والآخر، وأن رجعتكم حق لا ريب فيها يوم ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾^(١)،^(٢).

الرجعة في العهد القديم والعهد الجديد

هناك إشارات في العهدين الجديد والقديم عن تفشي العدل بدرجة هيمنة النور المعنوي على كل كائن ذي روح ورقى الحياة على الأرض بمستوى صفاء الحياة في السماء، ونزول كلمة الله ووصفه بأوصاف تطابق أوصاف دابة الأرض كذكر العصا وقوة سلطانها في الأرض وغيرها مما ذكر في القرآن وروايات الفريقين، وذكر إقامة الاثني عشر لدولة العدل الالهية، ونزول الملائكة للنصرة وغيرها من حوادث الرجعة المذكورة في الروايات لدى الفريقين، مما يتفطن لها بالتدبر والمقارنة.

العهد القديم

أشعيا (١/١٠ - ١٣): «ويفرخ برعم من جذع يسي، وينبت غصن من جذوره، ويستقرّ عليه روح الرب، روح الحكمة والفتنة، روح المشورة والقوة، روح معرفة الرب ومخافته. وتكون مسرّته في تقوى الرب، ولا يقضي بحسب ما تشهد عيناه، ولا يحكم بمقتضى ما تسمع أذناه، إنّما يقضي بعدل للمساكين، ويحكم بالإنصاف لبائسي الأرض، ويعاقب الأرض بقضيب فمه، ويميت المنافق بنفخة شفّيته؛ لأنّه سيرتدي البرّ ويتمنطق بالأمانة. فيسكن الذئب مع الحمل، ويربض النمر إلى جوار الجدي، ويتآلف العجل والأسد وكلّ حيوان معلوف معاً، ويسوقها جميعاً صبي صغير. ترعى البقرة والدب معاً، ويربض أولادهما متجاورين، ويأكل الأسد التبن كالثور، ويلعب الرضيع

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٨.

(٢) التوراة والإنجيل: ١١٢٩ و ١١٣٠.

في (أمان) عند جحر الصل، ويمدّ الفطيم يده إلى وكر الأفعى (فلا يصيبه سوء). لا يؤذون ولا يسيئون في كلّ جبل قدسي؛ لأنّ الأرض تمتلئ من معرفة الربّ كما تغمر المياه البحر. في ذلك اليوم ينتصب أصل يسى راية للأمم، وإليه تسعى جميع الشعوب، ويكون مسكنه مجيداً، فيعود الربّ ليمدّ يده ثانية ليسترد البقية الباقية من شعبه، من آشور ومصر وفتروس وكوش وعيلام وشنعار وحماة، ومن جزائر البحر، وينصب راية للأمم...»^(١).

العهد الجديد

إنجيل متى (٥/٦ - ١٠): «ومتّى صلّيت فلا تكن كالمرائين. فإنّهم يحبّون أن يصلّوا قائمين في المجمع وفي زوايا الشوارع لكي يُظهروا للناس. الحقّ أقول لكم: إنّهم قد استوفوا أجرهم. وأمّا أنت فمتّى صلّيت فادخل إلى مخدعك وأغلق بابك وصلّ إلى أبيك الذي في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية. وحينما تصلّون لا تكرّروا الكلام باطلاً كالأمم. فإنّهم يظنّون أنّه بكثرة كلامهم يستجاب لهم. فلا تشبّهوا بهم؛ لأنّ أباكم يعلم ما تحتاجون إليه قبل أن تسألوه، فصلّوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات. ليتقدّس اسمك. ليأت ملكوتك. لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض».

إنجيل متى (٥/١٠ - ٧): «هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً: إلى طريق الأمم لا تمضوا وإلى مدينة للسامريين لا تدخلوا. بل اذهبوا بالحري إلى خراف بيت إسرائيل الضالّة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين: إنّهُ قد اقترب ملكوت السموات».

الرؤيا (١١/١٩ - ١٦): «ثمّ رأيت السماء مفتوحة وإذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أميناً وصادقاً وبالعدل يحكم ويحارب. وعينه كلّهيب نار وعلى رأسه تيجان

(١) التوراة والإنجيل: ١١٢٩ و ١١٣٠.

كثيرة وله اسم مكتوب: (ليس أحد يعرفه إلا هو). وهو متسربل بثوب مغموس بدم ويدعى اسمه (كلمة الله). والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزاً أبيض ونقيّاً. ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصاً من حديد وهو يدوس معصرة خمر سخط وغضب الله القادر على كل شيء. وله على ثوبه وعلى فخذيه اسم مكتوب: ملك الملوك وربّ الأرباب».

الرجعة في زبور داود

جاء في تفسير القمي: وقوله: ﴿ولقد آتينا داود - إلى قوله - مبین﴾ قال: أعطى داود وسليمان ما لم يعط أحداً من أنبياء الله من الآيات: علمهما منطق الطير وألان لهما الحديد والصفير من غير نار وجعلت الجبال يسبحن مع داود. وأنزل الله عليه الزبور فيه توحيد وتمجيد ودعاء وأخبار رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام من ذريتهما وأخبار الرجعة والقائم لقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾.

كتاب سليم: (نص ما في كتب عيسى)

«بسم الله الرحمن الرحيم، أحمد رسول الله واسمه مُحَمَّدٌ وياسين وطه ون والفتاح والخاتم والحاشر والعاقب والماحي، وهو نبي الله و خليل الله وحبيب الله وصفيه وأمينه وخيرته، يرى قلبه في الساجدين - يعني في أصلاب النبين - ويكلمه بحرمة، فيذكر إذا ذكر وهو أكرم خلق الله على الله وأحبهم إلى الله، لم يخلق الله خلقاً - ملكاً مقرباً ولا نبياً مرسلأً من آدم، فمن سواه - خيراً عند الله ولا أحب إلى الله منه ويقعده الله يوم القيامة على عرشه ويشفعه في كل من شفع فيه وباسمه جرى القلم في اللوح المحفوظ في أم الكتاب وبذكره، مُحَمَّدٌ رسول الله.

ثم أخوه صاحب اللواء يوم القيامة يوم الحشر الأكبر وأخوه ووصيه ووزيره، وخليفته في أمته وأحب خلق الله إلى الله بعده علي بن أبي طالب، ولي كل مؤمن بعده،

ثم أحد عشر إماماً من ولد أوّل الاثني عشر، أثنان سميّا هارون شبر وشبير وتسعة من ولد أصغرهما - وهو الحسين - واحداً بعد واحد، آخرهم الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه». وفيه تسمية كل من يملك منهم ومن يستتر بدينه ومن يظهر فأوّل من يظهر منهم يملأ جميع بلاد الله قسطاً وعدلاً، يملك ما بين المشرق والمغرب، حتّى يظهره الله على الأديان كلها^(١) انتهى.

وقد مرّ أنّ مقام الحاشر والناشر للنبي وللوصي (صلوات الله عليهما وآلهما) لا يختص بالقيامة الكبرى، بل هو من معالم الرجعة أيضاً. وبذلك يتبين أنّ عقيدة الرجعة قد نزل بها الإنجيل، وبقية الكتب السماوية من قبل وأنّ معرفة النبي ﷺ وعلي ﷺ وأهل البيت عليهم السلام بالرجعة وبمقامهم فيها ومقاماتهم في القيامة الكبرى، هو محور أساسي في معرفة النبي ﷺ والوصي ﷺ، قد أكّدت عليه الكتب السماوية في المعرفة وأصول الدين.

مقام الحاشر للنبي ﷺ في كتب عيسى بن مريم عليه السلام

روى السيد ابن طاووس في إقبال الأعمال في احتجاج النبي ﷺ مع نصارى نجران حديثاً طويلاً، وفيه:

فقال أبو حارثة: اعتبروا الأمانة الخاتمة من قول سيدكم المسيح فصار إلى الكتب والأنجيل التي جاء بها عيسى عليه السلام، فألفوا في المفتاح الرابع من الوحي إلى المسيح: ... أوّل النبيين خلقاً وآخرهم مبعثاً، ذلك العاقب الحاشر فبشر به بني إسرائيل^(٢).

(١) كتاب سليم بن قيس، نبوءات نبي الله عيسى عن الرسول ﷺ: ص ٢٥٤.

(٢) إقبال الأعمال الباب السادس، الفصل الأوّل: ج ٢، ص ٣٤٠، ورواه في الدر المنثور عن البيهقي، كما في البحار، ج ٢١، ص ٣١٧.

وفي مسند أحمد بن حنبل:

في احتجاج النبي ﷺ على اليهود في نهاية الاحتجاج، فقال: «أبيتم! فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنا النبي المصطفى آمنتكم أو كذبتكم ثم انصرف»^(١).

أي أبوا الأقرار بأسمائه المذكورة في التوراة عندهم.

روى الشيخ الصدوق في العيون والتوحيد والطبرسي في احتجاجات الإمام الرضا عليه السلام مع أهل الأديان في حوارهِ مع الجاثليق: قال الرضا عليه السلام: «ما أنكرت أنَّ عيسى عليه السلام كان يحيى الموتى بإذن الله (عَزَّ وَجَلَّ).

قال الجاثليق: أنكرت ذلك من أجل أنَّ من أحى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فهو رب مستحق لأن يعبد.

قال الرضا عليه السلام: فإنَّ اليسع قد صنع مثل صنع عيسى عليه السلام مشى على الماء وأحى الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص فلم تتخذهُ أُمته رباً، ولم يعبدهُ أحد من دون الله (عَزَّ وَجَلَّ)، ولقد صنع حزقيال النبي عليه السلام مثل ما صنع عيسى بن مريم فأحيا خمسة وثلاثين ألف رجل من بعد موتهم بستين سنة،

ثم التفت إلى رأس الجالوت، فقال له: يا رأس الجالوت أتجد هؤلاء في بني إسرائيل - في التوراة - اختارهم بخت نصر من سبي بني إسرائيل حين غزا بيت المقدس، ثم انصرف بهم إلى بابل فأرسله الله (عَزَّ وَجَلَّ) إليهم فأحياهم، هذا في التوراة لا يدفعه إلا كافر منكم».

قال رأس الجالوت: قد سمعنا به وعرفناه.

قال: «صدقت»، ثم قال: يا يهودي خذ على هذا السفر من التوراة. فتلا عليه السلام من التوراة. آيات فأقبل اليهودي يترجج لقرائته ويتعجب! ثم أقبل النصراني، فقال: «يا نصراني أفهؤلاء كانوا قبل عيسى أم عيسى كان قبلهم؟».

(١) مسند أحمد بن حنبل، في حديث عوف بن مالك الأشجعي: ج ٦، ص ٢٥، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط.

قال: بل كانوا قبله، فقال الرضا عليه السلام: «لقد اجتمعت قريش على رسول الله ﷺ فسألوه أن يحيي لهم موتاهم فوجه معهم علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال له: اذهب إلى الجبانة فناد بأسماء هؤلاء الرهط الذين يسألون عنهم بأعلى صوتك، يا فلان ويا فلان ويا فلان، يقول لكم محمد رسول الله ﷺ: قوموا بإذن الله (عز وجل) فقاموا ينفضون التراب عن رؤوسهم فأقبلت قريش يسألهم عن أمورهم، ثم أخبروهم أن محمداً بعث نبياً، فقالوا: وددنا أنا أدركناه فنؤمن به، ولقد أبرأ الأكمه والأبرص والمجانين وكلمه البهائم والطير والجن والشياطين، ولم نتخذه رباً من دون الله (عز وجل) ولم ننكر لأحد من هؤلاء فضلهم فمتى اتخذتم عيسى رباً جاز لكم أن تتخذوا اليسع وحزقيل رباً! لأنهما قد صنعا مثل ما صنع عيسى بن مريم عليه السلام من إحياء الموتى وغيره، وإن قوماً من بني إسرائيل خرجوا من بلادهم من الطاعون وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله في ساعة واحدة، فعمد أهل تلك القرية فحظروا عليهم حظيرة فلم يزلوا فيها حتى نخرت عظامهم وصاروا رميماً. فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل فتعجب منهم ومن كثرة العظام البالية، فأوحى الله (عز وجل) إليه: أن نادهم، فقال: أيتها العظام البالية قومي بإذن الله (عز وجل)، فقاموا أحياء أجمعون ينفضون التراب عن رؤوسهم، ثم إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام حين أخذ الطير فقطعهن قطعاً. ثم وضع على كل جبل منهن جزءاً ثم ناداهن فأقبلن سعيّاً إليه، ثم موسى بن عمران عليه السلام وأصحابه السبعون الذين اختارهم صاروا معه إلى الجبل فقالوا له: إنك قد رأيت الله سبحانه، فأرنا رؤيته فقال لهم: إنى لم أره! فقالوا: لن نؤمن حتى نرى الله جهره فأخذتهم الصاعقة فاحترقوا عن آخرهم وبقي موسى وحيداً فقال: يارب اخترت سبعين رجلاً من بني إسرائيل فجئت بهم وارجع وحدي! فكيف يصدقني قومي بما أخبرهم به؟! ﴿فلو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكنا بما فعل السفهاء منا﴾ فأحياهم الله (عز وجل) من بعد موتهم. وكل شيء ذكرته لك من هذا لا تقدر على دفعه لأن التوراة والإنجيل والزبور والفرقان قد نطقت فإن كان

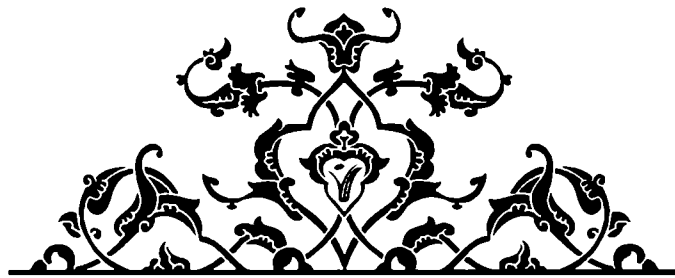
كل من أحيى الموتى وأبرء الأكفم والأبرص والمجانين يتخذ رباً من دون الله فاتخذ هؤلاء كلهم أرباباً ما تقول يا يهودي؟^(١). الخبر

وفي مختصر بصائر الدرجات عن عمرو بن شمر، قال: ذكر عند أبي جعفر (صلوات الله عليه) جابر، فقال: رحم الله جابراً، لقد بلغ من عمله أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾^(٢).

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١، ص ١٤٣، باب ذكر مجلس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان. التوحيد، ص ٤٢٢؛

الاحتجاج ج ٢، ص ٢٠٤؛ احتجاج الرضا على أهل الكتاب والمجوس ورئيس الصابئين وغيرهم.

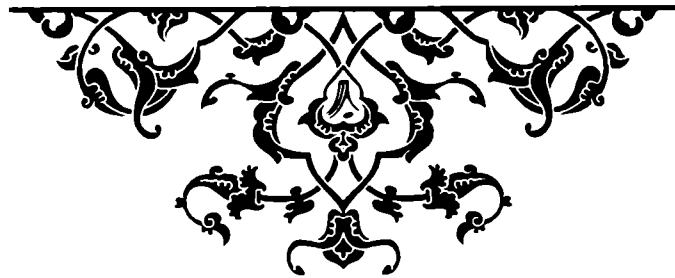
(٢) مختصر بصائر الدرجات، باب أحاديث في الرجعة عن غير طريق ح ١٨، ص ١٨١.



الفصل السابع

الرجعة لغة

لقراءة أبواب المعارف



الرجعة لغةً لقراءة أبواب المعارف

إنَّ معرفة الرجعة بحسب ما جاء في الآيات والروايات مرحلة بلوغ في المعرفة والعارفُ بها وبالعالم القيامة كامل في المعرفة بخلاف الجاهل بهما - كما مر في الباب الأول - فإنَّه ناقص في المعرفة مقصّر أو قاصر، فمعرفة الرجعة ليست معرفة بمقطع زمني في مستقبل البشرية فحسب بحيث يكبر ويعظم على المقطع الأوّل في الحياة الدنيا، بل هو في الحقيقة لغة وقراءة لمنظومة المعارف بدرجة راقية فائقة على اللغة والقراءة المعهودة لدى المتكلمين والفلاسفة والعرفاء والمفسرين لمنظومة المعارف. فالرجعة لغةٌ وقراءةٌ للأصول الاعتقادية ولمنظومة المعارف بدرجة أعمق مما هو سائد وغور كبير وظهور في المعرفة.

فبحسب الغور الذي يراه الباحث منظومياً في نظام معارف الرجعة بحسب الآيات والروايات وبياناتهم عليه السلام يجد أنَّ نتاج علم الكلام - وغيره من علوم المعارف - بالمستوى الموجود بعد أكثر من عشرة قرون ليس إلّا بمثابة المراحل الأولى التمهيدية للمعرفة الاعتقادية، وأمّا المراحل العليا في المعرفة فهي من نصيب اللغة التي يحصل عليها الباحث من معرفة الرجعة والقيامة سواء على صعيد التوحيد أم النبوة أم الإمامة أم المعاد.

فعلى صعيد التوحيد: وَرَدَ - من باب المثال - أنَّ القدرة الإلهية والمشئنة لا تُدرك إلّا بمعرفة الرجعة وإلّا فتكون المعرفة بهما معرفة نظرية تجريدية مقتضبة، ففي (مختصر بصائر الدرجات) عن أبي الصباح الكناني، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام، فقلت:

جعلت فداك مسألة أكره أسميها لك. فقال لي هو: «أغن الكرات تسألني؟ فقلت: نعم، فقال: تلك القدرة ولا ينكرها إلا القدرية، لا تنكرها تلك القدرة لا تنكرها، إنَّ رسول الله ﷺ أتى بقناع من الجنة عليه عذق يقال له سنة، فتناولها رسول الله ﷺ سنة من كان قبلكم»^(١).

وفيه عن سدير، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرجعة؟ فقال: «القدرية تنكرها، ثلاثاً»^(٢).

وروى ابن قولويه في زيارة سيد الشهداء عليه السلام: «فقلبي لكم مسلّم وأمري لكم متّبع ونصرتي لكم معدّة حتّى يحكم الله وهو خير الحاكمين ويبعثكم فمعكم معكم لا مع عدوكم إني من المؤمنين برجعتكم لا أنكر الله قدرة ولا أكذب له مشيئة ولا أزعّم أنّ ما شاء الله لا يكون»^(٣).

وهذا المتن تكرر كثيراً في الزيارات المروية بألفاظ متعددة وبطرق عديدة وهو تبيان واضح بأنّ المشيئة الإلهية لا تدرك ولا تعرف إلا بمعرفة الرجعة مع أنّ المشيئة هي أوّل فعل إلهي صادر، وهي من أعظم الصوارد الأولى ذات الشأن الكبير في معرفة الأفعال الإلهية والصفات الفعلية.

الرجعة لغة في معرفة النبوة

وعلى صعيد النبوة: وَرَدَ أَنَّ معرفة النبوة بمعرفة دور النبي ﷺ في الرجعة هي المعرفة الكبرى لها، وأمّا معرفة النبوة بما سبق فإنّها المعرفة الصغرى بالنبوة أو هي المعرفة بالنبوة الصغرى فضلاً عما قرّره المتكلمون والحكماء من تعريف للنبوة فإنّ

(١) مختصر الدرجات، باب الكرات وحالاتها، ح ١٨، ص ١٣٠، حديث ١٨/٧٢.

(٢) نفس المصدر ح ١٣، ص ١٢٦.

(٣) كامل الزيارات، الباب ٧٩/ح ١٧ ص ٣٨٥؛ ورواه الشيخ في مصباح المتعبد، في أعمال يوم الجمعة في زيارة المعصومين عليه السلام ص ٢٧٩، ونحوه في المزار للشهيد، باب ١٣ ح ٦؛ وجمال الأسبوع للسيد ابن طاووس، فصل ٢٦، ح ١٥٤، وكذلك في باب ٧٩ ح ٢٣، ح

بدون المعرفة الصغرى للنبوة فشتان، وشتان ما بين بينهما.

وروى في مختصر بصائر الدرجات عن أبي جعفر عليه السلام: «وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ يعني بذلك محمداً صلوات الله عليه قيامه في الرجعة يُنذر فيها، وقوله: ﴿إِنَّهَا لِإِخْدَى الْكُبَرِ ﴿٢﴾ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ﴾ يعني محمداً صلوات الله عليه نذير للبشر في الرجعة وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ قال: يُظهره الله (عَزَّ وَجَلَّ) في الرجعة».

ومفاد الحديث ظهور الآيات المذكورة في أنّ سيد الأنبياء سيقوم بالندارة في الرجعة، وهي ندارة أخرى لم يقم بها من قبل، وهي الندارة الكبرى.

وقد روى العامة بطرق مستفيضة - كما مرّ - عن النبي صلوات الله عليه في احتجاجه على اليهود بما في كتبهم وأناجيلهم: أنّ من أبرز أوصافه صلوات الله عليه في الكتب التي لديهم والأناجيل أنّه العاقب والحاشر، وقوله صلوات الله عليه في نهاية الاحتجاج: «أبيتم فوالله إني لأنا الحاشر وأنا العاقب وأنّ النبي المصطفى آمنتم أم كذبتُم»^(١).

وقد بيّنا أنّ معنى العاقب - بقرائن عديدة - هو الذي يعقب الجميع - أي الذي ليس بعده أحد كما رواه العامة - نص في ذلك وهو إشارة إلى كون رجعته آخر رجعات المعصومين عليهم السلام والحاشر - كما رووا - هو الذي يحشر الناس إلى المحشر.

مراتب إظهار الدين في الوعد الإلهي

لقد وعد الله نبيه بإظهار دينه على سائر الأديان في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢).

وهذا الإظهار للدين على مراتب سواء من جهة الإظهار لكون الظهور والإظهار درجات، أم من جهة الدين وأنه درجات ومراتب فتضاعف الدرجات، فدرجات

(١) مختصر بصائر الدرجات، باب أحاديث في الرجعة عن غير طريق سعد، ح ١٨، ص ١٨١.

(٢) كما رواه ابن حنبل في مسنده عن مالك بن الأشجعي / مجلد ٦ ص ٢٥.

إظهار الدين وهيمنته في دولة ظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - تختلف عن درجة ظهور الدين وإظهار التي تقع في دولة الرجعة لسيد الشهداء عليه السلام، بل إنَّ ظهور الرجعة وإظهار الدين في دول الرجعة لأمر المؤمنين عليهم السلام لا سيما دولة رجعته المسماة بدابة الأرض . فإنه قد روى الفريقان أنَّ قدرة سيطرة دولته على أرجاء الأرض منقطعة النظر، بحيث لا يتخفى المنافق والكافر بنفاقه وكفره. ولا يفلت من حكومة أمر الله - في عهد دابة الأرض - أحداً قط، إلى أن تنهيا الأرضية إلى آخر حكومة في عهد الرجعة، وهي أعظم حكومة وهي حكومة الرسول صلى الله عليه وآله ووزيره أمير المؤمنين عليه السلام وبقية الأئمة عليهم السلام ولاته في أرجاء الأرض وقبلها تكون حكومات أمير المؤمنين عليهم السلام المتعددة، فهذا جانب من تعدد مراحل الرجعة في الهيكل والجانب التنفيذي.

وأما الجانب النظري: الرجعة قراءة ومعرفة في الإمامة

وكما مر في النبوة فكذلك الحال في الإمامة، فقد كثرت الروايات في باب الرجعة الدالة على أنَّ معرفة أمير المؤمنين وبقية الأئمة (صلوات الله عليهم) بأنهم مفترضو الطاعة إجمالاً هي دون معرفة دورهم في الرجعة والقيامة والآخرة الأبدية، بل هي تقصير في المعرفة ومعرفة مُقصّرة، أي أنَّها معرفة ابتدائية تمهيدية دون سطح المعرفة البالغة مراتب معرفة الرجعة والقيامة.

وفي صحيح حريز عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن جابر، فقال: «رحم الله جابراً قد بلغ من فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ يعني الرجعة». .

فعبر عليه السلام عن معرفة جابر بالرجعة وبالنبوة في مقام الرجعة بالبلوغ في المعرفة. ولهذه الرواية طرق عديدة^(١) بنفس المضمون.

وروى الصدوق في أماليه بسند صحيح إلى عامر بن معقل، عن أبي حمزة

(١) مختصر بصائر الدرجات باب أحاديث في الرجعة عن طريق سعد ح ١٨ ص ١٨١.

الثمالي، عن أبي جعفر عليه السلام، وكذا المفيد في أماليه بسند صحيح إلى عامر أيضاً، والصفار في بصائر الدرجات عن أبي حمزة، قال: قال لي: «يا أبا حمزة لا ترفعوا علياً فوق ما رفعه الله، ولا تضعوا علياً دون ما وضعه الله، كفى بعلي أن يقاتل أهل الكرة، ويزوج أهل الجنة»^(١).

وروى في مختصر بصائر الدرجات عن سليمان الديلمي بسنده، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (عَزَّ وَجَلَّ) ﴿إِذْ جَعَلْ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾. فقال: «الأنبياء: رسول الله وإبراهيم وإسماعيل وذريته والملوك الأئمة عليهم السلام، قال: فقلت: فأني ملك أعطيتكم، قال: ملك الجنة وملك الكرة»^(٢).

فبيّن عليه السلام - كما هو مقتضى ظاهر كلامه - أن قوام معرفة الإمام بملك الأئمة في الرجعة وملكهم في الجنة الذي هو ذو طابع ملكوتي وملكوي، وملك إلهي وولاية تكوينية وتمكين منه تعالى.

ولا يخفى أنه عليه السلام في صدد بيان ماهية وهوية الإمامة المذكورة في القرآن بعنوان (الملك). وحينئذ يكون معرفة مقامهم ودورهم في الرجعة والآخرة مقوم أساسي لمعرفة حقيقة الإمامة والإمام.

وفي الحقيقة إنَّ ما أفرزه علم الكلام من نتاج في كتب أصحابنا - فضلاً عن المدارس الكلامية للمذاهب الأخرى - يُعد مرحلة تمهيدية أولية لمراحل المعرفة. وروى في الكافي ونهج البلاغة^(٣) خطبةً لأمير المؤمنين عليه السلام على فراش الشهادة قوله: «ودّعكم وداع مرصدٍ للتلاقي غداً ترون أيامي ويكشف الله عن سرائري». قال المجلسي في شرحه^(٤): ويحتمل المراد بقوله (غداً) أيام الرجعة ويوم القيامة.

(١) أورده الصفار في بصائر الدرجات: ٥/٤١٥، والسند فيه: عن أحمد بن محمد، عن علي بن الحكم ... وباقي السند كما في المختصر، الحديث (٣٣/٨٧).

(٢) مختصر بصائر الدرجات/ باب الكرات وحالاته ص ١٤٩.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٤٩، الكافي، ج ١ ص ٢٩٩، باب الإشارة والنص على الحسن بن علي عليه السلام ح ٦.

(٤) مرآة العقول، ج ٣، ص ٣٠٢.

فإنَّ فيهما تظهر شوكتهم ورفعتهم ونفاذ حكمهم في عالم الملك والملكوت فهو عليه السلام في الرجعة ولي الانتقام من العصاة والكفار وتمكين المتقين الأخيار في الأصقاع والأقطاب، وفي القيامة ولي الحساب وقسيم الجنة والنار وغير ذلك مما يظهر من درجاتهم ومراتبهم السنية فيهما .. بأنَّ يكون «تروني أيامي ويكشف الله عن سرائري» في الرجعة والقيامة لاتصاله بقوله: «وداع مرصد للتلاقي». انتهى كلامه.

و ظاهر كلامه عليه السلام أنَّ معرفتهم بالرجعة والقيامة أكمل من درجة معرفتهم الإجمالية بأنَّهم مفترضو الطاعة من الله تعالى.

ومما يعزِّز عمق قراءة لغة الرجعة في المعرفة وأنها ليست قراءة في معرفة الأئمة الاثني عشر فحسب بل في معرفة النبي صلى الله عليه وآله ما ورد في الإشارة المذكورة في الرواية التي تقدمت الإشارة إليها والمروية بطرق مستفيضة عند العامة عن النبي صلى الله عليه وآله في احتجاجه على اليهود بما في كتبهم وأناجيلهم: أنَّ من أبرز أوصافه في الكتب التي لديهم والأناجيل أنَّه صلى الله عليه وآله العاقب والحاشر والمحي.

ومما يشير إلى مكانة معرفة الرجعة وتأثيرها - كلغة وقراءة في معرفة الإمامة -: ما يلاحظ عند العامة من أنَّ الاعتقاد بالرجعة أعظم فضاة وأكبر خطورة عندهم من أصل القول بإمامة أهل البيت عليهم السلام ووصية النبي صلى الله عليه وآله عليهم، وهم أشدَّ استنكاراً للرجعة من استنكارهم القول بالوصية الإلهية فهم يشنعون على القول بالرجعة تشنيعاً بالغاً، ويعتبرون عقيدة الرجعة عقيدة سبئية من مقالة عبد الله بن سبأ وأنه كان يقول: إنَّ علياً يرجع إلى الدنيا، فقد قال الذهبي - كما تقدم - في ترجمة جابر بن يزيد الجعفي، نقلاً عن ابن حبان أنَّ جابراً كان سبئياً من أصحاب عبد الله بن سبأ، وكان يقول: إنَّ علياً عليه السلام يرجع^(١)، وقد جعلوا المانع من قبول رواية جابر قوله بالرجعة لا قوله بالأمامة والوصية لهم عن النبي صلى الله عليه وآله. وقال ابن عدي في جابر كما ذكر ذلك الذهبي: إنَّ عامة ما قذفوه به

(١) الذهبي في ميزان الاعتدال، ترجمة جابر، ج ١، ص ٣٨٣.

أنَّه كان يؤمن بالرجعة^(١).

وقد فرق ابن حجر العسقلاني بين التشيع والرفض والغلو في الرفض، فقال: والتشيع: محبة علي وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبي بكر وعمر فهو غالٍ في تشيعه، ويطلق عليه رافضي وإلا فشيعة فإن انضاف إلى ذلك السبب أو التصريح بالبغض فغالٍ في الرفض وإن اعتقد الرجعة إلى الدنيا فأشدَّ في الغلو^(٢).

وهنا يُثار تساؤل عن سبب جعلهم الاعتقاد بالرجعة أشدَّ غلوًا من الاعتقاد بأصل الإمامة وأنها بنصٍّ من الله بمنصب إلهي، وهو: هل هذا الموقف منهم صدفةً واتفاقاً أم أنَّه بسبب ما تحمله عقيدة الرجعة من بنية معرفية ومقامات وصلاحيات لأهل البيت عليهم السلام أكثر تبين مدى ما للإمامة من موقعية خطيرة لا ترتسم بالدرجة المذكورة إجمالاً في أصل معرفة الإمامة الإلهية على أنها بالنص الإلهي؟

وبذلك يتبين أنَّ معرفة الإمامة بمعرفة الرجعة لغةً أكثر غوراً وعمقاً من المعرفة الإجمالية بأصل الإمامة الإلهية.

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) مقدمة فتح الباري، شرح صحيح البخاري، فصل في تمييز أسباب الطعن، ص ٤٥٩.

(الرجعة) قراءة في معرفة المهدي والظهور

هناك تشابك وترابط كبير بين حدث الرجعة وحدث الظهور وإن كانا هويتين مختلفتين إلا أن بينهما أشدّ التداخل؛ وذلك من زوايا عديدة:

الأولى: أن ظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - بداية افتتاح للرجعة.

الثانية: أن الرجعة لغير المعصومين عليه السلام تقع قبل ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) في العاشر من محرم، حيث تقع ما بين جمادى ورجب أي قبل الظهور بأشهر قليلة - كما سيأتي تفصيله إن شاء الله .

الثالثة: أن أول ما ينادى به في الصيحة السماوية هو رجعة علي أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن ينادى بظهور المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ، وهذا يدل على أن الرجعة هي الغاية الكبرى والعنوان الأعظم لظهور المهدي (عجل الله تعالى فرجه) وأن ظهوره هو فاتحة للرجعة ولدولة أهل البيت عليهم السلام . بل إن ظهوره يعدّ علامة من العلامات الممهّدة لخروج جدّه أمير المؤمنين عليه السلام وهي إرهاب للمشروع الأعظم الذي يقوم به علي عليه السلام في الأرض.

وفي صحيحة الحسن بن محبوب عن الإمام الرضا عليه السلام في حديث له طويل، قال: «ينادون في رجب ثلاثة أصوات من السماء: صوتاً منها: ألا لعنة الله على الظالمين، والصوت الثاني: أزفت الأزفة يا معشر المؤمنين. والصوت الثالث: يرون بدنا بارزاً نحو عين الشمس، هذا أمير المؤمنين قد كَرَّ في هلاك الظالمين فعند ذلك يأتي الناس

الفرج » ، وفي رواية الحميري: «الصوت الثالث: بدن يرى في قرن الشمس يقول: إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ فُلَانًا فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا»^(١).

الرابعة: أَنَّ الهَيْئَةَ الْمَرْكَزِيَّةَ لِحُكُومَةِ دَوْلَةِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ - عَجَّلَ اللَّهُ تَعَالَى فَرْجَهُ الشَّرِيفَ - هُمْ سَبْعَةٌ وَعِشْرُونَ شَخْصًا كُلُّهُمْ مِنَ الْأَمْوَاتِ الَّذِينَ يَرْجِعُونَ مَا بَيْنَ جَمَادَى وَرَجَبٍ، خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْهُمْ قَوْمُ مُوسَى عليه السلام الَّذِينَ نَعْتَهُمْ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(٢)، وَسَبْعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَهْفِ وَيُوشَعَ بْنِ نُونٍ وَصِي مُوسَى عليه السلام وَسَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ وَأَبُو دَجَانَةَ الْأَنْصَارِيِّ وَالْمَقْدَادَ، وَمَالِكُ الْأَشْتَرِ فَيَكُونُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْصَارًا.

فَقَدْ رَوَى الْمَفِيدُ عَنِ الْمَفْضَلِ بْنِ عَمْرٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ عليه السلام قَالَ: «يُخْرَجُ مَعَ الْقَائِمِ عليه السلام مِنْ ظَهْرِ الْكُوفَةِ سَبْعَةٌ وَعِشْرِينَ رَجُلًا، خَمْسَةَ عَشَرَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى عليه السلام الَّذِينَ كَانُوا يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، وَسَبْعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكَهْفِ، وَيُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَسَلْمَانُ، وَأَبَا دَجَانَةَ الْأَنْصَارِيِّ، وَالْمَقْدَادَ، وَمَالِكًا الْأَشْتَرِ، فَيَكُونُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ أَنْصَارًا وَحُكَّامًا»^(١).

تعدد درجات وأدوار الإصلاح في الرجعة لكل إمام

الخامسة: أَنَّ دَوْلَةَ الظُّهُورِ وَإِنْ اشْتَمَلَتْ عَلَى إِصْلَاحٍ عَظِيمٍ لَا يَكَادُ يَتَصَوَّرُهُ الْبَشَرُ مِنْ عَظَمَتِهِ وَإِكْبَارِهِ، إِلَّا أَنَّ مَا يَتِمُّ فِي الظُّهُورِ رَغْمَ كُلِّ ذَلِكَ تَمْهِيدٌ لِمَا هُوَ أَكْثَرُ عَظَمَةً وَأَشَدَّ دَرَجَةً مِنَ الْإِصْلَاحِ فِي الرَّجْعَةِ بِنَحْوِ مَهُولٍ، فَإِنْ إِقَامَةَ الْعَدْلِ فِي النِّظَامِ السِّيَاسِيِّ ذُو دَرَجَاتٍ كَبِيرَةٍ وَكَثْرَةٍ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْبَيِّنَاتِ الْآخَرَى.

فَقَدْ رَوَى أَنَّ فِي دَوْلَةِ الرَّجْعَةِ لِسَيِّدِ الشَّهَدَاءِ عليه السلام تُبَادِ كُلُّ دَابَّةٍ حَرَّمَ اللَّهُ أَكْلَهَا،

(١) الغيبة للشيخ الطوسي، ص ٤٣٩، الحديث ٤٣١؛ غيبة النعماني ص ١٨٦، الحديث ٢٨؛ وأوردها الصدوق في عيون أخبار الرضا؛ كمال الدين والطبري في دلائل الإمامة، والراوندي في الخرائج والشيخ سليمان في مختصر بصائر الدرجات.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٥٩.

(١) الإرشاد: ٣٨٦/ ٢.

وَتُطَهَّرُ الْأَرْضُ مِنْ كُلِّ مَا هُوَ رَجَسٌ وَنَجَسٌ وَمَا لَهُ مَدَى تَأْثِيرٍ فِي تَكَامُلِ الْإِنْسَانِ،
وَكَالِإِصْلَاحِ فِي الْبَيْئَةِ الْاجْتِمَاعِيَةِ الدِّيمَغْرَافِيَّةِ، وَهُوَ التَّرَكِيبَةُ السَّكَّانِيَّةُ فِي الْبُلْدَانِ
وَالْأَعْرَاقِ وَالْقَوْمِيَّاتِ، فَإِنَّ الْعَامِلَ الْاجْتِمَاعِيَّ لَا يَنْكُرُ تَأْثِيرَهُ عَلَى إِرَادَةِ الْإِنْسَانِ وَمَسَارِهِ
وَمَصِيرِهِ.

ومجرد كون الحكومة السياسية عادلة وقائمة بالقسط لا يستلزم الإصلاح
والموازنة العادلة في التركيبة الاجتماعية والديمغرافية، وكذلك البيئة الحيوانية المحيطة
بالإنسان وبقية نظام البيئات الطبيعية المحيطة به، فإنها هي الأخرى أيضاً مؤثرة على
الإنسان وتكامله.

وكذلك البيئة الباطنة الخفية لروح الإنسان وطويته، فإنَّ التعامل بالظاهر بين
الأفراد فيما بينهم غير ما لو تمَّ التعامل فيما بينهم بحسب الطوية الباطنة مع أنَّه وَرَدَ «لو
تكاشفتهم لما تدافنتم»، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ فِي رَوَايَاتِ الْفَرِيقَيْنِ - كَمَا مَرَّ - فِي الرَّجْعَةِ فِي
مَرَحَلَةِ دَابَّةِ الْأَرْضِ: أَنَّ الطَّوِيَّةَ الْبَاطِنَةَ لِلْمُؤْمِنِ تَظْهَرُ عَلَنًا بَعْدَ أَنْ تَوْسَمَ بِمِيسَمِ الدَّابَّةِ
وَخَاتَمَهَا، كَمَا أَنَّ الطَّوِيَّةَ الْبَاطِنَةَ لِلْمُنَافِقِ أَيْضًا تَظْهَرُ عَلَنًا.

ويتميز النسيج الاجتماعي حينها بظهوره مجموعات متميزة ويتمَّ التعامل فيما
بينها على أساس الطوية الباطنة التي ظهرت وبرزت. ولا يخفى مدى الانقلاب في نظام
التعامل على هذا الأساس بخلاف ما لو كان نظام التعامل على أساس الظاهر، فإنَّ الظاهر
قشر بينما الواقع والحقيقة لبّ، فلربما كان القشر صحيحاً وسالماً واللب عفناً خراباً
فنسبة الإصلاح في نظام التعامل الظاهر التي تتم في ظهور الإمام المهدي - عجل الله
تعالى فرجه الشريف - بالقياس والنسبة إلى درجة الإصلاح التي تتم على يد أمير
المؤمنين عليه السلام في أواسط مراحل الرجعة - وهو مرحلة دابة الأرض - متفاوت كتفاوت
الظاهر والباطن وكتفاوت القشر واللب.

وبعبارة أخرى: إِنَّ صَلَاحَ الدَّوْلَةِ الْحَاكِمَةِ - بِأَيِّ دَرَجَةٍ مِنَ الْكَمَالِ بَلَّغَتْ - لَا يَعْنِي
صَلَاحَ الْمَجْتَمَعِ؛ لِأَنَّ إِصْلَاحَ النِّسِيجِ التَّرَكِيبِيِّ لِلْمَجْتَمَعِ مِنْ جِهَاتٍ عَدِيدَةٍ يَحْتَاجُ إِلَى
طَيِّ مَرَاكِحَ مِنْ جِهَاتٍ وَزَوَايَا عَدِيدَةٍ.

كما أنَّ إصلاح النظام السياسي العالمي الحاكم بين الدول لا يكفي عن إصلاح النظام الداخلي في كل دولة دولة وإنَّ كان إصلاح النظام من إصلاح وكمال النظام العالمي الموحد المهيمن هو درجة من إصلاح النسيج التركيبي للمجتمع من جهات عديدة ويحتاج إلى طيّ مراحل من جهات وزوايا عديدة أيضاً، لكن لا بدَّ من تنالي وتوالي وتتابع بقية حركات ودرجات الإصلاح، وهذه هي النسبة بين الإصلاح في زمن دولة الظهور للإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه)، والإصلاح المتتالي بعده في دول الرجعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام.

ونظير هذا: الفرق في النظام القضائي فإنَّ القضاء بالموازين الظاهرية يختلف عن القضاء بحاق الواقع، كما أنَّ الملاحقة القضائية والمتابعة الجنائية تارة تكون بما يبرز من الإنسان من أعمال وأفعال تظهر وتطفح إلى العلن بأدلة إثبات وأخرى بمجرد إقدامه واندفاعه وإفاضته في العمل، وهذا الفرق هو الذي رواه الفريقان بين دولة ظهور الإمام المهدي (عجل الله تعالى فرجه) ودولة دابة الأرض، حيث وَرَدَ في وصف دولة أمير المؤمنين عليه السلام في روايات الفريقين - مما قد تقدم - أنَّ دابة الأرض لا يعجزها ولا يفوتها هارب ولا يلحقها طالب، وغير ذلك مما رواه الفريقان في معالم دولة دابة الأرض وأنَّ سيطرة الدولة وقوتها تمتدَّ إلى كل فرد فرد بنحو المتابعة والمراقبة لا بمجرد السيطرة على الوضع العام.

موازاة مراتب كمال الإنسان لمراتب كمال المجتمع في دولة الرجعة
(١) المقرَّر في الآيات والروايات أنَّ الإسلام ذو درجات ومراتب عشر، كما في بعض ما وَرَدَ من الروايات فظاهر الإسلام أولى الدرجات وبدايتها ثم الإيمان ثم التقوى والهداية والصلاح واليقين والصدق والإحسان والإخلاص وغيرها من المراتب، وكما أنَّ الفارق شاسع أيضاً بين ظاهر الإسلام والإيمان، وكل مؤمن يلمس ذلك ويحس به، وهذا هو مفاد قوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا

يَدْخُلُ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ»^(١).

فكذلك الفرق شاسع بين أهل التقوى من المؤمنين ومقامهم ومراتبهم ومنازلهم مع المؤمنين غير المتقين ويكفيك ملاحظة خطبة أمير المؤمنين عليه السلام لهمام في أوصاف المتقين وشرعتهم وأحكامهم وسنتهم وسيرتهم: «فاستلنوا ما استوعره الآخرون واستحلوا ما استمرره الآخرون واستمروا ما استحلاه الآخرون» وكأن نظام مناهجهم يبعد بعد السماء عن الأرض مع عموم مناهج المؤمنين غير المتقين وكذلك الحال في الفرق الشاسع بين أهل الهداية ومقاماتهم ومنازلهم ومقامات المتقين.

وأيضاً الفرق بين مقامات أهل الصلاح والصالحين مع مقامات ومنازل أهل الهداية والمهتدين، وكذلك الفرق بين مقامات الصالحين والمحسنين، والمحسنين والصديقين، والصديقين والمخلصين، والمخلصين والمخلصين.

ألا ترى ما ضربه القرآن من مثل لذلك من تعجب واستغراب النبي موسى عليه السلام - وهو نبي من أولي العزم - مما كان يصدر من أفعال الخضر عليه السلام إلى أن أوضح له الخضر أن الموازين والقواعد الشرعية من حفظة بدقة أكثر بالعلم اللدني.

(٢) ووَرَدَ في روايات أهل البيت عليهم السلام: أن كل مؤمن يبلغ في حُقب ومراحل وسط دولة الرجعة لأئمة أهل البيت عليهم السلام إلى مقام الأبدال ويتوفر على درجة من العلم اللدني ثم يترقى إلى أن بعض المؤمنين يصل إلى درجة يكون قاضياً بين قبائل من الملائكة. ووَرَدَ أيضاً: أن المؤمنين يرتقون إلى السموات في الرجعة. فقد روى الطبري في صحيح محمد بن الفضيل، عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام يأمر الله الملائكة بالسلام على المؤمنين والجلوس معهم في مجالسهم، فإذا أراد واحد حاجة أرسل القائم عليه السلام من بعض الملائكة من يحمله، فيحمله الملك حتى يأتي القائم عليه السلام فيقضي حاجته ويرده، ومن المؤمنين من يسير في السحاب، ومنهم من يطير مع الملائكة، ومنهم من يمشي مع الملائكة مشياً، ومنهم من يسبق الملائكة، ومنهم من

يتحاكم الملائكة إليه، والمؤمن أكرم على الله من الملائكة، ومنهم من يصيره القائم عليه السلام قاضياً بين مائة ألف من الملائكة»^(١).

(٣) إنّ بموازاة رُقي وتكامل الفرد الإنساني والمسلم والمؤمن هناك تكامل أيضاً للإنسان الكبير - وهو المجتمع - فعلى حذو مسير الإنسان الفرد، كذلك الحال للإنسان المجتمع، فكم فرق يشاهده الناظر بين تركيبة مجتمع المسلمين ومجتمع الكافرين، فإنّ المسلمين وإنّ تخلفوا عن كثير من أحكام الإسلام - لاسيما على الصعيد السياسي - إلّا أنّ هناك بون شاسع في بناء الأسرة من جهة العلاقات الروحية والتربوية وغيرها بين الأسر الكافرة، وكذلك الفرق الشاسع بين مجتمع المؤمنين مع مجتمع المسلمين سواء على صعيد الأسرة أم على صعيد العلاقات الاجتماعية، فكما هو الفرق بين المجتمع المسلم والمجتمع الكافر، وكذلك الفرق الشاسع بين مجتمع المؤمنين ومجتمع المسلمين سواء على صعيد الأسرة أم على صعيد العلاقات الاجتماعية، فكما أنّ الفرق بين المجتمع المسلم والمجتمع الكافر محسوس لدى المسلمين، كذلك الفرق بين المجتمع المسلم والمجتمع المؤمن محسوس لدى المؤمنين، وهكذا الحال في الفرق بين مجتمع المؤمنين ومجتمع المتقين، فالمتقون أهل الفضائل منطقتهم الصواب وملبسهم الاقتصاد ومشيتهم التواضع وقلوبهم محزونة وشروورهم مأمونة وحاجاتهم خفيفة وأنفسهم عفيفة، حُلُماء علماء أبرارٌ أتقياء لا يرضون من أعمالهم بالقليل ولا يستكثرون الكثير لهم تجملاً في فاقة وصبراً في شدة يمزجون الحلم بالعلم والقول بالعمل، لا ينازب بالألقاب ولا يضار بالجار ولا يشمت بالمصائب ولا يدخل بالباطل ولا يخرج من الحق.

مجتمع أهل اليقين

هناك مرتبة أخرى فوق مجتمع المتقين ومن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿يَهْدُونَ

(١) دلائل الإمامة: ص ٢٤١.

بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ وهم وإن وَرَدَ أَنَّ المراد بهم الأئمة عليهم السلام ^(١) إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يراد بهم إمَّا أهل اليقين أو مَنْ فوقهم أي أهل الصدق والإخلاص، وَوَرَدَ ^(٢) أَنَّ صفاتهم أَنَّهُمْ أمة مقسطة عادلة يقسمون بالسوية فليس فيهم مسكين ولا فقير ويحكمون بالعدل ويتواسون ويتراحمون، حالهم واحدة وكلمتهم واحدة وقلوبهم مؤتلفة وطريقتهم مستقيمة؛ لأنَّهُمْ لا يتكاذبون ولا يتخادعون ولا يغتاب بعضهم بعضاً، وسيرتهم جميلة، وقبور موتاهم في أفنتهم وعلى أبواب دورهم وبيوتهم لثلا ينسوا الموت ولا يخرج ذكره من قلوبهم، وليس لبيوتهم أبواب؛ لأنَّهُ ليس فيهم لصٌ ولا ظننٌ وليس فيهم إلا أمين، وليس بينهم قضاة؛ لأنَّهُمْ لا يتظالمون ولا يتخاصمون، وليس فيهم أغنياء ولا أشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يتسآبون ولا يقتتلون ولا تصيبهم الآفات؛ لأنَّهُمْ لا يتكاثرون بإزدياد الأموال ولا يتنافسون في الدنيا. متآلفة قلوبهم وصلح ذات بينهم، غلبوا طبائعهم بالعزم وساسوا أنفسهم بالحلم وليس فيهم فض ولا غليظ؛ لأنَّهُمْ تواضعوا وذلّلوا أنفسهم بالتواضع ويتعاطون بالحق ويحكمون بالعدل فتطول أعمارهم ولا يفترون عن الاستغفار فلا يصبهم القحط ولا يتبرون من البلاء فلا يحزنون ولا يتكلون على غير الله (جل جلاله) فلا يستمطرون بالأنواء والأوضاع الفلكية ويصلون أرحامهم ويؤدون أمانتهم ويصدقون ولا يكذبون ويعفون عمن ظلمهم ويحسنون إلى من أساء إليهم ويستغفرون لمسيئهم فاصلح الله بذلك أمرهم.

عظمة كمال مجتمع المؤمنين في الرجعة

ومن عجائب الرجعة وعظمتها: أَنَّها تبلغ بالمجتمع البشري إلى هذه الدرجات من هذه الأوصاف لأمة ﴿يهدون بالحق وبه يعدلون﴾ التي قَدْ وَرَدَتْ كوصف لجماعة من

(١) بصائر الدرجات ب ١٧ ح ٨

(٢) كمال الدين وتمام النعمة ص ٤٠٤، أمالي الصدوق ص ٢٣٥، علل الشرايع، ج ٢، ص ٤١٢.

قوم موسى عليه السلام وأنَّ هذه الجماعة سترجع ويبعثون عند ظهور الإمام المهدي - عجل الله تعالى فرجه الشريف - ويكونون من النواة المركزية لحكومته فإذا كانت هذه الأوصاف لجماعة من أعضاء حكومة الإمام المهدي (عجل الله فرجه) فكيف بك إذا أصبح المجتمع كله بهذه الأوصاف في أدوار أواخر الرجعة؟

فقد روي عن الصادق عليه السلام: «إذا قام قائم آل مُحَمَّد - عجل الله تعالى فرجه الشريف - استخرج من ظهر الكعبة سبعة وعشرين رجلاً خمسة عشر من قوم موسى عليه السلام ﴿الذين يهدون بالحق وبه يعدلون﴾، وسبعة من أصحاب الكهف ويوشع وصي موسى ومؤمن آل فرعون وسلمان الفارسي، وأبو دجانة الأنصاري ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكّاماً»^(١).

وقد وردت بيانات في روايات الرجعة: أنَّ حوض الكوثر ليس في نشأة القيامة، بل هو في عالم الدنيا أي في الحياة الآخرة من الدنيا وهي الرجعة خلافاً لما توهمه كثير من المتكلمين، فقد روى في مختصر بصائر الدرجات عن كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبان بن عيَّاش عن ابن الطفيل في حديث عن الرجعة: «قلت: يا أمير المؤمنين أخبرني عن حوض النبي صلى الله عليه وآله في الدنيا أم في الآخرة؟ فقال: بل في الدنيا، قلت: فمن الذائد عنه؟ قال: أنا بيدي فليردنه أوليائي وليصرفن عنه أعدائي»^(٢).

إطلاق اسم (الآخرة، والبعث، والحشر، والمعاد) على الرجعة

وَرَدَ هذا الإطلاق في الآيات والروايات كثيراً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعَظًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، ففي رواية أبي بصير، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام - وذكر الآية - فقال لي: «يا أبا بصير ما تقول في هذه الآية؟» قال: قلت: إنَّ المشركين يزعمون ويحلفون لرسول

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٢، تفسير نور الثقلين، ج ٢، ص ٨٦

(٢) مختصر بصائر الدرجات، ص ٤٠.

(٣) سورة النحل: الآية ٤١.

الله ﷻ أن الله لا يبعث الموتى. قال: فقال: «تباً لمن قال هذا! اسألهم: هل كان المشركون يحلفون بالله، أم باللات والعزى؟» قال: قلت: جعلت فداك أوجدنيه، قال: فقال لي: «يا أبا بصير لو قد قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا قباع سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا، فيقولون: بعث فلان وفلان وفلان من قبورهم، وهم مع القائم، فيبلغ ذلك قوماً من عدونا فيقولون: يا معشر الشيعة ما أكذبكم، هذه دولتكم فأنتم تقولون فيها الكذب، لا والله ما عاش هؤلاء ولا يعيشون إلى يوم القيامة. قال: فحكى الله قولهم، فقال: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾^(١)»^(٢).

ومفاد هذه الرواية: استدلال صريح بظاهر الآية على إطلاق البعث على الرجعة. وقوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ إلهكم إله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون^(٣)، ففيما رواه العياشي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ يعني كفار غير مؤمنين، وأما قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ يعني أنهم لا يؤمنون وأنهم يشركون إلهكم إله واحد فإنهم كما قال، وأما قوله: ﴿فالذين لا يؤمنون﴾ يعني أنهم لا يؤمنون بالرجعة أنها حق» ورواه العياشي أيضاً بطريق آخر عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام. فقد أطلق البعث والآخرة في هذه الآيات على الرجعة.

وروى النعماني في تفسيره عن أمير المؤمنين ع، قال: وأما الرد على من أنكر الرجعة، فقول الله (عز وجل): ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ أي إلى الدنيا فأما معنى حشر الآخرة، فقوله (عز وجل): ﴿وَنَحْشُرُهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٤).

(١) سورة النحل: الآية ٤١.

(٢) الكافي، مجلد ٨/ ص ٥١ ح ١٤.

(٣) سورة النحل: الآية ٢١. ٢٢.

(٤) البحار، ح ٥٣، ص ١٤٧ عن تفسير النعماني.

فقد أطلق الحشر على الرجعة في هذه الآية.

وقد تعرضت روايات كثيرة لشرح ظاهر الآية وأنه متعين في الرجعة، حيث إن حشر البعض لا يكون إلا في الرجعة تفويجاً بخلاف حشر القيامة والآخرة الأبدية فإنه للمجموع والجميع وقد استدلل بظاهر الآية وفقاً لتلك الدلالة جملة علماء الإمامية. وروى النعماني أيضاً في تفسيره ما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ﴾^(١) أي رجعة الدنيا، وقد ورد في ذيل الآية روايات عديدة دالة على ذلك^(٢).

المعاد والرجعة

إن أكثر أدلة المتكلمين العقلية على المعاد في الواقع هي أدلة على الرجعة، كما أن أكثر بيانات القرآن - فيما يظن من دلالة الآيات على المعاد - هي في الرجعة أولاً وفي المعاد الأكبر ثانياً، ولذلك قال الصحابي أبو الطفيل وكذلك سليم بن قيس بعد ما اطلع على بيانات أمير المؤمنين عليه السلام: (ما أنا بيوم القيامة أشد يقيناً مني بالرجعة).

الفارق بين بعث الرجعة وبعث المعاد

أمّا قراءة المعاد بلغة الرجعة، فيشير إليه قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ - إِلَى قَوْلِهِ: - وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾^(٣). فتبين الآية أن أحد الغايات المهمة الكبيرة من الرجعة هي آية كبرى للمعاد وبرهان على وقوعه، بل إن كثيراً من الآيات المشيرة إلى البعث من القبور - أو أكثرها - إنما تشير إلى بعث الرجعة، وستأتي - في الباب الثالث إن شاء الله تعالى - الإشارة إلى

(١) سورة القصص: الآية ٨٥

(٢) البحار، ٥٣ ص ١١٩ عن تفسير النعماني.

(٣) سورة الكهف: الآيتان ٢٠ - ٢١.

الفارق بين البعث في الرجعة والبعث في المعاد الأكبر وقد شاع في كلمات علماء الإمامية أنَّ الرجعة معاد أصغر، سواء ذوو المشرب الكلامي أم المشرب الفلسفي. وأحد الفوارق المهمة في بعث الرجعة عن بعث القيامة الكبرى: أنَّ بعث الرجعة - كما تشير إليه جملة آيات الرجعة ورواياتها - هو من القبر والقبور من أرض الدنيا وكوكب الأرض، وأمَّا البعث ليوم القيامة والمعاد الأكبر فهو بعث من أرض الساهرة وأرض القيامة، وقد أشير إلى خصوصيات أرض القيامة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾^(١).

وفي الحقيقة أنَّ روايات الرجعة وآياتها تبين ظروف وخصائص فيزيائية وتكوينية دنيوية تختلف عن الخصائص والأحكام التكوينية للقيامة وبعثها، وأنَّ كثيراً مما يُحسب ويُقرر في البحوث الكلامية والفلسفية أنَّه بعث معاد في الواقع هو بعث الرجعة، أمَّا بعث المعاد فهو أعظم هولاً من ذلك وطامته هي الكبرى كما في الآيات والروايات.

وبعبارة أخرى: إنَّ معرفة المعاد الأكبر بدون الرجعة كالممتنع؛ لأنَّ الرجعة بوابة تكوينية لبعث المعاد، بل سيأتي أنَّ الرجعة هي الأخرى ذات درجات ومراحل تختلف عن بعضها البعض في الأحكام التكوينية، واشتداد ظهور جملة من أحكام الملكوت، كما يلاحظه المتتبع بالتحليل والتدقيق في مفاد طوائف روايات الرجعة.

البرزخ والرجعة والساهرة

أحد الأمثلة فيما يُبحث في المقام: أنَّ البرزخ على ضوء بيانات آيات وروايات الرجعة ليس متوسطاً بين الدنيا والآخرة كما اشتهر بين المتكلمين والفلاسفة والعرفاء وانسباقهم فهم ذلك من ظهور قوله تعالى: ﴿وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾

(١) سورة إبراهيم: الآيتان ٤٨ - ٤٩.

وكذلك جُل المفسرين على أنه هو المراد من هذه الآية، بل هو عالم ومرحلة متوسطة بين الحياة الدنيا الأولى والحياة الآخرة من الدنيا، والبعث في الآية بعث الرجعة، وإن كثيراً مما يظن أنه من أحكام الآخرة هو من أحكام الرجعة، بل العالم المتوسط بين الحياة الدنيا والآخرة هي الساهرة، وأن البرزخ والرجعة من عالم الدنيا.

ثلاث أنماط للبعث والحساب

وسياتي - في الباب الثالث إن شاء الله تعالى - أن البعث الثاني نمطاً - وهو الذي ليوم القيامة المسمى بالمعاد - يغير البعث الثالث نمطاً والذي هو للجنة والنار الأبديتين الذي هو آخر مراحل البعث، وأن عمدة الحساب قبل يوم القيامة وإن وقعت تتمته في القيامة قبل البعث الأبدي إلى الجنة والنار.

عالم القيامة والرجعة

وأما يوم القيامة فبحسب بيانات الرجعة ليس هو يوماً في عرض الأيام - كما يتوهم - بل هو عالم أكبر من عالم الدنيا، بمجموع الحياة الأولى والآخرة فيها بأضعاف مضاعفة.

وقد بين في آيات وروايات الرجعة والقيامة أن مسيرة التكامل مقررة مستمرة في عالم القيامة، لكن بنمط مغاير لما عليه في دار الدنيا الأولى والآخرة منها التي هي الرجعة. كما أن ملك النبي وأهل بيته (صلوات الله عليهم) في عالم القيامة أعظم من ملكهم وحاكمتهم وحكومتهم في عالم الدنيا الأولى والرجعة، كما أن ملكهم في الجنة أعظم من ملكهم في عالم القيامة.

تطابق آخر الرجعة مع القيامة

إن في بيانات وألسن الروايات الواردة في الرجعة عند الفريقين أن آخر الرجعة متداخل مع القيامة بل قد يراد به القيامة نفسها، إذ هي عقب الرجعة. فمن تلك

الروايات: ما رواه في مختصر بصائر الدرجات عن أبي عبد الله عليه السلام: «إنَّ اليوم الذي ذكر الله مقداره في القرآن ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ هي كرة رسول الله ﷺ فيكون ملكه في كثرته خمسين ألف سنة ويملك أمير المؤمنين عليه السلام في كثرته أربعاً وأربعين ألف سنة»^(١).

ويحتمل انطباق كرة رسول الله ﷺ على القيامة؛ إذ قد وردَ في بعض الروايات: أنَّ ملك الرجعة لأمر المؤمنين عليه السلام وملك القيامة لرسول الله ﷺ. وفي موثقة حفص بن غياث قوله عليه السلام: «فإنَّ للقيامة خمسين موقفاً كل موقف مقداره ألف سنة ثم تلا هذه الآية: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾»^(٢).^(٣) لاسيما وأنَّ عالم القيامة مغاير للبعث الأخير للآخرة الأبدية للجنة وللنار والخلط بينهما قد وقع كثيراً في بحوث المعارف.

تطابق المعراج مع الرجعة

وهذا مما يتطابق مع المعراج وتتطابق الرجعة معه، فقد روى في الطبرسي عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام في احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على اليهود، وقوله عليه السلام لهم «إنَّه أسري به (أي بمُحمَّد ﷺ) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى مسيرة شهرٍ وعرج به في ملكوت السموات مسيرة خمسين ألف عام في أقل من ثلث ليلة حتَّى انتهى إلى ساق العرش»^(٤).

وهذا التطابق مرتبط بالتكامل والعروج بالكامل ولاسيما للبدن.

(١) مختصر البصائر، ص ١٩٨، ط سلسلة مصادر بحار الأنوار / مختصر بصائر الدرجات، ح ٤٦/١٤٦.

(٢) سورة المعارج الآية ٤.

(٣) الكافي، مجلد ٨ / الحديث ١٠٨، ص ١٤٣، الأماشي للصدوق، ص ٢٧٤ مجلس ٣٣، الأماشي للشيخ

الطوسي، ص ٣٦، مجلس ٣٧، ٧.

(٤) الاحتجاج، المجلد الأوَّل ص ٣٢٨.

تعدد الحساب والقيامة

وروى في مختصر بصائر الدرجات بسنده عن يونس بن ظبيان عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنَّ الذي يلي حساب الناس قبل يوم القيامة الحسين بن علي عليه السلام، فأما يوم القيامة فإنما هو بعث إلى الجنة أو بعث إلى النار»^(١).

ملحوظة معترضة

قد أطلق في الرواية لفظ القيامة على البعث الثالث للجنة والنار الأبدية وهو إطلاق ثالث للفظ القيامة في مقابل إطلاقها على الرجعة ومقابل إطلاقها على البعث إلى عالم القيامة المشتمل على المواقف والعقبات.

وظاهر هذا الحديث: أنَّ الحساب في الرجعة يقوم به ويتولاه خليفة الله سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام، وقد وردت بذلك روايات متعددة من روايات الرجعة أوردها السيد الاسترآبادي - المعاصر للمجلسي - في كتاب (الرجعة).

إلاَّ أنه يمكن حمل ذلك على تعدد الحساب ووقوعه في كل من الرجعة والقيامة لتكثر دلالة الآيات والروايات المستفيضة على وجود عقبات للحساب في القيامة.

وستأتي الوجوه والغايات المحتملة لتعددته إلاَّ أنَّ الملحوظ في دلالة الرواية هنا: إطلاق عنوان القيامة على البعث إلى الجنة والبعث إلى النار، وسيأتي في محله - في الباب الثالث إن شاء الله تعالى - أنَّ بعث يوم القيامة يغير بعث الرجعة، ويقع بعدها وأنَّ يوم القيامة بمعنى عالم القيامة وهو عالم أوسع مدةً ومقداراً وطولاً بأضعاف أضعاف عالم الدنيا الأولى والآخرة أي آخرة الدنيا التي هي الرجعة، ثم بعد بعث القيامة وانقضائها يكون البعث إلى الجنة والنار الأبدية، وقبل كل بعث نفخ في الصور، وإنَّ كان بعث الرجعة ليس نفخاً في الصور بل أفواجاً أفواجاً أو أفراداً أفراداً؛ لأنَّ حشر

(١) مختصر بصائر الدرجات، باب الكرات، ح ٣٨/٩٢، ص ١٤٦.

الرجعة ليس حشراً عاماً في بداياتها، بحسب ما هو ظاهر الروايات المستفيضة، وإن كان الأصح - كما أشرنا سابقاً بمقتضى بعض الروايات المعتبرة - أنها وإن كانت تفويجاً في بداياتها لكنها لا تختص - بعثاً وإحياءاً - بمن محض الإيمان ومن محض الكفر، بل تختص حساباً ومحاسبة ومجازاة بمن محض الإيمان أو محض الكفر.

وسياتي بيان وتفصيل هذه المراحل في بيانات طوائف الروايات في الباب الثالث إلا أن قد أُطلق على البعث الأبدى (الجنة) وأطلق على ما قبله أنه قبل يوم القيامة. والظاهر أن هذا من باب تعدّد إطلاق القيامة على مواطن عديدة، كما في إطلاق القيامة على الموت في الحياة الدنيا، بلحاظ أن بالموت تنبعث الروح في حياة برزخية وتكون قائمة وموجودة فيه.

كذلك أطلقت القيامة على الرجعة، وذلك لأن للقيامة معنى عام شامل لكل هذه المواطن وهو الانبعاث للحياة بعد الموت، وقيامٌ في عالم آخر فمن ثم يفهم من دلالة طوائف الرواية أن هناك قيامة صغرى ووسطى وكبرى، والتقييد بالكبرى تمييز للعالم الذي يتوسّط بين الرجعة والجنة والنار الأبديتان، وإلا فعالم الجنة ليس هو عالم القيامة، بل هو عالم يكون بعد عالم القيامة، وبهذا التنوع في تعدّد القيامة واستعمال لفظها يتبيّن وجه التداخل بين آخر الرجعة وعالم القيامة، وأن آخر دولة في الرجعة هي دولة الرسول ﷺ - كما يفهم من العديد من الروايات - وهي خمسون ألف سنة وقبلها آخر دولة لأمير المؤمنين عليه السلام وهما آخر دول يقيمها أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة - بعد ما أقام دولاً كثيرة قبلها - ومقدارها أربعة وأربعين ألف سنة، فمن المحتمل قوياً أن دولة الرسول ﷺ هي القيامة؛ حيث خُصّ الرسول ﷺ بملك القيامة وخصّ أمير المؤمنين عليه السلام بملك الرجعة وأنّ الخمسين ألف سنة - التي هي عمر دولة الرسول ﷺ - متطابقة مع عمر القيامة كما في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾.

ومما يشير إلى هذا التفسير في جملة من تفاصيله: ما رواه في مختصر بصائر

الدرجات^(١) بإسناده عن عبد الكريم بن عمر الخثعمي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إِنَّ إبليسَ قَالَ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ»^(٢)، فأبى الله ذلك عليه «قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ» * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ»^(٣) فإذا كان اليوم المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم. وهي آخر كَرَّةٍ يكرّها أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فقلت: وإنّها لكُرّات؟! قال: نعم، إنّها لكُرّات وكُرّات، ما من إمام في قرن إلّا ويكرّ معه البرّ والفاجر في دهره حتّى يدلّ الله (عَزَّ وَجَلَّ) المؤمن من الكافر. فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرّ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه، وجاء إبليس في أصحابه

ثم ذكر عليه السلام حصول الاقتتال وهبوط رسول الله ﷺ وقتله لإبليس، فقال عليه السلام: فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يُعبد الله (عَزَّ وَجَلَّ) ولا يُشرك به شيئاً، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربع وأربعين ألف سنة ...» الحديث^(٤).

فالتعبير في الرواية عن آخر دولة لأمر المؤمنين عليه السلام بأنّها (آخر كَرَّةٍ يكرّها) يفيد أنّها آخر الرجعة؛ لأنّه عليه السلام هو محور كل الرجعات - كما دلّت على ذلك الروايات - ومقتضى ذلك: أنّ دولة أمير المؤمنين عليه السلام تكون في آخر الرجعة، وعلى ذلك تكون دولة الرسول ﷺ هي في عالم القيامة قبل عالم الجنة والنار، ومع ذلك يطلق عليها رجعة بالمعنى العام لأنها رجوع إلى الحياة قبل عالم الجنة والنار.

فيتطابق مع ما وردَ من اختصاص ملك رسول الله ﷺ بالقيامة وملك أمير المؤمنين عليه السلام بالرجعة، لا سيما مع ما وردَ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو آخر الأئمة الذي يقبض الله روحه قبل القيامة.

ففي مصححة عبد الله بن سنان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ

(١) مختصر بصائر الدرجات، ص ١٤٥.

(٢) سورة الحجر: الآية ٣٧.

(٣) سورة ص: الآيتان ٨٠ - ٨١.

(٤) مختصر بصائر الدرجات، باب الكُرّات، ح ٣٧/٩١.

في حديث قدسي قول الله تعالى: «علي آخر من أقبض روحه من الأئمة وهو الدابة التي تكلمهم ...» الحديث^(١).

نعم، قد يُسأل: أن كرّة رسول الله ﷺ لابد أن تكون في الرجعة، وهو تأويل قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ وأنه يبعث بالندارة الكبرى - كما في جملة من روايات الرجعة - وأن ذلك تأويل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾ يعني مدثر بتراب القبر.

وقد روي أيضاً عن جابر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «إنّ لعلي عليه السلام في الأرض كرّة مع الحسين ابنه (صلوات الله عليهما) يُقبل برايته حتّى ينتقم له من بني أمية ... ثم كرّة أخرى مع رسول الله ﷺ حتّى يكون خليفته في الأرض ويكون الأئمة عليهم السلام عمّاله، وحتّى يُعبد الله علانية فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سرّاً في الأرض، ثم قال: إي والله وأضعاف ذلك، ثم عقد بيده (أضعافاً) يُعطي الله نبيه مُلك جميع أهل الدنيا منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يُفنيها حتّى يُنجز له مواعده في كتابه، كما قال: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(٢)»^(٣).

بل قد مرت الإشارة لرواية ظاهرها مفاده أن له ﷺ رجعتين.

وقد وردت أيضاً روايات في رجعة رسول الله ﷺ إلى الدنيا كصححة الكابلي عن علي بن الحسين عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَى وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾. قال: «يرجع إليكم نبيكم ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة عليهم السلام»^(٤).

فظاهر كل هذه الروايات رجوعه ﷺ إلى الدنيا بل ربما بات هذا بيناً بديها في

مجموع الروايات فكيف التوفيق؟

(١) بصائر الدرجات، ج ٩/ باب ١٨ ح ٣٦ ص ٥٣٥.

(٢) سورة التوبة: الآية ٣٣.

(٣) مختصر بصائر الدرجات، باب الكرات، الحديث ٤٥/٩٩.

(٤) تفسير القمي: ج ٢، ص ١٤٧.

وهل يملك ﷺ في آخر الرجعة، وهل يملك في القيامة أم أن القيامة عاقبة الرجعة؟

وتنقيح ذلك يحتاج إلى مزيد استبيان وتتبع في مفاد الأدلة .

إن البرزخ والرجعة من الدنيا والقيامة حقيقة مباينة لهما

ففي تفسير النعماني عن شيخه عن القمي رواه عن أمير المؤمنين ﷺ ورواه القمي في مقدمة تفسيره. وأما الردّ على من أنكر الثواب والعقاب فقوله: ﴿يوم يأتي لا تكلم نفسٌ إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد﴾ فأمّا الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض^(١).

وأما قوله: ﴿ما دامت السموات والأرض﴾ إنّما هو في الدنيا فإذا قامت القيامة تبدلت السموات والأرض. وقوله: ﴿النار يعرضون عليها غدواً وعشياً﴾ فالغدو والعشي إنما يكون في الدنيا في دار المشركين وأما في القيامة فلا يكون غدواً ولا عشياً. وقوله: ﴿لهم رزقهم فيها بكرةً وعشيّاً﴾ يعني في جنات الدنيا التي تنتقل إليها أرواح المؤمنين، فأما في جنات الخلد فلا يكون غدواً ولا عشياً. وقوله: ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾ فقال الصادق ﷺ: «البرزخ في القبر وفيه الثواب والعقاب بين الدنيا والآخرة...» الحديث.

القيامة لها أحكام ومواطن مختلفة

قال أمير المؤمنين ﷺ: وأما قوله (عزَّ وجلَّ): ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ وقوله: ﴿وَاللَّهُ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ وقوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ وقوله

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٥-١٠٧.

﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ﴾ فإن ذلك في مواطن غير واحد من مواطن ذلك اليوم ﴿الذي كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ .

ثم ذكر ﷺ اجتماع أهل القيامة في مواطن متعددة. ففي بعضها يتخاصمون وفي بعضها يبكون وفي بعضها يستنطق أهل التوحيد خاصة وفي بعضها الآخر يستنطق أولياؤه وأصفياءه خاصة دون غيرهم. ومنهم الرسل والأنبياء والأوصياء ثم يجتمعون في مواطن آخر يكون فيه المقام المحمود لمحمد ﷺ. ثم يجتمعون في مواطن آخر يدل لبعضهم من بعض آخر. وهذا كله قبل الحساب فإذا أخذ في الحساب شغل كل إنسان بما لديه^(١).

وقد أشارت الروايات الواردة في الرجعة إلى أن يوم القيامة ليس اليوم بمعنى الدورة الزمانية لأربعة وعشرين ساعة، بل المراد هو عالم أكبر عمراً من عالم الدنيا، وهي الحياة الأولى وأكبر من عالم الرجعة الذي هو الحياة الآخرة من الرجعة مع أن عالم الرجعة أكبر بأضعاف من الحياة الأولى من الدنيا، ومن ثم كانت نشأة القيامة والبعث والحياة فيها يختلف عن البعث الأخير للجنة الأبدية والنار الأبدية، فهو ما قبل ذلك، وفيه - كما ورد في الروايات - يبدو ملك وحاكمة النبي ﷺ وحاكمة أهل بيته (صلوات الله عليهم) بأعظم مما بدا لهم من ملك وحاكمة في الرجعة، وقد ورد أيضاً في تلك الروايات: أن الله اختص أمير المؤمنين ﷺ بملك الرجعة، واختص النبي ﷺ بملك القيامة. هذا كله مضافاً إلى ملك الجنة والنار الذي هو أعظم بمراتب مما تقدمه من الملك .

الامتحان في القيامة

ويظهر من تلك الروايات أن الامتحان في عالم القيامة أعظم من الامتحان في الرجعة، وفي الرجعة أعظم من الامتحان في عالم الدنيا. ولا ينافي ذلك ما تقرّر من

(١) التوحيد للصدوق : باب ٣٦ / ح ٥، ص ٢٢٤

«عموم اليوم عمل بلا حساب وغدا حساب بلا عمل».

كما هو الحال بالنسبة إلى وجود التكليف في الرجعة، وهي الرجوع إلى الحياة الدنيا بعد الموت، مع أنه قد ورد أن الموت ينقطع عمل ابن آدم وقد بسطنا الكلام في عدم المنافاة بين الأمرين في (مبحث الرجعة والاختيار) - وإن كان ذلك خلافاً لمشهور المتكلمين والفلاسفة والعرفاء - وهو وجود الامتحان في عالم القيامة، وأنه عالم وليس بمدة قصيرة ومحدودة.

والمتحصل من الأدلة الواردة في الآيات والروايات: وجود الامتحان الأكبر في عالم القيامة نظير:

١- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ * فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾^(١).

٢- وابتلاء السرائر هو امتحانها، وهي القلوب والأرواح، لاسيما وأن السر قد أطلق على ما هو أخفى من القلب في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^(٢).

٣- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٣).

فأثبت الآية أن للقلب امتحان غير عمل الأبدان والجوارح.

ونظيره قوله تعالى ﴿نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ * الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْنِدَةِ﴾^(٤).

٤- وقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ﴾^(٥).

(١) سورة الطارق: الآيات ٨ - ١٠.

(٢) سورة طه: الآية ٧.

(٣) سورة الحجرات: الآية ٣.

(٤) سورة الهمزة: الآيتان ٦ - ٧.

(٥) سورة العاديات: الآيات ٩ - ١١.

٥ - وقوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١).

٦ - وقد وردَ في جملة من الآيات وصف القيامة الكبرى بعدم تكليم الله (عَزَّ وَجَلَّ) المجرمين والعصاة، وأنه لا اختصاص ولا احتجاج فيه مع أنَّ في الحساب تجري المحاسبة والاستنطاق والاستشهاد وذلك محمول ومفسر بتعدد المواطن وأن كل موقف ألف سنة .

من الصحابة والتابعين القائلين بالرجعة

طعن العامة عليهم بذلك: وقد تقدم أن أبا الطفيل عامر بن واثلة ممن يقول بالرجعة وكذلك من نقل عنهم سليم بن قيس الهلالي العامري التابعي عن جملة من الصحابة: كسلمان وأبي ذر وعمار بن ياسر وحذيفة وغيرهم، وكذا الأصبع بن نباتة، وقد قال عنه العقيلي:

«أصبع بن نباتة الحنظلي كوفي كان يقول بالرجعة»^(٢).

وقال ابن حبان في ترجمة داود بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي الزعافري: (من أهل الكوفة، كنيته أبو يزيد، وهو عم عبد الله بن إدريس يروى عن أبيه والشعبي روى عن وكيع والمكي، مات سنة ١٥١، وكان ممن يقول بالرجعة...) ^(٣).

وقال ابن حجر: مسلم بن نذير، وقيل بن يزيد: ويقال إنَّ يزيد جده أبو نذير، ويقال أبو عيَّاض: وهو ابن عم عتي بن ضمرة روى عن حذيفة، وروى عنه أبو إسحاق السبيعي وزباد بن قياض وهو من أهل الكوفة كان قليل الحديث ويذكرون أنه كان يقول بالرجعة^(٤).

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٤.

(٢) ضعفاء العقيلي، ج ١، ص ١٢٩.

(٣) المجروحين، ج ١، ص ٢٨٩.

(٤) تهذيب التهذيب، لابن حجر / مجلد ١٠، ص ١٢٦، رقم المسلسل / ٢٥٨.

نبذة عن رصد عدد الحديث في الرجعة

المجلسي ٢٠٠ حديث في البحار.

تلميذه، صاحب العوالم في استدرك عليه بـ ١٠٠ فصارت ٣٠٠.

الحر العاملي في ٦٠٠ حديث في الإيقاظ وأكثر من نصف أو قرابة ثلثاه تغاير ما

ذكره المجلس.

السيد محمود بن فتح الله الحسيني الكاظمي أورد ٥٠٠ حديث في كتابه (إثبات

الرجعة في تفريج الكربة) وله كتاب آخر سماه بأصول الدين أشار في خاتمته إلى

بعض أحاديث الرجعة.

كتاب الرجعة للميرزا محمد مؤمن البندوست محمد الحسيني الاستربادي

المعاصر للمجلسي والحر العاملي والذي ذكر بأنه لم تحضره حين تأليفه الكتاب كل

المصادر الروائية.

السيد ابن طاووس في كتاب الطرائف ذكر أن صحيح مسلم بإسناده عن جراح

قال: سمعت جابر يقول عندي ٧٠ ألف حديث عن أبي جعفر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله ، كلها

في الرجعة.

العياشي عنده كتاب في الرجعة كما ذكره النجاشي.

الفضل بن شاذان له كتاب في الرجعة.

الشيخ محمد علي بن المولى حسن علي الهمداني الحائري له آيات الحجة

والرجعة في مجلدين، جمع فيه ٣١٣ آية في الرجعة والحجة، ذكر ذلك الآغا بزرك

مجلد ١٩ ص ٣٦٧ رقم التسلسل ٣٤/١٦.

عبد العزيز بن يحيى بن أحمد بن عيسى الأزدي البصري من أصحاب أبي جعفر عليه السلام عنده كتاب الرجعة ذكره النجاشي في باب العين. السيد حسن الصدر صاحب (تأسيس الشيعة للعلوم) له كتاب اسمه أحاديث الرجعة.

صاحب الحقائق له كتاب في الرجعة ذكر ذلك السيد المرعشي في تعليقه شرح إحقاق الحق، المجلد ٣ ص ٢١١. الرجعة للشيخ أحمد الأحسائي.

نبذة أخرى عن كتب في الرجعة من الإمامية

السيد مُحَمَّد مؤمن الحسيني الاسترآبادي الشهيد بمكة سنة ١٠٨٨ هـ قد جمع في رسالته المختصرة في الرجعة نحو ١١١ حديثاً من الكتب المعتمدة، وجميعها تنصّ على الرجعة.

الفضل بن شاذان له كتاب إثبات الرجعة ذكره النجاشي في ترجمته، وكذلك له كتاب الرجعة وهو غير إثبات الرجعة.

جمع العلامة المجلسي المتوفي سنة ١١١١ هـ نحو ٢٠٠ حديث في باب الرجعة من كتاب بحار الأنوار في الرجعة نقلها عن سبعين كتاباً قد صنفها عظماء الإمامية. كتاب الرجعة للحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني ذكره النجاشي في الرجال (رجال النجاشي / ٣٧).

كتاب الرجعة لآحمد بن داود بن سعيد الفزّاري، أبو يحيى الجرجاني، ذكره النجاشي والشيخ الطوسي في الفهرست (رجال النجاشي: ص ٤٥٤، والفهرست: ص ٣٣).

كتاب الرجعة للشيخ الصدوق مُحَمَّد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي المتوفي سنة ٣٨١ هـ.

كتاب الرجعة للشيخ أبي النضر مُحَمَّد بن مسعود العياشي صاحب التفسير ذكره النجاشي والشيخ الطوسي. رجال النجاشي: ص ٣٥١، الفهرست: ١٣٨).

كتاب إثبات الرجعة، للعلامة الحلبي المتوفي سنة ٧٢٦ هـ (الذريعة، للشيخ

آقابزرگ ١: ٩٢ دار الأضواء).

كتاب الرجعة للشيخ الحسن بن سليمان الحلبي، تلميذ الشهيد الأول، وهو صاحب مختصر بصائر الدرجات.

إثبات الرجعة للمحقق آغا جمال الدين محمد بن آغا حسين الخونساري / الذريعة، مجلد ٢ / ص ٩١؛ كتاب إثبات الرجعة للميرزا حسن بن مولى عبد الرزاق اللاهيجي القمي مجلد الأول في الذريعة ص ٩٢، كتاب إثبات الرجعة للمحقق الكركي، الذريعة، مجلد ٢ ص ٩٢.

مولانا سلطان محمود بن غلام علي الطبسي، قال عنه الحر في أهل الأمل كان فاضلاً فقيهاً عارفاً بالعربية جليلاً معاصراً قاضياً بالمشهد له رسالة في إثبات الرجعة، رقم التسلسل / ٩٦٤.

ذكر الحر في أمل الآمل تسلسل / ٨٩١ السيد الجليل الأمير محمد مؤمن الاسترآبادي، ساكن مكة عالم فاضل فقيه محدث صالح عابد شهيد، له رسالة في الرجعة من المعاصرين.

مصادر الرجعة

- ١ - الإيقاظ من الهجعة في إثبات الرجعة، للحر العاملي.
- ٢ - بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، باب الرجعة.
- ٣ - عوالم العلوم، الشيخ عبد الله البحراني، باب الرجعة.
- ٤ - الرجعة، للشيخ أحمد الأحسائي.
- ٥ - مختصر بصائر الدرجات، الحسن بن سليمان الحلبي.
- ٦ - الرجعة، الاسترآبادي.
- ٧ - وغيرها من كتب الحديث.

فهرس محتويات الجزء الأول

٥	مقدمة
٧	الباب الأول / حقيقة الرجعة وبعدها المعرفي
٩	الفصل الأول / اصول المنهج في بحوث المعارف وبحث الرجعة
١١	الأمر الأول: سبب قلّة الجهود في الرجعة:
١٢	الأمر الثاني: المنهج الرجالي في الرجعة:
١٥	أمّا الترادف اللغوي:
١٦	وأمّا الترادف العقلي:
١٧	أمّا الترادف الوجودي:
١٩	منهاج الأعلام في بحث كتب الرجعة
٢٥	وقفه أخرى مع منهج الصدوق والحر العاملي:
٢٦	مناهج الأعلام في بحث الرجعة إثباتاً وتفسيراً:
٢٨	ملاحظات على منهج الطباطبائي والإحسائي في الرجعة:
٣١	الفصل الثاني / حقيقة الرجعة
٣٣	تفاسير الرجعة
٣٧	تأثير الرجعة في منظومة المعارف
٣٧	الرجعة والدولة الإلهية للإمامة:
٣٨	الرجعة والدولة الإلهية للإمامة:
٤٠	الحساب في الرجعة:
٤٠	تأثير الرجعة على منظومة المعارف:
٤٧	الرجعة يقظة من نوم الموت:

- الفرق بين البعث والنشر: ٥٢
- الساهرة بين الدنيا والآخرة لا البرزخ: ٥٣
- اختلاف القتل عن الموت والموت عن النوم: ٥٤
- أنواع الموت: ٥٦
- مراتب الرجوع والرجعة في مقابل مراتب الوفاة والتوفي والنوم: ٥٧
- حقيقة الرجعة وأقسام الموت والعلاقة بين الروح والجسد: ٥٧
- نزول ورجوع عيسى كل عام: ٥٨
- الفرق بين الرجعة والتناسخ ٦٢
- إبطال قواعد الرجعة لأصول التناسخ: ٦٢
- الفرق بين الرجعة والظهور: ٦٤
- الفرق بين الرجعة والإياب والكرة ٦٦
- قاعدة في تكليف أهل الرجعة ودرجات الاختيار فيها: ٦٧
- الفرق بين الدين والشرعية: ٦٩
- الجبر والاختيار في الرجعة ٧١
- شواهد بيانية في الروايات على استمرار التكليف في الرجعة: ٧١
- الشاهد الأول: درجات الاختيار والرجعة: ٧١
- تعدد مراتب الاختيار بمراتب سد التوبة: ٧٢
- تكليف أهل الرجعة ودرجة اختيارهم ٧٦
- التكليف ومدار الحجية في الرجعة: ٧٧
- درجة الاختيار في أفعال يوم القيامة: ٧٨
- إغلاق باب التوبة: ٧٩
- غلق باب التوبة وانقطاعها تدريجي: ٨٠
- الفرق في الاختيار بين نشأة الكون ونشأة الدنيا: ٨٣
- بين الاختيار والحساب والجزاء: ٨٤

الرجعة وتصوير كيفية الاختيار والامتحان:	٨٨
اشتداد التكليف في الرجعة:	٨٩
حقيقة عدم قبول التوبة:	٩٤
تعدد مواطن انقطاع ورفع التوبة:	٩٧
السعي والاختيار في جهنم:	٩٩
المزيد من تفاسير للرجعة خاطئة أو صحيحة:	١٠٠
تفسيرها بالبرزخ:	١٠٠
تفسير الرجعة بالتناسخ:	١٠٢
الرجعة إحياء الإمام عليه السلام للموتى بإذن الله:	١٠٤
استمرار الفتنة والامتحان في الرجعة والعوالم الأخرى، وموقعية الأدوار في الرجعة وليدة الأعمال في الحياة الدنيا الأولى:	١٠٥
خروج الناس في الرجعة من التراب لا من الأرحام:	١٠٩
امتحان المستضعفين في الرجعة في مقطع أخير من آخرة الدنيا:	١١٠
وقوع المسخ في الرجعة:	١١١
الرجعة تكامل نوعي خطير:	١١١
الرجعة ذات صلة بقواعد أحكام الطبيعة:	١١١
نزول وتنزل للروح إلى جنب الجسد في القبر قبيل الإحياء في الرجعة:	١١٥
الرجعة فتح الفتوح:	١١٦
الرجعة مشروع بناء عقيدة وتأسيس معرفة متعالية أولاً:	١١٦
ثم هي مشروع سياسي وبناء دولة ثانياً:	١١٦
النظام القرآني الراسم للرجعة:	١٢٣
الفصل الثالث / غايات وفلسفات الرجعة ونمط تفسير آخر	١٢٥
الغاية الأولى: معرفة الرجعة فريضة كبرى على جميع الأمة كمعرفة المعاد الأكبر:	١٢٧
الغاية الثانية: القدرة الإلهية في الرجعة:	١٢٩

- الرجعة والقدرة والمشيئة الإلهية: ١٢٩.....
- الغاية الثالثة: تحقيق ووقوع غاية الخلقة من دار الدنيا: ١٣٢.....
- الغاية الرابعة: معرفة الرجعة وعلو الهمة: ١٣٤.....
- الغاية الخامسة: الثبات بمعرفة الرجعة على الإيمان عند البعث الأول: ١٣٥.....
- الغاية السادسة: الاعتقاد بظهور الإمام المهدي تمهيد للاعتقاد والمعرفة بالرجعة: ١٣٧... ١٣٨.....
- الغاية السابعة: نصرة الأنبياء والرسل والأوصياء: ١٣٨.....
- الغاية الثامنة: استكمال الامتحان للنفوس: ١٣٩.....
- الغاية التاسعة: تولد الأمل وقوته وشدة الطموح: ١٣٩.....
- الغاية العاشرة: الانتقام من الظالمين: ١٤٠.....
- الغاية الحادي عشر: استكمال الطاعة للإمام (عج): ١٤١.....
- الغاية الثانية عشر: إكمال الدين وإتمام الموعد الإلهي: ١٤١.....
- الأربعة عشر معصوم لكل مقام محمود في الرجعة: ١٤٣.....
- الغاية الثالثة عشر: ظهور مقامات خاصة لأمر المؤمنين عليه السلام: ١٤٤.....
- الغاية الرابعة عشر: إنجاز الوعد وإقامته وإظهاره في الرجعة: ١٤٤.....
- الفصل الرابع / مراحل وأدوار الرجعة وأقسامها ١٤٧.....
- المحطة الأولى: بداية الرجعة ١٤٩.....
- المحطة الثانية: اجتماع أجيال متباينة في الرجعة ١٥٣.....
- المحطة الثالثة: الرجعة عامة لكل الناي أو خاصة لبعض فئات الناس ١٥٥.....
- الطائفة الدالة على خصوص الرجعة: ١٥٦.....
- الطوائف الدالة على عموم الرجعة: ١٥٧.....
- اختصاص الرجعة بمن محض في المسائلة لا في نفس الرجوع: ١٦١.....
- معنى من محض الإيمان ومحض الكفر: ١٦٣.....
- سر سبق من محض الإيمان أو محض الكفر على المستضعفين في الرجعة: ١٦٥.....
- المحطة الرابعة: قائمة وجدولة في من يكر من أهل الخير وأهل الشر ١٦٦.....

رجعة إبليس والشياطين والجن:	١٧١
المحطة الخامسة: مرحلة خروج دابة الأرض وما بعده	١٧٥
المحطة السادسة: رجعة الحيوان	١٧٨
المحطة السابعة: أواخر الرجعة	١٧٩
الفصل الخامس / موقعية الرجعة في العقيدة والإيمان	١٨١
الفصل السادس / الرجعة كمال وبلوغ في معرفة أصول الدين	١٩١
الرجعة ومعرفة التوحيد والمعاد:	١٩٣
الرجعة ومعرفة النبوة:	١٩٦
الرجعة ومعرفة الإمامة:	١٩٧
الرجعة وحقيقة الإمامة:	١٩٩
إطلاق الكرة والرجعة على القيامة:	١٩٩
الفصل السابع / الرجعة ومقامات الإمامة	٢٠١
الرجعة من الأدلة الكبرى للإمامة:	٢٠٣
الدولة الإلهية في الرجعة في الآيات القرآنية:	٢٠٣
ظهور مقامات للإمامة في الرجعة:	٢٠٧
معالم الرجعة المروية عند العامة بعناوين خاصة:	٢١٠
الحوض في الرجعة:	٢١٢
اللواء:	٢١٣
٦. الساعة:	٢١٦
٧. الساعة، إنباء النبي بالرجعة:	٢١٦
ملاحم الرجعة:	٢٢٤
الفصل الثامن / الرجعة ونظام الإمامة	٢٢٧
رجعة الائمة ذرية النبي ﷺ بعده	٢٤١
المعارف وفقه متون الروايات:	٢٤١

٢٤٣.....	تحقيق في صناعة الدراية والحديث:
٢٤٥.....	المقام المحمود في دولة الرجعة:
٢٤٦.....	مفاهيم الرجعة في زيارة عاشوراء
٢٤٨.....	المهديون الاثنا عشر هم الأئمة الاثنا عشر في مقام الرجعة:
٢٥٠.....	المغالطة في فهم الرواية:
٢٥١.....	الشاهد الأول:
٢٥١.....	الشاهد الثاني:
٢٥٤.....	أول المهديين واحد من الأئمة الاثني عشر:
٢٥٧.....	علي عليه السلام المهدي الأكبر من المهديين الاثني عشر
٢٥٩.....	الشاهد الثالث:
٢٦٠.....	الشاهد الرابع:
٢٦٢.....	الشاهد الخامس:
٢٦٤.....	الشاهد السادس:
٢٦٦.....	الشاهد السابع:
٢٦٩.....	تنبيه على أمور لابد منها:
٢٦٩.....	التنبيه الأول:
٢٧٠.....	التنبيه الثاني:
٢٧١.....	التنبيه الثالث:
٢٧١.....	التنبيه الرابع:
٢٧١.....	قرعة الخيرة في العقائد
٢٧١.....	استقسام بالأزلام والنصب الشيطانية:
٢٧٢.....	الاعتماد على الرؤى في الدين كهانة شيطانية:
٢٧٤.....	قاعدة: نظام الإمامة في الرجعة
٢٧٩.....	الفصل التاسع / فلسفة علائم كل من الظهور والرجعة

فهرس محتويات الجزء الثاني

الباب الثاني / إثبات الرجعة وما يناسبه	٢٨٧
الفصل الأوّل / موقعية الرجعة في العقيدة والإيمان	٢٨٩
الفرق الشيعية والرجعة	٢٩١
فرقة الكيسانية والرجعة:	٢٩١
كلمات أعلام الإمامية في الرجعة	٢٩٣
١- مؤمن الطاق:	٢٩٣
٢. الصدوق: الرجعة من دعائم الإيمان:	٢٩٣
٣. المفيد:	٢٩٤
المفيد: القول بالرجعة، الإمامية بأجمعها عليه، إلا شذّاذ منهم تأولوا:	٢٩٤
الرجعة مذهب يختص به آل محمد:	٢٩٥
٤. المرتضى: إنّ المنكر لصحة الرجعة ملحد خارج عن أهل التوحيد:	٢٩٦
٥ - الطبرسي: إجماع الشيعة الإمامية على الرجعة:	٢٩٨
٦ - ابن شهر آشوب:	٢٩٨
٧ - ابن طاووس: الرجعة قدرة إعجازية للنبي على إحياء الموتى:	٢٩٨
٨ - الحر العاملي: وجوب الإقرار بها كل يوم:	٢٩٩
الرجعة من ضروريات مذهب الإمامية:	٢٩٩
٩ - المجلسي: تواتر روايات الرجعة.	٣٠١
تصريح المجلسي والحر بأنّ ما رواه هو بعض روايات الرجعة:	٣٠١
١٠ - الحكيم الملا صدرا	٣٠٤
الرجعة من القرآن والنصوص ومتواترة، وعليها ضرورة المذهب	٣٠٤

- الحكيم الملا صدرا: ٣٠٦
- حقية مذهب الرجعة بالروايات المتظافرة والنقل الصحيح القطعي ٣٠٦
- الحكيم ملا صدرا ودلالة الأدلة على صحة الرجعة ٣٠٦
- ١١ - الطريحي: ٣٠٧
- ١٢ - الفيض الكاشاني: وتقرير كلام المتقدمين في ضرورة الرجعة ٣٠٧
- ١٣ - المولى محمد صالح المازندراني: ٣٠٧
- ١٤ - الشهيد الثالث القاضي التستري: ٣٠٨
- الرجعة أصل عند الشيعة ثابت بالكتاب والسنة ٣٠٨
- ١٥ - السيد عبد الله شبر: ٣٠٨
- ١٦ - أحمد الإحسائي: كفر منكر الرجعة دون الجاهل بها ٣١٠
- ١٧ - الشيخ جعفر كاشف الغطاء ٣١٠
- ١٨ - ملا أحمد النراقي: الرجعة عند الشيعة ٣١٠
- ١٩ - ميرزا حبيب الله الرشتي: منكر الرجعة كافر مع التقصير ٣١١
- ٢٠ - الجنوبادي: الرجعة كالضروري في هذه الأمة ٣١١
- ٢١ - العلامة الطباطبائي: ٣١٢
- الرجعة متواترة تزيد على خمسمائة رواية ٣١٢
- ٢٢ - الشيخ كاشف الغطاء: الرجعة ضرورة في المذهب ٣١٣
- الفرق بين أصول الدين وضرورياته وأسباب الردة ٣١٤
- ٢٣ - المظفر: حقيقة الرجعة نوع من المعاد ٣١٧
- الرجعة فعل إعجازي للنبي والوصي ٣١٧
- ٢٤ - ٢٥ - وقفة مع السيد الأمين والشيخ مغنية ٣٢١
- وقفة مع رأي السيد الأمين ٣٢٤
- ٢٦ - السيد الكلبيكاني: الرجعة ضرورة ٣٢٦
- ٢٧ - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: الرجعة من ضروريات المذهب ٣٢٧

الرجعة ضرورة أديانية وإسلامية	٣٢٧
الرجعة في كلام علماء العامة	٣٢٨
١ - القاضي عبد الجبار المعتزلي	٣٢٨
٢ - الطبري	٣٢٨
٣ - الزمخشري	٣٢٨
٤ - ٥ - المراغي وصاحب الظلال	٣٢٩
٦ - ابن حجر العسقلاني	٣٢٩
٧ - ابن عاشور في التحرير والتنوير	٣٣٠
٨ - محمد عزة	٣٣٠
٩ - أبو الفدا إسماعيل	٣٣١
١٠ - ابن سعد	٣٣١
١١ - الألوس	٣٣١
الفصل الثاني / الرجعة والعقل	٣٣٩
المستقبل دليل عقلي	٣٤١
الرجعة شعار لعدالة أرقى مستقبلية	٣٤١
الرجعة مخزون معرفي ضخيم للعدالة والحرية	٣٤١
الرجعة مشروع إصلاح متقدم على الديمقراطية	٣٤٢
الرجعة والتطلع البشري نحو المستقبل	٣٤٤
الرجعة تزواج حضارات ومشاركة إعمار بين الأموات والأحياء	٣٤٤
النزعة الفطرية برهان على الرجعة	٣٤٤
صياغة أخرى للدليل الفطري على الرجعة	٣٤٥
الرجعة والاستدلال العقلي	٣٤٥
وجه عقلي آخر على الرجعة للصدوق وآخر للعالمي	٣٤٦
من استدل بالبرهان العقلي على وقوع الرجعة	٣٤٩

- البرهان العقلي للرجعة في الآيات والروايات ٣٥١
- انتشار المعرفة بهم ﷺ أعظم إظهاراً للدين ٣٥٦
- إنجاز الوعود والوعد الإلهي ٣٥٧
- الاعتقاد بالرجعة وقوة الصبر والتحمل ٣٥٩
- تقرير الإمكان العقلي للرجعة ٣٦٠
- شبهات على الرجعة ٣٦١
- الحكيم علي النوري رحمته الله ٣٦٣
- تعدد غايات الرجعة عمومها لأفراد البشر ٣٦٣
- الحكيم النوري: برهان عقلي على الرجعة قبل القيامة الكبرى ٣٦٣
- برهان عقلي آخر على الرجعة ٣٦٤
- الجناباذي: تقرير عقلي للرجعة ٣٧٠
- الرجعة جعل النفس التي هي بالفعل ذات قدرة لإحياء البدن الميت ٣٧٢
- الجناباذي: إنَّ علياً هو النبا العظيم، وهو الرجعة ٣٧٣
- الرجعة السفر الثالث من الأسفار الأربعة ٣٧٥
- تأييد أرواح الموتى للأحياء والرجعة ٣٧٦
- استدلال جماعة من أعلام هذا العصر ٣٧٨
- الجناباذي: تداعيات العمل في هذه الحياة على موقعية الإنسان في الرجعة ٣٨١
- اعتراض ودفع ٣٨١
- آيات البعث والمعاد لمقامات ثلاث ٣٨٢
- الجناباذي: تعدد الرجعة ودرجاتها في الكمال ٣٨٢
- تفسير عرفاني للرجعة: ضرورة الرجعة لضرورة الأسفار الأربعة ٣٨٤
- الرجعة تفسير وبرهان آخر ٣٨٦
- الرجعة في قوس النزول والمعراج في قوس الصعود ٣٨٧
- الرجعة تقابل العروج ٣٨٨

٣٩٠	الرفيعي: الرجعة والدليل العقلي
٣٩٣	الفصل الثالث / مصادر أدلة الرجعة
٣٩٥	المصادر القرآنية للرجعة
٣٩٥	المصادر الروائية الحديثية
٣٩٩	خمسون أو سبعون ألف حديث في الرجعة
٤٠١	روايات الرجعة في كتب الغيبة
٤٠١	الرجعة في مصادر الحديث للعامة
٤٠٢	الرجعة في العهدين: التوراة والإنجيل
٤٠٥	الفصل الرابع / الرجعة والقرآن
٤٠٧	آيات وقوع الرجعة في الأمم السابقة
٤١٠	الآيات الدالة على قاعدة أنّ ما وقع في الأمم السابقة يقع في هذه الأمة
٤١١	التفويج في الحشر الخاص عند خروج الآيات
٤١٤	إشكالات الألوسي في دلالة الآية على الرجعة
٤١٩	آية دابة الأرض وخروج ومجيء الآيات
٤٢١	الطائفة الثالثة: استثناء الأمم الهالكة بالعذاب من الرجوع في الرجعة
٤٢٤	الطائفة الرابعة: آيات الوعد الإلهي بالنصر
٤٢٩	الطائفة الخامسة: الإحياء والإماتة مرتين
٤٣١	الفصل الخامس / الرجعة من مصادر الحديث للعامة
٤٣٣	الرجعة في مصادر الحديث للعامة
٤٣٦	نقاط منهجية في البحث العقائدي
٤٣٦	أهمية تراث الحديث والتفسير لدى العامة على علم الكلام:
٤٣٨	جابر الجعفي وخمسون أو سبعون ألف حديث في الرجعة
٤٤٣	خطبة أبي حمزة الخارجي
٤٤٣	كلام الطبري عن مقالة الرجعة عند عبد الله بن سبأ

- روايتهم النزول في الرجعة ٤٤٣
- من تراث الرجعة عند أهل السنة، ٤٤٥
- والآيات التي تخرج في آخر الزمان ٤٤٥
- في أشراط الساعة ٤٤٥
- النار التي تسوق الناس إلى المحشر ٤٤٥
- حقيقة النار التي تخرج: هي الحرب التي يقوم بها حجة الله في أرضه ٤٥٠
- المحشر في روايات أهل البيت عليه السلام ٤٥٢
- دابة الأرض ملحمة كبرى ٤٥٤
- للرجعة في تراث العامة ٤٥٤
- المَعْلَم الأول: دابة الأرض معها عصا موسى وخاتم سليمان ٤٥٤
- فقه الحديث ٤٥٥
- المَعْلَم الثاني: تَخْطُم أنف الكافر والمنافق بالعصا، وتُجْلِي وجه المؤمن بالخاتم ٤٥٦
- المَعْلَم الثالث: لدابة الأرض ثلاث خرجات من الدهر ٤٥٨
- فقه الحديث ٤٥٩
- المعلم الرابع: القدرة التكوينية في نظام حكم دابة الأرض ٤٦٠
- المعلم الخامس: تضائل قدرة إبليس وخُفُوت قوته ٤٦١
- المعلم السادس: تفشي وإقامة العدل في أعلى درجاته في عهد دابة الأرض ٤٦٢
- دابة الأرض حقيقتها في روايات العامة ٤٦٤
- الاعتقاد برجعة أمير المؤمنين عليه السلام فرض على الأنبياء السابقين ٤٦٤
- إشارة روايات العامة إلى أن دابة الأرض علي عليه السلام ٤٦٥
- الفرق بين حكومة دابة الأرض أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة ٤٦٨
- وبين الإمام الثاني عشر (عجل الله تعالى فرجه) ٤٦٨
- بدء الحساب في أواخر الرجعة قبل يوم القيامة ٤٧١
- ملحوظة معترضة ٤٧٤

٤٧٤	رجوع إلى أحوال دابة الأرض
٤٧٥	مقام الحاشر والحشر للنبي ﷺ
٤٧٩	الفصل السادس / الرجعة في الأديان والكتب السماوية
٤٨١	الرجعة بشرت بها الأنبياء والمرسلين
٤٨١	السيد المرتضى: «الرجعة متفق عليها بين أهل الأديان السماوية»
٤٨٢	مفروغية الاعتقاد بالرجعة في التوراة
٤٨٢	ظهور الرجعة في القرآن
٤٨٣	الرجعة بشرت بها الأنبياء والمرسلون ﷺ
٤٨٥	اليهودية والرجعة، (عبد الله بن سبأ)
٤٨٦	جملة فصول في الأديان ذات صلة بالرجعة
٤٨٧	الغاية في الدين لا تتحقق إلا بالرجعة كما أنّ بدايته بالفطرة
٤٨٨	الرجعة في العهد القديم والعهد الجديد
٤٨٨	العهد القديم
٤٨٩	العهد الجديد
٤٩٠	الرجعة في زبور داود
٤٩٠	كتاب سليم: (نص ما في كتب عيسى)
٤٩١	مقام الحاشر للنبي ﷺ في كتب عيسى بن مريم ﷺ
٤٩٥	الفصل السابع / الرجعة لغة لقراءة أبواب المعارف
٤٩٧	الرجعة لغة لقراءة أبواب المعارف
٤٩٨	الرجعة لغة في معرفة النبوة
٤٩٩	مراتب إظهار الدين في الوعد الإلهي
٥٠٠	وأما الجانب النظري: الرجعة قراءة ومعرفة في الإمامة
٥٠٤	(الرجعة) قراءة في معرفة المهدي والظهور
٥٠٥	تعدد درجات وأدوار الإصلاح في الرجعة لكل إمام

- موازاة مراتب كمال الإنسان لمراتب كمال المجتمع في دولة الرجعة ٥٠٧
- مجتمع أهل اليقين ٥٠٩
- عظمة كمال مجتمع المؤمنين في الرجعة ٥١٠
- إطلاق اسم (الآخرة، والبعث، والنحش، والمعاد) على الرجعة ٥١١
- المعاد والرجعة ٥١٣
- الفارق بين بعث الرجعة وبعث المعاد ٥١٣
- البرزخ والرجعة والساخرة ٥١٤
- ثلاث أنماط للبعث والحساب ٥١٥
- عالم القيامة والرجعة ٥١٥
- تطابق آخر الرجعة مع القيامة ٥١٥
- تطابق المعراج مع الرجعة ٥١٦
- تعدد الحساب والقيامة ٥١٧
- ملحوظة معترضة ٥١٧
- إن البرزخ والرجعة من الدنيا والقيامة حقيقة مباينة لهما ٥٢١
- القيامة لها أحكام ومواطن مختلفة ٥٢١
- الامتحان في القيامة ٥٢٢
- من الصحابة والتابعين القائلين بالرجعة ٥٢٤
- نبذة عن رصد عدد الحديث في الرجعة ٥٢٥
- نبذة أخرى عن كتب في الرجعة من الإمامية ٥٢٧
- مصادر الرجعة ٥٢٩
- فهرس محتويات الجزء الأول ٥٣١
- فهرس محتويات الجزء الثاني ٥٣٧

أن ما تم عرضه في الكتاب من أبواب وفصول ومقالات
ومسائل وبحوث الرجعة لم يتم إيفاء البحث فيها
ولا توفية المطالب بتمامها نظراً إلى سعة بحوثها
وتشعبها وقلة الجهود المبذولة فيها وترامي آفاق ميادين
المسائل وهذا مما يجعل إنجاز العمل بتمامه مستحيلاً
في الظرف الراهن، رغم أن البحث في الرجعة تواصل
عندنا قرابة ستة أعوام لكننا نجد أنفسنا لا زلنا في
ضفاف ساحل بحار ومحيطات باب الرجعة ولا نصف
الحال بذلك خيلاً وشاعرية بل إن حقيقة الرجعة
باب في المعرفة من الغيوب الداهية الدهياء وتتوقف
على جهود أجيال من أهل التحقيق والبحث والتبحر،
ولا يقوم به جيل واحد فضلاً عن شخص فارد.